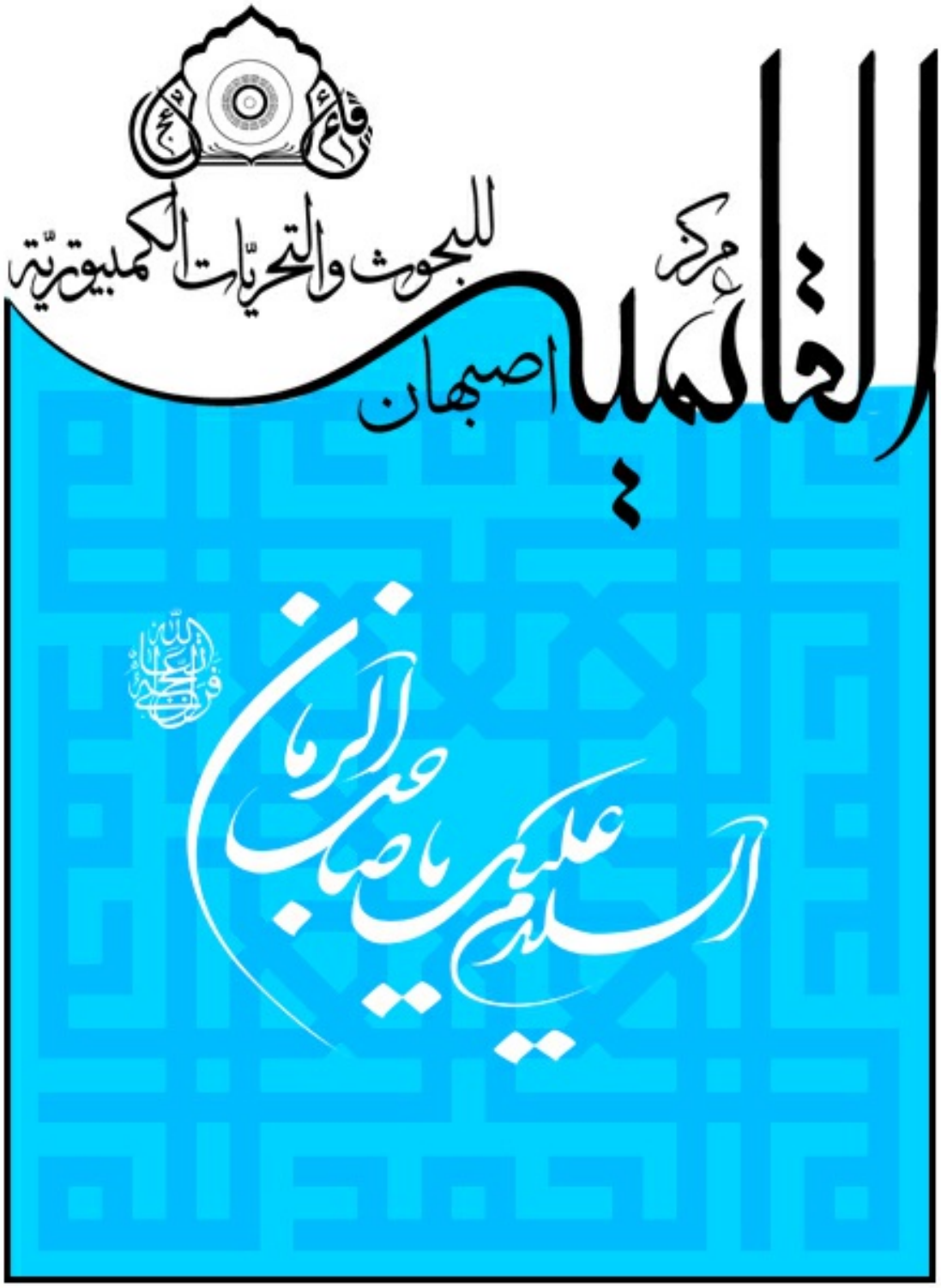

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

آية الله الشيخ محمد سند

الصحابة

بسم الله الرحمن الرحیم

الصحابه بين العداله و العصمه

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

فرصاد

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

الصحابه بین العداله و العصمه ----- ۹

اشاره ----- ۹

اشاره ----- ۹

فهرست العناوین الأصلیه ----- ۱۵

المقدمه ----- ۱۷

۱-تبیین محور البحث ----- ۲۱

اشاره ----- ۲۱

تحلیل مفاد هذه المقوله و المسأله ----- ۳۳

بیان تردد العامّه فی معنی المسأله ----- ۳۶

الخدشه فی أدله المسأله عند العامّه ----- ۴۱

الأحادیث النافیه للمسأله ----- ۴۴

۲-الوجه العقلی ----- ۴۹

۳-الوجه النقلی ----- ۵۵

اشاره ----- ۵۵

تحقیق فی عنوان المهاجر و الأنصاری ----- ۶۵

مفاد الآیات القرآنیّه ----- ۷۱

اشاره ----- ۷۱

*أمّا الآیه الأولی: ----- ۷۱

*و أمّا الآیه الثانیه: ----- ۷۹

اشاره ----- ۷۹

الموالاه و البراءه ----- ۹۰

*و أمّا الآیه الثالثه: ----- ۹۳

*أمّا الآیتان الرابعه و الخامسه: ----- ۹۷

اشاره ---- ۹۷
عدم إیمان بعض البدریّین ---- ۹۹
*أمّا الآیه السادسه: ---- ۹۹
اشاره ---- ۹۹
حال المسلمین فی أحد ---- ۱۰۲
*أمّا الآیه السابعه: ---- ۱۰۴
۴-الوجه التاریخی ---- ۱۲۴
اشاره ---- ۱۲۴
أغراض تشریع الجهاد الابتدائی ---- ۱۳۱
۵-موقف الصدیقه فاطمه علیها السّلام تجاه الصحابه ---- ۱۴۰
۶-موقف امیر المؤمنین علیه السّلام تجاه الصحابه ---- ۱۵۵
۷-موازین الجرح و التعدیل ---- ۱۸۵
اشاره ---- ۱۸۵
من موازین التعدیل و الجرح فی الصحابی: ---- ۱۸۷
اشاره ---- ۱۸۷
المقام الأوّل ---- ۱۸۸
اشاره ---- ۱۸۸
مفاد آیه الموده ---- ۱۹۷
المقام الثانی ---- ۲۰۲
اشاره ---- ۲۰۲
العداوه مرض فی قلوب الناصبه ---- ۲۱۵
۸-العقبه و المظاهره ---- ۲۲۳
اشاره ---- ۲۲۳
الأولی:فی رجوعه من تبوک عند العقبه،و مدبّریها عرفوا ب:أهل العقبه. ---- ۲۲۵
الثانیه:المظاهره بالمکیده ---- ۲۵۶
اشاره ---- ۲۵۶

صالح المؤمنین و أطراف المواجهه ----- ۲۷۶
الملحمه القرآنیه و الإسرار النبوی ----- ۲۷۹
۹-آفاق الوحده ----- ۲۸۳
اشاره ----- ۲۸۳
النبیّ هارون علیه السّلام و نموذج الوحده ----- ۳۰۰
الوحده و عناوین مختلطه ----- ۳۰۳
الوحده و التولّی و التبرّی ----- ۳۰۴
معنی و قوام الوحده ----- ۳۱۴
الوحده و شعائر المذهب ----- ۳۲۰
الوحده و طوائف الشیعه ----- ۳۲۱
الوحده و حدیث الفرقه الناجیه ----- ۳۲۳
*أمّا الآیات ----- ۳۳۷
*و أمّا الروایات ----- ۳۳۹
۱۰-محطّه الفتوحات ----- ۳۵۳
اشاره ----- ۳۵۳
سبب الردّه و حقیقتها ----- ۳۷۸
تدبیر الإمام علیّ علیه السّلام ----- ۳۸۶
اعتراض و إجابه ----- ۳۸۸
دوره علیه السّلام فی وقعه الجسر ----- ۳۸۹
دوره علیه السّلام فی معرکه نهاوند ----- ۳۹۲
وقفه مع أصحاب کتب التاریخ ----- ۳۹۶
الملاحم التی أنبأ علیه السّلام بها و دورها فی الفتوح ----- ۳۹۷
دوره علیه السّلام فی النظام الاقتصادی للفتوح ----- ۳۹۹
أخلاقیات الفتوحات و انتشار الدین ----- ۳۹۹
اشاره ----- ۳۹۹
المحطّه الأولی ----- ۴۰۰

اشاره ---- ۴۰۰
الأوّل:انجذاب أهل البلدان إلی مبادئ الدین الإسلامی العالیه ---- ۴۰۰
الثانی-من أسباب الظفر- ---- ۴۰۸
الثالث:معاناه الشعوب ---- ۴۰۹
الرابع:بشائر القرآن و النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالفتوحات ---- ۴۰۹
الخامس:تدبیر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و علیّ علیه السّلام ---- ۴۰۹
السادس:قوّه البناء الاجتماعی الدینی ---- ۴۰۹
المحطّه الثانیه ---- ۴۱۰
اشاره ---- ۴۱۰
الأوّل:إدخال الطلقاء من قریش فی سدّه الأمور ---- ۴۱۱
الثانی:التکالب علی الأموال و الثروات و الشهوات ---- ۴۱۳
سبب إخفاق الفتوح عن الوصول إلی الوعود الإلهیّه ---- ۴۳۳
سیاسات الخلفاء فی بلدان الفتوح ---- ۴۴۰
أخلاقیات السقیفه فی الفتوح و الحکم ---- ۴۴۲
الفهرس التفصیلی ---- ۴۴۶
تعریف مرکز ---- ۴۴۹

الصحابه بین العداله و العصمه

اشاره

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۴-۲۳۲۷

عنوان و نام پدیدآور : الصحابه بین العداله و العصمه/ محمد سند

مشخصات نشر : تهران : فرصاد، ۱۴۲۶ق. = ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ص ۴۴۲

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : صحابه

موضوع : صحابه -- احادیث

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۵۲

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/۷/س ۹ص ۳ ۱۳۸۴

سرشناسه : سند، محمد، - ۱۳۴۰

ص :۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص :۴

الصحابه بين العداله و العصمه

محمد سند

ص :۵

فهرست العناوين الأصليه

المقدمه ۹

تبيين محور البحث ۱۳

الوجه العقلى لعداله الصحابه ۴۱

الوجه النقلى لعداله الصحابه ۴۷

لوجه التاريخى لعداله الصحابه ۱۱۵

موقف الصديقه فاطمه الزهراء عليها السّلام ۱۳۱

موقف امير المؤمنين عليه السّلام ۱۴۵

موازين الجرح و التعديل ۱۷۵

العقبه و المظاهره ۲۱۳

آفاق الوحده ۲۷۳

محطه الفتوحات ۳۴۳

الفهرست التفصيلى ۴۳۵

المقدمه

بسم اللّه الرحمن الرحيم البحث حول الصحابه و عدالتهم كان و ما يزال من أهمّ البحوث العقائديه بين المذاهب الإسلاميّه و قد عنى الكثير من الباحثين و الكتّاب فى ملابسات هذا الموضوع ممّا يدل على مكانه هذا البحث و أهمّيته-فى دائره الخلاف-.

من هنا جاء البحث فى-الصحابه بين العداله و العصمه-يتناول هذا الأمر الخطير،لكنّه هذه المرّه جاء برؤيه جديده و نظره فاحصه دقيقه تعتمد على تحليل نظريه«عداله الصحابه»و ما يترتّب عليها من آثار.و قد سلّط الضوء فى هذه الدراسه على جميع زوايا هذه الظاهره و ملابساتها،ابتداءً بولادتها و سرّ تبلورها.

و مرورا بالآثار المترتّبه عليها،و انتهاء بسلامه هذه النظريه أو فسادها.

و لما كانت هذه النظريه ذات ركنين هما:العداله و الصحابه،كان من الضرورى كشف الغموض و إزاله اللبس الذى يحايث ظهور المعنى لهذين الركنين و وضوحه؛ فما العداله التى تستند للصحابه؟

هل المراد منها تلك الصفه المعروفه فى الأذهان؟أو المراد منها عصمه الصحابى و حجّيه قوله و فعله؟

و هل المراد فى حجّيه قول الصحابى،حجّيه قوله كراو من الرواه؟أم أنّ حجّيه قوله من باب حجّيه اجتهاده؟و رأيه كمجتهد قد يصيب و خطئ،هذا مع مراعاه

اجتهاده بموازين الاجتهاد.

أم أنّ حجّيه قوله و فعله من باب التفويض؟و له الحق فى التشريع و إنّه مشرّع يخصص إطلاق و عموم الكتاب و السنّه،فينسخ الأحكام و يحكم بما يراه فيؤخذ به ناسخا لما جاء به الكتاب و السنّه،أو يحكم بكون ما يراه حكما بمنزله السنّه النبويّه فى ما لم يأت به الكتاب و السنّه!!

من هنا كان على الباحث المتتبع فى عداله الصحابه أن يقف بإمعان على الآثار المترتبه عن العداله و كيف أنّها تكون فى كثير من الأحيان مساوقه لآثار العصمه عند الإماميه و هذا ما يدعو إلى كثير مراجعه و تأمّل!

و كذلك الحال فى الصحابه،فهل كان المراد منهم جميع الصحابه الذين كانوا حول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم-على أضيق التعاريف-؟

أم أنّهم الذين اتّفقوا على بيعه أبى بكر و كان هواهم و رأيهم على ذلك؟

إذن فما بال الذين قاطعوا السقيفه و لم يحضروها؟و كان فيهم خير الصحابه و أفضلها.ثمّ ربّما كان بغيه أصحاب هذه النظريه هى مسانده الحزب المؤتمر فى السقيفه!!أو إضعاف الشريعه لهم فى الوقت الذى أقصى الآخرين الذين آزروا النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و آزرهم عن دورهم الحق فى رسم معالم الدين و مناهجه القويمه!!

هذا و من المباحث المهمّه فى دائره الصحابه أيضا البحث عن الملاك و الميزان و الضابط لتوثيقات أئمه الجرح و التعديل من أهل السنّه و الجماعه،فهل هى قائمه على ضوابط علميه دينيه فى تلقّى الخبر؟أم هى مبتنيه على الأهواء الجاهليه و تسير على قاعده البغض و العداء لمن أمرنا له بالطاعه و الولاء و على قاعده الحبّ و الوداد للخوارج و النواصب الذين جاهدوا لطمس معالم هذا الدّين و تحريف سنّه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

بعد هذا العرض السريع لمباحث الكتاب الذى أجاد بها قلم أستاذنا العلاّمه المحقق الفقيه آيه اللّه الشيخ محمّد السند البحرانى حفظه اللّه تعالى و التى جاءت

ضمن عدّه مقالات نشرتها مجله«تراثنا»تحت عنوان«عداله الصحابه»حيث لاقت هذه البحوث اهتمام الدارسين و العلماء و المثقفين كذلك الهيئات و المراكز العلميّه و الدينيّه فى البلاد الإسلاميه و خارجها.

و كان من الطبيعى أن ينقسم القرّاء بين مؤيّد و مخالف لأنّ موضوع البحث كان فى مجال دائره الخلاف و الكاتب قد جاء برؤى جديده لم تعهدها البحوث السابقه فى هذا المجال.

من هنا كانت أهمّيه إعداد هذه البحوث و جمعها فى كتاب مستقل رجاء أن ينتفع به إخوانى من جميع المذاهب و المدارس الفكريه الإسلاميه آملين أن يتقبّل المولى عزّ و جل جهدنا المتواضع هذا و يأخذ بأيدينا بعيدا عن التعصّب و الجحود إلى ما هو الخير و الصلاح آمين ربّ العالمين.

مصطفى الإسكندرى

۱-تبیین محور البحث

اشاره

ص:۱۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين،و الصلاه و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين أبى القاسم محمّد و على آله الطيّبين الطاهرين.

إنّ من أهمّ المباحث الخلافيّه هو البحث حول صحابه النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قد عنون هذا البحث فى الكتب الكلاميّه تحت عنوان«عداله الصحابه»،و نحن نريد أن نفتح هذا الملفّ و ننظر فيه لتوضيح بعض الإبهامات و المعمّيات.

و فى البدايه لا بدّ أن نلاحظ بعض مفردات هذا البحث.

منها:مؤدّى العداله المقصوده،

و منها:دائره الصحابه المتّصفين بذلك،

و منها:ثمره القول بذلك،و هى:حجّيّه أقوالهم و أفعالهم،و وجوب الاعتقاد بفضيلتهم و موالاتهم.

فإنّ تحرير المقصود فى كلّ نقطه أمر بالغ الأهمّيه؛كى يتّضح أنّ الأدلّه المعتمده لكلّ قول هل هى مثبته له؛أم إنّ هناك تباينا بين الدليل و المدّعى؟فمثلا يقع الترديد فى المراد من العداله التى تسند و يوصف بها الصحابه أو بعضهم،فإنّها تستعمل بمعنى يمانع إمكان صدور الخطأ أو المعصيه منه،و لا شكّ أنّ هذا المعنى يساوق العصمه!

و كذلك يقع الترديد فى المراد من الصحابه،هل هم الّذين اتّفقوا على بيعه أبى بكر، و كان هواهم و رأيهم على ذلك؛أم إنّه يشمل من خالف بيعته و لم يبايعه إلى نهايه

المطاف؟فهل دائره البحث هی فی الصحابه و الصحبه؟!أم هی فی شرعیه بیعه السقیفه؟!!

و کذا الترديد فی معنی الحجّیه لقول الصحابی و فعله،هل هی بمعنی حجّیه قوله کراو من الرواه و أخبار الآحاد،و کذا فعله من جهه کونه أحد المتشرّعه،الکاشف فعله عن الحکم المتلقّی من الشارع،فلا موضوعیه لقوله و فعله فی نفسه؟...أم إنّ حجّیه قوله و فعله من باب حجّیه اجتهاده،و رأیه کمجتهد قد یصیب و قد یخطئ؟!و إنّه هل یحدّد اجتهاده بموازین الاجتهاد،أم لا ینضبط رأیه بقیود الأدلّه و الموازین؟!أم إنّ حجّیه قوله و فعله-و لو لبعض الصحابه-هی من باب التفویض له فی حقّ التشریع،و إنّه مشرّع یخصّص إطلاق و عموم الکتاب و السنّه،و قد ینسخ السنّه و یحکم بکون ما یراه من حکم یؤخذ به بمنزله السنّه النبویّه فی ما لم یأت به الکتاب و السنّه،و علی ذلک فلا تصدق علی مخالفته و مباینته للکتاب و السنّه أنّها مخالفه،و أنّها ردّ لهما،بل هی نسخ أو تقیید و تخصیص لهما؟!

و المتصفّح لکلمات القوم یلوح له تراوحها بین هذه الاحتمالات،و تقلّبها بین هذه الوجوه،و إلیک بعض الکلمات المتعلّقه بالبحث:

قال الشریف المرتضی فی کتابه الذریعه إلی أصول الشریعه عند ردّه للتصویب، و تخطئه الصحابه بعضهم لبعض،قال:

و اعلم أنّنا أسقطنا بهذا الکلام الذی بیّناه إلزام المخالفین لنا فی خطأ الصحابه أن یکون موجبا للبراءه بذکر الکبیر و الصغیر الذی هو مذهبهم دون مذهبنا،فکأنّنا قلنا لهم:ما ألزمتمونا إیّاه لا یلزمنا علی مذاهبکم فی أنّ الصغائر تقع محبطه من غیر أن یستحقّ بها الذمّ و قطع الولایه،و إذا أردنا أن نجیب بما یستمرّ علی أصولنا و مذاهبنا،فلا یجوز أن نستعیر ما لیس هو من أصولنا.

و الجواب الصحیح عن هذه المسأله أنّ الحقّ فی واحد من هذه المسائل المذکوره،و من کان علیه و مهتدیا إلیه من جمله الصحابه کانوا أقلّ عددا

و أضعف قوّه و بطشا ممّن كان على خلافه ممّا هو خطأ،و إنّما لم يظهر النكير عليهم و البراءه منهم تقيه و خوفا و نكولا و ضعفا.

فأمّا تعلّقهم بولايه بعضهم بعضا مع المخالفه فى المذهب،و أنّ ذلك يدلّ على التصويب،فليس على ما ظنّوه،و ذلك أنّه لم يولّ أحد منهم واليا لا شريحا و لا زيدا و لا غيرهما إلّا على أن يحكموا بكتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ما أجمع عليه المسلمون،و لا يتجاوز الحقّ فى الحوادث و لا يتعدّاه (۱).

قال ابن السبكى فى جمع الجوامع:

الصحابى من اجتمع مؤمنا بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و إن لم يرو و لم يطل،بخلاف التابعى مع الصحابى،و قيل:يشترطان،و قيل:أحدهما،و قيل:الغزو أو سنه...

و الأكثر على عداله الصحابه،و قيل:كغيرهم،و قيل:إلى قتل عثمان،و قيل:إلّا من قاتل عليّا (۲).

و شرح ابن المحلّى-المتن-القول الثانى:

فيبحث عن العداله فيهم،فى الروايه و الشهاده،إلّا من يكون ظاهر العداله أو مقطوعها،كالشيخين.

و شرح القول الثالث:

يبحث عن عدالتهم من حين قتله لوقوع الفتن بينهم من حينئذ و فيهم الممسك عن خوضها.

و شرح القول الرابع:

فهم فسّاق؛لخروجهم على الإمام الحقّ،و ردّ بأنّهم مجتهدون فى قتالهم له

۱- ۱) .الذريعه إلى أصول الشريعه ۷۶۷/۲-۷۶۹.

۲- ۲) .حاشيه العلّامه البنانى على شرح ابن المحلّى على متن جمع الجوامع ۱۶۷/۲.

فلا يأثمون و إن أخطئوا،بل يؤجرون كما سيأتى فى العقائد.

و قال ابن السبكى:

قول الصحابى على صحابى غير حجّه وفاقا،و كذا على غيره.قال الشيخ الإمام:إلّا فى الحكم التعبّدى،و فى تقليده قولان لارتفاع الثقه بمذهبه إذ لم يدوّن.و قيل:حجّه فى القياس،فإن اختلف صحابيّان فكدليلين،و قيل:

دونه.و فى تخصيصه العموم قولان.و قيل:إن انتشر.و قيل:إن خالف القياس.و قيل:إن انضمّ إليه قياس تقريب.و قيل:قول الشيخين فقط.و قيل:

الخلفاء الأربعه،و عن الشافعى إلّا عليّا (۱).

و قال فى مسأله الاجتهاد فى عصر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

و الأصحّ أنّ الاجتهاد جائز فى عصره...و ثالثها:بإذنه صريحا،قيل:أو غير صريح،و رابعها:للبعيد،و خامسها:للولاه،و أنّه وقع...و ثالثها (۲):لم يقع للحاضر،و رابعها:الوقف (۳).

و شرح ابن المحلّى ذلك:

و قيل:لا للقدره على اليقين فى الحكم بتلقّيه منه،و اعترض بأنّه لو كان عنده وحى فى ذلك لبلّغه للناس،و قد بنى ابن السبكى و غيره من علماء العامّه على جواز الاجتهاد فى عصره صلّى اللّه عليه و آله و سلم بمعنى إبداء الرأى و إن لم يرد نصّ من الكتاب و السنّه فى القول المزبور على معتقدهم فى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و النبوّه، فقد قدم ابن السبكى و غيره على ذلك بقوله:و الصحيح جواز تجزّؤ الاجتهاد، و جواز الاجتهاد للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و وقوعه،و ثالثها فى الآراء و الحروب فقط،

۱- ۱) .حاشيه العلّامه البنانى على شرح ابن المحلّى على متن جمع الجوامع ۳۵۴/۲.

۲- ۲) .هذا التعداد بلحاظ وقوع الاجتهاد،و التعداد السابق بلحاظ حكم الاجتهاد.

۳- ۳) .حاشيه العلّامه البنانى على شرح ابن المحلّى على متن جمع الجوامع ۳۸۷/۲.

و الصواب أنّ اجتهاده صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا يخطئ.

و شرح ابن المحلّى ذلك:

لقوله تعالى: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ (۱)عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ (۲)...عوتب على استبقاء أسرى بدر بالفداء،و على الإذن لمن ظهر نفاقه فى التخلّف عن غزوه تبوك،و لا يكون العتاب فى ما صدر عن وحى،فيكون عن اجتهاد.

و قيل:يمتنع له،لقدرته على اليقين بالتلقّى من الوحى بأن ينتظره،و القادر على اليقين فى الحكم لا يجوز له الاجتهاد جزما.و ردّ بأنّ إنزال الوحى ليس فى قدرته.

و شرح أنّ اجتهاده صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا يخطئ تنزيها لمنصب النبوّه عن الخطأ فى الاجتهاد.و قيل:قد يخطئ و لكن يتنبّه عليه سريعا؛لما تقدّم فى الآيتين؛و لبشاعه هذا القول عبّر المصنّف بالصواب.

و المعروف لدى مفسّرى العامّه و محدّثيهم أنّ الوحى نزل فى موارد بتخطئه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و تصويب رأى عمر-و العياذ باللّه تعالى!-منها ما جرى فى أسرى بدر-و قد رووا فى أحاديثهم أنّه قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:لو كان من بعدى نبىّ لكان عمر.و مرادهم من اجتهاده صلّى اللّه عليه و آله و سلم اعتماده على الظنّ و الرأى-و العياذ باللّه-

و قال ابن السبكى:

و نعتقد أنّ خير الأمّه بعد نبيّها محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أبو بكر خليفته،فعمر، فعثمان،فعلىّ،أمراء المؤمنين...و نمسك عمّا جرى بين الصحابه،و نرى الكلّ مأجورين. (۳)

۱- ۱) .الأنفال۶۷/.

۲- ۲) .التوبه۴۳/.

۳- ۳) .حاشيه العلاّمه البنانى على شرح ابن المحلّى على متن جمع الجوامع ۴۲۲/۲.

و شرحه ابن المحلّی:

و نمسک عمّا جری بین الصحابه من المنازعات و المحاربات،التی قتل بسببها کثیر منهم،فتلک دماء طهّر اللّه منها أیدینا فلا نلوّث بها ألسنتنا، و نری الکلّ مأجورین فی ذلک؛لأنّه مبنیّ علی الاجتهاد فی مسأله ظنّیه، فیها أجران علی اجتهاده و إصابته،و للمخطئ أجر علی اجتهاده.

و قال التفتازانی (۱):

یجب تعظیم الصحابه و الکفّ عن مطاعنهم،و حمل ما یوجب بظاهره الطعن فیهم علی محامل و تأویلات،سیّما للمهاجرین و الأنصار و أهل بیعه الرضوان،و من شهد بدرا و أحدا و الحدیبیه،فقال:انعقد علی علوّ شأنهم الإجماع،و شهد بذلک الآیات الصراح،و الأخبار الصحاح،و تفاصیلها فی کتب الحدیث و السیر و المناقب،و لقد أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بتعظیمهم و کفّ اللسان عن الطعن فیهم،حیث قال:أکرموا أصحابی فإنّهم خیارکم...

و توقّف علیّ رضی اللّه عنه فی بیعه أبی بکر کان للحزن و الکآبه،و عدم الفراغ للنظر و الاجتهاد؛و عن نصره عثمان بعدم رضاه،لا برضاه،و لهذا قال:«و اللّه ما قتلت عثمان،و لا مالأت علیه»و توقّف فی قبول البیعه إعظاما للحادثه، و إنکارا،و عن قصاص القتله لشوکتهم،أو لأنّهم عنده بغاه،و الباغی لا یؤاخذ بما أتلف من الدم و المال عند البعض.

قد استقرّت آراء المحقّقین من علماء الدین علی أنّ البحث عن أحوال الصحابه و ما جری بینهم من الموافقه و المخالفه لیس من العقائد الدینیه، و القواعد الکلامیه،و لیس له نفع فی الدین،بل ربّما یضرّ بالیقین،إلّا أنّهم ذکروا نبذا من ذلک لأمرین:

۱- ۱) .شرح المقاصد-للتفتازانی-۳۰۳/۵.

أحدهما:صون الأذهان السليمه عن التدنّس بالعقائد الرديّه التى توقعها حكايات بعض الروافض و رواياتهم.

ثانيها:ابتناء بعض الأحكام الفقهيه فى باب البغاه عليها،إذ ليس فى ذلك نصوص يرجع إليها.

و قال فى شرح المتن-من توقّف علىّ عليه السّلام عن نصره عثمان-:

و كذا طلحه و الزبير؛إلّا أنّ من حضر من وجوه المهاجرين و الأنصار أقسموا عليه و ناشدوه اللّه فى حفظ بقيّه الأمّه و صيانه دار الهجره،إذ قتله عثمان قصدوا الاستيلاء على المدينه،و الفتك بأهلها،و كانوا جهله لا سابقه لهم فى الإسلام،و لا علم لهم بأمر الدين،و لا صحبه مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فقبل البيعه.

و قال:

إنّ امتناع جماعه من الصحابه،كسعد بن أبى وقّاص،و سعيد ابن زيد، و أسامه بن زيد،و عبد اللّه بن عمر،و غيرهم،عن نصره علىّ رضى اللّه عنه و الخروج معه إلى الحروب لم يكن عن نزاع منهم فى إمامته،و لا عن إباء عمّا وجب عليهم من طاعته؛بل لأنّه تركهم و اختيارهم من غير إلزام على الخروج إلى الحروب،فاختاروا ذلك بناء على أحاديث رووها...

و أمّا فى حرب الجمل و حرب صفّين و حرب الخوارج،فالمصيب علىّ،لما ثبت له من الإمامه و ظهر من التفاوت،لا كلتا الطائفتين على ما هو رأى المصوّبه،و لا إحداهما من غير تعيين على ما هو رأى بعض المعتزله، و المخالفون بغاه لخروجهم على الإمام الحقّ لشبهه؛لا فسقه أو كفره على ما يزعم الشيعه جهلا بالفرق بين المخالفه و المحاربه بالتأويل و بدونه؛و لهذا نهى علىّ عن لعن أهل الشام و قال:إخواننا بغوا علينا.و قد صحّ رجوع أصحاب الجمل.على أنّ منّا من يقول:إنّ الحرب لم تقع عن عزيمه،و إنّ قصد عائشه لم يكن إلّا إصلاح ذات البين.

و قال:

قاتل علیّ رضی اللّه عنه ثلاث فرق من المسلمین علی ما قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:إنّک تقاتل الناکثین و المارقین و القاسطین:

فالناکثون:هم الّذین نکثوا العهد و البیعه،و خرجوا إلی البصره،مقدّمهم طلحه و الزبیر،و قاتلوا علیّا رضی اللّه عنه بعسکر مقدّمهم عائشه فی هودج علی جمل،أخذ بخطامه کعب بن مسعود،فسمّی ذلک الحرب حرب الجمل.

و المارقون:هم الّذین نزعوا الید عن طاعه علیّ رضی اللّه عنه بعد ما بایعوه...

و القاسطون:معاویه و أتباعه الّذین اجتمعوا علیه،و عدلوا عن طریق الحقّ الذی هو بیعه علیّ رضی اللّه عنه و الدخول تحت طاعته،ذهابا إلی أنّه مالا علی قتل عثمان حیث ترک معاونته،و جعل قتلته خواصّه و بطانته...

و الذی اتّفق علیه أهل الحقّ أنّ المصیب فی جمیع ذلک علیّ رضی اللّه عنه لما ثبت من إمامته ببیعه أهل الحلّ و العقد،و ظهر من تفاوت إمّا بینه و بین المخالفین، سیّما معاویه و أحزابه،و تکاثر من الأخبار فی کون الحقّ معه،و ما وقع علیه الاتّفاق-حتّی من الأعداء-إلی أنّه أفضل زمانه،و أنّه لا أحقّ بالإمامه منه.

و المخالفون بغاه؛لخروجهم علی الإمام الحقّ بشبهه،هی ترکه القصاص من قتله عثمان،و لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم لعمّار:«تقتلک الفئه الباغیه»و قد قتل یوم صفّین علی ید أهل الشام،و لقول علیّ رضی اللّه عنه:إخواننا بغوا علینا؛و لیسوا کفّارا و لا فسقه و لا ظلمه؛لما لهم من التأویل.و إن کان باطلا،فغایه الأمر أنّهم أخطئوا فی الاجتهاد؛و ذلک لا یوجب التفسیق،فضلا عن التکفیر؛و لهذا منع علیّ رضی اللّه عنه أصحابه من لعن أهل الشام،و قال:إخواننا بغوا علینا.

کیف؟!و قد صحّ ندم طلحه و الزبیر،و انصراف الزبیر عن الحرب،و اشتهر ندم عائشه.و المحقّون من أصحابنا علی أنّ حرب الجمل کانت فلته من غیر قصد من الفریقین،بل کانت تهییجا من قتله عثمان،حیث صاروا فرقتین،

و اختلطوا بالعسكرين،و أقاموا الحرب خوفا من القصاص؛و قصد عائشه لم يكن إلّا إصلاح الطائفتين،و تسكين الفتنه،فوقعت فى الحرب.

و ما ذهب إليه الشيعه من أنّ محاربى علىّ كفره،و مخالفوه فسقه،تمسّكا بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«حربك يا علىّ حربى»،و بأنّ الطاعه واجبه،و ترك الواجب فسق،فمن اجتراءاتهم و جهالتهم،حيث لم يفرّقوا بين ما يكون بتأويل و اجتهاد،و بين ما لا يكون.نعم،لو قلنا بكفر الخوارج بناء على تكفيرهم عليّا رضى اللّه عنه لم يبعد،لكنّه بحث آخر.

فإن قيل:لا كلام فى أنّ علياً أعلم و أفضل،و فى باب الاجتهاد أكمل.لكن من أين لكم أنّ اجتهاده فى هذه المسأله،و حكمه بعدم القصاص على الباغى،أو باشتراط زوال المنعه،صواب؛و اجتهاد القائلين بالوجوب خطأ؛ليصحّ له مقاتلتهم؟!و هل هذا إلّا كما إذا خرج طائفه على الإمام،و طلبوا منه الاقتصاص ممّن قتل مسلما بالمثقل؟!

قلنا:ليس قطعنا بخطئهم فى الاجتهاد عائدا إلى حكم المسأله نفسه،بل إلى اعتقادهم أنّ علياً رضى اللّه عنه يعرف القتله بأعيانهم،و يقدر على الاقتصاص منهم...

و بهذا يظهر فساد ما ذهب إليه عمرو بن عبيده و واصل بن عطاء،من أنّ المصيب إحدى الطائفتين و لا نعلمه على التعيين.و كذا ما ذهب إليه البعض، من أنّ كلتا الطائفتين على الصواب بناء على تصويب كلّ مجتهد؛و ذلك لأنّ الخلاف إنّما هو فيما إذا كان كلّ منهما مجتهدا فى الدين على الشرائط المذكوره فى الاجتهاد،لا فى كلّ من يتخيّل شبهه واهيه،و يتأوّل تأويلا فاسدا.و لهذا ذهب الأكثرون إلى أنّ أوّل من بغى فى الإسلام معاويه؛لأنّ قتله عثمان لم يكونوا بغاه،بل ظلمه و عتاه؛لعدم الاعتداد بشبهتهم،و لأنّهم

بعد كشف الشبهه أصرّوا إصرارا و استكبروا استكبارا (۱).

فإن قيل:يزعمون أنّ الوقيعه فی الصحابه بالطعن و اللعن و التفسيق و التضليل بدعه و ضلاله،و خروج عن مذهب الحقّ؛و الصحابه أنفسهم كانوا يتقاتلون بالسنان،و يتقاولون باللسان بما يكره،و ذلك وقيعه.

قلنا:مقاولتهم و مخاشنتهم فی الكلام كانت محض نسبه إلی الخطأ،و تقرير علی قلّه التأمّل،و قصد إلی الرجوع إلی الحقّ؛و مقاتلتهم كانت لارتفاع التباين،و العود إلی الألفه و الاجتماع بعد ما لم يكن طريق سواه.و بالجمله:

فلم يقصدوا إلاّ الخير و الصلاح فی الدين.و أمّا اليوم،فلا معنی لبسط اللسان فيهم إلاّ التهاون بنقله الدين،الباذلين أنفسهم و أموالهم فی نصرته.

و أمّا بعدهم فقد جلّ المصاب،و عظم الواقع،و اتسع الخرق علی الراقع،الاّ أنّ السلف بالغوا فی مجانبه طريق الضلال خوفا من العاقبه،و نظرا للمآل.يعنی أنّ ما وقع بين الصحابه من المحاربات و المشاجرات علی الوجه المسطور فی كتب التواريخ،و المذكور علی ألسنه الثقات،يدلّ بظاهره علی أنّ بعضهم قد حاد عن طريق الحقّ،و بلغ حدّ الظلم و الفسق؛و كان الباعث له الحقد و العناد،و الحسد و اللداد،و طلب الملك و الرئاسه و الميل إلی اللذّات و الشهوات؛إذ ليس كلّ صحابی معصوما،و لا كلّ من لقی النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم بالخير موسوما.إلاّ أنّ العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم ذكروا لها محامل و تأويلات بها تليق،و ذهبوا إلی أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل و التفسيق،صونا لعقائد المسلمين عن الزيغ و الضلاله فی حقّ كبار الصحابه، سيّما المهاجرين منهم و الأنصار،و المبشّرين بالثواب فی دار القرار.

و أمّا ما جری بعدهم من الظلم علی أهل بيت النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم،فمن الظهور

۱- ۱) .شرح المقاصد ۳۰۴/۵-۳۰۹.

بحيث لا مجال للإخفاء،و من الشناعه بحيث لا اشتباه على الآراء،إذ تكاد تشهد به الجماد و العجماء،و يبكى له من فى الأرض و السماء،و تنهدّ منه الجبال و تنشقّ الصخور،و يبقى سوء عمله على كرّ الشهور و مرّ الدهور، فلعنه اللّه على من باشر،أو رضى،أو سعى،و لعذاب الآخره أشدّ و أبقى.

فإن قيل:فمن علماء المذهب من لم يجوّز اللعن على يزيد،مع علمهم بأنّه يستحقّ ما يربو على ذلك و يزيد.

قلنا:تحاميا عن أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى،كما هو شعار الروافض على ما يروى فى أدعيتهم،و يجرى فى أنديتهم.فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوامّ بالكلّيه طريقا إلى الاقتصاد فى الاعتقاد،و بحيث لا تزلّ الأقدام عن السواء،و لا تضلّ الأفهام بالأهواء؛و إلّا فمن يخفى عليه الجواز و الاستحقاق؟!او كيف لا يقع عليهما الاتّفاق؟!و هذا هو السرّ فى ما نقل عن السلف من المبالغه فى مجانبه أهل الضلال،و سدّ طريق لا يؤمن أن يجرّ إلى الغوايه فى المآل،مع علمهم بحقيقه الحال و جليّه المقال؛و قد انكشف لنا ذلك حين اضطربت الأحوال،و اشرأبّت الأهوال (۱).

تحليل مفاد هذه المقوله و المسأله

لقد أطلنا فى نقل عيّنتين ممّا ذكره ابن السبكى فى كتابه فى أصول الفقه، و التفتازانى فى شرح المقاصد فى علم الكلام؛لأنّهما نموذجان لكلمات أكثرهم فى كتب أصول الفقه و علم الكلام و الحديث،كالذى ذكره النووى فى شرحه على صحيح مسلم فى باب فضائل الصحابه،أو ابن حجر العسقلانى فى شرحه للبخارى فى تلك الأبواب،أو الإيجى و الجرجانى فى شرح المواقف،و ما يذكروه فى كتب الرجال و التراجم و التواريخ،

۱- ۱) .شرح المقاصد ۳۱۰/۵-۳۱۱.

و کتب التفسیر.

و کلماتهم کما تری تتراوح بین البحث فی عداله الصحابی،و بین عصمته عن الخطأ و الباطل و الضلال،و إن کانت العصمه عند العامّه-فی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الأنبیاء-هی فی حدود تبلیغ الأحکام و الدین،لا مطلقا،فکذلک ما یثبتوه للصحابه!

کما إنّ البحث عن دائره الصحابه تتراوح بین أقوال لدیهم،من کون الصحابی کلّ من أدرک النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و آمن،أو حدّث عنه،أو نصره و آزره و بقی معه مدّه طویله،أو الثلّه التی أعدّت لبیعه السقیفه،لا مطلق المهاجرین و الأنصار،أو هم خصوص الثلاثه أو الأربعه من الخلفاء.

و الظاهر أنّ محور الدائره هم الثلاثه،و أمّا الدوائر الأوسع المحیطه فالحدیث عنها یتبع الثلاثه،کی لا یتصاعد الحدیث و الطعن علیهم إلی الطعن علی الثلاثه؛کما أنّ الغایه من البحث-أی المفرده الثالثه المقدّره فی هذا البحث-هی حجّیه أقوالهم و أفعالهم و سیرتهم و سنّتهم،فقد یتراءی أنّه من باب کاشفیّته عن قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و لکن من تجویزهم لاجتهاد الصحابی فی حیاته صلّی اللّه علیه و آله و سلم،أو قبال النصّ القرآنی أو النبوی بالتأوّل،أو أنّ قول أو فعل الصحابی یخصّص إطلاق الکتاب و إطلاق السنّه،أو أنّ للصحابی الاجتهاد إن لم یکن نصّ یقتضی أنّ حجّیّته لیست من باب الروایه،بل من باب من له التشریع المفوّض له.

و أظهر ممّا تقدّم فی ذلک،تعلیلهم لحجّیه سنّه خصوص الشیخین بالحدیث الذی نسبوه إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«اقتدوا باللذین من بعدی أبی بکر و عمر» (۱)،و ما ینسبونه إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أیضا:«خیر أمّتی أبو بکر،ثمّ عمر»و«ما ینبغی لقوم فیهم أبو بکر أن یتقدّم علیه عنده» (۲)و ما ینسبونه إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«لو کان بعدی نبیّ لکان عمر»فإنّ هذا النمط من

۱- ۱) .رواه الترمذی فی المناقب،و ابن ماجه فی المقدّمه،و ابن حنبل فی مسنده.

۲- ۲) .و یشهد لوضع هذه الأحادیث تأمیر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند وفاته لأسامه بن زید علی الجیش الذی فیه أبو بکر

الاستدلال يعطى تفويض التشريع لهما و إمامتهما فى الدين-كما أسموا الثلاثه أئمّه الدين -لا لصحبتهما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الروايه عنه كراوين،و لا كمجتهدين كبقيه المجتهدين فى الفتيا،بل كإمامين يسنّان و يشرّعان فى الدين،و يحتذى بهما إلى يوم القيامه.فحجّيه قولهما و فعلهما و سيرتهما-على ذلك-ليس من باب حجّيه الإخبار كما فى الرواه،و لا من باب حجّيه فتوى المفتى أو المجتهد غير الملزمه لبقيه المجتهدين،بل اجتهادهما-على ذلك-كاجتهاد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-الذى قالوا بتجويزه على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-اللازم اتّباعه على كلّ الأمّه،المجتهدين منهم و العوّام.

و لذلك يستدلّ علماء العامّه كما قال التفتازانى و غيره:«و أمّا السنّه فقوله عليه السّلام:

اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر و عمر»دخل فى الخطاب علىّ رضى اللّه عنه فيكون مأمورا بالاقتداء،و لا يؤمر الأفضل و لا المساوى بالاقتداء،سيّما عند الشيعه» (1)مع أنّهم يختلفون فى حجّيه اجتهاد صحابى على صحابى آخر،و لذلك يعدّونهما و عثمان أئمّه فى الدين،لا صحابه كبقيه الصحابه.

و بعباره أخرى:إنّ حيثيه وجهه الصحبه للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم غايه ما توجب-على تقدير عدم الموانع المضادّه- الشرف و الفضيله و الروايه عنه،و كذلك البيعه و الشورى-على ما يقرّر فى قول العامّه-غايه ما توجب:تولّى الأمر و ولايه الأمور التنفيذيه،لا التفويض فى التشريع،و لا العصمه من الزلل و الخطل،و لا صلاحيه السنّ فى الدين سننا تخلد إلى يوم القيامه.

فهذا النمط من الدعوى فى الشيخين،أو فى الثلاثه،هو صياغه للإمامه بالنصّ،و لكون الإمامه عهد من اللّه و رسوله،فسيتبيّن أنّ العامّه ملجئون فطريا،و باضطرار الحجّه المنطقيه العقليه،إلى تنظير الإمامه المنصوصه،و إنّها عهد إلهى و نبوىّ،غايه الأمر أنّهم يطبّقونه على الثلاثه،و منضمّا إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام كإمام رابع،و بعضهم يضيف

١- ١) .شرح المقاصد ٢٩٢/٥.

الحسن ابن علیّ علیه السّلام،و بعضهم یوسّع الدائره إلی روّاد العلماء فی علم و علوم الدین،و إنّ اجتهاداتهم لا تردّ!

بیان تردد العامّه فی معنی المسأله

فالحکم بفضائل الصحابه و فضیله الصحبه عنوان فضفاض عائم یتردّد بین أن تعطی الحجّیه له کإمام منصوص علیه بالاتّباع له،و إنّ له تفویض التشریع فیما لا نصّ له،أو غیر ذلک،أو الحجّیه له کمجتهد یجوز علیه الخطأ،أو کحجّیه راو بجانب الحظوه بشرف الصحبه،مع فرض الوفاء بعهدتها من دون تبدیل و نکث.

قال ابن السبکی فی جمع الجوامع و شارحه ابن المحلّی فی مسأله الإجماع:

و هو اتّفاق مجتهدو الأمّه بعد وفاه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی عصر علی أیّ أمر کان، فعلم اختصاصه بالمجتهدین...و عدم انعقاده فی حیاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أنّ التابعی المجتهد معتبر معهم-فإن نشأ بعد فعلی الخلاف فی انقراض العصر..

و إنّ إجماع کلّ من أهل المدینه النبویه،و أهل البیت النبوی،و هم:فاطمه و علیّ و الحسن و الحسین رضی اللّه عنهم،و الخلفاء الأربعه أبی بکر و عمر و عثمان و علیّ رضی اللّه عنهم،و الشیخین أبی بکر و عمر،و أهل الحرمین مکّه و المدینه...و هو الصحیح فی الکلّ...و قیل:إنّه فی ما قبل الأخیره من الستّ حجّه..

أمّا فی الأولی:فلحدیث الصحیحین:«إنّما المدینه کالکیر،تنفی خبثها، و ینصع طیبها»،و الخطأ خبث،فیکون منفیا عن أهلها.و أجیب بصدوره منهم بلا شکّ،لانتفاء عصمتهم،فیحمل الحدیث علی أنّها فی نفسها فاضله مبارکه.

و أمّا فی الثانیه:فلقوله تعالی: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً ۱،و الخطأ رجس،فیکون منفیا عنهم،و هم من تقدّم، لما روی الترمذی عن عمر بن أبی سلمه،أنّه لمّا نزلت هذه الآیه لفّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علیهم کساء،و قال:«هؤلاء أهل بیتی و خاصّتی،اللّهمّ أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهیرا».و روی مسلم عن عائشه،قالت:خرج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم غداه و علیه مرط مرحّل من شعر أسود،فجاء الحسن بن علیّ فأدخله، ثمّ جاء الحسین فأدخله معه،ثمّ جاءت فاطمه فأدخلها،ثمّ جاء علیّ فأدخله،ثمّ قال: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً .و أجیب:بمنع أنّ الخطأ رجس،و الرجس قیل:العذاب،و قیل:

و أمّا فی الثانیه:فلقوله تعالی: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً (۱)،و الخطأ رجس،فیکون منفیا عنهم،و هم من تقدّم، لما روی الترمذی عن عمر بن أبی سلمه،أنّه لمّا نزلت هذه الآیه لفّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علیهم کساء،و قال:«هؤلاء أهل بیتی و خاصّتی،اللّهمّ أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهیرا».و روی مسلم عن عائشه،قالت:خرج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم غداه و علیه مرط مرحّل من شعر أسود،فجاء الحسن بن علیّ فأدخله، ثمّ جاء الحسین فأدخله معه،ثمّ جاءت فاطمه فأدخلها،ثمّ جاء علیّ فأدخله،ثمّ قال: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً .و أجیب:بمنع أنّ الخطأ رجس،و الرجس قیل:العذاب،و قیل:

الإثم،و قیل:کلّ مستقذر و مستنکر.

و أمّا فی الثالثه:فلقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«علیکم بسنّتی و سنّه الخلفاء الراشدین المهدیّین من بعدی،تمسّکوا بها،و عضّوا علیها بالنواجذ»رواه الترمذی و غیره،و صحّحه و قال:«الخلافه من بعده ثلاثون،ثمّ تکون ملکا»أی:تصیر.

أخرجه أبو حاتم و أحمد فی المناقب،و کانت مدّه الأربعه هذه المدّه إلاّ ستّه أشهر مدّه الحسن بن علیّ،فقد حثّ علی اتّباعهم،فینتفی عنهم الخط.و أجیب بمنع انتفائه.

و أمّا فی الرابعه:فلقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«اقتدوا باللذین من بعدی أبی بکر و عمر»، رواه الترمذی و غیره و حسّنه.أمر بالاقتداء بهما،فینتفی عنهما الخطأ.و أجیب بمنع انتفائه (۲).

و علّق البنانی علی قوله:«الخلافه بعدی ثلاثون سنه»:

ص:

۱- ۱) .الأحزاب۳۳/.

۲- ۲) .حاشیه العلاّمه البنانی علی شرح الجلال-لابن المحلّی-علی متن جمع الجوامع-لابن السبکی- ۱۷۹/۲-۱۸۰.

أخذ من هذا علم الخلفاء فی الحدیث قبله،ففیه ما لیس فی الذی قبله.و استفید منه أیضا کون سیّدنا الحسن خلیفه،لتکمیله الستّه الأشهر الباقیه من الثلاثین،و من ثمّ قالوا:إنّه آخر الخلفاء الراشدین بنصّ جدّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم، ولی الخلافه بعد قتل أبیه بمبایعه أهل الکوفه،فأقام فیها ستّه أشهر و أیّاما ثمّ خلع نفسه رضی اللّه عنه و سلّم الأمر لسیّدنا معاویه صونا لدماء المسلمین،و ذلک مصداق قول جدّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«إنّ ابنی هذا سیّد،و لعلّ اللّه یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین».

قال الشهاب:«و قضیه اعتبار موافقه سیّدنا الحسن للأربعه»،و علّق البنانی علی قوله:«الثالثه و الرابعه»:و أجیب بمنع انتفائه.لقائل أن یقول:لو اقتصر فی الاستدلال فی الأولی علی قوله:«فقد حثّ علی اتّباعهم»و ذلک یستلزم أنّ قولهم حجّه،و إلاّ لم یصحّ اتّباعهم،و فی الثانیه علی قوله:«أمر بالاقتداء بهما»فدلّ علی أنّ قوله حجّه،و إلاّ لم یصحّ الاقتداء بهما؛لتمّ الاستدلال و لم یلاقه هذا الجواب،فأیّ حاجه إلی اعتبار انتفاء الخطأ فی الاستدلال حتّی توجّه هذا الجواب؟! (۱).

و علّق الشربینی علی قول ابن المحلّی-الذی تقدّم التعلیق السابق علیه-:

أی:لأنّ الحثّ علی اتّباعهم لا یستلزم أنّ قولهم حجّه؛لأنّ قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

علیکم بسنّتی...،و:اقتدوا باللذین...إنّما یدلاّن علی أهلیّه الأربعه و الاثنین لتقلید المقلّد لهم،لا علی حجّیه قولهم علی المجتهد...و لأنّه لو کان قولهم حجّه لما جاز الأخذ بقول کلّ صحابی خالفهم،و إنّه جائز لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

أصحابی کالنجوم،بأیّهم اقتدیتم اهتدیتم؛و لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:خذوا شطر دینکم

۱- ۱) .حاشیه العلاّمه البنانی علی شرح ابن المحلّی علی متن جمع الجوامع ۲/۱۸۰-۱۸۱.

عن الحميراء (۱)،فوجب الحمل على تقليد المقلّد جمعا بين الأدلّه.كذا فى العضد و حاشيته السعديه،فاندفع ما فى الحاشيه هنا (۲).

أقول:من البيّن الجلى أنّ حجّيه قول الأوّل و الثانى،أو بضميمه الثالث عندهم- بحسب هذه المداوله-مردّده فى كلماتهم على الاحتمالات الثلاثه السابقه،و أنّ ما ذكره البنانى من عدم الحاجه فى الحجّيه لاعتبار انتفاء الخطأ ناشئ من الغفله عن اختلاف سنخ الحجّيه بين الإمام المنصوص عليه،المعصوم من الخطأ،و أنّ إمامته كعهد من اللّه و رسوله المشار إليه فى قوله تعالى: لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ (۳)،و بين الحجّيه لفتوى المجتهد،التى هى على نمطين عندهم أيضا...فتاره لا يخطئ و إن كان مدركه ظنّيا،كما تقدّم نقله قولهم بذلك الذى ذهبوا إليه فى حقّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-و العياذ باللّه-و أخرى أنّ المجتهد يخطئ،و بناء على التخطئه فلا يلزم حجّيه قوله مطلقا،كما أنّها لا تشمل المجتهد الآخر.و إذا انفتح باب الخطأ على الثلاثه فلا عصمه فى البين،و يمكن تطرّق المخالفه العلميه أو العمليه للأحكام الواقعيه.

كما إنّه على فرض كون أقوالهم من باب الاجتهاد،فلا بدّ من أن تنضبط بموازين الاجتهاد،لا أن يكون مطلق إبداء الرأى أمام النصّ اجتهادا بذريعه باب التأويل و التأوّل، فهناك حدّ فاصل بين الاجتهاد و بين مخالفه الكتاب و السنّه؛و بين إبداء الرأى و بين الردّ على الرسول؛و بين الاجتهاد على الموازين و إن أخطأ و بين الشقاق مع اللّه و رسوله.

ثمّ إنّه يعزّز هذا الترديد عند العامّه ما اشترطه عبد الرحمن بن عوف على الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يوم الشورى،قال التفتازانى:

ثمّ جعلوا الاختيار إلى عبد الرحمن بن عوف،فأخذ بيد علىّ رضى اللّه عنه و قال:

۱- ۱) .مع أن تحريضها على قتل عثمان و خروجها على علىّ عليه السّلام ثابت و مقرّر عندهم.

۲- ۲) .تعليق(تقرير)الشربينى على شرح ابن المحلّى على متن جمع الجوامع ۱۸۰/۲.

۳- ۳) .البقره ۱۲۴.

تبایعنی علی کتاب اللّه و سنّه رسول اللّه و سیره الشیخین،فقال:علی کتاب اللّه و سنّه رسول اللّه و أجتهد برأیی.ثمّ قال مثل ذلک لعثمان فأجابه إلی ما دعاه،و کرّر علیهما ثلاث مرّات،فأجابها بالجواب الأوّل،فبایع عثمان...و قول علیّ رضی اللّه عنه:(و أجتهد برأیی)لیس خلافا منه فی إمامه الشیخین،بل ذهابا إلی أنّه لا یجوز للمجتهد تقلید مجتهد آخر،بل علیه اتّباع اجتهاده، و کان من مذهب عثمان و عبد الرحمن أنّه یجوز إذا کان الآخر أعلم و أبصر بوجوه المقاییس. (۱)

لو سلم تأویل التفتازانی لإباء علیّ علیه السّلام لسیره الشیخین،و أنّه من باب عدم حجّیه اجتهادهما،إلاّ أنّه أسقط حجّیه سیرتهما مطلقا،و لم یحتمل فیها أنّها من باب الروایه لاحتمال اطّلاعهما علی قول أو فعل للنبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلم لم یطّلع علیه غیرهما.

و بعباره أخری:مدّعی العامّه فی حجّیه قولهما و سیرتهما یتردّد لدیهم کما قدّمنا بین ذلک،فالإعراض عن سیرتهما یعنی إسقاط لکلّ وجوه الحجّیه المدّعاه فی سیره الشیخین،و لا یفوت الباحث تذکّر امتناع علیّ علیه السّلام عن بیعه أبی بکر مع موقفه یوم الشوری هذا.ثمّ إنّ هذا التوجیه من التفتازانی یناقض ما قدّمنا نقله عنه،من دخول علیّ علیه السّلام فی الخطاب المنسوب إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«اقتدوا باللذین من بعدی أبی بکر و عمر»، و أنّه مأمور بالاقتداء بهما (۲)؛فإذا کان حجّیه قولهما من باب الاجتهاد،فکیف یجعل الأمر بالاقتداء بهما دالّ علی إمامتهما للناس؟!بل اللازم أن یکون الأمر المزبور-علی تقدیر صدق النسبه-محمول علی حجّیه فتوی المجتهد،لا علی کونه عهد من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی إمامتهما؛و إذا حمله علی الإمامه،فکیف یخالف علیّ علیه السّلام ذلک؟!فیدلّ إسقاطه لحجّیه قولهما علی وضع هذا الحدیث،و تدلیس نسبته إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و نحو هذا الحدیث بقیه الأحادیث المدّعاه من هذا النمط.

۱- ۱) .شرح المقاصد ۲۸۸/۵.

۲- ۲) .شرح المقاصد ۲۹۲/۵.

الخدشه فی أدله المسأله عند العامّه

و یشهد للوضع-لجمله هذه الأحادیث-أنّه لو قدّر صدورها فکیف لم یحتجّ بها أصحاب بیعه السقیفه علی علیّ علیه السّلام و جماعته الّذین امتنعوا من البیعه؟!کما لم یحتجّ بها عبد الرحمن بن عوف علی علیّ علیه السّلام یوم الشوری عند ما أبی علیّ علیه السّلام من اتّباع سیره الشیخین،و أبی مشارطه عبد الرحمن ابن عوف علی ذلک؟!و أحسب أنّ سبب وقوع التفتازانی و أمثاله فی مثل هذه التوجیهات المتدافعه،إمّا إلی إبهام تباین معانی الحجّیه لدیهم و عدم تفرقتهم بین الإمامه فی الدین کعهد من اللّه و رسوله،و بین حجّیه فتوی المجتهد،و بین حجّیه إخبار الراوی..

و یومئ إلی هذا الاحتمال ذهابهم إلی اجتهاد الرسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی الدین و الحکم-مع أنّه سیأتی بطلان هذه المزعمه بشهاده الآیات القرآنیه-،فإنّه-کما سیتّضح -یؤول إلی نقص فی معرفه حقیقه النبوّه و الرساله؛و إمّا إلی تورّطهم فی شباک مثل هذه الأحادیث الآحاد فی قبال الشواهد التاریخیه القطعیه و الأحادیث المتواتره الأخری، مضافا إلی الدأب علی الجری علی معتقد الآباء!

و المهم:التنبیه علی عدم تلاؤم تعلیلاتهم المختلفه لحجّیه قول الشیخین،أو الثلاثه،و لا تفسیراتهم،لمخالفاتهم لأوامر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،سواء فی حیاته أو بعدها،إذ کونهما ذوا امتیازات للإمامه العهدیه الإلهیّه،لا یلتئم مع تعلیلهم أنّهما مجتهدان بحسب ما توصّل إلیه،و أنّ لهما التأوّل فی خطابات القرآن و السنّه،و أنّ فعلهما و قولهما حجّه لأنّه یکشف عن اطّلاعهم علی قول أو فعل للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم لم نطّلع علیه و لم یصل إلینا.

ثمّ إنّه کیف یجمعون بین مسأله حجّیه قول الصحابه و فعلهم،و بین مسأله حرمه التفتیش عن أحوال الصحابه و الفتن التی وقعت بینهم و المقاتله و ترک الخوض فیها؟!فإنّ هذه الحرمه و هذا المنع یتدافع مع الحجّیه من جهات عدیده،و یتناقض و یتقاطع معها بأیّ

معنى كان من معانى الحجّيه بنى عليه!

و لتبيين هذا التدافع،تأمّل الاعتقاد برساله النبىّ الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قوله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (۱)فإنّه قد جهد المسلمون جهدهم فى استقصاء أفعاله و أقواله،و سيرته و غزواته،و حركاته و سكناته،و صلحه و حربه،و مودّته مع من، و عدائه مع من،و رحمه و أهله و عشيرته و ولده و زوجاته،و احتجاجاته،و صفاته،و كلّ صغيره و كبيره مرتبطه بوجوده الشريف صلّى اللّه عليه و آله و سلم.كلّ ذلك لتقام الحجّه فى أقواله و أفعاله، و تبلغ مسامع المكلّفين،و يأخذوا بهدى شريعته،و إلّا فكيف تبلغ الحجّه مع انقطاع الخبر و إبهام الحال؟!

فالحال فى حجّيه أقوال و أفعال الصحابه و سيرتهم لا بدّ فى تحقّقها من دراسه سيرتهم و حياتهم و أقوالهم،لا سيّما و أنّ ما جرى من الفتن بينهم واقع فى المسائل الدينيه و ما يرتبط بالشرع،سواء فى المسائل الفرعيه أو الأصوليه المرتبطه بالإمامه و الحكم و حفظ الدين و إحراز السنّه النبويّه و تفسير الكتاب،و بدعيه بعض الأفعال من رأس أو ركنيّتها فى الدين،و الإقامه على العديد من السنن المقترحه و جعلها معالما للدين.

و لقد كان الاختلاف بينهم و التضليل إلى حدّ المقاتله،و هى تعنى استباحه كلّ طرف دم الطرف الآخر،فكلّ طرف يرى الطرف الآخر مقيم على أمر و حال يبيح معه دمه، فإذا كان زعم العامّه أنّه لا بدّ من ترك الخوض فى الفتن التى جرت بين الصحابه،حفظا لحرمه الصحابه و تعظيما و تجليلا لصحبتهم،فهذا الخطب أولى الناس بمراعاته-فى ما بينهم-الصحابه أنفسهم،لا الانتهاء إلى نقيض ذلك من استباحه دم الطرف الآخر؛فليس إلّا أنّ الخطب جليل،أحبط فى نظر الطرف الأوّل ما للطرف الآخر من أعمال و سابقه، و انتفت حرمته إلى استباحه دمه!

فمع كلّ ذلك،كيف يسوغ لنا الاحتجاج بأقوال و أفعال كلّ من المصيب و الخاطئ،

۱- ۱) .الأحزاب۲۱/.

و المحقّ و المبطل،و الهادی و الضالّ،و المستقیم الموفی لما عاهد علیه اللّه و رسوله،و المبدّل الناکث لما عاهد؟!و هل هذا إلاّ جمع بین المتناقضین،و قلّه الحرج فی الدین،و تهوین لأمر الدین؟!و قول التفتازانی و غیره المتقدّم:«إنّ مقاتلتهم کانت لارتفاع التباین و العود إلی الألفه و الاجتماع بعد ما لم یکن طریق سواه.و بالجمله:فلم یقصدوا إلاّ الخیر و الصلاح فی الدین.و أمّا الیوم،فلا معنی لبسط اللسان فیهم إلاّ التهاون بنقله الدین،الباذلین أنفسهم و أموالهم فی نصرته».نعم،کانت لارتفاع التباین و العود إلی...و لکنّها تقتضی مدافعه الطرف الآخر و لو بإراقه دمه و استباحته،لإقامته علی المنکر و الباطل؛فهذا یبرهن علی المباینه فی سیرتهم و أقوالهم و دعوتهم.

و علی تقدیر وجود قصد الصلاح فی الدین فی کلّ من الطرفین،فهذا لا یبرّر اتّباع الطرف المقیم علی المنکر و الباطل،و مجرّد حسن النیه-علی تقدیر التسلیم به-لا یدلّل علی سلامه النهج،و لا یرفع التباین بین السیرتین و القولین-و قد أقرّ بذلک-،فکیف یتّصف بالحجّیه کلا الطرفین المتباینین و هو ممتنع؛فلا بدّ من الفحص عن المحقّ الهادی إلی سواء السبیل،قال تعالی أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ (۱).

و بعباره أخری:إنّ حجّیه أقوال و أفعال الصحابه أو الثلّه منهم،إمّا أن تکون من باب الإمامه المنصوصه من اللّه و رسوله،و من الواضح أنّه مع التباین بینهم لا یمکن أن یکون کلا الطرفین منصوص علیه بالإمامه؛و إمّا من باب حجّیه قول المجتهد و فتواه،لکونه من أهل الخبره،فمن الواضح أیضا أنّه مع الاختلاف و التقاطع لا بدّ من اتّباع الأعلم و الواجد للشرائط المؤهّله-و بنحو الوفور التامّ-دون غیره؛و إمّا من باب حجّیه المخبر فی أخباره،أی حجّیه روایه الراوی الثقه،و هذا أیضا یوجب علینا إحراز صفه الوثاقه و العداله عند أحد المتنازعین،لا سیّما و أنّ النزاع مستفحل شدید قد وصل إلی استباحه الدم.

۱- ۱) .یونس۳۵/.

الأحاديث النافيه للمسأله

ثمّ إنّه يكفى الباحث نظره فى كتاب الفتن من الصحاح لديهم،كى يصل إلى هذه النتيجه من لزوم التمحيص و الفحص عن الطرف المحقّ-فى الصحابه-من الطرف المبطل.

*فقد روى البخارى فى الباب الأوّل من كتاب الفتن،عن أبى وائل،قال:قال عبد اللّه:قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أنا فرطكم على الحوض،و ليرفعنّ معى رجال منكم،ثمّ ليختلجنّ دونى،فأقول:يا ربّ!أصحابى؟!فيقال:إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (۱).فهذا دالّ على إحداث من بعض الصحابه بعده،و ظاهر الحديث أنّ هؤلاء الصحابه ممّن كانوا قد استمعوا خطبه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،لاستعماله كاف الخطاب.

*و روى البخارى عن سهل بن سعد،أنّه قال:قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«إنى فرطكم على الحوض،من مرّ علىّ شرب،و من شرب منه لم يظمأ أبدا،ليردنّ علىّ أقوام أعرفهم و يعرفونى،ثمّ يحال بينى و بينهم».و زاد أبو سعيد الخدرى:«فيقال:إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك!فأقول:سحقا سحقا لمن غيّر بعدى» (۲).

و هذا الحديث-أيضا-دالّ على تبديل بعض الصحابه بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ظاهر الحديث هو كون صحبه هؤلاء الصحابه-المعنيين بالحديث-كانت وثيقه به صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و معرفته وطيده بهم،لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أعرفهم و يعرفونى».

أقول:كيف تلتئم هذه الأحاديث مع ما يزعمونه من حديث«أصحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»؟!إلّا أن يكون فى الحديث سقط أسقط!!

*و يروى فى الباب الثانى عن عبد اللّه،قال:قال لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«إنّكم سترون

۱- ۱) .صحيح البخارى ۲۱۴/۸ ح ۱۵۷،و انظر:فتح البارى ۵۶۶/۱۱ ح ۶۵۷۶.

۲- ۲) .صحيح البخارى ۲۱۶/۸ ح ۱۶۴،و انظر:فتح البارى ۵۶۷/۱۱ ح ۶۵۸۳.

بعدی أثره و أمورا تنکرونها...»الحدیث (۱).و هذا الحدیث یدلّ علی وقوع أثره و حرص علی طلب الدنیا،و کذا وقوع الأمور المنکره بعده صلّی اللّه علیه و آله و سلم،قال تعالی: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ (۲).و ستأتی الإشاره فی سوره الفتح إلی ذلک،فی من بایع بیعه الرضوان.

*و روی فی الباب السادس،أنّ أمّ سلمه زوج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم قالت:«استیقظ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من اللیل و هو یقول:لا- إله إلاّ- اللّه،ما ذا أنزل اللیله من الفتنه؟!ما ذا أنزل من الخزائن؟!من یوقظ صواحب الحجرات-یرید أزواجه-؟!کم من کاسیه فی الدنیا عاریه یوم القیامه!» (۳).ففی شرح ابن حجر العسقلانی علی الحدیث قال:قال ابن بطّال:

«قرن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم نزول الخزائن بالفتنه إشاره إلی أنّها تسبّب عنها،و إلی أنّ القصد فی الأمر خیر من الإکثار و أسلم من الفتنه...» (۴).أی أنّ الفتوح فی الخزائن تنشأ عنه فتنه المال،بأن یتنافس فیه فیقع القتال بسببه،و أن یبخل به فیمنع الحقّ،أو یبطر صاحبه فیسرف،فأراد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم تحذیر أزواجه من ذلک کلّه.

أقول:و ستأتی الإشاره فی سوره الأنفال و غیرها إلی أنّ غرض و غایه جمع من الصحابه فی غزوات النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم هو عرض الحیاه الدنیا و متاعها من الغنائم،فضلا عن الفتوحات التی وقعت بعده،و یکفیک لإثبات ذلک رصد ما ترک العدید من الصحابه من أموال و ثروات طائله عند موتهم.

*و روی فی الباب الثامن قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«لا ترجعوا بعدی کفّارا یضرب بعضکم

۱- ۱) .صحیح البخاری ۸۴/۹ ح ۴،و انظر:فتح الباری ۵/۱۳ ح ۷۰۵۲.

۲- ۲) .آل عمران۱۴۴/.

۳- ۳) .صحیح البخاری ۲۷۹/۷ ح ۶۲.

۴- ۴) .فتح الباری ۳۷۲/۱۰ ح ۵۸۴۴.

رقاب بعض» (۱).

*و روی فی الباب الثامن عشر عن أبی بکره،قال:«لقد نفعنی اللّه بکلمه سمعتها من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أیّام الجمل،بعد ما کدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال:لمّا بلغ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّ أهل فارس قد ملّکوا علیهم بنت کسری،قال:«لن یفلح قوم ولّوا أمرهم امرأه» (۲).

*و روی عن الأسدی،قال:«لمّا سار طلحه و الزبیر و عائشه إلی البصره بعث علیّ عمّار بن یاسر و حسن بن علیّ فقدما علینا الکوفه،فصعد المنبر،فکان الحسن بن علیّ فوق المنبر فی أعلاه،و قام عمّار أسفل من الحسن،فاجتمعنا إلیه،فسمعت عمّارا یقول:

إنّ عائشه قد سارت إلی البصره،و و اللّه إنّها لزوجه نبیّکم صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی الدنیا و الآخره،و لکنّ اللّه تبارک و تعالی ابتلاکم لیعلم إیّاه تطیعون أم هی؟!» (۳).

أقول:و ستأتی الإشاره فی سوره الأحزاب إلی أمر نساء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالقرّ فی البیوت.

*و روی فی الباب الواحد و العشرین عن حذیفه بن الیمان،قال:«إنّ المنافقین الیوم شرّ منهم علی عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کانوا یومئذ یسرّون و الیوم یجهرون» (۴)؛فیا تری إلی من یشیر حذیفه؟!و ما هو السبب فی حرّیه الأجواء السیاسیه للمنافقین بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم حتّی صاروا یجهرون آمنین علی أنفسهم بینما کانوا فی زمانه صلّی اللّه علیه و آله و سلم متستّرین خائفین؟!

*و روی مسلم فی صحیحه،فی کتاب صفات المنافقین و أحکامهم،عن قیس،قال:

۱- ۱) .صحیح البخاری ۱۴/۶ ذ ح ۳۹۵ و ح ۳۹۷،انظر:فتح الباری ۱۳۵/۸ ح ۴۴۰۵ و ج ۲۳۵/۱۲ ح ۶۸۶۹.

۲- ۲) .صحیح البخاری ۲۷/۶ ح ۴۱۷،ج ۱۰۰/۹ ح ۴۷،فتح الباری ۱۶۰/۸ ح ۴۴۲۵ و ج ۶۷/۱۳ ح ۷۰۹۹.

۳- ۳) .صحیح البخاری ۱۰۰/۹ ح ۴۸،و انظر:فتح الباری ۶۷/۱۳ ح ۷۱۰۰.

۴- ۴) .صحیح البخاری ۱۰۴/۹ ح ۵۷،و انظر:فتح الباری ۸۶/۱۳ ح ۷۱۱۳.

«قلت لعمّار:أ رأيتم صنيعكم هذا الذى صنعتم فى أمر علىّ،أ رأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!فقال:ما عهد إلينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافّه،و لكن حذيفه أخبرنى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،قال:قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:فى أصحابى اثنا عشر منافقا،فيهم ثمانيه لا يدخلون الجنّه حتّى يلج الجمل فى سمّ الخياط،ثمانيه منهم تكفيكهم الدبيله؛و أربعه لم أحفظ» (۱).

و عمّار رضى اللّه عنه يشير هنا إلى أنّ النصوص من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى علىّ عليه السّلام ليست خفيّه، خاصّه عندنا-أى الصحابه-بل هى منتشره عند الناس،من حديث الغدير و غيره،و كان سبب تولّيه لعلىّ عليه السّلام من بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،من يوم السقيفه إلى يوم قتل عثمان -فقد صنّف عمّار فى من دبّر ذلك،كما ذكرت ذلك كتب التواريخ- إلى يوم الجمل و صفّين،و صريح الحديث الذى يرويه عمّار عن حذيفه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،أنّ فى خاصه الصحابه اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنّه،و أنّ عمّارا رأى هؤلاء الاثنى عشر فى من ناوأ و عادى عليّا عليه السّلام.

ثمّ إنّ هذا الحديث صريح فى أنّ ما أتى به الصحابه الّذين تولّوا عليّا و ناصروه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حتّى استشهاده عليه السّلام كان بتصريح و نصّ من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و بنفاق مناوئيه و أعدائه،و لم يكن باجتهاد رأى رأوه كما يقول بذلك علماء العامّه فى حكمهم بعداله الصحابه الّذين ناوءوا الإمام عليّا عليه السّلام و قد روى مسلم هذا الحديث بطريق آخر فلاحظ (۲).

*و روى عن أبى الطفيل،قال:«كان بين رجل من أهل العقبه و بين حذيفه بعض ما يكون بين الناس،فقال:أنشدك باللّه كم كان أصحاب العقبه؟قال:فقال له القوم:أخبره إذ سألك!قال:كنّا نخبر أنّهم أربعه عشر،فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسه عشر، و أشهد باللّه أنّ اثنى عشر منهم حرب للّه و لرسوله فى الحياه الدنيا و يوم يقوم الأشهاد،

۱- ۱) .صحيح مسلم ۱۲۲/۸.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۱۲۲/۸-۱۲۳.

و عـذر ثلاـثه قـالوا:مـا سـمعنا منادى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم،و لا علمنا بما أراد القوم؛و قـد كان فى حرّه فمشـى فقال:إنّ الماء قليل فلا يسبقنى إليه أحد،فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ» (۱).

و المراد بالعقبه عقبه على طريق تبوك التى اجتمعت تلك العدّه للغدر و الفتك برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى غزوه تبوك و قـد أشار اللّه تعالى إليها فى سوره التوبه،و من الملاحظ أنّ السائل من تلك العدّه التى تقطن المدينه دار الهجره،و أنّهم لم يكونوا ظاهرى النفاق عند الجميع،و لاحظ كتب التاريخ فى معرفه السائل الذى سأل حذيفه عن تلك العدّه.

*و روى مسـلم-بعد باب خصال المنافق-بابا فى أنّ حبّ الأنصار و علىّ عليه السّـلام من علامات الإيمان و بغضـهم من علامات النفاق؛فعن زرّ،قال:قال علىّ:«و الذى فلق الحبّه و برأ النسـمه إنّه لعهد النبىّ الأمّىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلىّ أن لا يحبّنى إلّا مؤمن،و لا يبغضنى إلّا منافق» (۲).

۱- ۱) .صحيح مسلم ۱۲۳/۸.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۶۱/۱.

۲–الوجه العقلی

ص:۴۱

و من الغريب تمسّک التفتازانی بوجه عقلی نقلی لعداله جميع الصحابه؛و هو أنّهم نقله الدين!،و مراده أنّه لو لا ذلک لبطل نقل الشريعه،و هذا غير لازم لنفيها عن المبطل خاصّه دون المحقّ.هذا مع أنّ التفتازانی نفسه ذكر حديث الثقلين آخذا به،قال:

«أنّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم قرنهم بكتاب اللّه فی كون التمسّک بهما منقذا من الضلاله،و لا معنی للتمسک بالكتاب إلّا الأخذ بما فيه من العلم و الهدايه،فكذا فی العتره» (۱)،فإذا كانت العتره عدل الكتاب فی التمسّک بهما كشرط للنجاه من الضلاله فأی انبطال للشريعه وراء ذلک،و هل يخلط الحابل بالنابل و تؤخذ الشريعه عن من لا حظّ له فی الإيمان و العلم.بل الاعتماد فی الدين علی كلّ من هبّ و دبّ اعتماد علی غير ركن وثيق.

هذا و من المسائل التی تصبّ فی هذا البحث و ترتبط به بنحو ما هو إصدار أكثر العامّه علی مشروعيه إمامه المتغلب بالقهر و البغی علی رءوس المسلمين،و أنّه لا مانع من إمامه الفاسق و الجاهل،و يتردد الناظر الباحث هل لهذا القول فی الإمامه صله بإمامه الأوائل من الصحابه و قول الثانی:

إن كانت بيعه أبی بكر فلته و تمّت،ألا و إنّها كانت كذلک،و لكن اللّه وقی شرها...من بايع رجلا من غير مشوره من المسلمين فلا يبايع هو و لا الذی

۱- ۱) .شرح المقاصد ۳۳/۵.

بـايعه تغره أن يقتلاـ..فكثر اللغـط و ارتفعت الأصوات حتّى فرقت من الاختلاف،فقلت:ابسط يـدك يا أبا بكر...خشـينا إن فارقنا القوم و لم تكن بيعه أن يبـايعوا رجلا منهم بعـدنا فإمّا بايعناهم على ما لا نرضـى و إمّا نخالفهم فيكون فسادا،فمن بايع رجلا على غير مشوره من المسلمين فلا يتابع هو و لا الذى بايعه تغره أن يقتلا.هكذا نصّ عبارته فى صحيح البخارى (۱).

و صـدر الحـديث الـذى رواه عن ابن عباس،قال:كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف،فبينما أنا فى منزله عنى و هـو عنـد عمر بن الخطـاب ان آخر حجّه حجّهـا إذ رجـع إلى عبـد الرحمن فقـال:لـو رأيت رجلاـ أتى أمير المؤمنين اليوم فقال:يا أمير المؤمنين هل لك فى فلان يقول:

لو قـد مات عمر لقد بايعت فلانا،فو اللّه ما كانت بيعه أبى بكر إلاّ فلته تمّت،فغضب عمر،ثمّ قال:إنّى إن شاء اللّه لقائم للعشـيه فى الناس فمعـذرهم هؤلاء الـذين يريدون أن يغصـبوهم أمورهم،قال عبد الرحمن:فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل،فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس و غوغاءهم...قال ابن عباس:فقدمنا المدينه...فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلمّا رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:ليقولن العشيه مقاله لم يقلها منذ استخلف...فجلس عمر على المنبر،و قال:...ثمّ أنّه بلغنى أنّ قائلا منكم يقول و اللّه لو قد مات عمر بايعت فلانا،فلا يغترن امرؤ أنّ يقول إنّما كانت بيعه أبى بكر...الخ.

فـإنّ مسـلسل الروايه أن قائلاـ قـال بعزمه على بيعه الفلته و أنّ الثـانى غضب لأـنّ هـذه البيعه بيعه الفلته-البغته و الفجـأه و النهزه و الخلسه و الاغترار و المبادره-غضب

۱- ۱) .باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت،كتاب الحدود،باب ۳۱.

لأمور المسلمين و أنّه يريد تحذيرهم من هؤلاء الغاصبين و أنّ ما وقع من بيعه الأوّل ألا و إنها كانت كذلك،و كانت ذات شرّ وقى اللّه المسلمين شرّها و أنّها من غير مشوره من المسلمين إذ كان لغطا و اختلافا فى الآراء عند مداوله الإمامه و الخلافه و البيعه بينهم، و أنّ المرتكب لها يستحق القتل،و أنّ مباغته ببيعه الأوّل مدافعه للآخرين،هكذا يرسم لنا الخليفه الثانى إمامه الأوّل.و على أيّه حال فإنّ مثل هذه الإمامه على تقدير مشروعيتها-بمنطق العسكر و القوه لا بمنطق الدين و العقل-فإنّها لا توجب كون صاحبها لا يزلّ و لا يخطأ و تتبع سنته قائمه إلى يوم القيامه و يكون له حظّ المشرّع فى الدين.

و الحاصل أنّ تحرير العامّه لمسأله عداله الصحابه و مسأله حرمه الخوض فى الفتن التى جرت بينهم و مسأله الإمامه و ما يرتبط بها من مسائل أخرى،يجدها الباحث الناظر مضطربه الوجوه،مترددّه بين الإمامه كعهد من اللّه و رسوله لا يزلّ و لا يخطأ،و بين كونه مجتهدا كبقيه المجتهدين،أو أنّ حجيّه قوله و فعله كراوى من رواه الأخبار،و أنّ إقامه البحث عن مسأله عداله الصحابه ليست كما يفيده عنوان البحث بل هو حول فئه خاصّه من الصحابه الذين عقدوا البيعه لأبى بكر و أنّ البحث هو لضرب سياج و حواجز عن التنقيب و البحث عن أحوال و صفات و ممارسات تلك الفئه و أن ما عقدوا من مباحث مسائل الإمامه هو الآخر فى هذا الاتجاه.

و ممّا يشهد بتدافع تحرير المسائل عندهم هو أنّهم يستدلّون على الإمامه بأدلّه مفادها لزوم عصمه الإمام،مع أنّهم يجيرونها للامامه العقديه بالبيعه السياسيه،و مثال ذلك الحديث النبوى«من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميته جاهليه»فإنّ مفاد الحديث وجوب معرفه الإمام فى كلّ زمان و واضح أنّه واجب اعتقادى كوجوب معرفه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الإذعان برسالته،و يزيد ذلك وضوحا أنّه جعل فاقد تلك المعرفه ميتته ميته كفر،و فى الحديث عنايه و لطيفه و هو أنّه جعل كفره عند موته كفر من لم يدخل الإسلام،لا كفر من دخل الإسلام و ارتدّ عنه،و من البيّن فى بداهه الشرع و العقل أنّ من

تجعل معرفته بهذا الشأن لا يمكن أن يكون من يزلّ و يخطل أو يجهل و يضلّ،بل لا بدّ أن يكون مقامه فى الدين يتلو مقام النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم معصوما مطهّرا أذهب عنه الرجس و طهّره تطهيرا،و غير ذلك من الأمثله.

كما أنّه يلاحظ فى نظم الأدله و الوجوه فى تلك المسائل عندهم،التكديس الركامى من دون تمحيص مؤدى كلّ دليل أو وجه،و من دون مقايسته بأدلّه الطرف الآخر،فتراهم مثلا يتمسكون بحجيّه سنّه الشيخين بأحاديث آحاد قد تكون حسنه الاسناد عندهم، بينما لا يقابلونها مع الأحاديث المتواتره بطرقهم كحديث الثقلين،و حديث المنزله، و الغدير و غيرها،فانظر مثلا إلى التفتازانى فى شرح المقاصد عند ما يستعرض وجوه و أدلّه إمامه علىّ عليه السّلام يقرّ بجمله فضائله إلاّ أنّه يحكم و يكيل عشوائيّا بأنّ فضائل الشيخين أولى،مع أنّه هو نفسه حكى عن إمام الحرمين أنّ روايات الفضائل فى الأربعه متعارضه و الترجيح ظنّى،مع أنّه لو تعمّق فى موازنه كلّ وجه من الوجوه و مدى مؤداه و مقابلته مع الوجه فى الطرف الآخر سواء من حيث قوّه السند و الدلاله و علوّ و شموخ المعنى و مسلّميه المصداق المراد بين الفريقين عن غيره،و الأهمّ هو تحليل الفضيله التى هى عباره عن كمال ما؛فإنّه عنوان مجمل عامّ لا بدّ من تقرير حدّه هل ينطبق على العصمه أو على عمل خاصّ معيّن دون أن يحدث صفه كماليه دائمه فى الشخص أو على غير ذلك ممّا يتناسب مع صفات الراوى و نحوه،و الغريب من التفتازانى فى الكتاب المزبور مع أنّه يتذمّر من معاويه و يزيد و بنى أميّه و ما فعلوه من ظلم بذريّه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم، إلاّ أنّه يقرر إمامه المتغلّب الباغى القاهر للمسلمين بسيفه و سطوته،و لا تنقضى الغرائب بسبب تدافع المبانى و تردد تحرير المسائل لديهم بنحو مجمل لا توزن فيه مرتبه الحجّه و سنخها و نوعها و مداها.

۳-الوجه النقلی

اشاره

ص:۴۷

ثمّ إنّا قد تعرّضنا فی تضاعیف تصویر فرض مسأله عداله الصحابه لأدلّه العامّه من السنّه أو الوجوه الأخری و الردود علیها إجمالا،و المهمّ بعد ذلک هو التعرّض لما استدلّوا به علی ذلک من الآیات القرآنیه:

الآیه الأولی:قوله تعالی:

اَلسّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۱).

الآیه الثانیه:قوله تعالی:

لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ* وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ... وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۲).

۱- ۱) .التوبه۱۰۰/.

۲- ۲) .الحشر۸/-۱۰.

الآیه الثالثه:قوله تعالی:

لَقَدْ رَضِیَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ فَعَلِمَ ما فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَهَ عَلَیْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً (۱).

و قوله تعالی فی السوره نفسها الآیه الأخیره:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ تَراهُمْ رُکَّعاً سُجَّداً یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً سِیماهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِکَ مَثَلُهُمْ فِی التَّوْراهِ وَ مَثَلُهُمْ فِی الْإِنْجِیلِ کَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوی عَلی سُوقِهِ یُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِیَغِیظَ بِهِمُ الْکُفّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِیماً (۲).

الآیه الرابعه:قوله تعالی:

وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الدُّنْیا حَسَنَهً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ* اَلَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (۳).

و قوله تعالی:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۴).

الآیه الخامسه:قوله تعالی:

لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَی النَّبِیِّ وَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَهِ الْعُسْرَهِ مِنْ بَعْدِ ما کادَ یَزِیغُ قُلُوبُ فَرِیقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۵).

۱- ۱) .الفتح۱۸/.

۲- ۲) .الفتح۲۹/.

۳- ۳) .النحل۴۱/-۴۲.

۴- ۴) .النحل۱۱۰/.

۵- ۵) .التوبه۱۱۷/.

الآیه السادسه:قوله تعالی:

وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ* وَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَکُمْ فَأُولئِکَ مِنْکُمْ... (۱).

الآیه السابعه:قوله تعالی:

وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النّاسِ وَ یَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً (۲)

و قوله تعالی:

کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ (۳)

و قوله تعالی:

وَ مَنْ یُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الْهُدی وَ یَتَّبِعْ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّی وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِیراً (۴).

و للتنبیه علی و هم القائل فی مفاد الآیات أنّها دالّه علی مدح جمیع الصحابه أو جمیع من هاجر من مکّه،و جمیع من ناصر فی المدینه أو أنّ هذا المدیح دالّ علی حجیّه أقوال کلّ صحابی مهاجری أو أنصاری،لأجل ذلک لا بدّ من التعرّض إلی نقاط عامّه مشترکه ثمّ التعرّض تفصیلا لمفاد کلّ آیه علی حده و بیان البدن بینه و بین مدّعی المتوهم.أمّا النقاط العامّه:

النقطه الأولی:ما أفاده بعض الأفاضل المعاصرین (۵)من أنّ القرآن الکریم یشیر و ینبّه إلی ظهور حرکه محترفی النفاق من بدایات تکوّن المسلمین فی مکّه و یعنونهم

۱- ۱) .الانفال۷۴/-۷۵.

۲- ۲) .البقره۱۴۳/.

۳- ۳) .آل عمران۱۱۰/.

۴- ۴) .النساء۱۱۵/.

۵- ۵) .فی کتابه اسلام شناسی تاریخی.

باسم اَلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ و ذلک فی رابع سوره نزلت علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی مکّه قبل الهجره و هی سوره المدثّر،و کذلک سوره العنکبوت المکّیه نزولا قبل الهجره فی قول الأکثر أیضا فالسوره الأولی و هی قوله تعالی:

وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِکَهً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ یَزْدادَ الَّذِینَ آمَنُوا إِیماناً وَ لا یَرْتابَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِیَقُولَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْکافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً کَذلِکَ یُضِلُّ اللّهُ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ وَ ما یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّ هُوَ وَ ما هِیَ إِلاّ ذِکْری لِلْبَشَرِ (۱).

قد قابلت بین فئات أربعه؛فئتین من جهه و هما «الْمُؤْمِنُونَ» و «اَلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ» و الفئتین من الجهه الأخری «الْکافِرُونَ» و «اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» ،و من الواضح أنّ «اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» بحسب الآیه لیسوا من الفئات الثلاث «الْمُؤْمِنُونَ» ،و «اَلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ» و «الْکافِرُونَ» فیقتضی کونهم من المسلمین غیر المؤمنین قلبا،و یعطی هذا المعنی نفس عنوان «اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» فان دلّ علی أنّ مرضهم مستبطن فی قلوبهم غیر ظاهر أی أنّ ظاهرهم یبدو علیه السلامه،أی للاسلام.

و یدلّل علی ذلک أیضا بأنّ هذه الفئه یلاحقها القرآن الکریم بعد ذلک فی أغلب السور المدنیه نزولا،و فی الوقائع الخطیره التی حدثت للمسلمین فی المدینه حتّی آخر حیاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و یخصّهم القرآن الکریم بهذا العنوان مائزا بینهم و بین عنوان المنافقین، حیث یسند لهم أدوارا أکثر خطوره و ضررا علی الدین من المنافقین أی أنّ المراد بالعنوان الثانی فی القرآن عموم أهل النفاق ممّن قد ظهر التواءه بنحو أو بآخر بخلاف أصحاب العنوان الأوّل فإنّهم محترفو النفاق قد احترفوا عملیه التسلل و النفود فی جسم المسلمین منذ أوائل الدعوه للاسلام حتی آخر حیاه النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کما سنشیر إلی ذلک

۱- ۱) .المدثّر ۳۱/.

فی الجمله فی السور بعد ذلک،و لک أن تجرد و تسرد مواقعهم و مواضعهم و أدوارهم بالاستعانه بکشف المعجم المفهرس للقرآن الکریم باستخراج مواضع عنوان اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فی السور القرآنیه و الأحداث التی تضمّنتها.

و علی أیّه تقدیر ففی أوائل الدعوه للإسلام یشیر القرآن الکریم إلی تسلل عناصر بشریه فی صفوف من سبق إلی الاسلام و اعتنقه فی الظاهر و أن تلک العناصر کان لها أدوار قبل الهجره و بعد الهجره فی المدینه و أنّها کانت ذات علاقات متمیزه مع کفار قریش و مع الیهود و مع أهل النفاق ذوی النفاق العامّ غیر المحترف کلّ ذلک من خلال الخریطه المسلسله للأحداث السیاسیه و غیرها التی یرسمها لنا القرآن الکریم فی سوره المکّیه و المدنیه عن هذه الفئه و هی «اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» .

و السوره الثانیه المکیه قبل الهجره هی قوله تعالی:

الم* أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا یُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ* أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ أَنْ یَسْبِقُونا ساءَ ما یَحْکُمُونَ* مَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ* وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما یُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللّهَ لَغَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ* وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ* وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداکَ لِتُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِی الصّالِحِینَ* وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِیَ فِی اللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ النّاسِ کَعَذابِ اللّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنّا کُنّا مَعَکُمْ أَ وَ لَیْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِی صُدُورِ الْعالَمِینَ* وَ لَیَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِینَ* وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِیلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطایاکُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِینَ مِنْ خَطایاهُمْ مِنْ شَیْءٍ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ* وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ الْقِیامَهِ عَمّا کانُوا یَفْتَرُونَ ۱.

الم* أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ* مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ* وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ* وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصّالِحِينَ* وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّا كُنّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ* وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ* وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ* وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ (۱).

و هذه الآيات تؤكّد أنّ بين صفوف من أسلم قبل الهجره فئه منافقه غرضها من اعتناق الإسلام هو الوصول إلى المشاركه فى المكاسب السياسيه التى سيحققها المسلمون،كما أنّ من تخصيص السوره خطاب الإغراء من الكفار للمؤمنين خاصّه أن جهد الكفّار كان منصبا لثنى المؤمنين دون المنافقين ممّا يدلّ على وجود علاقه و توافق موطّد بينهم.

و هذا جرد كشفى لمواطن تتبع القرآن لهذه الفئه اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ بحسب ترتيب النزول.

۱. سوره المدثر الآيه ۳۱،مكيه(۴).

۲. سوره العنكبوت الآيه ۱۰-۱۱،مكّيه(۸۵).

۳. سوره البقره الآيه ۱۰،مدنيه(۸۷).

۴. سوره الأنفال الآيه ۴۹،مدنيه(۸۸).

۵. سوره الأحزاب الآيه ۱۲-۳۲-۶۰،مدنيه(۹۰).

۶. سوره محمّد الآيه ۲۰-۲۹،مدنيه(۹۵).

۷. سوره النور الآيه ۵۰،مدنيه(۱۰۳).

۸. سوره الحج الآيه ۵۳،مدنيه(۱۰۴).

۹. سوره المائده الآيه ۵۲،مدنيه(۱۱۳).

۱۰. سوره التوبه الآيه ۱۲۵،مدنيه(۱۱۴).

و من كلّ ذلك ننتهى إلى أن عموم المديح للمهاجرين و للأنصار لا يتناول فئه الذين فى قلوبهم مرض و المنافقين ممّن أسلم

قبل الهجره طمعا فی المکاسب السیاسیه التی تحدثت عنه کهنه العرب عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و انبأت به الیهود قبل ظهور النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أنّهم

ص:

۱- ۱) .العنکبوت۱/-۱۳.

قطنوا الجزيره العربيه لأجل ذلک استعدادا لظهوره کما ذکر ذلک القرآن:

وَ لَمّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَی الْکافِرِینَ (۱).

فکانوا یتوعدون الکفّار بالنصر علیهم بالنبی الخاتم صلّی اللّه علیه و آله و سلم الذی یملک العرب، فمعالم ظهوره صلّی اللّه علیه و آله و سلم و سلطته علی الجزیره منتشره الآفاق قبل أن یبعث صلّی اللّه علیه و آله و سلم،بل إنّ المدیح خاصّ بالمؤمنین قلبا حقّا منهم خاصّه و یشهد لذلک النقطه الثانیه الآتیه.

ثمّ أن هناک سوره مکیّه أخری و سوره النحل(۷۰ نزولا)فیها إشاره إلی ظهور النفاق قبل الهجره أیضا:

مَنْ کَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ وَ لکِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً فَعَلَیْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ* ذلِکَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَیاهَ الدُّنْیا عَلَی الْآخِرَهِ وَ أَنَّ اللّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکافِرِینَ* أُولئِکَ الَّذِینَ طَبَعَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ* لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِی الْآخِرَهِ هُمُ الْخاسِرُونَ (۲).

فالاستثناء جمله معترضه و سیاق الآیه هکذا مَنْ کَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِیمانِهِ مَنْ شَرَحَ بِالْکُفْرِ صَدْراً و جیء ب:«لکن»للاستدراک من المستثنی و أنّ المراد بالکفر هو من شرح بالکفر صدرا.

و قیل:أنّ من شرح بالکفر صدرا نزلت فی عبد اللّه بن سعد ابن أبی سرح من بنی عامر بن لؤی و ظاهر لفظ الجمع فی الآیات یعطی أنّها فئه و مجموعه و أنّ سبب کفرهم بعد إیمانهم لیس إکراه المشرکین لهم علی ذلک بل هو استحباب الحیاه الدنیا فطبع علی قلوبهم و سمعهم و أبصارهم.

النقطه الثانیه:أنّ آیات الهجره الکثیر منها یقیّد الهجره بکونها للّه تعالی و بنیّه

۱- ۱) .البقره۸۹/.

۲- ۲) .النحل۱۰۶/-۱۰۹.

أنّها فی سبیل اللّه،کما فی قوله تعالی اَلَّذِینَ هاجَرُوا فِی اللّهِ... (۱)و هی الآیه الرابعه من التی تقدّمت فی مدیح المهاجرین،و کذا قوله تعالی وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ (۲)و قیّدت بقیّه الآیات الهجره بقید فی سبیل اللّه،کما قیّد الجهاد أنّه فی سبیل اللّه مع الهجره،و من ثمّ تظافرت الأحادیث النبویّه فی بیان أنّ الهجره حکمها تابع لنیّه المهاجر فمن کان هجرته إلی اللّه و رسوله فله الحسنی فی العقبی،و من کان هجرته إلی حطام الدنیا من مال یصیبه أو امرأه ینکحها أو ولایه یصیبها فله ما هاجر إلیه و خسر حظّه فی الآخره،و کذلک وردت الأحادیث فی الجهاد کذلک.و علی ذلک فلیس کلّ من قام بالهجره البدنیه المکانیه من مکّه إلی المدینه یکون ممّن هاجر فی اللّه و إلی اللّه و رسوله و المدیح مخصوص بمن هاجر فی اللّه و إلی اللّه و رسوله،لا کلّ من هاجر و لو بنیّه إصابه الدنیا.

تحقیق فی عنوان المهاجر و الأنصاری

إنّ المتتبّع للاستعمال القرآنی لماده الهجره و النصره فی هیئه الفاعل عند الاطلاق و عدم التقیید بقرینه معینه لا یراد به کل من انتقل ببدنه من مکه أو غیرها إلی المدینه المنوره مظهرا للإسلام،کما أنّ الأنصاری لیس کلّ من أظهر الاسلام و کان قاطنا فی المدینه و حوالیها،و إنّ إجراء الاستعمال بهذا المعنی الوسیع و حصول التوسّع عن المعنی الأوّل إنّما وقع و شاع فی الألسن لتخیل تطبیق المعنی اللغوی بلحاظ مطلق الانتقال المکانی،و استدعاء ذلک المقابله مع من لم ینتقل من موطنه و هو الأنصاری،مع وجود الدوافع السیاسیه المقتضیه لهذا التعمیم کی تجد مستندا للشرعیه فیما تقدّم علیه.

بل المقتنص من التتبع للآی القرآنی هو أنّ الهجره و المهاجر عند الاطلاق من دون تقیید یراد به من انتقل من موطنه و بلاد المشرکین إلی المدینه بقصد طاعه اللّه و فی سبیل

۱- ۱) .النحل ۴۱/.

۲- ۲) .النساء ۱۰۰/.

اللّه و إلى اللّه و رسوله كما أشارت إلى ذلك الآيات المتقدّمه و كقوله تعالى وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَهً (۱)،و قوله تعالى وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ ماتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللّهُ رِزْقاً حَسَناً (۲)،و قوله تعالى فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۳)و قد اقترن ذكر عنوان الهجره كثيرا فى الآيات (۴)مع الجهاد فى سبيل اللّه و مع الإيمان أو مع الأذيه فى سبيل اللّه و القتل فى سبيله أو مع الصبر،و قد وردت الأحاديث النبويّه فى تفسير الهجره الشرعيه بذلك.

فالهجره عند الاطلاق بذلك المعنى كما هو الحال فى مقام الثناء و المديح لها كفعل عبادى من الطاعات و القربات العظيمه،بخلاف ما إذا قيّد الاستعمال بقيد معين،كترتيب أحكام خاصّه من قبيل حلّ المناكحه و حرمه الدم و المال و نحوها،و لذلك ترى فى قوله تعالى إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفّارِ (۵)أنّه لم يكتفى بالهجره الظاهريه من دون التحقّق من حصول الهجره الواقعيه الحقيقيه،التى هى مقيّده بالإيمان القلبى و كونها فى اللّه و فى سبيل اللّه و إلى اللّه و رسوله،و كذلك الحال فى الاستعمال الآى القرآنى،قال تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ فَآمَنَتْ طائِفَهٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَهٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ (۶)،و قال تعالى فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۷)،و قال وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ

۱- ۱) .النساء ۱۰۰/.

۲- ۲) .الحج۵۸/.

۳- ۳) .العنكبوت۲۶/.

۴- ۴) .البقره۲۱۸/،آل عمران۱۹۵/،الأنفال۷۲/ و ۷۴ و ۷۵،التوبه ۲۰/،النحل ۴۱/.

۵- ۵) .الممتحنه ۱۰/.

۶- ۶) .الصف۱۴/.

۷- ۷) .الأعراف۱۵۷/.

بَعْضٍ (۱).

فیلاحظ أنّ النصره و الأنصاری لیس مطلق المعاضده فضلا عن أنّ تکون هی کل مسلم کان موطنه المدینه فلیس کلّ أوسی أو خزرجی أو غیرهما ممن حول المدینه هو أنصاری بل من آمن و آوی و عزّر و وقّر الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و اتّبع النّور الذی أنزل مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کان ذلک کلّه فی اللّه و إلی اللّه کان أنصاریا.

فمن ثم سنری أنّ فی سوره التوبه-کما یأتی الحدیث عنها-تقسم کلّ من أهل المدینه و غیرهم ممّن انتقل إلی المدینه إلی فئات صالحه ینطبق علیها هذین العنوانین الوسامین المهاجر و الأنصاری،و طالحه مردت علی النفاق و کان فی قلوبهم مرض أو متقاعسه عن القتال أو غیرهم من أنواع المنافقین و سنعاود التذکیر علی دلاله السوره المزبوره أیضا علی اختصاص هذین العنوانین و الصفتین کمنقبتین فضیلتین بمن توفرت فیه القیود السالفه،فهی کبقیه الآیات من السور الأخری منبّهه علی خطأ هذا الاصطلاح الشائع من إطلاق المهاجر علی کلّ مکّی أسلم و نحوه انتقل إلی المدینه،و الأنصاری علی کلّ خزرجی أو أوسی أسلم قطن المدینه و نحوها.

فالهجره و النصره منقبتین عظیمتین و طاعتان قریبتان أخذ فی ماهیتهما قیود و أجزاء متعدده و من ثمّ یترتّب علی ذلک لزوم إحراز توفّر القیود فی من یراد توصیفه بهما.

النقطه الثالثه:أن هناک العدید من القیود التی تستعرضها الآیات کشرط فی مدیح المهاجر و الأنصاری مثلا.

أ- ما فی سوره الفتح ضابطه تستعرضها الآیه فی المهاجرین و الأنصار هی من المحکم الذی یتبیّن به بقیّه الآیات،و هو قوله تعالی إِنَّ الَّذِینَ یُبایِعُونَکَ إِنَّما یُبایِعُونَ اللّهَ یَدُ اللّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَیْهُ اللّهَ فَسَیُؤْتِیهِ

۱- ۱) .الأنفال۷۲/.

أَجْراً عَظِيماً (۱)فتشترط الآيه شرط الوفاء بالعهد و عدم النكث به شرطا لحسن العاقبه و المثوبه فالموافاه للعهد عند الموت و عدم النكث و التبديل شرط فى ذلك كما هو الحال فى بقيّه المؤمنين إلى يوم القيامه.

و يشير إلى ذلك قوله تعالى أيضا فى آخر السوره مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ... وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِيماً (۲)فإنّ قيد المغفره و الأجر بمن آمن قلبا منهم و عمل صالحا،بل أنّ لفظه(منهم) دالّه على التبعيض و أنّ ليس كلّ الذين معه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لهم وعد بالحسنى بل خصوص من اتّصف بالقيد منهم،فالتقييد و التبعيض احتراز عن إيهام العموم فى صدر الآيه.

و يشير إلى مثل هذا القيد فى مدح المهاجر و الأنصارى،قوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً* لِيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۳)،حيث دلّت الآيه على اشتراط عدم التبديل فى المؤمنين كى ينالوا الأجر و أن الموافاه و الوفاء و عدم التبديل شرط فى وصف المؤمنين بالصدق.و قد اشتهر عند الصحابه أنّهم إذا أرادوا أن يقدحوا فى واحد منهم أن يقولوا أنّه بدّل كما هو دائر فى ألسنتهم فى الفتن التى وقعت بينهم.

ب- و كذلك هناك قيد آخر ذكرته الآيات كشرط فى المديح و هو اتصافهم بأنّهم رحماء بينهم أشداء على الكفّار أى اللين و الرأفه فيما بينهم و الشجاعه أمام الكفّار، كقوله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ فى سوره الفتح.

و قوله تعالى وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْكَمَهٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ* طاعَهٌ

۱- ۱) .الفتح ۱۰/.

۲- ۲) .الفتح ۲۹/.

۳- ۳) .الأحزاب ۲۳/-۲۴.

وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ (۱).

و قوله تعالى وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً (۲).

فبيّن تعالى أن الجبن و الخوف و الحزن من خشيه الموت و إذا ذهب الخوف سلقوا المؤمنين بألسنه حداد على عكس صفات المؤمنين من الرحمه فيما بينهم و الشجاعه أمام الكفّار،و من الثابت أنّ من المهاجرين من كان فظا غليظا مع بقيّه المؤمنين و المسلمين هزوما فرارا فى الحروب و اذا قاد جيشا ليفتح حصنا عاد يجبّن الناس و الناس يجبّنونه بينما المؤمن كرار غير فرار يفتح اللّه على يديه.

ج- كذلك هناك آيات أخرى دالّه على أن هناك أعمالا سيئه موجبه لحبط الأعمال، كقوله تعالى وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ (۳)،و كقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (۴).

و من الثابت فى كتب السير و الأحاديث أنّه فى العديد من الوقائع قد أبرم و قطع فيها غير واحد من الصحابه العشره المبشره قبل أن يحكم اللّه و رسوله فيها،بل قد تقدّموا فى أشياء قد تقدّم اللّه و رسوله فيها بحكم خلافا و ردّا.

و كقوله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ

۱- ۱) .محمّد ۲۰/-۲۱.

۲- ۲) .الأحزاب۱۸/-۱۹.

۳- ۳) .المائده۵/.

۴- ۴) .الحجرات ۱/-۲.

ما فِی الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِکَلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۱).

مع أنّ بعض المهاجرین ارتاب فی دینه فی صلح الحدیبیه.فعدم الارتیاب قید فی بقاء الإیمان.و هذه نماذج من القیود و علیک بتقصیها فی السور القرآنیه ممّا یعلم فقدان جماعه من الصحابه المهاجرین و الأنصار لها.

النقطه الرابعه:أنّ ممّا قد ثبت مقطوعا به للمتتبّع فی الآیات القرآنیه و کتب الأحادیث و السیر و التواریخ أنّ العدید من الصحابه من المهاجرین و الأنصار قد وقعت و صدرت منهم مخالفات للشرع المبین من الکبائر و بعضها من العظائم سواء فی حیاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أو بعد وفاته صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند التنازع و الفتن التی انتهت إلی حرب الجمل و صفین فقد وقع منهم الفرار من الزحف فی مواطن کوقعه أحد و حنین و لم یبق إلاّ ثلّه من بنی هاشم مع أنّ الفرار من الزحف من الکبائر السبع المغلظه و کذا ما أتاه الصحابه فی صلح الحدیبیه و فی مقدّمتهم بعض المهاجرین من الاعتراض علی صلح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و النکیر لذلک حتّی أنّهم أبوا أن یحلقوا رءوسهم و التحلل من الإحرام و أبدوا العصیان الجماعی حتی اضطر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی أن یجدّد أخذ البیعه منهم بعد ذلک بعد ما ارعووا و عادوا و یستوثق منهم المواثیق.

و ما أتاه عدّه من الصحابه من المهاجرین من التخلّف عن جیش أسامه الذی جهّزه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لقتال الروم مع انه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد لعن من تخلّف عن جیش أسامه و قال نفّذوا جیش اسامه.و قد نزلت الآیه کما قیل وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ فی اقتتال الأوس و الخزرج بالأحذیه و العصی.و بعضهم ردّ علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند ما طلب دواه و کتاب یکتب فیه ما إن تمسکوا به فلن یضلّوا أبداو قال أنّه غلب علیه المرض و هی عظیمه.

۱- ۱) .الحجرات۱۵/-۱۶.

مفاد الآيات القرآنيّه

اشاره

هذا و أما الآيات فمفادها بعيد تمام البعد عن تقديس جميع الصحابه أو ثلّه جماعه بيعه السقيفه،بل أن كلاّ منها بنفسه دليل على عدم التعميم فى عداله الصحابه،سواء فسرّت الصحبه بمعنى كل من رآه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أو نقل الحديث عنه أو لازمه مدّه مديده.

*أمّا الآيه الأولى:

فهى قوله تعالى:

اَلسّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱).

فنرى أنّ الآيه قد قيّدت المرضىّ عنهم من المهاجرين و الأنصار بقيدين:السبق و الأوليه فى السبق،أى كونه أول السابقين و من المقرّر فى موضعه تاريخيا-برغم الدعاوى الاخرى-أن أول السابقين إلى الإسلام هو على بن أبى طالب عليه السّلام،و من ثم حاولت الدعاوى الاخرى الاستعاضه لتطبيق الآيه بأن عليا أوّل من أسلم من الاحداث و أن خديجه أول من أسلم من النساء.

۱- ۱) .التوبه ۱۰۰/.

و لکن السبق و الأولیه فی الآیه غیر مقیدتین بحیثیه السن أو الجنس،هذا من جانب و من جانب آخر نری ان استعمال القرآن الکریم للسبق هو بمعنی خاص کما تطالعنا به سوره الواقعه و هذا کدیدن الاستعمال القرآنی فی العدید من عناوین الالفاظ کالصدیقین و الاصطفاء و التطهیر.فالمعنی الذی فی سوره الواقعه اَلسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ (۱)هو خصوص المقرّب و قد أکدت الآیه علی عنوان«السبق»بالتکرار للإشاره به،و«المقرّب»قد أرید به معنی خاص فی سوره المطففین کَلاّ إِنَّ کِتابَ الْأَبْرارِ لَفِی عِلِّیِّینَ وَ ما أَدْراکَ ما عِلِّیُّونَ کِتابٌ مَرْقُومٌ یَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (۲)،فعرّف المقرّب بأنه الذی یشهد کتاب الأبرار و شهاده الاعمال من خصائص الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم کما ذکرت ذلک الآیات کما فی سوره التوبه.

و هذا یعطینا مؤدی ان«المقرّب»لیس من درجه الأبرار من أنماط المؤمنین،بل فوقهم شاهد لما یعملونه و شهاده الأعمال لا ریب أنّها نحو من الغیب الذی لا یطلعه اللّه إلاّ لمن ارتضی من رسول،فهی نحو من العلم اللدنی الالهی المخصص بالمقربین،فهم نحو من الذین اوتوا مناصب إلهیه غیبیه جعلها لهم.و یعطی ذلک التقسیم فی سوره الواقعه لمن یحشر من البشر إلی ثلاثه أقسام:السابقون و أصحاب المیمنه و أصحاب المشئمه،و لا ریب فی دخول الأنبیاء و الرسل و الأوصیاء فی القسم الأول و هو یقتضی عدم مشارکه غیرهم لهم فی الدرجه،فالباقون هم فی القسمین الأخیرین،فالسبق فی الاستعمال القرآنی هو فی من حاز العصمه و الطهاره الذاتیه من الذنوب،فالسبق هاهنا هو فی الدرجات لا السبق الزمنی،مع أن أول السابقین زمنا فی المهاجرین هو علی بن أبی طالب علیه السلام.

و من ذلک یظهر المراد من أوّل السابقین من الأنصار،فإن المطهّر من الذنب من الأنصار-أی الذی لم یهاجر-هما الحسنان علیهما السّلام فانهما اللذان نزلت فیهما و فی أبویهما

۱- ۱) .الواقعه ۱۰/-۱۱.

۲- ۲) .المطففین۱۸/-۲۱.

آیه التطهیر،کما هو مقرّر فی موضعه من سبب نزول الآیه فی أخبار الفریقین.و کذلک یظهر المراد من الذین اتبعوهم بإحسان،إنهم المطهّرون من الذنب من الذریه النبویه،و یطالعک بهذا المعنی-مضافا إلی أنّه مقتضی معنی السبق فی الاستعمال القرآنی-أنّ مقام الإحسان فی القرآن لا ینطبق علی غیر المعصوم من الزلل و الخطاء،إذ لم یسند الإحسان إلی فعل مخصوص،بل جعل وصفا لکل معصوم من الذنب،لاحظ قوله تعالی:

وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۱).

وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۲).

وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوی آتَیْناهُ حُکْماً وَ عِلْماً وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۳).

سَلامٌ عَلی نُوحٍ فِی الْعالَمِینَ، إِنّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۴).

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْیا إِنّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۵).

سَلامٌ عَلی إِبْراهِیمَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۶).

سَلامٌ عَلی مُوسی وَ هارُونَ إِنّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۷).

سَلامٌ عَلی إِلْ یاسِینَ إِنّا کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ (۸).

فتری ان الذی یوصف بالاحسان-من غیر تقیید فی فعل خاص کأداء دیه أو مهر أو تسریح بإحسان للمطلقه،بل بالإحسان فی کل أفعاله-قد ادّخر تعالی له جزاء دنیویا و اخرویا من سنخ الذی ذکرته الآیات السابقه من جعل النبوه فی الذریّه و إتیان الحکم و العلم اللدنی الإلهی و تقدیر السلامه و الأمن فی النشآت المختلفه.و قد وصف المحسن و

۱- ۱) .الانعام۸۴/.

۲- ۲) .یوسف۲۲/.

۳- ۳) .القصص۱۴/.

۴- ۴) .الصافات۸۰/.

۵- ۵) .الصافات۱۰۵/.

۶- ۶) .الصافات۱۱۰/.

۷- ۷) .الصافات۱۲۱/.

۸- ۸) .الصافات۱۳۱/.

المحسنون بأنّ رحمه اللّه قريب منهم و أنّ اللّه يحبهم و أنّ اللّه لمعهم معيّه خاصه عن معيّته القيوميّه على كل مخلوق (۱)،فالآيه لم تكتف بوصف القسم الثالث بأنّهم تابعون للأولين السابقين،بل ضيقت الدائره إلى كون تبعيتهم بإحسان،و الإحسان و المحسن مقام فوق مقام العدل و العداله.

و كذلك الحال فى القسمين الأوّل و الثانى،فإنّه لم يبق على دائرته الوسيعه،فضيق بحدود«السابقين»و هذه الدائره لم تبق على حالها،بل ضيقت إلى دائره«أول السابقين» فلا بد-و الحال هذه-من تمحيص و فهم دلاله الكلام،ألا ترى فى سوره المدثر-و هى رابع سوره نزلت على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مكه-انّها تقسم الموجودين حينذاك إلى أربعه أقسام؛هى«المؤمنون»و«أهل الكتاب»و«المشركون»و «الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» ،فلو كان المراد هو من سبق بإظهار الإسلام من المهاجرين فأين هم الذين فى قلوبهم مرض و يسترون بالاسلام عن إظهاره.فبكلّ ذلك،مع ما ذكرنا من النقاط العامه يقع القارى على المراد فى الآيه الكريمه.

ثم إنّه لا يخفى على القارئ أن الآيه هى من سوره التوبه و قد استعرضت السوره نماذج عديده سيئه ممن عايش النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لقاه،فمثلا- فيها يَحْلِفُونَ بِاللّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَهَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا (۲)فإنّها نزلت فى غزوه تبوك و بعد الغزوه و فى طريق العوده دبّرت مؤامره لاغتيال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم على العقبه،و قد تقدم نقل حديث حذيفه-الذى رواه مسلم فى صفات المنافقين-فى منافقى أهل العقبه و أنهم من الصحابه الخاصه.

و نموذج ثان تفصح عنه سوره التوبه: وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَهِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ (۳).و من البين أن السوره تشير

۱- ۱) .النحل۱۲۸/،آل عمران۱۳۴/،المائده۱۳/،الاعراف۵۶/.

۲- ۲) .التوبه۷۴/.

۳- ۳) .التوبه۱۰۱/.

إلى نمط من المنافقين لمن يظهر نفاقهم إلى العيان،أى كانوا فى غايه التستر،و لا ريب انّ الأباعد الذين يلقون النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا يحتاجون إلى هذه الشده من التستر،كما أنّ هؤلاء كانوا من الخطوره بمكان حتّى إنّهم احتاجوا الى هذه الشده من التستر،كما أنّهم مردوا و احترفوا النفاق بحيث لا يمكن اصطياد حركاتهم الظاهره.

هذا فضلا عن النماذج الاخرى التى تستعرضها سوره التوبه،من الأعراب و ممن حول المدينه و غيرهم ۱،فإذا كانت السوره تقسّم من صحب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم ممن كان يتعامل معه يوميّا أو لازموه إلى فئات عديده صالحه و طالحه،فكيف يعمم الصلاح الى الكل؟فلا يكون التعميم إلاّ بأن يؤمن ببعض الكتاب و يكفر ببعض أو يتعامى عن النظر إلى جميع آيات السوره الواحده أو تصمّ الآذان عن سماعها جميعا.

و هذا التقسيم-كما نبهنا سابقا-دليل على عدم اطلاق المهاجر على كلّ مكى أسلم و انتقل إلى المدينه،و على عدم اطلاق الانصارى على كلّ مدنى أسلم،بل يطلق كلّ منهما

مع توافر قيود عديده اخرى.و لاحظ اسلوب هذه الآيات التى تستعرض النماذج الاخرى، فإنّه اسلوب لا يرى فيه الهواده و المهادنه،كقوله تعالى

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱)

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ* وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ* أَ وَ لا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عام مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ* وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (۲).

فترى أن فى سوره التوبه نزل الأمر بجهاد المنافقين على حدّ جهاد الكفار سواء، و أفرد الخطاب به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و نزل الأمر بمجاهده الكفار الذين يلون المؤمنين-أى القريبين منهم-و جعلت الآيات الذين فى قلوبهم مرض من الكفار،و قد عرفت أنّ الذين فى قلوبهم مرض هم من الخاصه التى أظهرت الإسلام فى أوائل البعثه كما صرّحت بذلك سوره المدثر،امّا سوره التوبه فقد نزلت فى غزوه تبوك،أى فى أخريات حياه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قد نزل قبل ذلك فى سوره الاحزاب التهديد بمجاهده المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض من دون الأمر به،قال تعالى

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَهِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاّ قَلِيلاً مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا

۱- ۱) .التوبه۷۳/.

۲- ۲) .التوبه۱۲۳/-۱۲۷.

تَقْتِيلًا سُنَّهَ اللّهِ فِی الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِیلًا (۱).

فسوره التوبه متمیزه من بین السور الاـخری فی ملاـحقه فلول اقسام المنافقین و الـذین فی قلوبهم مرض،إلی درجه نزول الأمر بجهاد المنافقین علی حدّ جهاد الکفر سواء،و من ذلک یظهر ملاحقه القرآن الذین فی قلوبهم مرض،و هم ممّن احترف النفاق و مرد علیه،من أوائل البعثه حتی أواخر نزول القرآن فی المدینه.و قد تقدمت روایه البخاری فی صحیحه فی الباب الواحد و العشرین من کتاب الفتن،عن حذیفه بن الیمان، قال:«ان المنافقین الیوم شر منهم علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کانوا یومئذ یسرّون و الیوم یجهرون!» (۲)فعلی من ینطبق ما یصفه حذیفه؟و لما ذا کان علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم متسترین و بعده خرجوا من تستّرهم و اصبحوا هم الظاهرین و صار الجوّ العام علی مشرعتهم؟!.

و لذلک سمیت سوره التوبه«بالفاضحه»کما عن سعید بن جبیر،قال:«قلت لابن عباس:سوره التوبه؟فقال:التوبه؟بل هی الفاضحه،ما زالت تنزل«و منهم...»حتی ظننّا أن لاـ یبقی منّا أحد إلاّـ ذکر فیها». (۳)و سمیت بذلک لأنّها فضحت المنافقین باظهار نفاقهم (۴)،و منهم أهل العقبه الذین همّوا بما لم ینالوا و قالوا کلمه الکفر،و عرفهم حذیفه و عمار فی الواقعه المعروفه فی کتب السیر و التفاسیر.و تسمی«بالمبعثره»،فعن ابن عباس،لانّها تبعثر عن أسرار المنافقین،أی تبحث عنها. (۵)و تسمی«البحوث»،فعن أبی أیوب الانصاری انّه سمّاها بذلک،لانّها تتضمن ذکر المنافقین و البحث عن سرائرهم. (۶)و تسمی«بالحافره»،فعن الحسن،لأنّها حفرت عن قلوب المنافقین ما کانوا

۱- ۱) .الاحزاب ۶۰/-۶۲.

۲- ۲) .صحیح البخاری ۱۰۴/۹ ح ۵۷.

۳- ۳) .در المنثور ۱۲۰/۴.

۴- ۴) .مجمع البیان ۵/۵.

۵- ۵) .مجمع البیان ۵/۵.

۶- ۶) .مجمع البیان ۶/۵.

یسترونه. (۱)

و من الواضح إنه لم تکن هذه الفئه و غیرها من المنافقین من قبیل عبد اللّه بن أبی سلول و جماعته ممّن کان ظاهر النفاق و الشقاق و شاهر بهما و انّما فضحت سوره التوبه المتسترین الذین کانوا فی شده خفاء و لا ریب أنّهم کانوا ذوی خطب و وقع فی مجریات الأمور و یرون أنّ حجر العثره الأساس أمام مخططاتهم هو وجود الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و لذلک شدّد علی أهمیه ملاحقتهم،و تسمی«المثیره»؛لأنها أثارت مخازیهم و مقابحهم. (۲)

فلها عشره اسماء کما ذکر المفسرون. (۳)

و مع کل ما تضمنته سوره التوبه و ما کان سبب النزول الرئیسی لها و مع ما تبین من دلالله(الأوّلین السابقین و الاتّباع بالإحسان)بتحدیدها لدائره خاصه جدا،کیف یتجرأ علی نسبه التعمیم فی مفاد الآیه المتقدمه؟!

و من ما ذکرنا یظهر الحال فی مفاد الآیه الخامسه من تعداد الآیات التی یستدل بها و هی قوله تعالی فی سوره التوبه لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَی النَّبِیِّ وَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَهِ الْعُسْرَهِ مِنْ بَعْدِ ما کادَ یَزِیغُ قُلُوبُ فَرِیقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۴)فإن المهاجر-کما تقدم-لا یطلق علی کل مکی أسلم و انتقل الی المدینه و کان فی رکاب النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم کما دلّت علی ذلک سوره التوبه بتقسیمها من کان مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی فئات عدیده صالحه و طالحه و کذا الحال فی عنوان الأنصاری،فهو لیس کل مدنی أسلم و کان فی رکاب النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،مع أنّ الآیه المذکوره فی تفسیرها الوارد عن أهل البیت علیهم السّلام دالّه علی تکفیر من ذنب و خطیئه صدرت منهم و أنّ التوبه علی اللّه تعالی بلحاظ ذلک. (۵)

۱- ۱) .مجمع البیان ۶/۵.

۲- ۲) .مجمع البیان ۶/۵.

۳- ۳) .انظر:مجمع البیان ۵/۵-۶.

۴- ۴) .التوبه۱۱۷/.

۵- ۵) .مجمع البیان ۱۲۶/۵-۱۲۷.

***و أمّا الآیه الثانیه:**

اشاره

فهی قوله تعالی لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ یَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ* وَ الَّذِینَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِیمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَیْهِمْ وَ لا یَجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حاجَهً مِمّا أُوتُوا وَ یُؤْثِرُونَ عَلی أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ*وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱)

و روی السیوطی و غیره عن جمع انهم یحتجّون بهذه الآیات علی عدم جواز تناول الصحابه بقصّ ما وقع منهم،و أنّ من یتناولهم بسوء ما صدر من أفعال بعضهم ففی قلبه غلّ،و أنّ من یقتصّ ما جری بینهم لا یدخل فی مدلول وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِینَ آمَنُوا . (۲)

و لأجل تحصیل المفاد الصحیح للآیات ینبغی ذکر الآیتین اللاحقتین أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ نافَقُوا یَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَکُمْ وَ لا نُطِیعُ فِیکُمْ أَحَداً أَبَداً،وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّکُمْ وَ اللّهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ* لَئِنْ أُخْرِجُوا لا یَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا یَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَیُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا یُنْصَرُونَ (۳)فتری أنّ سوره الحشر کسوره التوبه المتقدمه لا تقتصر فی تقسیم من کان مع النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی الفئه الصالحه فسب،بل تنبّه علی ذکر الجماعه الطالحه و هم المنافقون و هو إبطال لدعوی

۱- ۱) .الحشر۸/-۱۰.

۲- ۲) .الدر المنثور ۱۰۵/۸-۱۰۶ و ۱۱۳-۱۱۴،تفسیر الطبری ۴۳/۱۲ ح ۳۳۸۸۸،تفسیر فخر رازی ۲۸۹/۲۹،تفسیر البغوی ۲۹۲/۴

۳- ۳) .الحشر ۱۱/-۱۲.

التعميم فی کل من صحب و لقی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کما أن السوره فی الآیات المذکوره تحدّد و تفسر«المهاجر»بأنّه من توافر علی قیود أربعه و هی:

الأوّل:الذی اخرج من دیاره و أمواله.

الثانی:کون خروجه ابتغاء فضل اللّه و رضوانه،کما قدمناه مرارا من أن الهجره فی الاستعمال القرآنی هی فی المعنی الخاص من الفعل العبادی فی سبیل اللّه،لا قصد الحطام الدنیوی.

الثالث:نصره اللّه و رسوله و قدمنا أنّ کتب السیر ملاء بمن کان یجبن فی الحروب و منازله الأبطال فی ساعه العسره و الشدائد ممن یقال عنهم إنهم من الخاصه الذین صحبوا النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

الرابع:الصدق و هو-کما تقدمت الإشاره المختصره إلیه-قد شرح فی آیات عدیده،کقوله تعالی

مِنَ الْمُؤْمِنِینَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَیْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلًا لِیَجْزِیَ اللّهُ الصّادِقِینَ بِصِدْقِهِمْ وَ یُعَذِّبَ الْمُنافِقِینَ إِنْ شاءَ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً (۱).

فالاستقامه حتی آخر العمر و عدم التبدیل من مقدّمات الصدق،و لذلک اشتهر بین الصحابه فی طعنهم علی بعضهم بأنه بدّل و أحدث،کما درج هذا الاستعمال بکثره عندهم فی فتنه قتل عثمان و بقیه الفتن التی دارت بینهم،فدلّت الآیه علی اشتراط و الوفاء بالعهد و عدم التبدیل فی وصف المؤمنین بالصدق.

و کقوله تعالی فی سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

وَ یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْکَمَهٌ وَ ذُکِرَ فِیهَا الْقِتالُ رَأَیْتَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ نَظَرَ الْمَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلی لَهُمْ

۱- ۱) .الاحزاب۲۳/ و ۲۴.

* طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ* أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ* أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها* إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى*الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ* وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (۱).

فنرى فى سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّها تشترط فى عنوان الصدق الثبات عند الزحف و عدم الفرار و الجبن بينما المنافق الخفى جبان فى الحروب و النزال كانّه يغشى عليه من الموت لشدّه خوفه و جبنه،فإذا قاد جيشا ليفتح حصنا عاد يجبّن الناس و الناس يجبّنونه، بخلاف الصادق،فإنّه كرار غير فرار،يفتح اللّه على يديه،و المنافق الخفى المحترف للنفاق يحزن من هو الكفار و القتال،و يقول مثلا يا رسول اللّه أنّها قريش و خيلاؤها ما هزمت قطّ.فليس ذلك علامه الصدق فى ما يدّعيه من الإيمان فهذا الصحابى الّذى أشارت إلى فئته سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم هو المنافق المحترف و صفتهم عكس ما اشير إليه فى سوره الفتح بقوله تعالى: أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ (۲)و أنّ صحابى هذه الفئه عظّ فظّ مع المؤمنين فى السلم،هجين ذعر جبان فى الحرب مع الكفار.

ثمّ إنّ السوره تلاحق وجود فئه محترفه للنفاق و هى اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (۳)و هى الفئه التى أشارت إليها سوره المدثر المكيه (۴)رابع سوره أنزلت فى بدايه البعثه،و

۱- ۱) .محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم ۲۰/-۳۰.

۲- ۲) .الفتح ۲۹/.

۳- ۳) .محمّد ۲۰/ و ۲۹.

۴- ۴) .المدّثّر ۳۱/.

كشفت عن وجودها فی صفوف المسلمين الأوائل،و هذه السوره تنبئ عن غرض هذه الفئه من إسلامها منذ البدء،إنّه تولّی الامور،و عرّضت بتولّيهم للامور و مقدرات الحكم و إفسادهم فی الأرض،و سيرتهم علی غير سيره النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلم و سننه و تقطيعهم للرحم التی امروا بوصلها،و ان إسلامهم فی بدء الدعوه-كما فی سوره المدثر-هو لذلك الغرض،لما اشتهر من الأنباء من الكهنه و اليهود عن ظفر النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلم بالعرب و البلدان كما تشير إليه الآيه عن اليهود قبل الاسلام وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (۱).

كما أن سوره محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلم تكشف عن وجود ارتباط بين هذه الفئه اَلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ و بين الكفار الذين كرهوا ما نزّل اللّه و إنّهم يعدونهم بطاعتهم فی بعض الأمر و الشئون الخطيره،و يحسبون أنّ اللّه ليس بكاشفهم،فالسوره تكشف عن فئه منافقه أخفت نفاقها فغدت محترفه فی الاختفاء لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ (۲)،فی مقابل الفئه المؤمنه أهل الصدق،كما تكشف عن فئه مرتدّه فی الباطن عن الاسلام.

و الحاصل أن سوره محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلم عند ما تشير إلی شرائط عنوان الصدق،فإنّها أيضا تشير إلی تقسيم من كان مع النبی صلّی اللّه عليه و آله و سلم ممّن صحبه،لا التسويه بينهم و جعلهم فی كفّه واحده،فهل إنّ من يقسّم الصحابه إلی فئات-كما قسّم القرآن الكريم-يؤمن بالكتاب كلّه أم من يبعض الإيمان فهو يؤمن ببعض آيات السوره دون بعضها الآخر،مع إنّه لم يصب ذلك البعض أيضا؟!و كذا يشير إلی معنی الصدق قوله تعالی فی سوره الاحزاب:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً* إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا* هُنالِكَ

۱- ۱) .البقره۸۹/.

۲- ۲) .محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلم۳۰/.

اُبْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً- شَدِيداً* وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ- غُرُوراً* وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاّ فِراراً* وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاّ يَسِيراً* وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْؤُلاً-* قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً* قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا- يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا- نَصِيراً، قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً* أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ*أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً* يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ،وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلاّ قَلِيلاً* لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً* وَ لَمّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلاّ إِيماناً وَ تَسْلِيماً* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً* لِيَجْزِيَ اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱).

و نقلنا الآيات بطولها من سوره الاحزاب ليلمس الجوّ الذى تصوّره الآيات لنا فى واقعه الخندق،كما أنّ هذه السوره أيضا تبيّن أنّ من شرائط الصدق:الثبات عند الزحف و

۱- ۱) .الاحزاب۹/-۲۴.

الشجاعه فی الحروب و عدم الفرار؛إلاّ أنّ المنافقین و الذین فی قلوبهم مرض إذا ذهب الخوف سلقوا المؤمنین بألسنه حداد،فالحده لیست فی شجاعتهم و بطولتهم فی النزال و الشدائد،بل فی لسانهم فی وقت السلم یبتذلون الفضاضه و الغضاضه حتی مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و یتقدمون بما یرتئونه علی اللّه و رسوله: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ* یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ... (۱)

فمن الغریب بعد ذلک أن یرووا فی فضائل بعض الصحابه اعتراضه علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی أربع موارد لفّقوها و أنّ القرآن نزل بخلاف النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و وفاقا لرأی ذلک البعض و فی بعض الروایات إنّه أمسک بثوب النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و جذبه و کأنّهم لم یقرءوا سوره الحجرات و لم یقرءوا قوله تعالی: قُلْ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ (۲).و لم یقرءوا قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوی لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ* إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ* وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّی تَخْرُجَ إِلَیْهِمْ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ* یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ* وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِیکُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ یُطِیعُکُمْ فِی کَثِیرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لکِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَیْکُمُ الْإِیمانَ وَ زَیَّنَهُ فِی قُلُوبِکُمْ وَ کَرَّهَ إِلَیْکُمُ الْکُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْیانَ أُولئِکَ هُمُ الرّاشِدُونَ (۳).

فالقرآن یجعل هذه الهاله المقدّسه لشخصیه النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم و یجعل أحکاما عدیده لکیفیه الارتباط بالرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم من التوقیر له،و خفض الصوت،و عدم التقدّم علی أمره و حکمه،و عدم مخالفته و عصیانه بالتسلیم له،و انّ ذلک هو الإیمان،و هو امتحان القلب

۱- ۱) .الحجرات۱/-۲.

۲- ۲) .سوره ص۸۶/.

۳- ۳) .الحجرات۳/-۷.

بالتقوی...فکیف یکون ما یذکرونه من مجابهه ذلک الصحابی لنبیّ اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم منقبه و فضیله؟!و کیف یعتقد بتکلّف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم خلاف ما شرّع و حدّد له من اللّه تعالی، و یجعلون ذلک الصحابی یستنکر فعل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و یردعه عنه-و العیاذ باللّه تعالی-ثمّ ینزل القرآن بتقریر رأی الصحابی علی قول نبیّ اللّه تعالی،الذی قال اللّه فیه: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی* إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْیٌ یُوحی (۱)؟!نعوذ و نستجیر باللّه من هذه الأقاویل!أ لیس هذا تبجیلا- للصحابی و غلوّا فیه إلی حدّ جعلوه فوق مقام النبوّه و الرساله،و ردّا علی قول اللّه تعالی فی شأن رسوله فی سوره الحجرات و غیرها من السور؟!

و ممّا یستغرب منه أنّ العدید من السور تجعل هذه الصفه-و هی عدم الإقدام فی الحروب و الشدائد،و الإقدام بحدّه اللسان و الفظاظه فی السلم مع المؤمنین أو مع الرسول-من علامات المنافقین،أو الذین فی قلوبهم مرض-کما فی سوره الفتح و سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و سوره الحجرات و سوره الأحزاب و غیرها-فکیف تصاغ هذه الصفه کفضیله من الفضائل،و تسمّی بالشدّه و الغیره فی ذات اللّه و کراهه الباطل؟!!

و نعود ثانیه إلی سوره الأحزاب،فنقول:إنّها تشترط فی الصدق،الصدق عند النزال فی الحروب و الشدائد،و الرحمه و لین العریکه مع المؤمنین،بل الآیه تنفی الإیمان و تحبط عمل من اتّصف بالجبن فی الحروب-کحرب الأحزاب(الخندق)-و بحدّه اللسان فی السلم مع المؤمنین،کما إنّ هذه السوره تقسّم من صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی فئات صالحه و طالحه،و تنفی صلاح المجموع،بل تمیّزهم إلی فئه مؤمنه ثابته فی الزلازل،و فئه المنافقین،و الّذین فی قلوبهم مرض-و هم أکثر احترافا للنفاق من الفئه الأولی، و أشدّ خطرا،کما تبیّن فی سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و سوره المدّثّر-و فئه المعوّقین.

کما تدعو السوره إلی التأسّی بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الاقتداء به و متابعته،لا الردّ و الاعتراض

۱- ۱) .سوره النجم۳/ و ۴.

علیه کما هو دأب المنافقین و دأب الفئه الثانیه اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ (۱)و دأب بعض القالین،یجعل ذلک منقبه لبعض الصحابه قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِینِکُمْ وَ اللّهُ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۲)،فأین هی السوره القرآنیه التی لا تقسّم من صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و لا تمیزهم إلی فئات عدیده مختلفه؟!و کذا یشیر إلی معنی «الصدق»قوله تعالی فی سوره الحجرات:

قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ وَ إِنْ تُطِیعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ لا یَلِتْکُمْ مِنْ أَعْمالِکُمْ شَیْئاً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِینَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ یَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ* قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِینِکُمْ وَ اللّهُ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ* یَمُنُّونَ عَلَیْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَیَّ إِسْلامَکُمْ بَلِ اللّهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَداکُمْ لِلْإِیمانِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ* إِنَّ اللّهَ یَعْلَمُ غَیْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللّهُ بَصِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۳).

فهذه السوره بآیاتها هذه هی أیضا تشترط فی معنی الصدق:الإیمان،مع الاستقامه علیه بعدم الارتیاب،و المجاهده فی سبیل اللّه؛مع أنّه قد روی أکثر المفسّرین و المؤرّخین أنّ بعض من یعدّ و یحسب من خاصه الصحابه قد ارتاب فی نبوّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و حقّانیه الدین فی صلح الحدیبیه و اعتراضه علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم!

و بعد ما تحصّل لدینا معنی الصدق و الصادقین من العدید من السور،یتبیّن بوضوح لا ریب فیه أنّ المقصود من قوله تعالی فی الآیه الأولی من الآیات الثلاث المتقدّمه من سوره الحشر،و هی: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلًا

۱- ۱) .المائده۵۲/،الأنفال۴۹/،التوبه۱۲۵/،الأحزاب۱۲/ و ۶۰،محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم۲۰/ و ۲۹،المدّثّر۳۱/.

۲- ۲) .سوره الحجرات ۴۹:۱۶.

۳- ۳) .سوره الحجرات ۴۹:۱۴-۱۸.

مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً وَ يَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ (۱)ليس هو كلّ مكّىّ أسلم و انتقل إلى المدينه و صحب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بل خصوص من توافرت فيه القيود العديده المذكوره فى الآيه،و التى منها الصدق،و الذى بيّنت السور العديده الأخرى عدم توافره فى جميع الصحابه،بل توافر فى فئه منهم دون غيرها من الفئات،و أنّهم ضرب من الجماعات، و كيف يحتمل وصف الآيه كلّ مكّىّ و نحوه أسلم و انتقل إلى المدينه أنّه صادق،و قد صدر من العديد منهم مخالفات،كالفرار من الزحف الذى هو من الكبائر؟!

هذا،و قد فرّ كلّ الصحابه يوم حنين إلاّ ثلّه من بنى هاشم كما فى قوله تعالى:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِى مَواطِنَ كَثِيرَهٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذلِکَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (۲)

و وقعه حنين كانت بعد عام الفتح!و كذا ما أتاه الصحابه فى صلح الحديبيه،و فى مقدّمتهم بعضهم من الاعتراض على صلح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم (۳)كما سيأتى تفصيله!و كذا ما أتاه عدّه من الصحابه من التخلّف عن جيش أسامه،الذى جهّزه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لقتال الروم، و قد لعن صلّى اللّه عليه و آله و سلم من تخلّف عن جيش أسامه و قال:«نفّذوا جيش أسامه»! (۴).و قد اقتتل الأوس و الخزرج بالأيدى و النعال و العصىّ (۵)فنزلت الآيه: وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ (۶)!

۱- ۱) .الحشر۸/.

۲- ۲) .التوبه۲۵/-۲۶.

۳- ۳) .انظر:تاريخ الطبرى ۱۲۲/۲ حوادث سنه ۶ ه،البدايه و النهايه ۱۳۶/۴ حوادث سنه ۶ ه

۴- ۴) .انظر:الملل و النحل-للشهرستانى-۱۲/۱،شرح نهج البلاغه ۵۲/۶،شرح المواقف ۳۷۶/۸.

۵- ۵) .انظر:تفسير الدرّ المنثور ۵۶۰/۷.

۶- ۶) .الحجرات۹/.

أ لم يمنع بعض الصحابه من كتابه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم كتابا-فى مرضه الأخير-لا- يضلّ المسلمون بعده ما إن تمسّكوا به،و قوله ذلك الصحابى:إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم غلبه الوجع-أو:

المرض-أو:إنّ الرجل ليهجر؟! (۱)و قد قال تعالى:

ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى* وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى (۲).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (۳)

وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۴).

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (۵).

وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا (۶)!

و كم من واقعه قد أبرم و قطع فيها غير واحد من العشره المبشّره قبل أن يحكم اللّه و رسوله فيها؟!بل تقدّموا فى أشياء قد تقدّم اللّه و رسوله فيها بحكم خلافا و ردّا لذلك الحكم،كما فى الأمثله المتقدّمه و غيرها!

ثمّ إنّه بقرينه الآيه الثالثه من آيات سوره الحشر المزبوره،و هى: وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ (۷)يتبيّن أنّ المراد من «الفقراء المهاجرين»هم«السابقون»و قد تقدّم فى سوره التوبه المراد من«السابقين»

۱- ۱) .انظر:صحيح البخارى ۲۱۱/۴ ح ۱۰ و ج ۲۹/۶ ح ۴۲۲،صحيح مسلم ۷۵/۵-۷۶،مسند أحمد ۳۲۵/۱،الكامل فى التاريخ ۱۸۵/۲ حوادث سنه ۱۱ ه

۲- ۲) .النجم۲/-۴.

۳- ۳) .الحجرات۱/ و ۲.

۴- ۴) .الحشر۷/.

۵- ۵) .الأحزاب۲۱/.

۶- ۶) .المائده۹۲/.

۷- ۷) .الحشر۱۰/.

فلا تغفل،و يعضد ذلك أيضا التوصيف ب«الصدق»كما تقدّم.

أمّا الآيه الثانيه من الآيات الثلاث من هذه السوره: وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱)،فقد قيّدت الآيه المديح بعدّه قيود،فلم تكتف بتبوّؤ الدار،بل قيّدته بالإيمان،و المحبّه لمن هاجر إليهم، و الإيثار على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه،و عدم الشحّ.

و من البيّن ضيق الدائره بلحاظ هذه القيود؛لأنّه يخرج المتبوّئ للدار المنافق،أو من انضمّ إلى فئه الّذين فى قلوبهم مرض،أو من كان من أهل المدينه من الّذين مردوا على النفاق-كما فى سوره التوبه- لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ (۲)،أو غيرها من النماذج التى استعرضتها سور التوبه و الأحزاب و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و البقره و الأنفال و المائده،و غيرها من السور المتعرّضه للفئات الطالحه التى صحبت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم من ألوان المنافقين المختلفه.فلا الآيه الثانيه هذه من سوره الحشر مطلقه لكلّ مدنيّ أسلم،و لا الآيات الأخرى الناصّه على أنّ بعض الفئات الطالحه السيّئه هى من أهل المدينه تبقى الإطلاق المتوهّم.

هذا،مع أنّه قد ورد فى كتب أصحابنا عن أهل البيت عليهم السّلام أنّ ذيل الآيه وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قد نزلت فى علىّ و فاطمه عليهما السّلام،بل رووا ذلك أيضا عن رواه العامّه عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم (۳)،نعم،فى بعض الروايات أنّ سيّد هذه الآيه و أميرها علىّ عليه السّلام،ممّا يدلّ على عموم المعنى،و لا غرابه فى ذلك بعد كون الآيات مختلفه نزولا،فلعلّ صدرها فى مورد و ذيلها فى آخر،و كم له من

۱- ۱) .الحشر۹/.

۲- ۲) .التوبه۱۰۱/.

۳- ۳) .الأمالى-للطوسى-۱۸۵ ح ۳۰۹ المجلس ۷،مجمع البيان ۳۸۶/۹،تفسير الصافى ۱۵۷/۵،و انظر:شواهد التنزيل ۲۴۶/۲-۲۴۷ ح ۹۷۰ و ۹۷۱.

نظیر فی الآیات،و علی کلّ حال،فالآیه تقیّد بعدّه قیود،فلا مسرح لتوهّم الإطلاق.

الموالاه و البراءه

و أمّا قوله تعالی:

وَ الَّذِینَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ یَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِینَ سَبَقُونا بِالْإِیمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِینَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱)

فالآیه تقیّد الاستغفار لمن سبق بالإیمان،لا لمن سبق بظاهر الإسلام،و تنفی الغلّ عن الّذین آمنوا.أمّا قوله تعالی:

ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ* وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِیّاهُ فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوّاهٌ حَلِیمٌ (۲)،فقد علّل النهی عن الاستغفار لمن یکون من أصحاب الجحیم عدوّا للّه العزیز.

و قد بیّنت سور القرآن العدیده المتقدّمه أنّ العدید ممّن صحب النبیّ الصادق الأمین صلّی اللّه علیه و آله و سلم و لقیه کان من فئات المنافقین،أو الّذین فی قلوبهم مرض،أو الماردین علی النفاق، أو الّذین یلمزون المؤمنین،أو الّذین یؤذون النبیّ،أو المعوّقین عن القتال،أو المتخلّفین، أو غیرهم من النماذج السیّئه،و توعّدهم اللّه تعالی بالعذاب و اللعن،و أنّ الکافرین سواء فی العاقبه.

فمع کون الاستغفار من المؤمنین محرّم لهذه الفئات التی صحبت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فکیف یتوهّم شمول الاستغفار و الحبّ لکلّ مکّی و نحوه أسلم فی الظاهر و انتقل إلی المدینه و لکلّ مدنیّ أسلم فی الظاهر؟!و قد عرفت أنّ سوره المدّثّر- رابع سوره نزلت-و سورتی العنکبوت و النحل المکّیات،قد تتبعت وجود فئه محترفه للنفاق منذ أوائل البعثه،

۱- ۱) .الحشر ۱۰/.

۲- ۲) .التوبه۱۱۳/ و ۱۱۴.

و أطلقت عليها عنوان: اَلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ،و لاحق القرآن الكريم خطواتهم فی العديد من السور تحت هذا العنوان و بيّن أهدافهم من إظهار الإسلام و الالتحاق بركب النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم.

و قد ورد النهی فی العديد من الآيات عن موادّه من حادّ اللّه و رسوله،قال تعالی:

لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱).

و قد وصف القرآن العديد من الفئات التی كانت تصحب النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم بالمحادّه للّه و لرسوله،قال تعالی:

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ... أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوی ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنْهُ وَ يَتَناجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ مَعْصِيَهِ الرَّسُولِ... أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَی الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ* اِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ فَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ* لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ* يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلی شَیْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ* اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ* إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ فِی الْأَذَلِّينَ (۲).

فترى أنّ القرآن ما يفتأ يلاحق النماذج العديده من ألوان الّذين فی قلوبهم مرض

۱- ۱) .المجادله۲۲/.

۲- ۲) .المجادله۵/ و ۸ و ۱۴-۲۰.

و المنافقين و أنشطتهم المضادّه لمحور المسيره الإلهيه و هو المسير النبوى.

و فى سوره التوبه المتقدّمه،المستعرضه لنماذج منهم-بعد قوله تعالى: وَ مِنْهُمُ...

وَ مِنْهُمُ... -: وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَهٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ* يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ* أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (۱)و منهم من آذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى ابنته فاطمه عليها السّلام (۲).

فمع هذا كلّه كيف لا يتحرّج المؤمن المتديّن فى محبّه كلّ مكّىّ أسلم و انتقل إلى المدينه،و كلّ مدنىّ أسلم؟!و قد تقدّم حديث حذيفه الذى رواه مسلم فى كتاب المنافقين أنّ أصحاب مؤامره العقبه-بعد غزوه تبوك-اثنا عشر هم حرب للّه و لرسوله فى الحياه الدنيا و يوم يقوم الأشهاد.

أ ليس من حادّ اللّه و رسوله،و جعل نفسه ندّا لهما،منافق ذو شقاق للّه و رسوله، فكيف يتّخذونه وليّا و محبوبا و قد قال تعالى:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ* وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ (۳)؟!

فمع كلّ هذا النكير و التحذير القرآنى من اتّباع و موادّه من حادّ اللّه تعالى و رسوله، من النماذج الطالحه التى كانت تعايش النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى المدينه،أو فى ركبه فى القتال،كما

۱- ۱) .التوبه۶۱/-۶۳.

۲- ۲) .انظر:مسند أحمد ۴/۱ و ۶.

۳- ۳) .البقره۱۶۵/-۱۶۷.

تذكر ذلك سوره التوبه و غيرها،و بعضهم-كما عرفت من سوره المدّثّر-قد التحقوا بالإسلام ظاهريا منذ أوائل البعثه النبويه،فكيف يستحلّ القائل بالتعميم الموالاه للجميع؟!

***و أمّا الآيه الثالثه:**

فهى قوله تعالى:

لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَهِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَهَ عَلَيْهِمْ وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (۱)

و قوله تعالى فى السوره نفسها:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراهِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِيماً (۲).

و لأجل تحصيل مفاد هذه الآيات بدقّه لا بدّ من الالتفات إلى الأمور التاليه:

*الأمر الأوّل: إنّه تمّ فى صدر السوره الكريمه تقسيم من كان مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى مؤمن و منافق،قال تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَهَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ وَ لِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً* لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ كانَ ذلِكَ عِنْدَ اللّهِ فَوْزاً عَظِيماً* وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ الظّانِّينَ بِاللّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَهُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ

۱- ۱) .الفتح۱۸/.

۲- ۲) .الفتح۲۹/.

مَصِیراً (۱).

فهذه السوره شأنها شأن بقیه السور القرآنیه تقسّم و تمیّز من کان مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی صالح و طالح،و لا تجعلهم فئه واحده،کما إنّها تبیّن أنّ السکینه تنزل علی المؤمنین دون المنافقین ممّن صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و من ثمّ یتبیّن أنّ الرضا و السکینه فی الآیه ۱۸ منها خاصّه بالمؤمنین الّذین بایعوا تحت الشجره لا غیرهم،أی لیس کلّ من بایع فهو مؤمن و قد رضی اللّه عنه،فالرضا کفعل أسند و تعلّق بالمؤمنین الّذین وضعوا فی صدر السوره فی قبال المنافقین،فهؤلاء الّذین تمیّزوا عن أولئک رضی اللّه عنهم حال مبایعتهم للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

و ستأتی شواهد أخری علی تخصیص الرضا بهم لا بکلّ من بایع،إذ لیس لفظ الآیه هکذا:«لقد رضی اللّه عن الّذین یبایعونک تحت الشجره فعلم ما فی قلوبهم فأنزل السکینه علیهم»،أی لیس الرضا لمطلق الّذین بایعوا بل مقیّد،و قد خصّص اللّه تعالی ذلک أیضا فی قوله:

فَأَنْزَلَ اللّهُ سَکِینَتَهُ عَلی رَسُولِهِ وَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ وَ أَلْزَمَهُمْ کَلِمَهَ التَّقْوی وَ کانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها وَ کانَ اللّهُ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً (۲).

بینما لم تعمّ السکینه من کان مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی الغار کما فی قوله تعالی:

إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِینَ کَفَرُوا ثانِیَ اثْنَیْنِ إِذْ هُما فِی الْغارِ إِذْ یَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللّهُ سَکِینَتَهُ عَلَیْهِ وَ أَیَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ کَلِمَهَ الَّذِینَ کَفَرُوا السُّفْلی وَ کَلِمَهُ اللّهِ هِیَ الْعُلْیا وَ اللّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۳).

*الأمر الثانی: إنّ قوله تعالی فی سوره الفتح:

إِنَّ الَّذِینَ یُبایِعُونَکَ إِنَّما یُبایِعُونَ اللّهَ یَدُ اللّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی

۱- ۱) .الفتح۴/-۶.

۲- ۲) .الفتح۲۶/.

۳- ۳) .التوبه۴۰/.

نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَیْهُ اللّهَ فَسَیُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (۱)

تری فیه أنّ الحکم لم یخصّص بإسناد المبایعه إلی خصوص المؤمنین،بل إلی عموم الّذین بایعوا،أی الّذین کانوا معه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و حینئذ اشترط علیهم الوفاء بالبیعه و عدم النکث،و فی الآیه إشعار بوجود کلا الفئتین،و من ثمّ عرف بین الصحابه اصطلاح«بدّل» و«نکث»فی الطعن الذی یوجّهونه علی بعض منهم.

و منه یظهر أنّ الرضا-حتّی الذی أسند إلی المؤمنین منهم خاصه-مشروط بالوفاء بما عاهدوا اللّه علیه،و أنّ الرضا هو لأجل تسلیمهم و مبایعتهم لا مطلقا،و إِذْ من قبیل التعلیل.

*الأمر الثالث: و هو متّفق مع سابقیه،و هو أنّ قوله تعالی فی آخر السوره:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ... وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَهً وَ أَجْراً عَظِیماً (۲)

یصف الّذین معه بالشدّه علی الکفّار و الرحمه فیما بینهم،و قد انبأتنا سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و سوره الأحزاب و سوره التوبه و غیرها من السور-کما تقدّمت الإشاره إلی بعضها-إلی وجود فئات من المنافقین و الّذین فی قلوبهم مرض مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إذا جاء الخوف تدور أعینهم کالمغشیّ علیه من الموت،فإذا ذهب الخوف سلقوا المؤمنین بألسنه حداد،و إذا جاءت الأحزاب یودّون لو أنّهم بادون فی الأعراب،یقولون بیوتنا عوره،و إن تولّی أحدهم الأمور العامّه أفسد فی الأرض و قطّع الأرحام (۳)،و أغلظ و کان فظّا مع المؤمنین و المسلمین.

و بهذا یتبیّن أنّ هذه الآیه فی سوره الفتح تشیر إلی مدیح فئه خاصّه،و معنی خاصّ من«المعیه»بمعنی النصره الصادقه،و یدلّ علی ذلک أیضا تقیید الآیه الوعد الإلهی

۱- ۱) .الفتح ۱۰/.

۲- ۲) .الفتح ۲۹/.

۳- ۳) .لاحظ سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۴۷:۲۰-۲۴،و ما ذکرناه سابقا.

بالمغفره و الأجر العظيم بخصوص المؤمنين العاملين للصالحات،أى أنّ الآيه جاءت بلفظ مِنْهُمْ الدالّ على التبعيض و عدم العموم.و هذا ما نطقت به السور جميعها،فهى تؤكّد على تبعيض المجموع الذى صحب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-سواء فى القتال،أو فى السلم حضرا أو سفرا-إلى صالح و طالح،كما إنّ السوره تشترط لحصول المغفره و الأجر العظيم الإيمان و العمل الصالح،أى الوفاء بالشرط.

*الأمر الرابع: إنّ شأن وقوع بيعه الشجره و نزول آياتها-كما ذكر ذلك فى كتب الروايه و التفسير و السير-هو ما وقع فى صلح الحديبيه من عصيان أكثر من كان مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلم إيّاهم بالحلق و الإحلال من الإحرام بعد ما صدّوا عن الاعتمار إلى بيت اللّه الحرام،و صار الأمر إلى عقد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم الصلح مع قريش،و الذى كان فيه انتصار كبير لرسول اللّه و للمسلمين على قريش-كما وعد اللّه تعالى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم-إلاّ أنّ الّذين كانوا فى ركبه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مضافا إلى أنّهم لم يدركوا الحكمه من ذلك،لم يسلّموا لأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أيضا،و فى مقدّمتهم أحد الصحابه ممّن يحسب من الخاصه،فقد ذكرت كتب الصحاح و التواريخ شدّه اعتراضه و ردّه لأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حتّى إنّه ارتاب فى دينه،و قد قال تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ* قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱)

و قال:

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (۲).

و لذلك قدّمنا فى بيان آيات سوره الحشر أنّ اصطلاحات «لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ» ...و

۱- ۱) .الحجرات۱۵/ و ۱۶.

۲- ۲) .الأحزاب۳۶/.

«الصّادِقُونَ» لا تعمّ كلّ من صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فکان من الکثیر ممّن فی رکبه صلّی اللّه علیه و آله و سلم حاله عدم انصیاع و عدم استجابه و عدم ائتمار،حتّی دخل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم خیمته مغضبا فاستخبرته الحال أمّ سلمه،فأشارت علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بأن یبتدر و یحلق فسیضطرّون إلی متابعته،فلمّا رأی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم منهم مثل ذلک استوثق منهم بالبیعه تحت الشجره کی لا یصدر منهم نکول مرّه أخری،فالبیعه أخذت لإنشاء التعهّد و الوفاء و الالتزام بمقتضی الشهادتین التی أقرّوا بها.

و من ذلک کلّه یفهم أنّ«الرضا»فی الآیه کان بعد اعتراض کثیر من الصحابه -ممّن بایع بعد ذلک-علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و حصول حاله من عدم التسلیم و النکول بینهم، و ما یوجب السخط الإلهی علیهم،و مع ذلک فإنّ هذا«الرضا»خصّص بالمؤمنین لمّا بایعوا،و لم یسند إلی عموم الّذین بایعوا کما عرفت.و مع ذلک أیضا اشترط الوفاء بالبیعه و عدم النکث،أی الوفاء بالعهد الإلهی حتّی حلول الأجل،و مع کلّ ذلک،فقد دلّت السوره الکریمه علی مدیح بعض من صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بلفظه«منهم»فی آخر آیه منها.

*أمّا الآیتان الرابعه و الخامسه:

اشاره

فهی قوله تعالی:

وَ الَّذِینَ هاجَرُوا فِی اللّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الدُّنْیا حَسَنَهً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ* اَلَّذِینَ صَبَرُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (۱).

و قوله تعالی:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۲).

و قوله تعالی:

لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَی النَّبِیِّ وَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَهِ الْعُسْرَهِ

۱- ۱) .النحل ۴۱/ و ۴۲.

۲- ۲) .النحل ۱۱۰/.

مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱).

و لأجل إدراك معنى و مفاد الآيات الشريفه لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الآيه الثانيه المذكوره آنفا من سوره النحل قد سبقتها الآيات التاليه: مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ* ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَياهَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَهِ وَ أَنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ* أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ* لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَهِ هُمُ الْخاسِرُونَ* ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا... (۲).

ففى هذه الآيات المكّيه دلاله على ظهور النفاق قبل الهجره،و أنّ هناك من المسلمين من يكفر باللّه بلسانه بعد إسلامه مع انشراح صدره بذلك من دون إكراه،بل حبّا فى الحياه الدنيويه الوادعه،و أولئك مطبوع على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم،و هم فى غفله عن الحقّ و هم الخاسرون،و قيل:إنّها نزلت فى عبد اللّه بن أبى سرح (۳)،من بنى عامر بن لؤى،لكنّ ظاهر لفظ الجمع فى الآيات يعطى أنّها نزلت فى مجموعه و فئه تطمع فى الأغراض الدنيويه.

هذا،مضافا إلى ما تشير إليه سوره المدّثّر،المكّيه-رابع سوره نزلت-من وجود فئه الّذين فى قلوبهم مرض فى أوائل البعثه فى صفوف المسلمين،و تشير بقيه السور إلى ملاحقه هذه الفئه و أهدافها و ارتباطاتها بكلّ من الكفّار و أهل الكتاب،فمن البيّن أنّ «لِلَّذِينَ هاجَرُوا» فى هذه السوره لا يراد به كلّ مكّى أسلم فى الظاهر و انتقل إلى المدينه؛ كيف؟!و هى تقسّم المسلمين إلى فئه صالحه،و أخرى طالحه تنشرح بالكفر صدرا بعد الإيمان،حبّا فى الدنيا،مطبوع على قلوبها،و كذلك سوره المدّثّر السابقه لها نزولا.

بل إنّ فى الآيه الأولى المذكوره من هذه السوره تقييد الهجره بكونها فى اللّه،لا

۱- ۱) .التوبه۱۱۷/.

۲- ۲) .النحل۱۰۶/-۱۱۰.

۳- ۳) .انظر مثلا:تفسير القرطبى ۱۲۶/۱۰،تفسير الدرّ المنثور ۱۷۱/۵.

لأجل الأغراض و الطموحات الدنيويه و تقلّد المناصب أو بعض الأمور كما هو دأب فئه اَلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كما تشير إلى ذلك سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم،الآيات ۲۰-۲۴،بعد ما اطّلعوا على ظفر و نصر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم على العرب،اطّلعوا على ذلك من أهل الكتاب،فقد كانوا على صله بهم كما تشير إلى ذلك سوره المائده،الآيه ۵۲،إذ كان أهل الكتاب على علم بذلك كما قال تعالى عنهم:

وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (۱).

و قد سبق أن بيّنّا مفصّلا أنّ الهجره و المهاجر و النصره و الأنصار فى القرآن ليس بمعنى كلّ مكّى و نحوه أسلم فى الظاهر و انتقل إلى المدينه،كما أنّ اللفظه الثانيه ليست لكلّ مدنىّ أسلم فى الظاهر و إن شاع ذلك فى الأذهان غفله و خطأ،فراجع.

و قد تقدّم مفاد الآيه الخامسه المذكوره من سوره التوبه،عند الكلام عن السوره، فراجع؛و أنّها فى قراءه أهل البيت عليهم السّلام: لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ (۲)و أنّ هذه السوره لم تترك فئه أو لونا من ألوان المنافقين إلّا و كشفتهم، و من ثمّ سمّيت بعشره أسماء،منها:الكاشفه و الفاضحه للمنافقين و غير ذلك،بل ورد فيها أمر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بمجاهده المنافقين على حدّ مجاهده الكفّار سواء.

عدم إيمان بعض البدريّين

*أمّا الآيه السادسه:

اشاره

فهى قوله تعالى:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِيلِ اللّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ

۱- ۱) .البقره۸۹/.

۲- ۲) .التوبه۱۱۷/.

اَلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ* وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ (۱)

و يتّضح أنّ هذه السوره كبقيه السور القرآنيه فى تقسيم و تمييز من صحب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و كان فى ركبه،إلى صالح و طالح،و إلى فئات متنوّعه،و لكن ينبغى الالتفات إلى بقيه آيات السوره،قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَهً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ* وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ اللّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ* وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّاسِ وَ إِنِّى جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّى أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ* إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِينُهُمْ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۲).

كما إنّ فى الآيات ۴۱-۴۴ من سوره الأنفال-و التى سبقت هذه الآيات-نبأ عظيم و إفصاح خطير،هو أنّ من كان فى ركب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى غزوه بدر و أثناء القتال كانوا على ثلاث فئات:فئه مؤمنه ثابته،و فئه منافقه،و فئه الّذين فى قلوبهم مرض -و هى الفئه التى أشارت إلى وجودها سوره المدّثّر المكّيه،رابع سوره نزلت فى أوائل البعثه،فى صفوف المسلمين-و كان من الفئتين الأخيرتين-لمّا رأتا حشد مشركى قريش و بطرهم و خيلاءهم فى غزوه بدر-أن قالتا عن الفئه الأولى بأنّها مغروره بسبب دينهم و هو دين الإسلام،فلم ينسبوا أنفسهم إلى الدين الإسلامى،و إنّما جعلوا أنفسهم-بذلك- على دين المشركين!

و الإفصاح هذا فى هذه السوره عن معسكر جيش المسلمين الذى كان مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بأنّه منقسم إلى ثلاث فئات،يبطل كلّ الروايات التى يرويها العامّه حول قدسيه

۱- ۱) .الأنفال۷۴/-۷۵.

۲- ۲) .الأنفال۴۵/-۴۹.

البدريّين،و أنّ اللّه قد غفر لهم و إن عملوا ما عملوا-فضلا عن كون ذلك مناقض للآيات و السور العديده المشترطه للوفاء حتّى حلول الأجل و الثبات على الإيمان و العمل الصالح -كما أنّه يبطل مقوله إنّ كلّ بدريّ أو أحدى فهو مؤمن و ممدوح و مرضيّ حاله عند اللّه تعالى.

و فى الآيتين اللاحقتين المتّصلتين بالآيات التى أوردناها،يقول تبارك و تعالى:

وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَهُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ * ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ (۱)و هو تهديد و وعيد لهم بالعقوبه المبتدأ بها عند الموت.

و لأجل ذلك ترى أنّ الخطاب الإلهى فى هذه السوره مخصّص و موجّه إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الّذين آمنوا خاصه دون الفئتين الآخريتين،قال تعالى: وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ* وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* يا أَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* يا أَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ... (۲)فخصّ ألفه القلوب و المساعده على النصر و الخطاب بالجهاد بالمؤمنين دون الفئتين الأخريين، فكيف يتوهّم بأنّ قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا (۳)شامل للمنافقين و الّذين فى قلوبهم مرض ممّن كان فى ركب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى غزوه بدر؟!

و فى هذه السوره آيات أخرى،و هى قوله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ* وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

۱- ۱) .الأنفال ۵۰/ و ۵۱.

۲- ۲) .الأنفال ۶۲/-۶۵.

۳- ۳) .الأنفال ۷۴/.

مِنْكَمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ* وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱).

ففی تفسیر ابن کثیر عن السدّی:نزلت فی أهل بدر خاصه فأصابتهم یوم الجمل فاقتتلوا (۲).

و فی هذه الآیات إشاره واضحه إلی أنّ المسلمین البدریّین سیفتنون بفتنه تصیب الجمیع،و أنّهم سیمتحنون بها و فیهم الظالمون،و أنّ من یخون اللّه و رسوله و الأمانات المأخوذه علیه فإنّ اللّه شدید العقاب،و هذه الآیات الکریمه صریحه-کذلک- فی تقسیم و تمییز من صحب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی بدر و فی أوائل الهجره إلی المدینه،و أنّهم یفتنون، و یکون بعضهم ظالما،و یخون اللّه و رسوله و الأمانات المأخوذه علیه.

حال المسلمین فی أحد

قال تعالی فی سوره آل عمران:

وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَهَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَ اللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ* إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ* ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَهً نُعاساً يَغْشى طائِفَهً مِنْكُمْ وَ طائِفَهٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّهِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي

۱- ۱) .الأنفال۲۴/-۲۷.

۲- ۲) .تفسیر ابن کثیر ۲۸۶/۲.

أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ* إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱).

ما كانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ ما كانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۲).

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ (۳)

فهذه الآيات ترسم لنا و تقسّم من كان فى ركب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بأنّ بعضهم كان يريد الدنيا و بعضهم الآخر يريد الآخره،و أنّه وقع من كثير من المسلمين فرار بعد ما شاهدوا النصر باستزلال الشيطان لهم بسبب بعض الأعمال السيّئه السابقه،و أنّ طائفه منهم يظنّون باللّه ظنّ الجاهليه و يخفون ذلك فى قلوبهم،و أنّ من صحب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى القتال منهم الطيّب و منهم الخبيث،و أنّ وقعه أحد كانت للتمييز بينهما.

و هذا خلاف رأى من يدّعى التعميم و المساواه فى من صحب و لازم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،مع أنّ التمييز وقع فى من كان من المسلمين أحدىّ!و من ذلك يتبيّن أنّ التوصيف بكون الشخص بدريا أو أحديا إنّما يكون منقبه إذا كان من الفئه المؤمنه،لا ما إذا كان من الفئات الأخرى،فليس كلّ بدرى أو أحدى هو من الفئه المؤمنه الممدوحه،بل بعضهم من الفئات المذمومه فى سورتى الأنفال و آل عمران.

۱- ۱) .آل عمران۱۵۲/-۱۵۵.

۲- ۲) .آل عمران۱۷۹/.

۳- ۳) .آل عمران۱۴۴/.

ثمّ إنّ السوره تحذّر-أيضا-من وقوع انقلاب من المسلمين على الأعقاب برحيل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و فى كتب السير أنّ جماعه من المسلمين لمّا شاهدوا الهزيمه و ظنّوا أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد قتل،لاذوا بالفرار و صعدوا الجبل،و اجتمعوا حول صخره -عرفوا بعد ذلك بجماعه الصخره-و قالوا:إنّا على دين الآباء (۱)؛كى يكون ذلك شافعا لهم عند قريش،و فى ما سطر فى السير ما يلوح أنّهم ممّن يعدّون من أعيان القوم و وجوههم.

و المتأمّل للسور الحاكيه للغزوات-كما تقدّم فى سوره الأحزاب عن غزوه الخندق، و سوره التوبه عن غزوه تبوك و حنين و غيرهما-يجدها ناطقه بلسان التميز و التقسيم و التصنيف لمن صحب النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و شارك فى القتال،و أنّ هناك الفئه الصالحه الثابته المؤمنه،و هناك الطالحه و أصناف أهل النفاق و محترفيه الّذين فى قلوبهم مرض.

***أمّا الآيه السابعه:**

فهى قوله تعالى:

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّهً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (۲)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (۳).

وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً (۴).

و هذه الآيات-و ما هو من قبيلها-يستدلّ بها عندهم على حجّيه إجماع الأمّه،أو حجّيه إجماع الصحابه،بتقريب أنّهم أوّل المصاديق لهذا العنوان،و نحو ذلك،و للوصول إلى المعنى و مفاده فى حدود ظهور ألفاظ الآيات لا بدّ من الالتفات إلى النقاط التاليه:

۱- ۱) .انظر مثلا:السيره الحلبيه ۵۰۴/۲،السيره النبويه-لابن كثير-۴۴/۳.

۲- ۲) .البقره۱۴۳/.

۳- ۳) .آل عمران۱۱۰/.

۴- ۴) .النساء۱۱۵/.

الأولى: إنّ الآيه الثانيه المذكوره آنفا قد ورد عن أهل البيت عليهم السّلام أنّ أحد وجوه قراءتها أنّها بلفظ(أئمّه) (۱)-جمع إمام-لا(أمّه)؛و يعضد هذه القراءه النقاط اللاحقه.

الثانيه: إنّ لفظه(أمّه)هى من الألفاظ التى تستعمل فى الجماعه كما تستعمل فى المجموع،بل تستعمل فى الفرد،كقوله تعالى:

إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّهً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً (۲)

رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ (۳)

مِنْهُمْ أُمَّهٌ مُقْتَصِدَهٌ وَ کَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ (۴)

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّهٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۵)

وَ إِذْ قالَتْ أُمَّهٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ... (۶)

وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّهٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۷)

وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّهً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ (۸).

و الذى يظهر أنّ المعنى المستعمل فيه للّفظه هاهنا هو بمعنى الجماعه لا المجموع، و هو أنّ هذه الأمّه الوسط تكون شاهده على جميع الناس،و الرسول شاهد عليها.و من البيّن أنّ هذا المقام لا يتشرّف به مجموع الأمّه أو جميع أهل القبله من الموحّدين،فهل يجوز أن تقبل شهاده من لا تجوز شهادته فى الدنيا على صاع من تمر أو على صرّه من بقل،فيطلب اللّه شهادته يوم القيامه و يقبلها منه بحضره جميع الأمم الماضيه؟!!كما أشار

۱- ۱) .انظر:تفسير القمّى ۱۱۸/۱،تفسير العيّاشى ۲۱۹/۱ ح ۱۲۹،تفسير الصافى ۳۷۰/۱-۳۷۱ ح ۱۱۰.

۲- ۲) .النحل ۱۲۰/.

۳- ۳) .البقره۱۲۸/.

۴- ۴) .المائده۶۶/.

۵- ۵) .الأعراف۱۵۹/.

۶- ۶) .الأعراف۱۶۴/.

۷- ۷) .الأعراف۱۸۱/.

۸- ۸) .القصص۲۳/.

إلى ذلك الإمامان الباقر و الصادق عليهما السّلام (۱).

لا ريب أنّ اللّه لم يعن مثل هذا،بل المراد جماعه خاصه لهم هذا المقام و الشأن، و هم الّذين قال تعالى عنهم: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲)،فإنّ سنخ اطّلاع هؤلاء على الأعمال و شهادتهم لها لدنّيه من اللّه تعالى،كما إنّ مقتضى ما يعطيه لفظ«الوسط»بقول مطلق هو الوسطيه فى الصفات و الفضائل لا الإفراط و لا التفريط،فهم النقباء.

كما إنّ الآيه السابقه-الآيه الثانيه المذكوره من سوره آل عمران-و هى قوله تعالى:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّهٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۳)،فهذه الأمّه الداعيه إلى الخير،و الآمره بالمعروف،و الناهيه عن المنكر، على صعيد الحكم و الإمامه هى جزء من مجموع المسلمين،لا كلّ المجموع.

كما إنّ لفظه أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تعطى مفهوم خروجها من الأصلاب،و فيه إشاره إلى دعوه إبراهيم عليه السّلام حين قال: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ (۴)و ذلك بعد ما حكى اللّه عنه ما قاله فى قوله تعالى: وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ (۵).

و كما قال تعالى: وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِى بَراءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ* إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَ جَعَلَها كَلِمَهً باقِيَهً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۶)أى جعل التوحيد و العصمه من الشرك كلمه باقيه فى عقب إبراهيم من نسل إسماعيل،فكان تقلّب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى الأصلاب و الأجداد الطاهرين من الشرك و الوثنيه،قال تعالى: اَلَّذِى يَراكَ حِينَ تَقُومُ*

۱- ۱) .انظر الهامش رقم ۲ من الصفحه السابقه.

۲- ۲) .التوبه۱۰۵/.

۳- ۳) .آل عمران۱۰۴/.

۴- ۴) .البقره۱۲۸/.

۵- ۵) .البقره۱۲۴/.

۶- ۶) .الزخرف۲۶/-۲۸.

وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّاجِدِینَ (۱).

فمن ذلک کلّه یتبیّن أنّ الأمّه المقصوده من الآیتین هی ثلّه من مجموع المسلمین لهم تلک المواصفات الخاصه التی تؤهّلهم إلی ذلک المقام.و کیف یتوهّم أنّ مجموع من أسلم بالشهادتین هو المراد؟!و الحال أنّ سوره

آل عمران-کما قدّمنا-تصنّف من شهد معرکه أحد-فضلا عن غیرهم-إلی فئات صالحه و طالحه،و کذا ما فی بقیه السور التی استعرضناها،و غیرها،إذ إنّ فیها الذمّ و الوعید الشدید لألوان من الفئات الطالحه ممّن أظهرت الإسلام علی عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

و أمّا الآیه الثالثه المذکوره،فهی تجعل المیزان طاعه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و عدم مشاققته،و عدم الردّ علیه،کما فی قوله تعالی: فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (۲).

و الحال أنّ بعض وجوه من صحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد ردّ علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أمره، بأنّه غلبه الوجع،أو:إنّه-و العیاذ باللّه-یهجر؛و ذلک عند ما طلب الدواه و الکتف من أجل کتابه کتاب لئلّا تضلّ أمّته من بعده لو تمسّکت به،و اللّه تعالی یقول: ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی* وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی* إِنْ هُوَ إِلّا وَحْیٌ یُوحی* عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی (۳)،و قال تعالی: إِنّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النّاسِ (۴)!

و ذلک علی عکس ما حدث عند موت أبی بکر،فإنّ أبا بکر أراد عند موته أن یوصی،فذکر بعض الکلمات فأغمی علیه،فأضاف عثمان اسم عمر کخلیفه لأبی بکر،و لمّا أفاق أبو بکر أمضی ما کتبه عثمان!فتثبیت اسم عمر لم یعدّوه هجرا من مثل أبی بکر!!کما إنّهم أخذوا بکلام عمر-و هو فی مرض موته-فی تسمیه أعضاء الشوری!!

أ لیس ذلک ردّا و معصیه و شقاقا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،قال تعالی: وَ ما کانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا

۱- ۱) .الشعراء۲۱۸/ و ۲۱۹.

۲- ۲) .النساء۶۵/.

۳- ۳) .النجم۲/-۵.

۴- ۴) .النساء۱۰۵/.

مُؤْمِنَهٍ إذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (۱)،و قال: وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللّهَ وَ يَتَّقْهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْفائِزُونَ (۲)و كذا تخلّفهم عن جيش أسامه،و كذا فى صلح الحديبيه،و غيرها من الموارد.

ثمّ إنّ الآيه تقيّد بقيد آخر و هو اتّباع سبيل المؤمنين،و قد بيّنت سوره الأنفال أنّ فى البدريّين و من شهد مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم الغزوه الأولى فئات ثلاث،هى:فئه مؤمنه،و فئه منافقه،و فئه الّذين فى قلوبهم مرض،و هم محترفو النفاق!فلاحظ ما تقدّم.

و كذا بيّنت سوره آل عمران أنّ من شهد معركه أحد لم يكونوا متساوين فى الصلاح،بل إنّ بعضهم طالح يريد الدنيا،و يظنّ باللّه ظنّ الجاهليه،لا يثبت بعد موت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم بل ينقلب على عقبيه؛كما بيّنت ذلك غيرهما من السور المتعرّضه لبقيه الحروب و الغزوات كما قدّمنا الإشاره إلى ذلك،فالفئه المؤمنه المخاطبه فى الموارد العديده-بوصف«الهجره»و«النصره»كمنقبتين،و بوصف«الهدايه»و غيرها من الفضائل-هذه الفئه هى فئه معيّنه خاصه،لا عامه لكلّ من أسلم فى الظاهر و كان فى ركب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى الحرب أو السلم.

و يشير إلى ذلك قوله تعالى فى سوره التحريم:

وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ* إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَهُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِيرٌ* عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ

۱- ۱) .الأحزاب۳۶/.

۲- ۲) .النور۵۲/.

وَ أَبْكاراً (۱)

ثمّ قال تعالى فى ذيل السوره:

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ* ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ* وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ... اَلْقَوْمِ الظّالِمِينَ (۲).

فالمقارنه التى تذكرها هذه السوره بين اثنتين من أزواج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّهما كانتا فى معرض التظاهر على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ظاهر لحن السوره أنّ الأمر خطير استدعى هذا التهديد بالقوّه الإلهيه و خصوص صالح المؤمنين لا كلّ المؤمنين،فضلا عن كلّ المسلمين ،و عن كلّ من أسلم فى الظاهر،فما هو سبب تخصيص صالح المؤمنين بمناصره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مثل هذه المواجهه،و كأنّها كالحرب المعلنه التى نزل-فى هذه السوره-الأمر الإلهى بها على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بمجاهده المنافقين كما يجاهد الكفّار سواء،و كذا الأمر بالغلظه عليهم؟!و ما هو سبب ذكر صفات من سيبدله اللّه بهما و تحلاّن محلّهما،و أنّهنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات؛و التبديل تعويض عن مفقود؟!

و على كلّ تقدير،فإنّ هذا التهديد بالاستنفار فى الآيه،الذى هو كاستنفار الحرب و القتال،لا ينسجم مع تفسير مورد نزول الآيه بأنّه بسبب إفشاء لخبر عادى،بل مقتضى هذه الشدّه فى الوعيد أنّ الخبر بمنزله من الخطوره إلى درجه أنّه يهدّد وجود النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم!

ثمّ إنّ ذيل السوره قد أفصح فيه أنّ الزوجيه للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و مقام الأمومه للمؤمنين، لا يغنى عنهما من اللّه شيئا إذا لزمتا معصيه و خيانه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الائتمار عليه،كما هو الحال فى امرأتى النبيّين نوح و لوط عليهما السّلام،و أنّ المدار فى الفضيله هو على التصديق و

۱- ۱) .التحريم۳/-۵.

۲- ۲) .التحريم۹/-۱۱.

الإيمان و العمل الصالح.

و يتطابق هذا المفاد مع ما فی سوره الأحزاب من مضاعفه العذاب ضعفين على المعصيه،و إن أطعن اللّه و رسوله فلهنّ الأجر مرّتين،و قد نزل القرآن بالأمر بالقرار فی البيوت،و عدم التبرّج،و بإطاعه اللّه و رسوله،علما أنّ الزوجيه هی شدّه من الصحبه، و مع ذلک فالمدار عند اللّه تعالى بحسب هذه السوره و بقيه السور هو على الإيمان و العمل الصالح و طاعه اللّه تعالى و طاعه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّ هذه الصحبه لا تغنی عنهما من اللّه شيئا!،فمن كلّ ذلک يتبيّن أنّ سبيل المؤمنين و صالحهم ليس هو مجموع الأمّه،بل هو الفئه المؤمنه حقّا و واقعا.

و هؤلاء القائلون بعداله الصحابه-بالمعنى الذی تقدّم شرحه،فإنّه يضاهی الإمامه فی الدين،و العصمه و الحجّيّه بذلک المعنى،فی الدائره الضيّقه من جماعه السقيفه،و بالخصوص فی الأوّل و الثانی-هم فی الوقت نفسه يلتزمون بعدم عصمه النبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم المطلقه،فيجوّزون وقوع الخطأ منه-و العياذ باللّه-!ففی الوقت الذی يرفعون من مقام الأوّلين،فهم يحطّون من مقام النبوّه،فتراهم يقولون باجتهاد النبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،أی قوله بالظنّ، و أنّه قد يصيب و قد يخطئ!كما إنّهم يلتزمون بمسأله أخرى،و هی جواز اجتهاد الصحابه فی عصر النبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فی الحضور أو الغياب!؛نعم،قد رفض هذا القول بعض منهم،كأبی على الجبّائی و ابنه هاشم لقوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (۱)(۲).

و عن ابن حزم الأندلسی فی كتاب الفصل فی الملل و الأهواء و النحل،أنّ الأنبياء عليهم السّلام غير معصومين من الخطأ،قال تعالى: وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى (۳)و قوله: فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى (۴)و أنّ التوبه لا تكون إلّا من ذنب،و هذا وقع منه عن قصد إلى خلاف ما أمر

۱- ۱) .النجم۳/.

۲- ۲) .فواتح الرحموت بشرح مسلّم الثبوت-المطبوع بذيل المستصفى ۳۷۵/۲.

۳- ۳) .طه۱۲۱/.

۴- ۴) .طه۱۲۲/.

به،متأوّلا فی ذلک و لا یدری أنّه عاص،بل کان ظانّا أنّ الأمر للندب مثلا أو النهی لکراهه.

و قال اللّه لنبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سلم: فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لا تَکُنْ کَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادی وَ هُوَ مَکْظُومٌ* لَوْ لا أَنْ تَدارَکَهُ نِعْمَهٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (۱)أنّه غاضب قومه و لم یوافق ذلک مراد اللّه،فعوقب بذلک،و إن کان ظانّا أنّ هذا لیس علیه فیه شیء،و هذا هو ما أراده اللّه من نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سلم حین نهی عن مغاضبه قومه،و أمر بالصبر علی أذاهم،و أمّا إخبار اللّه بأنّه استحقّ الذمّ و الملامه لو لا النعمه التی تدارکه بها للبث معاقبا فی بطن الحوت (۲).

و ذهب القاضی عیاض فی الشفا إلی جواز اجتهاد الأنبیاء فی الأمور الدنیویّه فقط، مستدلّا بحدیث تأبیر النخل (۳).و قال کمال الدین ابن همام الدین الحنفی،المتوفّی سنه ۸۶۱ ه،فی کتاب التحریر:إنّ الرسول مأمور(بالاجتهاد مطلقا)فی الأحکام الشرعیه و الحروب و الأمور الدینیّه من غیر تقیید بشیء منها (۴).و قال ابن تیمیّه فی غیر ما یتعلّق بالتبلیغ:إنّ الأنبیاء کانوا دائما یبادرون بالتوبه و الاستغفار عند الهفوه،و القرآن شاهد عدل،فهو لم یذکر شیئا من ذلک عن نبیّ من الأنبیاء إلّا مقرونا بالتوبه و الاستغفار (۵).

و قال الغزّالی فی المستصفی:

المختار جواز تعبّده بذلک،لأنّه لیس بمحال فی ذاته،و لا یفضی إلی محال و مفسده.فإن قیل:المانع منه أنّه قادر علی استکشاف الحکم بالوحی الصریح،فکیف یرجم بالظنّ؟!؛قلنا:فإذا استکشف فقیل له:حکمنا علیک أن تجتهد و أنت متعبّد به،فهل له أن ینازع اللّه فیه،أو یلزمه أن یعتقد أنّ

۱- ۱) .القلم۴۸/ و ۴۹.

۲- ۲) .انظر:الفصل ۲۸۴/۲-۲۸۷ و ۳۰۳-۳۰۴.

۳- ۳) .الشفا ۱۳۶/۲-۱۳۷.

۴- ۴) .راجع تیسیر التحریر-شرح محمّد أمین الحنفی علی کتاب التحریر-۱۸۵/۴.

۵- ۵) .انظر:منهاج السنّه ۳۹۶/۲-۴۰۳.

صلاحه فی ما تعبّد به؟!

فإن قیل:قوله نصّ قاطع یضادّ الظنّ،و الظن یتطرّق إلیه احتمال الخطأ، فهما متضادّان؛قلنا:إذا قیل له:ظنّک علامه الحکم،فهو یستیقن الظنّ و الحکم جمیعا فلا یحتمل الخطأ،و کذلک اجتهاد غیره عندنا،و یکون کظنّه صدق الشهود،فإنّه یکون مصیبا و إن کان الشاهد مزوّرا فی الباطن.

فإن قیل:فإن ساواه غیره فی کونه مصیبا بکلّ حال فلیجز لغیره أن یخالف قیاسه باجتهاد نفسه!؛قلنا:لو تعبّد بذلک لجاز،و لکن دلّ الدلیل من الإجماع علی تحریم مخالفه اجتهاده،کما دلّ علی تحریم مخالفه الأمّه کافّه،و کما دلّ علی تحریم مخالفه اجتهاد الإمام الأعظم و الحاکم؛لأنّ صلاح الخلق فی اتّباع رأی الإمام و الحاکم و کافّه الأمّه،فکذلک النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و من ذهب إلی أنّ المصیب واحد یرجح اجتهاده لکونه معصوما عن الخطأ دون غیره و منهم من جوّز علیه الخطأ و لکن لا یقرّ علیه.

فإنّ قیل:کیف یجوز ورود التعبّد بمخالفه اجتهاده،و ذلک یناقض الاتّباع، و ینفّر عن الانقیاد؟!قلنا:إذا عرّفهم علی لسانه بأنّ حکمهم اتّباع ظنّهم و إن خالف ظنّ النبیّ،کان اتّباعه فی امتثال ما رسمه لهم کما فی القضاء بالشهود، فإنّه لو قضی النبیّ بشهاده شخصین لم یعرف فسقهما،فشهدا عند حاکم عرف فسقهما لم یقبلهما.

و أمّا التنفیر،فلا یحصل،بل تکون مخالفته فیه کمخالفته فی الشفاعه و فی تأبیر النخل و مصالح الدنیا.

فإنّ قیل:لو قاس فرعا علی أصل أ فیجوز إیراد القیاس علی فرعه أم لا؟إن قلتم:لا؛فمحال؛لأنّه صار منصوصا علیه من جهته.و إن قلتم:نعم؛فکیف یجوز القیاس علی الفرع؟!؛قلنا:یجوز القیاس علیه و علی کلّ فرع أجمعت

الأمّه على إلحاقه بأصل؛لأنّه صار أصلا بالإجماع و النصّ (۱).

نقلنا كلامه بطوله لأنّه تلخيص لأقوالهم فى المسألتين،و يتلخّص من كلامهم أمور:

الأوّل: مساواه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لغيره من رعيّته فى تجويز الاجتهاد،و تجويز مخالفه غيره له فى الاجتهاد.

الثانى: إنّ الإجماع و إطباق كافّه الأمّه هو الحجّه الأصل عندهم لأقوال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم، مع إنّ حجّيّه الإجماع لديهم مستقاه من الحديث النبوى.

الثالث: تسويتهم بين الموضوعات و الأحكام الكلّيّه،و بين الموضوع فى الأمور العامّه و الموضوع فى الأمر الخاصّ بأحد المكلّفين،مع إنّ الموازين المتّبعه فى كلّ شقّ مختلفه عنها فى الشقّ الآخر كما هو محرّر فى أصول الفقه.

و قال الغزّالى فى مسأله جواز الاجتهاد فى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«المختار أنّ ذلك جائز فى حضرته و غيبته،و أن يدلّ عليه بالإذن أو السكوت؛لأنّه ليس فى التعبّد به استحاله فى ذاته،و لا يفضى إلى محال و لا إلى مفسده،و إن أوجبنا الصلاح فيجوز أن يعلم اللّه لطفا يقتضى ارتباط صلاح العباد بتعبّدهم بالاجتهاد؛لعلمه بأنّه لو نصّ لهم على قاطع لبغوا و عصوا.

فإن قيل:الاجتهاد مع النصّ محال،و تعرّف الحكم بالنصّ بالوحى الصريح ممكن، فكيف يردّهم إلى ورطه الظنّ؟!

قلنا:فإذا قال لهم:أوحى إلىّ أنّ حكم اللّه تعالى عليكم ما أدّى إليه اجتهادكم و قد تعبّدكم بالاجتهاد،فهذا نصّ،و قولهم: (الاجتهاد مع النصّ محال)مسلّم،و لكن لم ينزل نصّ فى الواقعه،و إمكان النصّ لا يضادّ الاجتهاد،و إنّما يضادّه نفس النصّ؛كيف؟!و قد تعبّد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالقضاء بقول الشهود حتّى قال:إنّكم لتختصمون إلىّ و لعلّ بعضكم أن يكون

۱- ۱) .المستصفى ۲/۳۵۵-۳۵۶ القطب الرابع،الفن الأوّل فى الاجتهاد.

ألحن بحجّته من بعض؛و كـان يمكن نزول الوحى بـالحقّ الصـريح فى كلّ واقعه حتّى لا يحتاج إلى رجم بالظنّ و خوف الخطأ» (۱).

و يتلخّص من كلامه:

الأوّل: جواز التقدّم بين يدى اللّه و رسوله فى الحكم.

الثـانى: أنّ بغى النـاس و طغيـانهم على حكم اللّه تعالى يسوّغ الاجتهاد من أنفسـهم دون الرجوع إلى اللّه و رسوله،و هو نمط من تفويض التشـريع للأهواء وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ (۲)وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ (۳)وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ (۴)أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ (۵)وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ (۶).

الثالث: خلطه بين الموضوعات و الأحكام الكلّيه و بين الموضوع فى الأمور العامّه و الموضوع فى الأمر الخاصّ بأحـد المكلّفين- كما تقدّم-

و نجم عن هذا الالتزام عندهم ما ذكره صاحب المنار-فى معرض كلام له عن العمل بالحديث-:

...حكم عمر بن الخطّاب على أعيان الصـحابه بما يخالف بعض تلك الأحاديث،ثمّ ما جرى عليه علماء الأمصار فى القرن الأوّل و الثانى من اكتفاء الواحـد منهم-كأبى حنيفه-بما بلغه و وثق من الحـديث و إن قلّ،و عـدم تعنّيه فى جمع غيره إليه ليفهم دينه و يبيّن أحكامه،قوى عندك ذلك الترجيح،بل تجد الفقهاء لم يجتمعوا على تحرير الصحيح و الاتّفاق على العمل به،فهذه

۱- ۱) .المستصفى ۳۵۴/۲-۳۵۵.

۲- ۲) .المؤمنون ۷۱/.

۳- ۳) .المائده ۴۹/.

۴- ۴) .البقره ۱۴۵/.

۵- ۵) .محمّد ۱۴/.

۶- ۶) .الأنعام ۱۱۹/.

كتب الفقه فی المذاهب المتّبعه،و لا سیّما كتب الحنفیه فالمالكیه فالشافعیه ،فیها المئات من المسائل المخالفه للأحادیث المتّفق علی صحّتها.

و قد أورد ابن القیّم فی أعلام الموقّعین شواهد كثیره جدّا من ردّ الفقهاء للأحادیث الصحیحه عملا بالقیاس أو لغیر ذلك،و من أغربها أخذهم ببعض الحدیث الواحد دون باقیه،و قد أورد لهذا أكثر من ستّین شاهدا (۱)،و مع ذلك كلّه فمن الغریب جمع الغزّالی بین ذلك و بین رأیه فی الصحابه،قال فی المستصفی:

الأصل الثانی من الأصول الموهومه:قول الصحابی،و قد ذهب قوم إلی أنّ مذهب الصحابی حجّه مطلقا،و قوم إلی أنّه حجّه إن خالف القیاس،و قوم إلی أنّ الحجّه فی قول أبی بكر و عمر خاصّه،لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:(اقتدوا باللذین من بعدی)،و قوم إلی أنّ الحجّه فی قول الخلفاء الراشدین إذا اتّفقوا.

و الكلّ باطل عندنا؛فإنّ من یجوز علیه الغلط و السهو و لم تثبت عصمته عنه،فلا حجّه فی قوله،فكیف یحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ؟!و كیف تدّعی عصمتهم من غیر حجّه متواتره؟!و كیف یتصوّر عصمه قوم یجوز علیهم الاختلاف؟!و كیف یختلف المعصومان؟!

كیف؟!و قد اتّفقت الصحابه علی جواز مخالفه الصحابه،فلم ینكر أبو بكر و عمر علی من خالفهما بالاجتهاد،بل أوجبوا فی مسائل الاجتهاد علی كلّ مجتهد أن یتّبع اجتهاد نفسه،فانتفاء الدلیل علی العصمه،و وقوع الاختلاف بینهم،و تصریحهم بجواز مخالفتهم فیه،ثلاثه أدلّه قاطعه (۲).

ثمّ ذكر أدلّه بقیه الأقوال و أخذ فی ردّها،و تتلخّص ردوده علیها فی النقاط التالیه:

الأولی: إنّ ما یروی عندهم من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«أصحابی كالنجوم بأیّهم اقتدیتم اهتدیتم»،هو خطاب مع عوّام ذلك العصر،لتعریف درجه الفتوی للصحابه،إذ الصحابی

۱- ۱) .انظر:أعلام الموقّعین ۲۹۴/۲-۴۲۴.

۲- ۲) .المستصفی ۲۶۰/۱-۲۶۲.

خارج عن الخطاب فله أن يخالف الآخر.

الثانيه: إنّ اتّباع كلّ واحد من الخلفاء الراشدين محال مع اختلافهم فى المسائل.

الثالثه: إنّ الاقتداء بأبى بكر و عمر و اتّباعهما هو إيجاب للتقليد فى الفتوى،مع إنّه معارض بتجويز هما مخالفه الآخرين لهما،و لو اختلفا كما اختلفا فى التسويه فى العطاء فأيّهما يتّبع؟!

الرابعه: إنّ مذهب عبد الرحمن بن عوف معارض بمذهب الإمام علىّ عليه السّلام،حين أبى اشتراط عبد الرحمن الخلافه بشرط الاقتداء بالشيخين.

الخامسه: إنّ قول الصحابى ليس بحجّه،و إنّما الحجّه الخبر إلّا أنّ إثبات الخبر بقول الصحابى من دون تصريح منه أنّه خبر إثبات موهوم،و خبر الواحد الحجّه هو الخبر المصرّح لا- الموهوم المقدّر الذى لا- يعرف لفظه و مورده،فقوله ليس بنصّ صريح فى سماع خبر،بل ربّما قاله من دليل ضعيف ظنّه دليلا و أخطأ فيه،و الخطأ جائز عليه، و ربّما يتمسّك الصحابى بدليل ضعيف و ظاهر موهوم و لو قاله عن نصّ قاطع لصرّح به.

السادسه: إنّ جميع ما يذكر لحجّيّه قول الصحابى أخبار آحاد لا تقاوم الحجج القطعيه الأخرى.

السابعه: إنّ(جعل)قول الصحابى حجّه كقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خبره(إثبات) أصل من أصول الأحكام و مداركه،فلا يثبت إلّا بقاطع كسائر الأصول.

الثامنه: حكى عن الشافعى فى الجديد:أنّه لا يقلّد العالم صحابيا كما لا يقلّد عالما آخر.و نقل المزنى عنه ذلك،و أنّ العمل هو على الأدلّه التى بها يجوز للصحابه الفتوى؛ثمّ قال:

و هو الصحيح المختار عندنا،إذ كلّ ما دلّ على تحريم تقليد العالم للعالم كما

سیأتی فی کتاب الاجتهاد لا یفرّق فیه بین الصحابی و غیره (۱).

و ذکر أنّ ما ورد من الثناء علیهم لا یوجب تقلیدهم،لا جوازا و لا وجوبا،و إنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد أثنی أیضا علی آحاد الصحابه کأبی بکر و عمر و علیّ و زید و معاذ بن جبل و ابن أمّ عبد،مع إنّهم لا یتمیّزون عن بقیه الصحابه بجواز التقلید أو وجوبه.

التاسعه: حکی عن القاضی أنّه لا یرجّح أحد الدلیلین المتعارضین بقول الصحابی؛ لأنّه لا ترجیح إلّا بقوّه الدلیل،و لا یقوی الدلیل بمصیر مجتهد إلیه (۲)،و استقرب احتمال مصیر الصحابی إلی أحد القولین أو أحد الدلیلین لمجرّد الظنّ،لا لاختصاصه بمشاهده.

هذا،فإذا کان مدار الحجّیه المطلقه-عند الغزّالی و جماعه منهم معروفین-فی قول شخص ما،هو عصمته عن الغلط و السهو و عدم الخطأ،و عدم جواز مخالفته،فکیف یصوّرون حجّیه قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم المطلقه و لزوم طاعته،و یجوّزون علیه الخطأ و الاجتهاد الظنّی،بل و مخالفه غیره له فی الاجتهاد؟!فی حین ینکر الغزّالی علی القائلین بحجّیه قول عمر و أبی بکر و بقیه الصحابه بتمسّکهم بأخبار آحاد لا تثبت أصلا من أصول الأحکام التی لا بدّ فیها من القطع،تراه یرفع یده عن قطعیات الآیات فی لزوم متابعه النبیّ و عدم الخلاف علیه و عصمته،بأخبار آحاد فی تأبیر النخل و المخالفه فی الشفاعه و نحوها،مع إنّ لها وجه من التأویل یتلاءم مع العصمه من الخطأ،فما هذا إلّا تدافع،و أقوال ینقض أوّلها آخرها!

ثمّ أ لیس کما قال الإمام علیّ بن الحسین زین العابدین علیه السّلام فی صحیفته فی وصفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

...فرضت علینا تعزیره و توقیره و مهابته،و أمرتنا أن لا نرفع الأصوات علی صوته،و أن تکون کلّها مخفوضه دون هیبته،فلا یجهر بها علیه عند

۱- ۱) .المستصفی ۲/۴۵۸-۴۵۹.

۲- ۲) .المستصفی ۲/۴۶۵.

مناجاته،و نلقاه عند محاورته،و نكفّ من غرب الألسن لدى مسألته، إعظاما منك لحرمه نبوّته،و إجلالا لقدر رسالته،و تمكينا فى أثناء الصدور لمحبّته،و توكيدا بين حواشى القلوب لمودّته (۱)

و هو يشير إلى المناصب الإلهيه للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم التى جعلها اللّه تعالى له،فقد قال تعالى: ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى* وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى (۲)،و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۳).

و الغريب و لا تنقضى غرابته أنّهم يجعلون فضيله لبعض الصحابه بالتقدّم على اللّه و رسوله فى الحكم فى موارد،و يدّعون حالات لنزول آيات أخرى فى تلك الموارد موافقه من الوحى لرأى ذلك الصحابى،و كأنّهم لا يصغون إلى هذه الآيه الصريحه،و يتأوّلون تلك الآيات بما يدافع ظهورها.

و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ* إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَهٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۴)و قال تعالى:

قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۵).

و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ* وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لكِنَّ اللّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيانَ أُولئِكَ هُمُ الرّاشِدُونَ* فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ نِعْمَهً وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶).

۱- ۱) .الصحيفه السجّاديه:الدعاء العاشر-ط.مؤسسه الإمام المهدى عليه السّلام.

۲- ۲) .النجم۲/-۴.

۳- ۳) .الحجرات۱/.

۴- ۴) .الحجرات۲/ و ۳.

۵- ۵) .الحجرات۱۶/.

۶- ۶) .الحجرات۶/-۸.

أ ليست هذه الآيه فى الموضوعات الخارجيّه و الأمور العامّه فى تدبير الحكم،و أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لو يتابع من أسلم معه لوقعوا فى المشقّه و الحرج العظيم،و لكنّ اللّه حبّب إليهم طاعه الرسول و متابعته و هو الإيمان،و كرّه إليهم مخالفه الرسول التى هى كفر و فسوق و عصيان،و الرشاد إنّما يصيبه المؤمنون بمتابعه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و هذا هو الفضل و النعمه من اللّه،و كلّ هذا عن علم و حكمه منه تعالى.

فمع كلّ ذلك كيف يكون الرشاد فى مخالفه النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قد قال تعالى: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً* أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً* وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً* فَكَيْفَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جاؤُكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنا إِلاّ إِحْساناً وَ تَوْفِيقاً* أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً* وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً* فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (۱)؟!

و فى هذه الآيات عدّه أحكام:

الأوّل: لزوم ردّ كلّ شىء يختلف فيه إلى اللّه و إلى الرسول،و أنّ ذلك مقتضى الإيمان باللّه و بالمعاد،فكيف يرجع إلى الظنون مقدّمه على الرجوع و الردّ إلى اللّه و إلى رسوله؟!

الثانى: إنّ الاحتكام فى الأمور إلى غير ما أنزل اللّه على رسوله تحاكم إلى الطاغوت و ضلال و نفاق و ظلم للنفس.

۱- ۱) .النساء۵۹/-۶۵.

الثالث: إنّ غايه رساله الرسول هو طاعه أمّته له بإذن اللّه،لا خلافهم عليه.

الرابع: إنّ الإيمان مشروط بتحكيم الرسول فى ما يختلف فيه،و طاعه الرسول فى ما يحكم به،مع عدم التحرّج ممّا حكم به الرسول،و مع التسليم القلبى التامّ لذلك.

و قال تعالى: وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱).و قال تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۲).و قال تعالى: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۳).و قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ (۴).

إلى غير ذلك من آيات اللّه العزيز،فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموا النبىّ فى ما اختلفوا فيه،و لا يجدوا تحرّجا فى نفوسهم من حكمه و قضائه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و يسلّموا تسليما لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و هم يتذرّعون بموارد من الآيات التى ظاهرها العتاب فى الخطاب الإلهى للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقضى بالبيّنات و الأيمان،و هى قد تخطئ الواقع،أو بأخبار آحاد فى تأبير النخل و نحوه فى قبال الدليل القطعى،مع إنّ لتلك الآيات الظاهره فى العتاب،فى المنسبق من دلالتها بدوا،وجوها من المعنى،ذهلوا عنه!

الأوّل: إن مقتضى قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۵)أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مخاطب بفعل أمّته كما يخاطب الولىّ بفعل المولى عليه، و كما يخاطب المربّى بفعل من هو تحت قيمومته و تربيته،و الرئيس يخاطب بفعل مرءوسه،و الإمام بفعل مأمومه،إذ إنّ صلاح الرعيه من مسئوليه الراعى،و من ثمّ يسند

۱- ۱) .التوبه۶۱/.

۲- ۲) .التوبه۱۲۸/.

۳- ۳) .الحشر۷/.

۴- ۴) .آل عمران۳۱/.

۵- ۵) .هود۱۱۲/.

فعلهم إلى فعله و إن كان الفعل صادر حقيقه منهم لا منه.

و من هذا القبيل إسناد فعل الحكومه و جهاز الحكم و الدوله إلى الرئيس و يخاطب به،و من هذا الباب قد يسند المعصوم الخطأ لنفسه كما فى قول علىّ عليه السّلام فى خطبه له بعد تسلّمه مقاليد الأمور و الخلافه بصفّين:

فلا تكفّوا عن مقاله بحقّ،أو مشوره بعدل،فإنّى لست فى نفسى بفوق أن أخطئ،و لا آمن ذلك من فعلى،إلّا أن يكفى اللّه من نفسى ما هو أملك به منّى (۱).

و من هذا الباب أكثر ما يخاطب به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و يعاتب فى لحن الخطاب،فإنّه بالتتبّع فى تلك الموارد و التدبّر مليّا يظهر أنّ الفعل الذى كان مورد الخطاب هو من فعل المسلمين خوطب به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و إلى هذا يشير قول الإمام الصادق عليه السّلام:

إنّ القرآن نزل بإيّاك أعنى و اسمعى يا جاره (۲).

كما هو الحال فى أسارى بدر،فإنّ اللازم كان على المسلمين هو الإثخان فى القتل ما دامت المعركه محتدمه،و عدم استبقاء المشركين أحياء ما دامت الحرب لم تضع أوزارها،فكان فى أخذهم الأسارى أثناء المعركه خلاف الحكم و الإراده الإلهيّه،و كما هو الحال فى مساءله اللّه تعالى النبىّ عيسى عليه السّلام: وَ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ... وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ (۳).

الثانى: إنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين،أى إنّه كلّما قرب الشخص من القدس الإلهى كلّما كان الحساب معه و التوقّع منه أكثر فى مجال كمال الأفعال،كما هو الحال فى الموالى فى العرف البشرى،فإنّ الملك يتوقّع من الوزير مستوى من الاحترام و الأدب

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۲۱۴.

۲- ۲) .الكافى ۴۶۱/۲ ح ۱۴ باب النوادر.

۳- ۳) .المائده۱۱۶/-۱۱۷.

و الكون رهن الإشاره ما لا يتوقّعه من سائر الرعيه،بل إنّ فى طبقات الوزراء اختلاف فى المكانه و الحظوه لدى الملك،و بالتالى اختلاف فى ما يتوقّعه و ينتظره الملك منهم فى مجال التقيّد بأقصى مكارم الآداب معه،و من هذا الباب ما يشاهد من خطاب عتاب مع الأنبياء فى القرآن،فإنّها ليست أخطاء و معاص فى الشرع و حكم العقل،و إنّما هى من باب ترك الأولى فى منطق القرب و الزلفى و مقام المحبّين.

الثالث: إنّ خطأ الميزان الظاهر المجعول فى باب القضاء،أو فى باب الإماره و تدبير الحكم،و نحوهما ممّا يكون فى الموضوعات الخارجيّه،ليس من خطأ المعصوم،كالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فإنّه موظّف فى مصالح التشريع بالعمل بهذا الميزان فى تلك الموضوعات الجزئيه ،ممّا يتدارك خطأ الميزان الشرعى الظاهرى بالمصالح الأخرى؛و أين هذا من الأحكام الكلّيه و معرفه الشريعه؟!و إذا فرض جهل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بها-و العياذ باللّه تعالى-و تحرّيه لها بالاجتهاد الظنّى،فأين الطريق إليها المأمون عن الخطأ؟!و ما هو ميزان الصحّه من الخطأ إذا كان الطريق مسدودا إلى الأبد،إذ لا فاتح لما انسدّ على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم من أبواب العلم؟!و هذا بخلاف باب الموضوعات الجزئيه،فإنّ طريق العلم بها مفتوح وراء ميزان القضاء و الحكم.

الربع: إنّهم خلطوا بين السؤال الممدوح عن الأحكام و معارف الدين كما فى قوله تعالى: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ (۱)و قال: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۲)،و بين السؤال المذموم عن الأحكام و الشريعه،قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْها (۳)و قال: أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ (۴).

۱- ۱) .التوبه۱۲۲/.

۲- ۲) .النحل۴۳/،و الأنبياء۷/.

۳- ۳) .المائده۱۰۱/.

۴- ۴) .البقره۱۰۸/.

فإنّ الفرق بين السؤالين هو الفرق بين الاجتهادين اللذين عند الشيعه و عند أهل السنّه،فإنّ الأوّل مخصوص باستكشاف الحكم الشرعى الثابت واقعا،و تطبيقه على الموارد و الدرجات المختلفه،بموازين منضبطه دقيقه،و الثانى يشمل ذلك و يعمّ إنشاء أحكام جديده تتميما لما يدّعى من نقص الشريعه!نظير تتميم القوانين الدستوريه بالتبصره القانونيه فى القوانين الوضعيه.

فالاجتهاد الأوّل هو تمسّك بالعموم المشرّع الوارد،و السؤال الممدوح هذا مورده، و هو فهم ما ورد،و معرفه العمومات و الأدلّه المشرّعه؛و الاجتهاد الثانى هو الاجتهاد الابتداعى،و السؤال المذموم منطقته هو إنشاء الأحكام الجديده و ضمّها إلى أحكام الشريعه،أو السؤال و المطالبه بإنشائها؛و المنطقه الأولى هى كانت سيره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالتسليم و الاتّباع لربّه،و المنطقه الثانيه لم يكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم يتكلّفها كما فى قوله تعالى:

وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (۱)،فالمنطقه الثانيه و النمط الثانى كان ديدن اليهود،و النمط الأوّل هو ديدن الأنبياء بالوحى القطعى و الرساله و الملّه الحنيفيه الإبراهيميه.

فتخلّص أنّهم فرّطوا فى عصمه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و غالوا فى عداله الصحابه إلى العصمه و التفويض فى التشريع.

۱- ۱) .ص۸۶/.

۴-الوجه التاریخی

اشاره

ص:۱۱۵

ثمّ إنّه بقی وجه آخر أو أخیر یتمسّک به القائل بعداله الصحابه،-بالتردید المتقدّم فی معنی العداله و فی دائره الصحابه المراده لذلک القائل-و هو:إنّ الصحابه هم الّذین قاموا بفتوحات الإسلام و نشر الدین فی أرجاء المعموره،و هذا بعد ما عانوا ما عانوا مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی الغزوات الأولی.

و هذا الوجه-مع غضّ النظر عن التحلیل الآتی فیه،و عن الخوض فی حقیقته-ما هو المقدار اللازم منه فی الحجّیه المبحوث عنها فی عداله الصحابه؛فقد تقدّم أنّ صدور العمل الصالح أو الحسن من شخص-بعد افتراض ذلک-لا یلازم عدالته و استقامته فی کلّ أفعاله الأخری،فضلا عن عصمته و إمامته فی الدین.

ففی کثیر من الغزوات التی قام بها المسلمون فی عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ارتکب من صحبه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فیها أعمالا تعدّ فی الشرع من الخطایا الکبیره المغلّظه عقوبتها،و قد ذکرنا شطرا منها فی ما سلف،و نذکر هنا شطرا آخر منها:

قوله تعالی: ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا وَ اللّهُ یُرِیدُ الْآخِرَهَ وَ اللّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ* لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ (۱)و الآیه تبیّن أنّ الواجب علی المسلمین الإثخان فی قتل المشرکین،و عدم

۱- ۱) .الأنفال۶۷/ و ۶۸.

أخذ الأسرى و الحرب قائمه قبل أنّ ينهدّ صفّ المشركين و يستولى عليهم الرعب.

و قد وصفت الآيه أنّ العقوبه لو لا عفو اللّه تعالى لكانت عذاب،و وصفته بالعظيم، و ظاهر الآيه و بمقتضى الإثخان هو:كون الواجب القتل لا الأسر أثناء قيام الحرب مع المشركين و قبل انتهائها بتقويض معسكرهم،لا ما يقال:إنّ الآيه ناظره إلى حكم الأسرى بعد انتهاء الواقعه،و إنّ الواجب هو قتلهم لا مفاداتهم؛لأنّه يخالف الآيات اللاحقه: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱)،الدالّه على أنّ القتل المطلوب هو أثناء الحرب لا بعد أنّ تضع الحرب أوزارها.

و كلّ هذا فى غزوه«بدر»،و كذلك الحال فى غزوه«حنين»،قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَهٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (۲)،و الفرار فى اللقاء من الكبائر التى توعّد اللّه عليها النار،كما فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ* وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۳).

و كذلك الحال فى غزوه«أحد»كما أشرنا إليه سابقا فى سوره آل عمران،و قد قتل خالد بن الوليد بنى جذيمه فى فتح مكّه حينما بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم حولها فى سرايا تدعو إلى اللّه تعالى و لم يأمرهم بقتال،و أمره أن يسير بأسفل تهامه داعيا و لم يبعثه مقاتلا،فغدر خالد بهم و قتلهم،فانتهى الخبر إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فرفع يديه إلى السماء ثمّ قال:«اللّهمّ إنّى أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد»ثلاث مرّات؛ثمّ أرسل رسول

۱- ۱) .الأنفال ۷۰/ و ۷۱.

۲- ۲) .التوبه۲۵/.

۳- ۳) .الأنفال۱۵/ و ۱۶.

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عليّا عليه السّلام فودى لهم الدماء و أرضاهم (۱).

فتبيّن أن لا تلازم بين صدور العمل الصالح-على تقدير ثبوته-و بين استقامه الشخص فى بقيّه أعماله،فضلا عن عصمته و إمامته فى الدين.

أمّا الخوض فى الفتوحات بشكل إجمالى فالنظره المقابله تقيّم الفتوحات التى حصلت بأنّها كانت بمثابه سدودا أمام انتشار الدين فى كلّ أرجاء المعموره،فإنّ هذا الدين الحنيف لا يصمد أمام بريق نوره الأقوام البشريّه إلاّ و تنجذب إليه،و هذا هو عمده نهج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى دعوته إلى الإسلام.

قال تعالى: إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ* وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْواجاً (۲)، فالدخول الفوجى الأفواجى للناس كان بحكم الانجذاب إلى عظمه الدين،و المثاليه التى يتّصف بها صاحب الدعوه،و الكيان الداخلى الذى بناه،إلاّ إنّ مجموع الممارسات فى أحداث الفتوحات كبلت الدين،و ألبست الإسلام أثوابا قاتمه،و ولّدت انطباعا لدى بقيّه الأمم و الملل أنّ الدين الحنيف هذا هو دين السيف و الدم،و لغته لغه القوّه بالدرجه الأولى و فى القاعده الأصليه له،لا أنّه دين الفطره العقليه، فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ (۳).

و من ثمّ أخذت بعض الكتابات فى العالم العربى الإسلامى منذ نصف قرن فى التنكّر لقانون الجهاد الابتدائى فى الإسلام،باعتبار أنّه يعنى لغه القوّه و العنف و العسكر ،و رفضا للغه الدعوه إلى سبيل اللّه بالحكمه و الموعظه الحسنه،التى هى من الثوابت الأوّليه لطريقه الدعوه إلى الإسلام،و ربّما تمسّكوا بسيره النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى جميع غزواته؛ إذ إنّها لم تكن مبتدأه منه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بل من مناوشات الكفّار أوّلا للمسلمين،و بذيل بعض الآيات من قبيل قوله تعالى: وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ

۱- ۱) .المغازى للواقدى-۸۷۵/۳-۸۸۴.

۲- ۲) .النصر۱/ و ۲.

۳- ۳) .الروم۳۰/.

اَلْمُعْتَدِينَ (۱).و قوله تعالى: لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّما يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَ ظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ (۲).و نحوها من الآيات التى ظاهرها يوهم بأنّ القتال مخصوص بالمدافعه، و قد تسرّب مثل هذا النظر إلى بعض الأوساط الفقهيّه.

و الذى أوقعهم فى مثل هذا الوهم المخالف للمسلّمات الفقهيّه فى الدين،هو ما جرى من الأحداث و الممارسات فى الفتوحات عبر تاريخ المسلمين،فإنّه قد وقع الخلط لديهم بين الجهاد الابتدائى و بين العدوان المبتدأ،و حصر الدفاع فى الجهاد الدفاعى ،مع إنّ الجهاد الابتدائى ليس بمعنى الابتداء بالعدوان،بل إنّ الغطاء الحقوقى للجهاد الابتدائى هو الدفاع الحقوقى،و إن كان ابتداء الحرب من المسلمين بمعنى الضغط على الكفّار تحت تأثير القوّه،لكن ليس هو ابتداء عدوان،بل ابتداء الضغط بالقوّه لردّ العدوان الذى مارسه الكفّار تجاه المسلمين فى ما سبق،فالابتداء فى استخدام القوّه أمر، و الابتداء فى العدوان أمر آخر.

و أمّا التمسّك بسيره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فلقد خلط أصحاب هذه المقوله بين الجهاد الابتدائى فى مصطلح الفقهاء و بين العدوان الابتدائى الحقوقى،فالثانى لم يكن فى سيرته صلّى اللّه عليه و آله و سلم،أمّا الأوّل؛فغزوه«بدر»أعظم الغزوات كانت ابتداء فى استخدام القوّه منه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ردّا على مصادره أموال المسلمين فى مكّه التى قام بها كفّار قريش،و ردّا على الغارات المباغته التى كان يقوم بها أفراد منهم على أطراف المدينه،و نحو ذلك،لكنّ ذلك لا يستوجب تصنيف غزوه«بدر»فى الجهاد الدفاعى و إخراجه عن الابتدائى بالمصطلح الفقهى؛إذ لكلّ شرائط تختلف عن الآخر،و كذا غزوه«خيبر»و غزوه«حنين»و غزوه «تبوك»و غيرها من الغزوات الكبرى أو الوسطى و الصغيره،و قوله تعالى فى سوره الأنفال

۱- ۱) .البقره۱۹۰/.

۲- ۲) .الممتحنه۸/ و ۹.

صریح فی ذلک: کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَیْتِکَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنَ الْمُؤْمِنِینَ لَکارِهُونَ* یُجادِلُونَکَ فِی الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَیَّنَ کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ* وَ إِذْ یَعِدُکُمُ اللّهُ إِحْدَی الطّائِفَتَیْنِ أَنَّها لَکُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَیْرَ ذاتِ الشَّوْکَهِ تَکُونُ لَکُمْ وَ یُرِیدُ اللّهُ أَنْ یُحِقَّ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ وَ یَقْطَعَ دابِرَ الْکافِرِینَ* لِیُحِقَّ الْحَقَّ وَ یُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۱)؛فإنّ خروج قریش للحرب کان بعد انتداب أبی سفیان لحمایه قافله التجاره التی کان فیها عند ما سمع بخروج المسلمین للاستیلاء علیها ابتداء انتقاما لما فعل المشرکون بهم.

و قوله تعالی: فَلْیُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ الَّذِینَ یَشْرُونَ الْحَیاهَ الدُّنْیا بِالْآخِرَهِ وَ مَنْ یُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَیُقْتَلْ أَوْ یَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً* وَ ما لَکُمْ لا تُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْیَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْکَ نَصِیراً (۲).فإنّ هذه الآیات تفید الغطاء الحقوقی الدفاعی للجهاد الابتدائی.

و کذا قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ما لَکُمْ إِذا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إِلَی الْأَرْضِ أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیاهِ الدُّنْیا مِنَ الْآخِرَهِ فَما مَتاعُ الْحَیاهِ الدُّنْیا فِی الْآخِرَهِ إِلاّ قَلِیلٌ* إِلاّ تَنْفِرُوا یُعَذِّبْکُمْ عَذاباً أَلِیماً وَ یَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَیْئاً وَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۳).و اِنْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴).و قاتِلُوا الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ لا یُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا یَدِینُونَ دِینَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ حَتّی یُعْطُوا الْجِزْیَهَ عَنْ یَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (۵).

و تمام الکلام فی أدلّه الجهاد الابتدائی موکول إلی الکتب الفقهیه،إلّا أنّ الغرض

۱- ۱) .الأنفال۵/-۸.

۲- ۲) .النساء۷۴/-۷۶.

۳- ۳) .التوبه۳۸/ و ۳۹.

۴- ۴) .التوبه۴۱/.

۵- ۵) .التوبه۲۹/.

فی المقام الإشاره إلی أنّ الخلط الذی حصل کان بسبب عدم التمییز بین الجهاد الابتدائی علی مستوی التنظیر و سیره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الفلسفه الحقوقیه التی تنطلق منها مشروعیّته، و بین ما حصل من ممارسه فی فتوحات البلدان،فإنّ الانطباع الذی أورثته تلک الممارسات فی أذهان الأمم الأخری عاد عقبه کئودا أمام انتشار الدین الإسلامی فی أرجاء المعموره.

فالدین الإسلامی-بناء علی هذا الانطباع-غطاء یحرز من وراءه جمع الثروات، و استعباد البشر فی صوره الرقیق،و لقضاء النزوات بعنوان ملک الإماء،فیهلک الحرث فی البلدان،و یبید النسل البشری فیها،و تحت رکام هذه الصوره حاولت تلک المجموعه من المثقّفین و الکتّاب فی الدول الإسلامیّه القیام بعملیه الغسیل،و تمییز الوجه الناصع للدین الحنیف عن تلک الممارسات،لکنّها خلطت بین حقیقه الجهاد الابتدائی و فلسفته الحقوقیه التی ینطلق منها،و بین ما حصل من ممارسات باسم الجهاد الابتدائی فی الفتوحات التی جرت،و نفتح أمام القارئ ملفّه کی یتبیّن له حقیقه الحال.

أغراض تشریع الجهاد الابتدائی

إنّ أغراض هذا التشریع للجهاد الابتدائی کما تدلّ علیه مجموع الآیات القرآنیه المتعرّضه للجهاد الابتدائی-و التی تقدّمت الإشاره إلی بعضها-فی الدین الحنیف،کما فی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ فَتَبَیَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقی إِلَیْکُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَیاهِ الدُّنْیا فَعِنْدَ اللّهِ مَغانِمُ کَثِیرَهٌ کَذلِکَ کُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَیْکُمْ فَتَبَیَّنُوا إِنَّ اللّهَ کانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیراً (۱).

فإنّ هذه الآیه تحدّد معلما مهمّا من معالم الجهاد،و إنّ الغرض فیه لیس جمع الغنائم و الأموال و الاسترقاق،بل قیاده الجموع البشریه و هدایتها إلی طریق اللّه و عبادته.

۱- ۱) .النساء۹۴/.

و كذا قوله تعالى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ* وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ* وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (۱).

و هذه ملحمه قرآنيه عمّن هو فى الصفوف مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو عسل اللسان و الكلام،و لكنّ قلبه مخالف تماما لما يظهره على لسانه،و هو شديد العداوه للّه و لرسوله، و الآيه تخبر أنّه إذا تولّى الأمور فسوف يكون سعيه فى ولايته فسادا فى الأرض و إهلاكا للحرث و النسل البشرى،و الحال إنّ اللّه تعالى لا يحبّ الفساد فى التكوين،و إنّ خاصيه هذا المتولّى التعصّب لفعله أمام نصيحه الآخرين له،كما إنّ هذه الآيه تحدّد أغراض الدين -بما فيه الجهاد الابتدائى-بأنّه ليس للإفساد فى الأرض و إهلاك الموارد الطبيعيه أو الإنجازات المدنيه التى حقّقها البشر،و لا الهدف تبديد النسل.

و كذا قوله تعالى: فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْكَمَهٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ* طاعَهٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ* أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ* أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها* إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ* فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَهُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ* وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (۲).

فهذه الآيات ترسم ملحمه مستقبليه لجماعه اَلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ،و هذه

۱- ۱) .البقره۲۰۴/-۲۰۶.

۲- ۲) .محمّد۲۰/-۳۰.

الجماعه قد أشار إليها القرآن الكريم فى سوره المدّثّر،رابع سوره نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى أوائل البعثه الشريفه فى مكّه المكرّمه،و أعلن وجودها فى صفوف الثلّه الأولى التى أسلمت،قال تعالى: عَلَيْها تِسْعَهَ عَشَرَ* وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَهً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَهً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّ هُوَ وَ ما هِىَ إِلاّ ذِكْرى لِلْبَشَرِ (۱).

فإنّ الآيات تبيّن أنّ المخاطب بعدّه الملائكه الموكّلين بالنار على أربعه أقسام:

الأوّل: «الَّذِينَ آمَنُوا» ،و الثانى: «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» ،و الثالث: «الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» ،و الرابع: «الْكافِرُونَ» ،و تخبر أنّ الذى سيحصل له الإيمان هما القسمان الأوّلان، أمّا القسمان الآخران فسيحصل لديهما الارتياب.و من الواضح أنّ المرض الذى فى القلب نحو من النفاق الخفىّ جدّا،أى الذى لا يظهر على صاحبه،بل يبطنه فى قلبه و خفاء أعماله،و قد ذكرنا أنّ الآيات القرآنيه تتابع هذه الفئه و الجماعه فى كثير من السور، تحت هذا العنوان و بهذا الاسم إلى آخر حياه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و نزول القرآن.

و الآيات هنا من سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم تبيّن أنّ غرض هذه الفئه هو تولّى الأمور و الأخذ بزمامها،و أنّ ذلك الغرض هو وراء انضمامها إلى صفوف المسلمين الأوائل؛إذ إنّ خبر ظفر النبىّ المبعوث صلّى اللّه عليه و آله و سلم كان منتشرا قبل البعثه،كما يشير إليه قوله تعالى:

وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (۲).

فقد أشارت الآيه إلى أنّ أهل الكتاب كانوا يستفتحون و ينتظرون و يطلبون الفتح و النصر و الظفر بالنبىّ-الذى سيبعث خاتما- على الكافرين من مشركى الجزيره العربيه

۱- ۱) .المدّثّر۳۰/ و ۳۱.

۲- ۲) .البقره۸۹/.

،فلمّا عرفوا ذلک و أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد بعث کفروا برسالته؛فالسوره تبیّن أنّ غرض هذه الفئه اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هو تسلّم مقالید الأمور،و أنّها کانت علی اتّصال فی الخفاء و ارتباط مع فئات معادیه علنا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم؛ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِینَ کَرِهُوا... ، و کذلک بقیه السور المتعرّضه لهذه الفئه بهذا الاسم تشیر إلی هذه العلاقات بین هذه الفئه و بین بقیه الفئات الأخری.

ثمّ إنّ السوره تبیّن أنّ طابع سیاسه الدوله التی یقیمها أفراد هذه الفئه هو الإفساد فی الأرض،و قطع الصله بمن أمر تعالی بوصلهم و مودّتهم،کالذی تشیر إلیه آیه ۲۰۵ من سوره البقره: وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ ؛فهذه الآیات تحدّد أنّ أغراض الشریعه-فی أحکامها و قوانینها السیاسیه،و أبواب فقه النظام و السیاسه الشامله للجهاد الابتدائی-لیس الإفساد فی الأرض،و إهلاک الحرث،و تبدید النسل البشری،فإنّ اللّه یحبّ صلاح الأرض و أهلها،فهذا هو سبیل اللّه تعالی الذی أمرت الآیات القرآنیه العدیده بالقتال فیه،و فی سبیل المستضعفین من الرجال و النساء و الولدان؛لأجل إزاله استضعافهم و إرجاع حقوقهم المغتصبه.

و نلخّص ما تقدّم فی هذا الموضوع بجمله مختصره،و هی:إنّ البحث عن«عداله الصحابه»لا بدّ من التعمّق فیه،و رفع الإجمال یکتنفه،هل المراد به:کلّ الصحابه،أم بعضهم؟!و من هم أولئک البعض؟!هل هم تکتّل بیعه السقیفه و رموزها،أم یشمل سعد بن عباده و الأنصار و البیت الهاشمی و علیا علیه السّلام و سلمان و أبا ذر و المقداد و عمّارا،و غیرهم ممّن کان فی تکتّل علی علیه السّلام؟!فهل الدائره هی بحسب ما یذکر فی تعریف الصحابی،أم أضیق؟!

ثمّ ما المراد بالعداله؟!هل هی بمعنی الإمامه فی الدین؟!و ما المراد بحجیّه قول و عمل الصحابی؟!هل هی بمعنی العصمه؟!

أم بمعنی حجّیه الفتوی کمجتهدین،مثل بقیه المجتهدین،بحدود اعتبار الاجتهاد و ضوابط موازینه الشرعیه؟!

و على هذا،فلم لا يحتمل القائل خطأ أصحاب السقيفه فى بيعتهم،و خطأ اجتهادهم مع وجود النصّين القرآنى و النبوى على إمامه علىّ عليه السّلام؟!و لم يدّعى القائل امتناع احتمال ذلك؟!و كيف يبيّن الملازمه بين فضيله الشيخين،و بين امتناع خطأ اجتهادهما،بعد فرض تسليمه بعدم عصمتهما؟!و إذا كانت المسأله اجتهاديّه فلم لا يسوّغ الاجتهاد المخالف؟!

أم هى بمعنى حجّيه روايتهم كرواه ثقات،بحدود حجّيّه قول الراوى فى الخبر؟!ثمّ ما هو الغرض المترتّب على سدّ الحديث و الكلام عمّا وقع منهم و بينهم؟!و كيف يتلاءم ذلك مع دعوى الاقتداء بهم،إذا لم تعرف سيرتهم و أعمالهم؟!

و نذيّل المقال ببعض الأحاديث التى ذكرها أصحاب الصحاح:

١. روى البخارى فى صحيحه،عن أبى وائل،عن حذيفه بن اليمان،قال:«إنّ المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،كانوا يومئذ يسرّون و اليوم يجهرون» (١).

و هو مثار سؤال واجه كثيرا من الباحثين فى التاريخ الإسلامى؛إذ أنّ القرآن الكريم فى سوره المباركه أشار إلى مشكله كبيره و خطيره كانت قائمه تواجه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و المسلمين،و هى أصناف و طوائف المنافقين،و قد أشرنا فى ما سبق إلى بعض تلك السور الكريمه،و لا يفتأ القرآن يتابعهم فى كلّ خطواتهم،التى كانت خطيره على أوضاع المسلمين حتّى آخر حياه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و لكن فجأه لا يرى الباحث فى التاريخ وجودا لهذه المشكله بعد وفاه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم!فهل إنّ أفراد طوائف و مجموعات النفاق قد تابوا و آمنوا بعد وفاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!أم إنّ الوضع-كما يصفه حذيفه بن اليمان،الخبير بمعرفه المنافقين،كما فى روايات الفريقين،و الذى شهد مؤامره العقبه التى دبّرت فى غزوه«تبوك»لاغتيال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم-عاد مؤاتيا لتحرّكهم و فسح المجال لهم بالجهر بمقاصدهم التى يحيكونها

١- ١) .صحيح البخارى ١٠۴/٩ ح ۵۶ كتاب الفتن ب ٢١.

ضدّ الإسلام؟!

۲. و روى أيضا،عن أبى الشعثاء،عن حذيفه،قال:«إنّما كان النفاق على عهد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فأمّا اليوم فإنّما هو الكفر بعد الإيمان» (۱).

۳. و روى مسلم فى صحيحه،عن قيس،قال:«قلت لعمّار:أ رأيتم صنيعكم هذا الذى صنعتم فى أمر علىّ،أ رأيا رأيتموه،أو شيئا عهده إليكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!،فقال:ما عهد إلينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم شيئا لم يعهده إلى الناس كافّه،و لكنّ حذيفه أخبرنى،عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،قال:قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:فى أصحابى اثنا عشر منافقا،فيهم ثمانيه لا يدخلون الجنّه حتّى يلج الجمل فى سمّ الخياط،ثمانيه منهم تكفيكهم الدبيله؛و أربعه لم أحفظ ما قال شعبه فيهم.و الذيل من قول الراوى عن شعبه،عن قتاده،عن أبى نضره،عن قيس» (۲).

و روى مثله بطريق آخر (۳).

و ما قاله عمّار بيّن؛لأنّ تنصيب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعلىّ عليه السّلام يوم الغدير كان على ملأ الناس الراجعين من حجّه الوداع،و غيرها من المواطن الأخرى،و إنّما أراد عمّار بيان أنّ مناوئى علىّ عليه السّلام و خصومه كان حذيفه قد عدّهم من الاثنى عشر منافقا الّذين يمتنع دخولهم الجنّه.

۴. و روى بعد الحديثين السابقين،عن أبى الطفيل،قال:«كان بين رجل من أهل العقبه و بين حذيفه بعض ما يكون بين الناس،فقال:أنشدك باللّه،كم كان أصحاب العقبه ؟قال:فقال له القوم:أخبره إذ سألك!قال:كنّا نخبر أنّهم أربعه عشر،فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسه عشر،و أشهد باللّه أنّ اثنى عشر منهم حرب للّه و لرسوله فى الحياه

۱- ۱) .صحيح البخارى ۱۰۴/۹ ح ۵۸ كتاب الفتن ب ۲۱.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۱۲۲/۸ كتاب صفات المنافقين و أحكامهم.

۳- ۳) .صحيح مسلم ۱۲۲/۸ كتاب صفات المنافقين و أحكامهم.

الدنیا و یوم یقوم الأشهاد (۱)...»الحدیث.

۵. و روی مسلم،عن ابن عمر:إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قام عند باب حفصه،فقال بیده نحو المشرق:«الفتنه هاهنا،من حیث یطلع قرن الشیطان»قالها مرّتین أو ثلاثا (۲).

و قال عبید اللّه بن سعید فی روایته:قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند باب عائشه (۳).و روی عن ابن عمر،قال:خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من بیت عائشه فقال:«رأس الکفر من هاهنا، من حیث یطلع قرن الشیطان»یعنی المشرق.و الذیل من تفسیر الراوی (۴).

۶. و روی أیضا،عن أبی سعید الخدری،قال:أخبرنی من هو خیر منّی،إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال لعمّار حین جعل یحفر الخندق و جعل یمسح رأسه و یقول:«بؤس ابن سمیّه،تقتلک فئه باغیه»و فی طریق:«ویس أو:یا ویس ابن سمیّه» (۵).قال النووی فی شرح الحدیث:«قال العلماء:هذا الحدیث حجّه ظاهره فی أنّ علیّا رضی اللّه عنه کان محقّا مصیبا،و الطائفه الأخری بغاه،لکنّهم مجتهدون فلا إثم علیهم لذلک،کما قدّمناه فی مواضع،منها هذا الباب،و فیه معجزه ظاهره لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من أوجه،منها:إنّ عمّارا یموت قتیلا،و إنّه یقتله مسلمون،و إنّهم بغاه،و إنّ الصحابه یقاتلون،و إنّهم یکونون فرقتین:باغیه و غیرها،و کلّ هذا وقع مثل فلق الصبح،صلّی اللّه و سلّم علی رسوله الذی لا ینطق عن الهوی إن هو إلّا وحی یوحی (۶).و روی بطرق أربعه أخری ما یقرب من ألفاظ هذا الحدیث من أنّ عمّارا تقتله الفئه الباغیه» (۷).

۱- ۱) .صحیح مسلم ۱۲۳/۸ کتاب صفات المنافقین و أحکامهم.

۲- ۲) .صحیح مسلم ۱۸۱/۸ کتاب الفتن و أشراط الساعه.

۳- ۳) .صحیح مسلم ۱۸۱/۸ کتاب الفتن و أشراط الساعه.

۴- ۴) .صحیح مسلم ۱۸۱/۸ کتاب الفتن و أشراط الساعه.

۵- ۵) .صحیح مسلم ۱۸۵/۸-۱۸۶ کتاب الفتن و أشراط الساعه.

۶- ۶) .صحیح مسلم بشرح النووی ۳۴/۱۸ ح ۲۹۱۶.

۷- ۷) .صحیح مسلم ۱۸۵/۸-۱۸۶،صحیح مسلم بشرح النووی ۳۳/۱۸-۳۴ ح ۲۹۱۵ و ۲۹۱۶.

هـذا،و إذا كـان النووى يجوّز خطأ اجتهـاد معاويه لوجود النصّ على حقّ و صواب علىّ عليه السّـلام،فلم لا يجوّز النووى و أهل الجمـاعه خطأ اجتهاد الشـيخين مع وجود النصّ على علىّ عليه السّـلام؟!فإذا كان الاجتهاد ممكن مع وجود النصّ،و يمكن تأوّل المجتهـد للنصّ،فلم لا يمكن خطأ المجتهـد فى تأوّله؟!و لم يمتنع خطأ اجتهاد أصـحاب السـقيفه فى تأوّلهم للنصّ على علىّ عليه السّـلام؟!و لم لا يسوّغ أهل الجماعه لأنفسـهم الاجتهاد فى صـحّه أو خطأ بيعه السقيفه،و يفتحوا باب الاجتهاد فى ذلك ما دامت أنّ المسأله اجتهاديه؟!فكيف يدّعون فيها الضروره أو التسالم و يغلقون باب الاجتهاد و الفحص و التحرّى عن الحقيقه؟!

۷. و روى أيضا،عن أبى إدريس الخولانى:«كان يقول حـذيفه بن اليمان:و اللّه إنّى لأعلم الناس بكلّ فتنه هى كائنه فى ما بينى و بين الساعه و ما بى إلاّ أن يكون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أسرّ إلىّ فى ذلك شيئا لم يحدّثه غيرى،و لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليـه و آله و سـلم قـال و هـو يحـدّث مجلسـا أنـا فيه عن الفتن (۱).الحـديث».و روى أيضا،عن عبـد اللّه بن يزيـد،عن حذيفه، أنّه قال:«أخبرنى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعه،فما منه شىء إلاّ و قد سألته،إلاّ أنّى لم أسأله ما يخرج أهل المدينه من المدينه» (۲).

۸. و رووا فى الصـحاح،عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم،أنّه قال:«بينا أنا قائم-يعنى يوم القيامه على الحوض-إذا زمره،حتّى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال:هلمّ.فقلت:

أين؟!؛فقال:إلى النار و اللّه؛قلت:و ما شأنهم؟!؛قال:إنّهم ارتـدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى-إلى أن قال:-فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم» (۳).الحديث.

و هو يطابق قوله تعالى: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ

۱- ۱) .صحيح مسلم ۱۷۲/۸ كتاب الفتن و أشراط الساعه.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۱۷۲/۸ كتاب الفتن و أشراط الساعه.

۳- ۳) .صحيح البخارى ۲۱۷/۸ ح ۱۶۶ كتاب الرقاق باب الحوض.

اِنْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ (۱).

و مفاد الآيه ملحمه قرآنيه عمّا بعد حياه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

ثمّ إنّ القائلين بعداله الصحابه ما داموا لا يرون فى تفسير فضيله الشيخين معنى العصمه،فلم يدّعون الملازمه بين اجتهادهما فى أمر الخلافه و بين الصواب،و أنّ تخطئتهما فى ما اجتهدا فيه مخالفه لضروره الدين أو للمتسالم عندهم؟!،أ ليست دعوى ضروره صوابهما هى تثبيت عصمتهما؟!،أو ليس امتناع الخطأ منهما ينافى القول بأنّ ما أتيا به هو اجتهاد منهما؟!؛كما إنّه ما هو المحصّل من وراء الفضيله لهما؟!،هل بمعنى امتناع خطئهما،و أنّ ما أتيا به لا يمكن أن يخطئ الواقع؛فبتوسّط تلك الفضيله لم يكن ما يريانه اجتهاد،و إنّما هو عين اللوح المحفوظ؟!!كلّ هذه الجهات يراها الناظر مدمجه عند القائلين بالمقاله المزبوره!

۱- ۱) .آل عمران۱۴۴/.

۵–موقف الصدیقه فاطمه علیها السّلام تجاه الصحابه

ص:۱۳۱

فقد روى عن المفضّل بن عمر،قال:

قال مولاى جعفر الصادق عليه السّلام:لمّا ولى أبو بكر بن أبى قحافه...ثمّ سرد عليه السّلام منعه فاطمه و علىّ و أهل بيته الخمس و الفىء و فدكا،و مجىء فاطمه لمحاجّه أبى بكر بقوله تعالى: فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ (۱)و أنّها و ولدها أقرب الخلائق إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و بقوله تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ (۲)و قوله تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ (۳)و أنّ ما للّه فهو لرسوله،و ما لرسوله فهو لذى القربى،و أنّها و علىّ و ولدهما ذوو القربى الّذين قال اللّه تعالى فيهم: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى (۴)

فنظر أبو بكر بن أبى قحافه إلى عمر بن الخطّاب و قال:ما تقول؟؛فقال عمر:

و من اليتامى و المساكين و أبناء السبيل؟!؛قالت فاطمه عليها السّلام:اليتامى الّذين

۱- ۱) .الروم۳۸/.

۲- ۲) .الأنفال۴۱/.

۳- ۳) .الحشر۷/.

۴- ۴) .الشورى۲۳/.

يأتمّون باللّه و برسوله و بذى القربى،و المساكين الّذين أسكنوا معهم فى الدنيا و الآخره،و ابن السبيل الذى يسلك مسلكهم.قال عمر:فإذا الخمس و الفىء كلّه لكم و لمواليكم و أشياعكم؟!

فقالت فاطمه عليها السّلام:أمّا فدك فأوجبها اللّه لى و لولدى دون موالينا و شيعتنا، و أمّا الخمس فقسّمه اللّه لنا و لموالينا و أشياعنا كما يقرأ فى كتاب اللّه.قال عمر:فما لسائر المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان؟!قالت فاطمه:إن كانوا موالينا و من أشياعنا فلهم الصدقات التى قسّمها اللّه و أوجبها فى كتابه فقال اللّه عزّ و جلّ: إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقابِ (۱)...إلى آخر القصّه.قال عمر:فدك لك خاصّه و الفىء لكم و لأوليائكم؟!ما أحسب أصحاب محمّد يرضون بهذا!!

قالت فاطمه:فإنّ اللّه عزّ و جلّ رضى بذلك،و رسوله رضى به،و قسّم على الموالاه و المتابعه لا على المعاداه و المخالفه،و من عادانا فقد عادى اللّه،و من خالفنا فقد خالف اللّه،و من خالف اللّه فقد استوجب من اللّه العذاب الأليم و العقاب الشديد فى الدنيا و الآخره.فقال عمر:هاتى بيّنه يا بنت محمّد على ما تدّعين؟!؛فقالت فاطمه عليها السّلام:قد صدّقتم جابر بن عبد اللّه و جرير بن عبد اللّه و لم تسألوهما البيّنه!و بيّنتى فى كتاب اللّه.فقال عمر:إنّ جابرا و جريرا ذكرا أمرا هيّنا،و أنت تدّعين أمرا عظيما يقع به الردّه من المهاجرين و الأنصار!فقالت ۳:إنّ المهاجرين برسول اللّه و أهل بيت رسول اللّه هاجروا إلى دينه،و الأنصار بالإيمان باللّه و رسوله و بذى القربى أحسنوا ،فلا هجره إلّا إلينا،و لا نصره إلّا لنا،و لا اتّباع بإحسان إلّا بنا،و من ارتدّ

۱- ۱) .التوبه ۶۰/.

عنّا فإلى الجاهليه (۱)

فها هى بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم تمحّص عن الضابطه القرآنيه فى حسن الصحبه و سوئها،و هى على الموالاه و المتابعه لرسول اللّه و أهل بيته لا- المعاداه لهم و المخالفه، و أنّ الهجره تحقّقت بهم،و النصره بنصره اللّه و رسوله و ذى القربى،فلا هجره إلّا إليهم لا إلى غيرهم،و لا نصره إلّا لهم لا عليهم،و لا اتّباع بإحسان إلّا باتّباع سبيلهم و صراطهم.

اهدنا الصراط المستقيم صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالّين، سبيل و صراط المطهّرين من المعصيه و الذنوب،و من الضلاله و الجهل و العمى.

و دلّلت على ذلك بأن قرن تعالى بين رسوله و بين ذى القربى فى مواطن،كما فى اختصاص الخمس و الفىء-الذى وصفه عمر بأنّه أمرا عظيما-باللّه و رسوله و ذى القربى، لمكان اللام،دون اليتامى و المساكين و ابن السبيل،و التفرقه للدلاله على أنّ ملكيه التصرّف هى شأنه تعالى و رسوله و ذى القربى،و أنّ مودّه ذوى القربى المفترضه فى الكتاب كأجر لكلّ الرساله هو موالاتهم و مجانبه عدائهم و مخالفتهم،فمدار حسن الصحبه على ذلك و سوئها على خلافه.

و لقد أنصف أحمد بن حنبل؛إذ يروى عنه الفقيه الحنبلى ابن قدامه عند قوله:

و أمّا حمل أبى بكر و عمر(رض)على سهم ذى القربى فى سبيل اللّه،فقد ذكر لأحمد فسكت و حرّك رأسه و لم يذهب إليه،و رأى أنّ قول ابن عبّاس و من وافقه أولى؛لموافقته كتاب اللّه و سنّه رسول اللّه صلى اللّه عليه[و آله] و سلّم،فإنّ ابن عباس لمّا سئل عن سهم ذى القربى فقال:إنّا كنّا نزعم أنّه لنا فأبى ذلك علينا قومنا؛و لعلّه أراد بقوله(أبى ذلك علينا قومنا)فعل أبى بكر و عمر(رض)فى حملهما عليه فى سبيل اللّه و من تبعهما على ذلك،و متى اختلف الصحابه و كان قول بعضهم يوافق الكتاب و السنّه كان أولى،و قول

۱- ۱) .الكشكول فى ما جرى على آل الرسول:۲۰۳-۲۰۵،و بحار الأنوار ۱۹۴/۲۹ ح ۴۰،نقلا عنه.

ابن عبّاس موافق للكتاب و السنّه (۱).

و روی البخاری بسنده عن عائشه،فی کتاب المغازی باب ۳۸ باب غزوه خیبر:

إنّ فاطمه علیها السّلام بنت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أرسلت إلی أبی بکر تسأله میراثها من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ممّا أفاء اللّه علیه بالمدینه و فدک و ما بقی من خمس خیبر.

فقال أبو بکر:إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال:إنّا لا نورّث ما ترکناه صدقه،إنّما یأکل آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلم من هذا المال،و إنّی و اللّه لا أغیّر من صدقه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عن حالها التی کانت علیه فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و لأعملن فیها بما عمل فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم.فأبی أبو بکر أن یدفع إلی فاطمه شیئا،فوجدت فاطمه فهجرته،فلم تکلّمه حتّی توفّیت،و عاشت بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ستّه أشهر،فلمّا توفّیت دفنها زوجها علیّ لیلا،و لم یؤذن بها أبو بکر،و صلّی علیها (۲).

و رواه مسلم فی صحیحه بنفس ألفاظه،و أحمد فی مسنده (۳).

و فی هذا الروایه التی هی من طرقهم (۴)،و نظیراتها ممّا رووها،فضلا عن طرقنا، ما یدلّ علی إنّها علیها السّلام کانت ساخطه علی أبی بکر و عمر،منکره لخلافتهم و إمامتهم إلی أن توفّیت علیها السّلام،مع إنّ من مات و لم یبایع أو لم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیه و کفر و ضلال،ممّا یدلّ علی نفی إمامتهم و خلافتهم،لکونها مطهّره فی القرآن من کلّ

۱- ۱) .المغنی ۳۰۱/۷.

۲- ۲) .صحیح البخاری ۱۷۷/۵،فتح الباری فی شرح صحیح البخاری ۴۹۳/۷.

۳- ۳) .صحیح مسلم:۱۳۸۰ ح ۱۷۵۹،مسند أحمد ۲۴۲/۲ و ص ۳۷۶ و ص ۴۶۳-۴۶۴؛و فیه: عن أبی هریره،قال:قال رسول اللّه: لا تقتسم ورثتی دینارا و لا درهما،ما ترکت بعد نفقه نسائی و مئونه عاملی فهو صدقه

۴- ۴) .صحیح ابن حبان ۵۷۳/۱۴ ح ۶۶۰۷.

رجس،و هی سیّده نساء العالمین،و أنّ اللّه یرضی لرضاها و یغضب لغضبها.

و الغریب فی دعوی أبی بکر بکون الخمس و الفیء الخاصّ برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و ذی القربی صدقه،فإنّ الناظر علی الصدقه الجاریه أیضا هو الوارث لا الأجنبی،فإنّ ولایه النظاره علی الصدقات الجاریه أیضا هی من نصیب الوارث،فکیف یمنعها عن الوارث؟!! و فی موضع آخر (۱)قالت علیها السّلام فی معرض خطبتها المعروفه تجاه المهاجرین:

قالت-بعد الثناء علی اللّه تعالی بأبلغ ثناء،و ذکر نعمه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی هدایته للأمّه،و کثره و شدّه بلاء ابن عمّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علیّ بن أبی طالب فی إرساء الدین-:

و أنتم فی بلهنیه من العیش-أی سعه- وادعون آمنون،حتّی إذا اختار اللّه لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم دار أنبیائه ظهرت حسیکه النفاق،و سمل جلباب الدین،و نطق کاظم الغاوین،و نبع خامل الآفلین،و هدر فنیق المبطلین،فخطر فی عرصاتکم،و أطلع الشیطان رأسه من مغرزه صارخا بکم،فوجدکم لدعائه مستجیبین،و للغرّه فیه ملاحظین،فاستنهضکم فوجدکم خفافا،و أحمشکم فألفاکم غضابا،فوسمتم غیر إبلکم،و أوردتموها غیر شربکم.

هذا،و العهد قریب،و الکلم رحیب،و الجرح لمّا یندمل،بدارا زعمتم خوف الفتنه أَلا فِی الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکافِرِینَ (۲)،فهیهات منکم!و أنّی بکم؟!و أنّی تؤفکون؟!و هذا کتاب اللّه بین أظهرکم،و زواجره بیّنه،و شواهده لائحه،و أوامره واضحه،أرغبه عنه تدبرون؟!أم بغیره تحکمون؟! بِئْسَ لِلظّالِمِینَ بَدَلاً (۳)... وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلامِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ

۱- ۱) .بلاغات النساء:۱۲-۲۰،الاحتجاج ۲۶۳/۱،بحار الأنوار ۱۰۸/۲۹ ح ۲ و ص ۲۳۳ ضمن ح ۸ خطبه الزهراء علیها السّلام،و انظر:شرح نهج البلاغه ۲۱۲/۱۶.

۲- ۲) .التوبه۴۹/.

۳- ۳) .الکهف ۵۰/.

مِنْهُ وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخاسِرِینَ (۱)

ثمّ لم تریثوا إلّا ریث أن تسکن نغرتها،تشربون حسوا،و تسرون فی ارتغاء، و نصبر منکم علی مثل حزّ المدی،و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا.

أَ فَحُکْمَ الْجاهِلِیَّهِ یَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُکْماً لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ (۲)؟!

ویها معشر المهاجرین!أ أبتزّ إرث أبی؟!أ فی کتاب اللّه أن ترث أباک و لا أرث أبی؟!لقد جئت شیئا فریّا.فدونکها مخطومه مرحوله تلقاک یوم حشرک فنعم الحکم اللّه،و الزعیم محمّد و الموعد القیامه،و عند الساعه یخسر المبطلون و لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۳).

ثمّ انحرفت إلی قبر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و هی تقول:

قد کان بعدک أنباء و هنبثه

لو کنت شاهدها لم تکثر الخطب

إنّا فقدناک فقد الأرض وابلها

و اختلّ قومک فاشهدهم فقد نکبوا

تجهمتنا رجال و استخفّ بنا

بعد النبیّ و کلّ الخیر مغتصب

سیعلم المتولی ظلم حامتنا

یوم القیامه أن سوف ینقلب

فقد لقینا الذی لم یلقه أحد

من البریه لا عجم و لا عرب.

و قالت علیها السّلام (۴)تجاه الأنصار:

۱- ۱) .آل عمران۸۵/.

۲- ۲) .المائده ۵۰/.

۳- ۳) .الأنعام۶۷/.

۴- ۴) .بلاغات النساء:۱۲-۲۰.

معشر البقیه،و أعضاد الملّه،و حصون الإسلام!ما هذه الغمیزه فی حقّی، و السنه عن ظلامتی؟!أ ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقول:المرء یحفظ فی ولده؟! سرعان ما أجدبتم فأکدیتم،و عجلان ذا إهانه،تقولون:مات رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم!فخطب جلیل استوسع وهیه،و استنهر فتقه،و بعد وقته،و أظلمت الأرض لغیبته،و اکتأبت خیره اللّه لمصیبته،و خشعت الجبال،و أکدت الآمال،و أضیع الحریم،و أزیلت الحرمه عند مماته صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

و تلک نازله علن بها کتاب اللّه فی أفنیتکم،فی ممساکم و مصبحکم،یهتف بها فی أسماعکم،و قبله حلّت بأنبیاء اللّه عزّ و جلّ و رسله: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ (۱)

إیها بنی قیله!أ أهضم تراث أبیه و أنتم بمرأی منه و مسمع؟!تلبسکم الدعوه، و تشملکم الحیره،و فیکم العدد و العدّه،و لکم الدار،و عندکم الجنن،و أنتم الأُلی نخبه اللّه التی انتخب لدینه،و أنصار رسوله و أهل الإسلام و الخیره التی اختار لنا أهل البیت،فبادیتم العرب،و ناهضتم الأمم،و کافحتم البهم،لا نبرح نأمرکم و تأتمرون،حتّی دارت لکم بنا رحا الإسلام،و درّ حلب الأنام، و خضعت نعره الشرک و باخت نیران الحرب،و هدأت دعوه الهرج، و استوسق نظام الدین،فأنّی حرتم بعد البیان،و نکصتم بعد الإقدام، و أسررتم بعد الإعلان،لقوم نکثوا أیمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بدءوکم أوّل مره. أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۲)؟!

ألا قد أری أن قد أخلدتم إلی الخفض،و أبعدتم من هو أحقّ بالبسط و القبض، و رکنتم إلی الدعه فعجتم عن الدین،و مججتم الذی وعیتم،و دسعتم الذی

۱- ۱) .آل عمران۱۴۴/.

۲- ۲) .التوبه۱۳/.

سوّغتم ف إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِیٌّ حَمِیدٌ (۱).

ألاـ و قد قلت الذی قلته علی معرفه منّی بالخذلان الذی خامر صدورکم، و استشعرته قلوبکم،و لکن قلته فیضه النفس،و نفثه الغیظ،و بثّه الصدر، و معذره الحجّه،فدونکموها فاحتقبوها،مدبره الظهر،ناکبه الخفّ، باقیه العار،موسومه بشنار الأبد،موصوله ب نارُ اللّهِ الْمُوقَدَهُ* اَلَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ (۲)،فبعین اللّه ما تفعلون. وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ (۳)،و أنا ابنه نَذِیرٌ لَکُمْ بَیْنَ یَدَیْ عَذابٍ شَدِیدٍ (۴)ف اِعْمَلُوا عَلی مَکانَتِکُمْ إِنّا عامِلُونَ* وَ انْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ (۵).

ثمّ إنّها علیها السّلام تشیر فی استنهاضها الأنصار إلی بیعتهم،بیعه العقبه لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم، حین عاهدوه علی أن یمنعوه و ذرّیّته ممّا یمنعون منه أنفسهم و ذراریهم،و کانت تقول عند ما دار بها علیّ علیه السّلام علی أتان و الحسنین علیهما السّلام معها علی بیوت المهاجرین و الأنصار:

یا معشر المهاجرین و الأنصار!انصروا اللّه فإنّی ابنه نبیّکم و قد بایعتم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یوم بایعتموه أن تمنعوه و ذرّیّته ممّا تمنعون منه أنفسکم و ذراریکم،ففوا لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ببیعتکم (۶).

و قالت علیها السّلام عند ما اجتمع عندها نساء المهاجرین و الأنصار فقلن لها:یا بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم!کیف أصبحت عن علّتک؟فقالت علیها السّلام:

أصبحت و اللّه عائفه لدنیاکم،قالیه لرجالکم،لفظتهم بعد أن عجمتهم،

۱- ۱) .إبراهیم۸/.

۲- ۲) .الهمزه۶/ و ۷.

۳- ۳) .الشعراء۲۲۷/.

۴- ۴) .سبأ۴۶/.

۵- ۵) .هود۱۲۱/ و ۱۲۲.

۶- ۶) .الاختصاص ۱۸۳-۱۸۵،و انظر:شرح نهج البلاغه ۲۱۰/۱۶-۲۱۳،الاحتجاج ۲۰۶/۱ و ص ۲۰۹،الغدیر ۱۹۲/۷؛و ذکر جمله من المصادر.

و شـنئتهم بعد أن سبرتهم،فقبحا لفلول الحدّ،و خور القناه،و خطل الرأى،و لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِى الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ (۱)،لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها،و شنت عليهم عارها،فجدعا و عقرا و سحقا للقوم الظالمين.

ويحهم!أنّى زحزحوهـا عن رواسـى الرسـاله،و قواعـد النبوّه،و مهبـط الوحى الأـمين،و الطـبين بـأمر الـدنيا و الـدين،ألاـ ذلـك هو الخسـران المبين،و ما الذى نقموا من أبى الحسن؟!نقموا و اللّه منه نكير سيفه،و شدّه وطأته،و نكال وقعته،و تنمّره فى ذات اللّه عزّ و جلّ.

و اللّه لو تكافئوا عن زمام نبذه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم إليه لاعتلقه،و لسار بهم سـيرا سـجحا،لا يكلم خشاشه،و لا يتعتع راكبه،و لأـوردهم منهلا نميرا فضـفاضا،تطفـح ضـفتاه،و لأصـدرهم بطانا،قـد تحرّى بهم الرىّ غير متحلّ منه بطائل إلّا بغمر الماء و ردعه شـرره الساغب،و لفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض،و سيأخذهم اللّه بما كانوا يكسبون. وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ (۲).

ألاـ هلمّ فاسـتمع!و مـا عشت أراك الـدهر عجبـا!و إن تعجب فعجب قولهم!ليت شـعرى إلى أىّ سـناد اسـتندوا؟!و على أىّ عماد اعتمدوا؟!و بأيّه عروه تمسّكوا؟! و على أيّه ذرّيّه أقدموا و احتنكوا؟!لبئس المولى و لبئس العشير،و بئس للظالمين بدلا،استبدلوا و اللّه الذنابى بالقوادم،و العجز بالكاهل،فرغما لمعاطس قوم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۳)، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ (۴)ويحهم! أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا

۱- ۱) .المائده ۸۰/.

۲- ۲) .الزمر ۵۱/.

۳- ۳) .الکهف ۱۰۴/.

۴- ۴) .البقره ۱۲/.

يَهِدِّی إِلاّ أَنْ يُهْدی فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۱)أما لعمری لقد لقحت،فنظره ريثما تنتج،ثمّ احتلبوا ملء القعب دما عبيطا و زعافا مبيدا،هنالك يخسر المبطلون،و يعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون،ثمّ طيبوا عن دنياكم أنفسا، و اطمئنّوا للفتنه جأشا،و أبشروا بسيف صارم،و سطوه معتد غاشم،و بهرج شامل،و استبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا،و جمعكم حصيدا،فيا حسره لكم،و أنّى بكم و قد عمّيت عليكم؟! أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (۲)؟! (۳)

فتحصّل أنّها عليها السّلام لا ترى مجرّد الهجره و النصره دليلا على الاستقامه و الصلاح و حسن العاقبه و الخاتمه،بل لا بدّ من الإقامه على شروط العهد و المواثيق التی أخذها عليهم اللّه تعالی و رسوله،من الإقرار بالتوحيد و الرساله و الولايه لأهل بيته و مودّتهم و نصرتهم.و هذا عين ما تقدّم استفادته من الآيات العديده،و الروايات النبويّه التی رواها أهل سنّه الجماعه،نظير روايات العرض على الحوض من أنّ بعض الصحابه يزوون عنه إلى جهنّم فيقول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

ربّ أصحابی!فيجاب:إنّهم بدّلوا بعدك و أحدثوا،فيقول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:بعدا بعدا سحقا سحقا.

و روى ابن قتيبه الدينوری فی كتابه الإمامه و السياسه:أنّ عليّا عليه السّلام خرج يحمل فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على دابّه ليلا فی مجالس الأنصار تسألهم النصره،فكانوا يقولون:يا بنت رسول اللّه!قد مضت بيعتنا لهذا الرجل،و لو أنّ زوجك و ابن عمّك سبق إلينا قبل أبی بكر ما عدلنا به،فيقول علیّ كرّم اللّه وجهه:أ فكنت أدع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

۱- ۱) .يونس۳۵/.

۲- ۲) .هود۲۸/.

۳- ۳) .معانی الأخبار۳۵۴/-۳۵۶،الأمالی-للطوسی-۳۷۴ مج ۱۳ ح ۵۵،الاحتجاج ۲۸۶/۱-۲۹۲،بحار الأنوار ۱۵۸/۴۳-۱۶۰.

فی بیته لم أدفنه و أخرج أنازع الناس سلطانه؟!فقالت فاطمه:ما صنع أبو الحسن إلاّ ما کان ینبغی له،و لقد صنعوا ما اللّه حسیبهم و طالبهم.

و روی-بعد ما ذکر هجوم عمر و جماعته علی بیت فاطمه لإخراج علیّ علیه السّلام للبیعه- أنّ عمر قال لأبی بکر:انطلق بنا إلی فاطمه فإنّا قد أغضبناها،فانطلقا جمیعا فاستأذنا علی فاطمه،فلم تأذن لهما،فأتیا علیّا فکلّماه،فأدخلهما علیها،فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلی الحائط،فسلّما علیها،فلم تردّ علیهما السّلام.

فتکلّم أبو بکر فقال:یا حبیبه رسول اللّه!و اللّه إنّ قرابه رسول اللّه أحبّ إلیّ من قرابتی،و إنّک لأحبّ إلیّ من عائشه ابنتی،و لوددت یوم مات أبوک أنّی متّ و لا أبقی بعده، أ فترانی أعرفک و أعرف فضلک و شرفک و أمنعک حقّک و میراثک من رسول اللّه؟!إلاّ أنّی سمعت أباک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقول:لا نورث ما ترکناه،فهو صدقه.

فقالت:أ رأیتکما إن حدثتکما حدیثا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم تعرفانه و تفعلان به؟!؛ قالا:نعم.

فقالت:نشدتکما اللّه أ لم تسمعا رسول اللّه یقول:رضا فاطمه رضای،و سخط فاطمه من سخطی،فمن أحبّ فاطمه ابنتی فقد أحبّنی،و من أرضی فاطمه فقد أرضانی، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنی؟!قالا:نعم،سمعناه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

قالت:فإنّی أشهد اللّه و ملائکته أنّکما أسخطتمانی و ما أرضیتمانی،و لئن لقیت النبیّ لأشکونّکما إلیه.فقال أبو بکر:أنا عائذ باللّه تعالی من سخطه و سخطک یا فاطمه.

ثمّ انتحب أبو بکر یبکی حتّی کادت نفسه أن تزهق،و هی تقول:و اللّه لأدعونّ اللّه علیک فی کلّ صلاه أصلیها.ثمّ خرج باکیا،فاجتمع إلیه الناس فقال لهم:یبیت کلّ رجل منکم معانقا حلیلته،مسرورا بأهله،و ترکتمونی و ما أنا فیه،لا حاجه لی فی بیعتکم، أقیلونی بیعتی» (۱).

۱- ۱) .الإمامه و السیاسه۱۳/ و ۱۴.

۶–موقف امیر المؤمنین علیه السّلام تجاه الصحابه

ص:۱۴۵

ورد فی کتاب للإمام علیّ علیه السّلام إلی معاویه-جوابا علی کتاب له-ما نصّه:

کان أشدّ الناس علیه[علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم]تألیبا و تحریضا هم أسرته، و الأدنی فالأدنی من قومه إلّا قلیلا ممّن عصمه اللّه منهم.و أنّ اللّه اجتبی لرسول اللّه من المسلمین أعوانا أیّده بهم،فکانوا فی منازلهم عنده علی قدر فضائلهم فی الإسلام،فکان أفضلهم فی الإسلام-کما زعمت- و أنصحهم للّه و لرسوله الخلیفه الصدّیق،و من بعده خلیفه الخلیفه الفاروق.

ثمّ قال:و ما أنت و الصدّیق؟!فالصدّیق من صدّق بحقّنا و أبطل باطل عدوّنا،و ما أنت و الفاروق؟!فالفاروق من فرّق بیننا و بین عدوّنا.و ذکرت أنّ عثمان بن عفّان کان فی الفضل ثالثا،فإن یکن عثمان محسنا فسیجزیه اللّه بإحسانه،و إن یک مسیئا فسیلقی ربّا غفورا لا یتعاظمه ذنب أن یغفره.

و لعمر اللّه،إنّی لأرجو إذا أعطی اللّه المؤمنین علی قدر فضائلهم فی الإسلام و نصیحتهم للّه و لرسوله أن یکون نصیبنا أهل البیت فی ذلک الأوفر.

إنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلم لمّا دعا إلی الإیمان باللّه و التوحید له کنّا أهل البیت أوّل من آمن به و صدّق بما جاء به،فلبثنا أحوالا کامله مجرّمه تامّه و ما یعبد اللّه فی ربع ساکن من العرب أحد غیرنا،فأراد قومنا قتل نبیّنا،و اجتیاح أصلنا، و همّوا بنا الهموم،و فعلوا بنا الأفاعیل،و منعونا المیره،و أمسکوا عنّا العذب،

و أحلسونا الخوف،و اضطرّونا إلى جبل وعر،و جعلوا علينا الأرصاد و العيون،و أوقدوا لنا نار الحرب،و كتبوا علينا بينهم كتابا:لا يؤاكلونا،و لا يشاربونا،و لا يناكحونا،و لا يبايعونا،و لا يكلّمونا،و لا نأمن فيهم حتّى ندفع إليهم نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيقتلوه و يمثّلوا به؛فلم نكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى موسم.فعزم اللّه لنا على منعه،و الذبّ عن حوزته،و الرمى من وراء حرمته،و القيام بأسيافنا دونه فى ساعات الخوف،و بالليل و النهار؛فمؤمننا يبغى بذلك الأجر،و كافرنا يحامى عن الأصل.

و أمّا من أسلم من قريش بعد،فإنّه خلوّ ممّا نحن فيه بحلف يمنعه،أو عشيره تقوم دونه،فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف،فهو من القتل بمكان نجوه و أمن؛فكان ذلك ما شاء اللّه أن يكون.ثمّ أمر اللّه تعالى رسوله بالهجره،و أذن له بعد ذلك فى قتال المشركين،و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذا احمرّ البأس،و دعيت نزال،و أحجم الناس قدّم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف و الأسنّه،فقتل عبيده ابن الحارث يوم بدر،و قتل حمزه يوم أحد،و قتل جعفر و زيد يوم مؤته،و أسلم الناس نبيّهم يوم حنين غير العبّاس عمّه و أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب ابن عمّه،و أراد من لو شئت يا معاويه ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهاده مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم غير مرّه،و لكنّ آجالهم عجّلت و منيّته أجّلت،و اللّه ولىّ الإحسان إليهم،و المنّان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات.

و أيم اللّه ما سمعت بأحد و لا رأيت من هو أنصح للّه فى طاعه رسوله،و لا أطوع لرسوله فى طاعه ربّه،و لا أصبر على اللأواء و الضرّاء و حين البأس و مواطن المكروه مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم من هؤلاء النفر من أهل بيته الّذين سمّيت لك،و فى المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم اللّه خيرا بأحسن أعمالهم.

و ذكرت حسدى على الخلفاء،و إبطائى عنهم،و بغيى عليهم؛فأمّا الحسد

و البغی علیهم،فمعاذ اللّه أن أکون أسررته أو أعلنته،بل أنا المحسود المبغی علیه؛و أمّا الإبطاء عنهم و الکراهه لأمرهم،فإنّی لست أعتذر منه إلیک و لا إلی الناس؛و ذلک لأنّ اللّه جلّ ذکره لمّا قبض نبیّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلم اختلف الناس،فقالت قریش:منّا الأمیر،و قالت الأنصار:منّا الأمیر؛فقالت قریش:

منّا محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فنحن أحقّ بالأمر منکم؛فعرفت ذلک الأنصار فسلّمت لقریش الولایه و السلطان؛فإذا استحقّوها بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم دون الأنصار،فإنّ أولی الناس بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم أحقّ بها منهم،و إلّا فإنّ الأنصار أعظم العرب فیها نصیبا.فلا أدری أصحابی سلّموا من أن یکونوا حقّی أخذوا،أو الأنصار ظلموا؟!بل عرفت أنّ حقّی هو المأخوذ. (۱)

و یتّضح من کلامه علیه السّلام إنّ الصدق و الصدّیقیه فی الصحبه و الصحابه إنّما هی بالإقامه علی العدل و الوفاء بمواثیق اللّه و رسوله التی أخذت فی الکتاب و السنّه علیهم،و هی التسلیم لأهل البیت بالولایه و المودّه،و إنّهم ولاه الفیء و الأنفال و الخمس،و إنّهم الثقل الثانی الواجب التمسّک بهم أعدال الکتاب،فیتولّی أهل البیت و یبرأ من أعدائهم،و الفاروق من یمیّز بین الحقّ الثابت لأهل البیت و بین الباطل الذی عند عدوّهم.

و إنّ أشدّ الناس عناء و بلاء و جهدا فی الجهاد و الذبّ عن حوزه و حومه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم هم أهل بیته،و إنّهم أوّل الناس إیمانا به قبل أن یؤمن به أصحابه من قریش أو الأنصار، فقد سبق أهل البیت جمیع الصحابه سنینا و أعواما،و هم الّذین تحمّلوا أعباء الرساله فی المرتبه الأولی،و هم الّذین قدّموا الشهداء فی الصفوف الأولی،فلا تشهد الحروب لأبی

۱- ۱) .نهج البلاغه:کتاب ۴۹.ط مؤسّسه الإمام صاحب الزمان علیه السّلام-تحقیق السیّد الموسوی-، و هی الطبعه المعتمده فی التخریجات اللاحقه؛و قد ذکر للکتاب و لبعض ما ورد فیه مصادر أخری عدیده من کتب الفریقین.و انظر:شرح نهج البلاغه ۷۴/۱۵-۷۸ آخر شرح الکتاب ۹،و نهج السعاده فی مستدرک نهج البلاغه ۱۷۲/۴-۱۸۶ الکتاب ۷۰.

بكر و عمر و عثمان و بقيّه الصحابه من قريش ممّن اجتمع فى السقيفه أو الأنصار ثباتا فى حرب،كيوم حنين و غيرها؛فأهل بيت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم هم أنصح و أطوع و أصبر للّه و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هم مع ذلك أقرب للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أحقّ الناس بخلافته.

و قال عليه السّلام فى كتاب آخر له إلى معاويه-جوابا على كتابه الذى ذكر فيه اصطفاء اللّه تعالى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم لدينه،و تأييده إيّاه بمن أيّده من أصحابه-:

فلقد خبّأ لنا الدهر منك عجبا؛إذ طفقت تخبرنا ببلاء اللّه تعالى عندنا، و نعمته علينا فى نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فكنت فى ذلك كناقل التمر إلى هجر، أو داعى مسدّده إلى النضال..و زعمت أنّ أفضل الناس فى الإسلام فلان و فلان،فذكرت أمرا إن تمّ اعتزلك كلّه،و إن نقص لم يلحقك ثلمه.و ما أنت يا ابن هند و الفاضل و المفضول،و السائس و المسوس؟!و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء،و الأحزاب و أبناء الأحزاب،و التميز بين المهاجرين الأوّلين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم؟!هيهات،لقد حنّ قدح ليس منها،و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها!

ألا تربع-أيّها الإنسان-على ظلعك،و تعرف قصور ذرعك،و تتأخّر حيث أخّرك القدر؟!فما عليك غلبه المغلوب،و لا لك ظفر الظافر،و إنّك لذهّاب فى التيه،روّاغ عن القصد.ألا ترى-غير مخبر لك،و لكن بنعمه اللّه أحدّث- أنّنا قد فزنا على جميع المهاجرين كفوز نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم على سائر النبيّين؟!أو لا ترى أنّ قوما استشهدوا فى سبيل اللّه تعالى من المهاجرين و الأنصار و لكلّ فضل،حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل:سيّد الشهداء،و خصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بسبعين تكبيره عند صلاته عليه،و وضعه بيده فى قبره؟! أولا ترى أنّ قوما قطّعت أيديهم فى سبيل اللّه و لكلّ فضل،حتّى إذا فعل بواحد ناما فعل بواحدهم قيل:الطيّار فى الجنّه و ذو الجناحين؟!

أو لا ترى أنّ مسلمنا قد بان فى إسلامه كما بان جاهلنا فى جاهليّته،حتّى

قال عمّی العبّاس بن عبد المطّلب لأبی طالب:

أبا طالب!لا تقبل النصف منهم

و إن أنصفوا حتّی نعقّ و نظلما

أبی قومنا أن ینصفونا فأنصفت

صوارم فی أیماننا تقطر الدما

ترکناهم لا یستحلّون بعدها

لذی حرمه فی سائر الناس محرما (۱)

و لو لا ما نهی اللّه عنه من تزکیه المرء نفسه لذکر ذاکر فضائل جمّه،تعرفها قلوب المؤمنین،و لا تمجّها آذان السامعین.

فدع عنک یا ابن هند من قد مالت به الرمیّه!فإنّا صنائع ربّنا،و الناس بعد صنائع لنا،لم یمنعنا قدیم عزّنا،و لا عادیّ طولنا علی قومک أن خلطناکم بأنفسنا،فنکحنا و أنکحنا فعل الأکفاء،و لستم هناک.و أنّی یکون ذلک کذلک؟!و منّا المشکاه الزیتونه و منکم الشجره الملعونه،و منّا النبیّ و منکم المکذّب،و منّا أسد اللّه و منکم طرید رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و منّا هاشم بن عبد مناف و منکم أمیّه کلب الأحلاف،و منّا الطیّار فی الجنّه و منکم عدوّ الإسلام و السنّه،و منّا سیّدا شباب أهل الجنّه و منکم صبیه النار،و منّا خیر نساء العالمین بلا کذب و منکم حمّاله الحطب،فی کثیر ممّا لنا و علیکم.

فإسلامنا ما قد سمع و جاهلیّتکم لا تدفع،و القرآن یجمع لنا ما شذّ عنّا،و هو قوله-سبحانه و تعالی- وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللّهِ (۲)

۱- ۱) .أوردها ابن عساکر فی تاریخه ۲۸۵/۲۶ و زاد علیها غیرها،و فی تصحیفات المحدثین:۱۳۹ ذکر البیتین الأوّلیین.

۲- ۲) .الأنفال۷۵/.

و قوله تعالى: إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (۱)فنحن مرّه أولى بالقرابه و تاره أولى بالطاعه؛و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم،و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم، و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت،و على كلّهم بغيت،فإن يكن ذلك كذلك فليس الجنايه عليك فيكون العذر إليك.

و تلك شكاه ظاهر عنك عارها

و قلت:إن كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع..و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت،و أن تفضح فافتضحت.و ما على المسلم من غضاضه فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه،و لا مرتابا بيقينه،و هذه حجّتى إلى غيرك قصدها،و لكنّى أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها... (۲).

فهو عليه السّلام يفضّل ذوى القربى الّذين آزروا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و فادوه بأرواحهم و بكلّهم على جميع المهاجرين و الأنصار،و ذلك لكونهم أولى بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم رحما،و أشدّ الناس متابعه و نصحا و طاعه و نصره له،كما تشير إليه الآيتان اللتان استشهد عليه السّلام بهما،و من ثمّ قدّم القرآن ذوى القربى مصرّحا فى آيه الفىء بقوله تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ... .

و كذلك فى آيه الخمس،قال تعالى: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى

۱- ۱) .آل عمران۶۸/.

۲- ۲) .نهج البلاغه:الكتاب ۵۹،و قد ذكر للكتاب و لبعض ما ورد فيه مصادر أخرى عديده من كتب الفريقين. و هو برقم ۲۸ فى الطبعه المعروفه.

عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فخصّ تعالى ذوى القربى بالمقام بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قرنهم به و بذاته المقدّسه دلاله على تشريفهم و لزوم طاعتهم و أحقّيّتهم بالأمر دون غيرهم،فكرّر اللام التى للاختصاص و ملكيه التصرّف لذاته تعالى و لرسوله و لذى القربى دون غيرهم،دلاله على منصب ذوى القربى الخاص فى الولايه على الأموال و الأمور العامّه.

و قال تعالى مخاطبا نبيّه: فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ كما خصّهم بالذكر فى الأمر بالمودّه، و جعله أجرا لكلّ الرساله و الدين و عدلا لمجموع الإسلام الحنيف حين قال تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى و قال: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (۱)و قال: قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ (۲)،فبيّن تعالى أنّ مودّه و ولايه ذوى القربى هى السبيل إليه تعالى،و هى لنفع جميع المسلمين و صلاحهم و كمالهم.

فلم يدرجهم تعالى مع سائر المهاجرين و الأنصار مع إنّ ذوى القربى هم أوّل الناس هجره إلى اللّه و رسوله و أوّلهم نصره و طاعه و نصحا و صبرا.

و قال عليه السّلام فى الخطبه المعروفه بعد النهروان:

أمّا بعد.أيّها الناس!أنا الذى فقأت عين الفتنه،شرقيّها و غربيّها،و منافقها و مارقها، و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى،بعد أن ماج غيهبها،و اشتدّ كلبها،و أيم اللّه،لو لم أكف فيكم لما قوتل أصحاب الجمل الناكثون،و لا أهل صفّين القاسطون،و لا أهل النهروان المارقون...إنّ قريشا طلبت السعاده فشقيت،و طلبت النجاه فهلكت،و طلبت الهدايه فضلّت.إنّ قريشا قد أضلّت أهل دهرها و من يأتى من بعدها من القرون؛أ لم يسمعوا- ويحهم-قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (۳)؟!فأين المعدل و المنزع عن ذرّيّه الرسول،الّذين شيّد اللّه بنيانهم فوق بنيانهم،و أعلى رءوسهم

۱- ۱) .الفرقان۵۷/.

۲- ۲) .سبأ۴۷/.

۳- ۳) .الطور۲۱/.

فوق رءوسهم،و اختارهم عليهم؟!

أين الّذين زعموا أنّهم الراسخون فى العلم دوننا كذبا و بغيا علينا و حسدا لنا أن رفعنا اللّه سبحانه و وضعهم،و أعطانا و حرمهم،و أدخلنا و أخرجهم؟!بنا يستعطى الهدى لا بهم،و بنا يستجلى العمى لا بهم.إنّ الأئمّه من قريش،غرسوا فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم،و لا تصلح الولاه من غيرهم...و الهجره قائمه على حدّها الأوّل ما كان للّه تعالى فى أهل الأرض حاجه من مستسرّ الأمّه و معلنها،و لا يقع اسم الهجره على أحد إلّا بمعرفه الحجّه فى الأرض؛فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر،و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّه فسمعتها أذنه و وعاها قلبه...

ثمّ ذكر عليه السّلام ضلال الخوارج و الثواب الخاصّ فى مقاتلتهم،و قال:

أ ترانى أكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!و اللّه لأنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب عليه.و أنا الصدّيق الأكبر،آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر،و أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر،و صلّيت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قبل أن يصلّى معه أحد من الناس.

أنا صفىّ رسول اللّه و صاحبه،و أنا وصيّه و خليفته من بعده.

أنا ابن عمّ رسول اللّه،و زوج ابنته،و أبو ولده.

أنا الحجّه العظمى،و الآيه الكبرى،و المثل الأعلى،و باب النبىّ المصطفى.

أنا وارث علم الأوّلين،و حجّه اللّه على العالمين بعد الأنبياء و محمّد خاتم النبيّين،أهل موالاتى مرحومون،و أهل عداوتى ملعونون..

لقد كان حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كثيرا ما يقول:يا علىّ!حبّك تقوى و إيمان، و بغضك كفر و نفاق،و أنا بيت الحكمه و أنت مفتاحه،كذب من زعم أنّه يحبّنى و يبغضك... (۱)

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۲۱،و قد ذكر للخطبه و لبعض ما ورد فيها مصادر أخرى عديده من كتب الفريقين.

فهـا هو علیه السّـلام بعـد أن بیّن أفضـلیه أهل البیت علیهم السّـلام علی سائر قریش یـذکر ضابطه الهجره و المهاجر،و هی معرفه الشـخص الذی هو حجّه اللّه فی أرضه،و هی الضابطه نفسها المتقدّمه فی کلام الصدّیقه الزهراء علیها السّلام بأنّ الهجره إنّما هی بـالهجره إلیهم،إلی أهـل البیت علیهم السّـلام،لا-الابتعاد عنهم،فالهجره إلی المـدینه-إضافه لکونها مقام النبیّ و آله صـلوات اللّه علیهم-هی هجره إلی نور اللّه تعالی و مصابیح هدایته،و هو محمّد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم و أهل بیته من بعده،و إنّ الهجره تکلیف شرعی باق ببقاء الشریعه؛لأنّ معرفه حجّه اللّه تعالی فی أرضه مفتاح أبواب الشریعه.

و هـذا خلاـف ما یزعمه أهل سـنّه الجماعه من أنّ لا هجره بعـد الفتـح،و سنشـیر فی ما یأتی إلی دلاله الآیات علی بقاء الهجره و النصـره،و ملازمه ذلک؛لکون مدار الهجره و النصره هو:الهجره إلی أهل البیت علیهم السّلام و مناصرتهم،لا الهجره إلی بقعه من الأـرض معینه مقـدّسه،و هی المـدینه المنوّره،و التی تقـدّست بوجود النبیّ و أهـل بیته صـلوات اللّه علیهم،بخلاـف الضابطه التی یذکرها أهل سنّه الجماعه من أنّها الانتقال الجسمانی من مکّه المکرّمه إلی المدینه المنوّره،کسفر بدنی،و قد انتهی و مضی.

و قال علیه السّلام فی خطبته المعروفه بالطالوتیه:

ألا إنّ مثل آل محمّد صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم کمثل نجوم السـماء،إذا هوی منهم نجم طلع نجم،فکأنّکم قد تکاملت من اللّه فیکم الصـنائع،و أراکم ما کنتم تأملون.فیا عجبا و ما لی لا أعجب من خطأ هـذه الفرق علی اختلاف حججها فی دینها!!! و بؤسـا لهـذه الأمّه الجائره فی قصدها،الراغبه عن رشدها،لا یقتصّون أثر نبیّ،و لا یقتدون بعمل وصـیّ،و لا یؤمنون بغیب،و لا یعفّون عن عیب، یعملون فی الشـبهات،و یسـیرون فی الشهوات،المعروف فیهم ما عرفوا، و المنکر عندهم ما أنکروا،مفزعهم فی المعضلات إلی أنفسـهم،و تعویلهم فی المبهمات علی آرائهم،کأنّ کلّ امرئ منهم إمام نفسه،قد أخذ منها فی ما یری بعری ثقات،و أسـباب محکمات؛فلا یزالون بجور،لا یألون قصدا،

و لن يزدادوا إلّا خطأ،لا ينالون تقرّبا،و لن يزدادوا إلّا بعدا من اللّه عزّ و جلّ؛ لشدّه أنس بعضهم ببعض،و تصديق بعضهم لبعض.

كلّ ذلك حيادا ممّا ورّث الرسول النبيّ الأمّيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و نفورا عمّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السموات و الأرض العليم الخبير،فهم أهل عشوات،و كهوف شبهات،و قاده حيره و ضلاله و ريبه.من وكّله اللّه إلى نفسه و رأيه فاغرورق فى الأضاليل فهو مأمون عند من يجهله،غير متّهم عند من لا يعرفه،فما أشبه أمّه صدّت عن ولاتها بأنعام قد غاب عنها رعاؤها.

هذا،و قد ضمن اللّه قصد السبيل لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ إِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱).

أيّتها الأمّه المتحيّره بعد نبيّها فى دينها،التى خدعت فانخدعت،و عرفت خديعه من خدعها فأصرّت على ما عرفت،و اتّبعت أهواءها،و خبطت فى عشواء غوايتها،و قد استبان لها الحقّ فصدعت عنه،و الطريق الواضح فتنكّبته.

أما و الذى فلق الحبّه و برأ النسمه،لو كنتم قدّمتم من قدّم اللّه،و أخّرتم من أخّر اللّه،و جعلتم الولايه و الوراثه حيث جعلها اللّه،و اقتبستم العلم من معدنه،و شربتم الماء بعذوبته،و ادّخرتم الخير من موضعه،و أخذتم الطريق من واضحه،و سلكتم الحقّ من نهجه؛لنهجت بكم السبل،و بدت لكم الأعلام،و أضاء لكم الإسلام،فأكلتم رغدا و ما عال فيكم عائل،و لا ظلم منكم مسلم و لا معاهد،و لكنّكم سلكتم سبل الظلام،فأظلمت عليكم دنياكم برحبها،و سدّت عليكم أبواب العلم فقلتم بأهوائكم،و اختلفتم فى دينكم فأفتيتم فى دين اللّه بغير علم،و اتّبعتم الغواه فأغووكم،و تركتم الأئمّه

۱- ۱) .الأنفال۴۲/.

فترکوکم،فأصبحتم تحکمون بأهوائکم،إذا ذکر الأمر سألتم أهل الذکر، فإذا أفتوکم قلتم:هو العلم بعینه،فکیف و قد ترکتموه و نبذتموه و خالفتموه؟!

فذوقوا وبال أمرکم،و ما فرطتم فی ما قدّمت أیدیکم،و ما اللّه بظلّام للعبید، رویدا عمّا قلیل تحصدون جمیع ما زرعتم،و تجدون وخیم ما اجترمتم و ما اجتلبتم.فو الذی فلق الحبّه و برأ النسمه،لقد علمتم أنّی صاحبکم و الذی به أمرتم،و أنّی عالمکم و الذی بعلمه نجاتکم،و وصیّ نبیّکم صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و خیره ربّکم،و لسان نورکم،و العالم بما یصلحکم،فعن قلیل رویدا ینزل بکم ما وعدتم و ما نزل بالأمم قبلکم،و سیسألکم اللّه عزّ و جلّ عن أئمّتکم،فمعهم تحشرون،و إلی اللّه عزّ و جلّ غدا تصیرون، وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ ... (۱)

و یشیر علیه السّلام إلی ما یشیر إلیه قوله تعالی: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلی أَعْقابِکُمْ وَ مَنْ یَنْقَلِبْ عَلی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاً وَ سَیَجْزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ فقد ترکوا وصیه القرآن و النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی علیّ علیه السّلام-و عترته علیهم السّلام-، من أنّه ولیّ الأمور من بعده صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أنّه مفزع الأمّه و ملجأها،و قد أشارت فاطمه الزهراء علیها السّلام إلی ذلک أیضا کما تقدّم،و أنّ سبب الاختلاف و الفرق الحادثه فی المسلمین بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم هو ترکهم التمسّک بالثقلین اللذین هما ضمان عصمتهم من الضلال.

و قال علیه السّلام فی خطبه أخری:

فأین تذهبون؟!و أنّی تؤفکون؟!و الأعلام قائمه،و الآیات واضحه،و المنار منصوبه،فأین یتاه بکم؟!بل کیف تعمهون و بینکم عتره نبیّکم،و هم أزمّه الحقّ،و أعلام الدین،و ألسنه الصدق؟!فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهیم العطاش.ألا و إنّ من أعجب العجائب أنّ معاویه بن أبی

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۲۰،و قد ذکر للخطبه و لبعض ما ورد فیها مصادر أخری عدیده من کتب الفریقین.

سفیان الأموی،و عمرو بن العاص السهمی،أصبحا یحرّضان الناس علی طلب الدین بزعمهما!!

و اللّه لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّی لم أردّ علی اللّه سبحانه و لا علی رسوله ساعه قطّ،و لم أعصه فی أمر قطّ،و لقد بذلت فی طاعته صلوات اللّه علیه جهدی،و جاهدت أعداءه بکلّ طاقتی،و لقد واسیته بنفسی فی المواطن التی تنکص فیها الأبطال،و ترتعد فیها الفرائص، و تتأخّر فیها الأقدام،نجده أکرمنی اللّه بها و له الحمد.

و لقد أفضی إلیّ من علمه ما لم یفض إلی أحد غیری،فجعلت أتبع مأخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فأطأ ذکره حتّی انتهیت إلی العرج،و لقد قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و إنّ رأسه لعلی صدری،و لقد سالت نفسه فی کفّی فأمررتها علی وجهی،و لقد ولیت غسله صلّی اللّه علیه و آله و سلم وحدی و الملائکه المقرّبون أعوانی، فضجّت الدار و الأفنیه،ملأ یهبط و ملأ یعرج،و ما فارقت سمعی هینمه منهم یصلّون علیه،حتّی وارییناه فی ضریحه،فمن ذا أحقّ به منّی حیّا و میّتا؟! و أیم اللّه ما اختلفت أمّه قطّ بعد نبیّها إلّا ظهر أهل باطلها علی أهل حقّها إلّا ما شاء اللّه... (۱)

و یشیر علیه السّلام إلی أنّ مدار فضیله الصحبه و مقامها متحقّق فیه علیه السّلام بأرفع درجاتها، بنحو لا یدانیه بقیّه الصحابه.

و بیان ذلک:إنّه قد اشتهر عند أهل سنّه الجماعه الاستدلال لحجّیّه الصحابه و قول الصحابی و فعله،لا سیّما من عاشر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم مدّه مدیده،لا سیّما جماعه السقیفه، الّذین وطّدوا الأرضیه لبیعه أبی بکر،و من ناصرهم علی ذلک،و لا سیّما أبی بکر و عمر، بأنّ الصحابه هم الّذین حملوا علم الدین عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و خالطوه،و هم أعلم

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۱۹،و قد ذکر للخطبه و لبعض ما ورد فیها مصادر أخری عدیده من کتب الفریقین.

بأقوال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أفعاله و مراده،و هم الّذین تربّوا بتربیه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و اهتدوا علی یدیه و أطاعوه و تابعوه،فهم أقرب الخلق إلیه،فهم حمله الدین إلی الناس و القرون اللاحقه،و حمله سنّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و حفّاظها و وعاتها و المؤدّین عنه،و بما نقلوه کمال الدین،و ثبات حجّه اللّه عزّ و جلّ علی العباد،فهم الواسطه بین النبیّ و أمّته،فإنّ الرسول حقّ،و القرآن حقّ،و ما جاء به حقّ،و إنّما أدّی إلینا ذلک کلّه الصحابه؛لأنّهم الّذین ناصروا النبیّ علی عدوّه و آزروه،فهم المؤتمنین علی دینه.

و الناظر المتدبّر فی هذه الصفات التی أوجبوا بها حجّیّه الصحابه،أو حجّیّه الشیخین-علی إجمال و ترديد إبهام ما یرمی إلیه أهل سنّه الجماعه من معنی الحجّیّه کما أشرنا إلیه مرارا فی هذه الحلقات من کون الحجّیّه بمعنی العصمه و الإمامه الإلهیّه،أو بمعنی العداله و حجّیّه فتوی المجتهد و الفقیه،أو بمعنی وثاقه و حجّیّه خبر الراوی -یلاحظ أنّ هذه الصفات متوفّره بدرجه رفیعه سابقه فی علیّ علیه السّلام سبقا شاسعا لا یمکن لغیره من الصحابه-کأبی بکر و عمر و غیرهما-اللحوق به،فضلا عن مقایسته بهم.

و لا أجد نفسی بحاجه إلی تذکیر القارئ بتوفّر کلّ تلک الصفات و الجهات فی علیّ علیه السّلام بنحو أسبق و أوفر و أوصل و أنمی و أزکی و أشدّ من بقیّه الصحابه؛بعد أن استعرضنا کلامه علیه السّلام ممّا تواتر وقوع مضمونه فی مواطن شهیره فی تاریخ الإسلام.

و إلی مثل ذلک یشیر قوله علیه السّلام حین سأله سلیم بن قیس الهلالی بأنّه سمع من سلمان و المقداد و أبی ذرّ شیئا من تفسیر القرآن و أحادیث عن نبیّ اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم غیر ما فی أیدی الناس،ثمّ سمع منه علیه السّلام تصدیق ما سمع منهم،و رأی فی أیدی الناس أشیاء کثیره من تفسیر القرآن و من الأحادیث عن نبیّ اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یخالفهم فیها علیه السّلام هو و الصحابه الموالین له،و یبطلونها؛متعجّبا من کون الناس یکذبون علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم متعمّدین،و یفسّرون القرآن بآرائهم؟!!

فقال علیه السّلام:

قد سألت فافهم الجواب:إنّ فی أیدی الناس حقّا و باطلا،و صدقا و کذبا، و ناسخا و منسوخا،و عامّا و خاصّا،و محکما و متشابها،و حفظا و وهما، و قد کذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی عهده حتّی قام خطیبا فقال:أیّها الناس!قد کثرت علیّ الکذّابه،فمن کذب علیّ متعمّدا فلیتبوّأ مقعده من النار،ثمّ کذب علیه من بعده.

و إنّما أتاکم الحدیث من أربعه لیس لهم خامس:رجل منافق،یظهر الإیمان، متصنّع بالإسلام،لا یتأثّم و لا یتحرّج أن یکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم متعمّدا،فلو علم الناس أنّه منافق کذّاب،لم یقبلوه منه و لم یصدّقوه،و لکنّهم قالوا:هذا قد صحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و رآه و سمع منه،و أخذوا عنه و هم لا یعرفون حاله،و قد أخبر اللّه عن المنافقین بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزّ و جلّ: وَ إِذا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ (۱)، ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلی أئمّه الضلاله و الدعاه إلی النار بالزور و الکذب و البهتان،فولّوهم الأعمال،و حملوهم علی رقاب الناس،و أکلوا بهم الدنیا، و إنّما الناس مع الملوک و الدنیا إلاّ من عصم اللّه،فهذا أحد الأربعه.

و رجل سمع من رسول اللّه شیئا،لم یحمله علی وجهه،و وهم فیه،و لم یتعمّد کذبا،فهو فی یده،یقول به و یعمل به،فیقول:أنا سمعته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فلو علم المسلمون أنّه و هم لم یقبلوه،و لو علم هو أنّه و هم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم شیئا أمر به،ثمّ نهی عنه و هو لا یعلم،أو سمعه ینهی عن شیء،ثمّ أمر به و هو لا یعلم،فحفظ منسوخه و لم یحفظ الناسخ،و لو علم أنّه منسوخ لرفضه،و لو علم المسلمون إذ سمعوه أنّه

۱- ۱) .المنافقون۴/.

منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم یکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،مبغض للکذب خوفا من اللّه و تعظیما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،لم ینسه،بل حفظ ما سمع علی وجهه،فجاء به کما سمع،لم یزد فیه و لم ینقص منه،و علم الناسخ من المنسوخ،فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ.

فإنّ أمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم مثل القرآن،ناسخ و منسوخ،خاصّ و عامّ،و محکم و متشابه،قد کان یکون من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم الکلام له وجهان:کلام عامّ و کلام خاصّ مثل القرآن،و قال اللّه عزّ و جلّ فی کتابه: وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۱)،فیشتبه علی من لم یعرف و لم یدر ما عنی اللّه به و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و لیس کلّ أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم کان یسأله عن الشیء فیفهم،و کان منهم من یسأله و لا یستفهمه،حتّی إن کانوا لیحبّون أن یجیء الأعرابی و الطارئ فیسأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم حتّی یسمعوا.

و قد کنت أدخل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم کلّ یوم دخله و کلّ لیله دخله، فیخلّینی فیها أدور معه حیث دار،و قد علم أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه لم یصنع ذلک بأحد من الناس غیری،فربّما کان فی بیتی یأتینی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أکثر ذلک فی بیتی،و کنت إذا دخلت علیه بعض منازله أخلانی و أقام عنّی نساءه،فلا یبقی عنده غیری،و إذا أتانی للخلوه معه فی منزلی لم تقم عنّی فاطمه و لا أحد من بنیّ.

و کنت إذا سألته أجابنی،و إذا سکتّ عنه و فنیت مسائلی ابتدأنی،فما نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم آیه من القرآن إلّا أقرأنیها و أملاها علیّ، فکتبتها بخطّی و علّمنی تأویلها و تفسیرها،و ناسخها و منسوخها،و محکمها

۱- ۱) .الحشر۷/.

و متشابهها،و خاصّها و عامّها،و دعا اللّه لی بما دعا.و ما ترک شیئا علّمه اللّه من حلال و لا حرام و لا أمر و لا نهی،کان أو یکون،و لا کتاب منزل علی أحد قبله من طاعه أو معصیه إلّا علّمنیه و حفظته،فلم أنس حرفا واحدا.

ثمّ وضع یده علی صدری و دعا اللّه لی أن یملأ قلبی علما و فهما و حکما و نورا،فقلت:یا نبیّ اللّه!بأبی أنت و أمّی،منذ دعوت لم أنس شیئا و لم یفتنی شیء لم أکتبه،أ فتتخوّف علیّ النسیان فی ما بعد؟!فقال:لا لست أتخوّف علیک النسیان و الجهل (۱).

فعلیّ علیه السّلام بجانب من شدّه الصله بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و قربه منه زمانا و مکانا و بیتا و صحبه و رحما و ملازمه و أخوّه و محبّه،حتّی نزلت آیه وجوب التصدّق قبل نجوی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و لم یعمل بها إلّا هو علیه السّلام دون بقیّه الصحابه حتّی نسخت،و کانت بیوت بعضهم فی العوالی قد لا یرون النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أیّاما کما جاء ذلک علی لسان بعضهم (۲)، مضافا إلی شدّه عنایه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم به علیه السّلام و إزلافه له،فخصّه بتزویج فاطمه علیها السّلام و المؤاخاه معه،کما فی آیه المباهله و غیر ذلک من المواطن و المشاهد المذکوره فی کتب الفریقین.

و الغریب من أهل سنّه الجماعه-حین یستدلّون لحجّیّه الصحابی-التغافل عن کلّ ذلک،و عن تقدیم حجّیّه قول علیّ علیه السّلام و فعله و مقامه علی بقیّه الصحابه.و کیف یستقیم ذلک مع حجّیّه الصحابی،بأنّه لو لا هم لانقطع نقل الدین و ثبوته؟!و کیف یستبدلون حجّیّه الثقلین-کتاب اللّه و عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم-المنصوص علیها فی القرآن و حدیث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم المتواتر بین الفریقین،بحجّیّه الصحابه-إن کان مرادهم من الحجّیّه مقام العصمه و الإمامه فی الدین-أو بحجّیّه جمیع الصحابه-إن کان مرادهم حجّیّه الفتوی أو

۱- ۱) .أصول الکافی ۶۲/۱-۶۴ ح ۱،الخصال:۲۵۵ ح ۱۳۱.

۲- ۲) .انظر مثلا:صحیح البخاری ۵۵/۱-۵۶ ح ۳۱ باب التناوب فی العلم،سنن الترمذی ۳۹۲/۵ ح ۳۳۱۸ کتاب تفسیر القرآن.

الروایه-مع إنّ فیهم الأقسام الأربعه التی أشار إلیها علیه السّلام؟!!

و کیف یتعطّل الدین و یبطل مع وجود عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم الهادیه العاصمه عن ضلال الأمّه و تحیّرها؟!و هل تمحیص الصحابی المستقیم علی عهد اللّه و عهد رسوله فی حیاه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و من بعد مماته صلّی اللّه علیه و آله و سلم،عن الصحابی الذی نکث العهد و بدّل و أحدث فی الدین،یوجب تعطیل و بطلان الدین؟!أم إنّه صیانه للدین عن تحریف المبطلین و زیغ المحدثین،و حیاطه للدین عن السنن المحدثه التی خولفت فیها سنن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم؟! فها هو علیه السّلام یشیر إلی مثل ذلک فی قوله علیه السّلام:

لقد عملت الولاه قبلی أعمالا عظیمه خالفوا فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم متعمّدین لخلافه،ناقضین لعهده،مغیّرین لسنّته،و لو حملت الناس علی ترکها و تحویلها عن مواضعها إلی ما کانت تجری علیه فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،لتفرّق عنّی جندی حتّی لا یبقی فی عسکری غیری و قلیل من شیعتی الّذین عرفوا فضلی و فرض إمامتی من کتاب اللّه عزّ ذکره و سنّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

أ رأیتم لو أمرت بمقام إبراهیم علیه السّلام فرددته إلی الموضع الذی وضعه فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و رددت فدک إلی ورثه فاطمه علیها السّلام،و رددت صاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و مدّه إلی ما کان،و أمضیت قطائع أقطعها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لأقوام مسمّین لم تمض لهم و لم تنفذ،و رددت دار جعفر بن أبی طالب إلی ورثته و هدمتها من المسجد،و رددت قضایا من الجور قضی بها من کان قبلی، و نزعت نساء تحت رجال بغیر حقّ فرددتهنّ إلی أزواجهنّ،و استقبلت بهنّ الحکم فی الفروج و الأحکام،و سبیت ذراری بنی تغلب،و رددت ما قسم من أرض خیبر،و محوت دواوین العطایا و أعطیت کما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یعطی بالسویّه و لم أجعلها دوله بین الأغنیاء،و ألقیت المساحه،و سوّیت بین المناکح،و أنفذت خمس الرسول کما أنزل اللّه عزّ و جلّ و فرضه،و رددت

مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على ما كان عليه،و سددت ما فتح فيه من الأبواب و فتحت ما سدّ منها،و حرّمت المسح على الخفّين،و حددت على النبيذ، و أمرت بإحلال المتعتين،و أمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، و ألزمت الناس الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم،و أخرجت من أدخل مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مسجده ممّن كان رسول اللّه أخرجه،و أدخلت من أخرج بعد رسول اللّه ممّن كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أدخله،و حملت الناس على حكم القرآن،و على الطلاق على السنّه،و أخذت الصدقات على أصنافها و حدودها،و رددت الوضوء و الغسل و الصلاه إلى مواقيتها و شرائعها و مواضعها،و رددت أهل نجران إلى مواضعهم،و رددت سبايا فارس و سائر الأمم إلى كتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،إذا لتفرّقوا عنّى.

و اللّه لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا فى شهر رمضان إلاّ فى فريضه، و أعلمتهم أنّ اجتماعهم فى النوافل بدعه،فتنادى بعض أهل عسكرى ممّن يقاتل سيفه معى:يا أهل الإسلام!غيّرت سنّه عمر،ينهانا عن الصلاه فى شهر رمضان تطوّعا فى جماعه!حتّى خفت أن يثوروا فى ناحيه عسكرى.

بؤسى لما لقيت من هذه الأمّه بعد نبيّها من الفرقه و طاعه أئمّه الضلال و الدعاه إلى النار!!و أعظم من ذلك!لو لم أعط سهم ذوى القربى إلاّ من أمر اللّه بإعطائه،الّذين قال اللّه عزّ و جلّ: وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كلّ هؤلاء منّا خاصّه إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ .

فنحن و اللّه الّذين عنى اللّه بذى القربى،الّذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَهً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ فى ظلم آل محمّد أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن ظلمهم،رحمه منه لنا،و غنى أغنانا اللّه به و وصّى به نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛لأنّه لم يجعل لنا فى سهم الصدقه نصيبا،و أكرم اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ أيدى الناس،فكذّبوا اللّه،و كذّبوا رسوله،و جحدوا كتاب اللّه الناطق بحقّنا،و منعونا فرضا فرضه اللّه لنا.ما لقى أهل بيت نبىّ من أمّته ما لقينا بعد نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و اللّه المستعان على من ظلمنا،و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلىّ العظيم ۱.

فنحن و اللّه الّذين عنى اللّه بذى القربى،الّذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال تعالى: ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ فى ظلم آل محمّد أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن ظلمهم،رحمه منه لنا،و غنى أغنانا اللّه به و وصّى به نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛لأنّه لم يجعل لنا فى سهم الصدقه نصيبا،و أكرم اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ أيدى الناس،فكذّبوا اللّه،و كذّبوا رسوله،و جحدوا كتاب اللّه الناطق بحقّنا،و منعونا فرضا فرضه اللّه لنا.ما لقى أهل بيت نبىّ من أمّته ما لقينا بعد نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و اللّه المستعان على من ظلمنا،و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم (۱).

و موقف علىّ عليه السّلام يوم الشورى حينما رفض شرط عبد الرحمن بن عوف لمبايعته أن يحكم بسنّه الشيخين،و حصر الحكم بكتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،موقف مشهود معلن معروف عند الحاضر و البادى.

و قال عليه السّلام:

إنّه لا يقاس بآل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من هذه الأمّه أحد،و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا،هم أطول الناس أغراسا،و أفضل الناس أنفاسا،هم أساس الدين،و عماد اليقين،إليهم يفىء الغالى،و بهم يلحق التالى،و لهم خصائص حقّ الولايه،و فيهم الوصيه و الوراثه،و حجّه اللّه عليكم فى حجّه الوداع يوم غدير خمّ،و بذى الحليفه،و بعده المقام الثالث بأحجار الزيت.

تلك فرائض ضيّعتموها،و حرمات انتهكتموها،و لو سلّمتم الأمر لأهله سلمتم،و لو أبصرتم باب الهدى رشدتم-إلى أن يقول:-يا أيّها الناس!اعرفوا فضل من فضّل اللّه،و اختاروا حيث اختار اللّه،و اعلموا أنّ اللّه قد فضّلنا أهل البيت بمنّه حيث يقول: إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ

ص:

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۳،كتاب سليم بن قيس:۱۶۲،روضه الكافى ۵۸/۸ ح ۲۱.

يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۱)،فقد طهّرنا اللّه من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و من كلّ دنيّه و كلّ رجاسه،فنحن على منهاج الحقّ،و من خالفنا فعلى منهاج الباطل...

و عندنا أهل البيت معاقل العلم،و أبواب الحكم،و أنوار الظلم،و ضياء الأمر، و فصل الخطاب،فمن أحبّنا ينفعه إيمانه،و يتقبّل منه عمله،و من لا يحبّنا أهل البيت لا ينفعه إيمانه،و لا يتقبّل عمله و إن دأب فى الليل و النهار قائما صائما.

و اللّه لئن خالفتم أهل بيت نبيّكم لتخالفنّ الحقّ،و لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال:إنّى و أهل بيتى مطهّرون،فلا تسبقوهم فتضلّوا،و لا تخالفوهم فتجهلوا،و لا تتخلّفوا عنهم فتهلكوا،و لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم،هم أحلم الناس كبارا،و أعلمهم صغارا،إنّهم لا يدخلونكم فى ردى،و لا يخرجوكم من باب هدى،فاتّبعوا الحقّ و أهله حيث كانوا...الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله و نقل إلى منتقله... (۲).

و قال فى الخطبه القاصعه المعروفه،التى أنشأها لبيان أنّ كفر إبليس هو كفر جحود لولايه وليّ اللّه تعالى،و هو آدم عليه السّلام،و عدم انقياد له،و أنّ كلّ أبواب التوحيد و أركان فروع الدين تنتهى إلى ولايه وليّ اللّه تعالى:

ألا و إنّكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعه،و ثلمتم حصن اللّه المضروب عليكم بأحكام الجاهليه،و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ على جماعه هذه الأمّه، فى ما عقد بينهم من حبل هذه الألفه التى يتنقّلون فى ظلّها،و يأوون إلى كنفها،بنعمه لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمه؛لأنّها أرجح من كلّ ثمن، و أجلّ من كلّ خطر.و اعلموا أنّكم صرتم بعد الهجره أعرابا،و بعد الموالاه

۱- ۱) .الأحزاب۳۳/.

۲- ۲) .نهج البلاغه:الخطبه ۳.

أحزابا،ما تتعلّقون من الإسلام إلّا باسمه،و لا تعرفون من الإيمان إلّا رسمه (۱).

فقد جعل عليه السّلام المدار فی الهجره هو:السير و الانتقال مع ولايه ولیّ اللّه تعالی،و هو الإمام من أهل البيت عليهم السّلام،و الإعراض عنه تعرّب؛فبالموالاه و النصره يقع عنوان الهجره، و بالتحزّب و التفرّق عن الموالاه يقع عنوان التعرّب،و كلامه عليه السّلام يقضی بأنّ عنوان الهجره وصف قابل للزوال عن الشخص،و هذا اللازم قهری بعد عدم كون الهجره سفر و انتقال من مكان إلی مكان آخر.

فتحصّل أنّ معنی الهجره و النصره عند فاطمه و علیّ عليهما السّلام متطابق علی هذا المعنی،و هذا المعنی هو الذی يستفاد من تعريف الهجره و النصره من سوره الحشر؛إذ قيّدت الهجره ب وَ يَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ (۲)،و قيّدت النصره ب يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ (۳)، فالهجره هی نصره و موالاه ولیّ اللّه تعالی،و النصره هی محبّه ذلك و المؤازره عليه.

نتف من كلماته عليه السّلام فی عدّه من الصحابه بأعيانهم:

۱. قال له ابن الكوّاء:«يا أمير المؤمنين!أخبرنی عن أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم».

قال عليه السّلام:«عن أیّ أصحاب رسول اللّه تسألنی؟»قال:«يا أمير المؤمنين!أخبرنی عن أبی ذرّ الغفاری!»قال:«سمعت رسول اللّه يقول:ما أظلّت الخضراء،و لا أقلّت الغبراء علی ذی لهجه أصدق من أبی ذرّ».

۲. قال:«يا أمير المؤمنين!فأخبرنی عن سلمان الفارسی.قال:بخ بخ،سلمان منّا أهل البيت،و من لكم بمثل لقمان الحكيم،علم علم الأوّل و الآخر».

۳. قال:«يا أمير المؤمنين!أخبرنی عن حذيفه بن اليمان.قال:ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين،إن تسألوه عن حدود اللّه تجدوه بها عالما».

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه ۱۱.

۲- ۲) .الحشر۸/.

۳- ۳) .الحشر۹/.

۴. قال:«یا أمیر المؤمنین!فأخبرنی عن عمّار بن یاسر.قال:ذاک امرؤ حرّم اللّه لحمه و دمه علی النار أن تمسّ شیئا منها».

۵. قال:«یا أمیر المؤمنین!فأخبرنی عن نفسک.قال:کنت إذا سألت أعطیت،و إذا سکتّ ابتدئت» (۱).

۶. و قال بعد استشهاد محمّد بن أبی بکر:«ألّا و إنّ محمّد بن أبی بکر قد استشهد رحمه اللّه،فعند اللّه نحتسبه،أما و اللّه لقد کان-ما علمت-ینتظر القضاء،و یعمل للجزاء،و یبغض شکل الفاجر،و یحبّ سمت المؤمن،و لقد کان إلیّ حبیبا،و کان لی ربیبا،و کان بی برّا،و کنت أعدّه ولدا،فرحم اللّه محمّدا،فقد أجهد نفسه،و قضی ما علیه» (۲).

۷. و قال علیه السّلام:«أمّا و اللّه لقد کنت أردت تولیه مصر المرقال هاشم ابن عتبه،و لو ولّیته إیّاها لما خلّی لهم العرصه،و لا انهزهم الفرصه،و لما قتل إلّا و سیفه بیده،بلا ذمّ لمحمّد بن أبی بکر» (۳).

و هاشم بن عتبه بن أبی وقّاص ابن أخی سعد بن أبی وقّاص،کان نافذ البصیره، شدید الولاء لأمیر المؤمنین،و شدید البراءه من أعدائه،و قد دعا له أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال:«اللّهمّ ارزقه الشهاده فی سبیلک،و المرافقه لنبیّک صلّی اللّه علیه و آله و سلم»

۸. و قال علیه السّلام لمّا مرّ-و هو عائد من صفّین-علی عدّه قبور فیها قبر خبّاب بن الأرتّ:«رحم اللّه خبّابا،فلقد أسلم راغبا،و هاجر طائعا،و عاش مجاهدا،و ابتلی فی جسمه آخرا،و قنع بالکفاف،و رضی عن اللّه تعالی،و لن یضیع اللّه أجر من أحسن عملا» (۴).

۹. و قال بعد مرجعه من صفّین و قد توفّی سهل بن حنیف الأنصاری بالکوفه،و کان

۱- ۱) .الاحتجاج-للطبرسی-۳۸۷/۱.

۲- ۲) .نهج البلاغه:الخطبه ۵۶.

۳- ۳) .نهج البلاغه:الخطبه ۵۶.

۴- ۴) .نهج البلاغه:الکلام ۱۳۱.

من أحبّ الناس إليه:«لو أحبّنی جبل لتهافت» (۱).و سهل بن حنیف صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کان بدریا،و شهد مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم حروبه کلّها،و کان من النقباء (۲).

۱۰. و قال لمّا بلغه نعی مالک الأشتر:«للّه درّ مالک،و ما مالک!و اللّه لو کان جبلا لکان فندا،و لو کان حجرا لکان صلدا،لا یرتقیه الحافر،و لا یوفی علیه الطائر.أما و اللّه لیهدّنّ موتک عالما و لیفرحنّ عالما،فهل مرجوّ کمالک؟!و هل قامت النساء عن مثل مالک؟!فعلی مثله فلتبک البواکی.

إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون،و الحمد للّه ربّ العالمین،اللّهمّ إنّی أحتسبه عندک،فإنّ موته من مصائب الدهر،فرحم اللّه مالکا،فقد وفی بعهده،و قضی نحبه،و لقی ربّه،مع إنّا قد وطّنّا أنفسنا أن نصبر علی کلّ مصیبه بعد مصابنا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فإنّها أعظم المصیبات» (۳).

و قال عنه أیضا:«لا ینام أیّام الخوف،و لا ینکل عن الأعداء ساعات الروع،حذّار الدوائر،أشدّ علی الفجّار من حریق النار،و أبعد الناس من دنس أو عار،و هو مالک بن الحارث أخو مذحج...فإنّه سیف من سیوف اللّه،لا کلیل الظبه،و لا نابی الضریبه» (۴).

۱۱. و قال فی کتاب له إلی عمر بن أبی سلمه المخزومی-ابن أمّ المؤمنین أمّ سلمه، و هی التی أرسلته لنصره الأمیر فی الجمل- والیه علی البحرین:«و لعمری لقد أحسنت الولایه،و أدّیت الأمانه،فأقبل غیر ظنین و لا ملوم،و لا متّهم و لا مأثوم،فلقد أردت المسیر إلی ظلمه أهل الشام و بقیه الأحزاب،و أحببت أن تشهد معی لقاءهم،فإنّک ممّن أستظهر به علی جهاد العدوّ و نصر الهدی و إقامه عمود الدین إن شاء اللّه» (۵).

۱۲. و نظیره ما قاله علیه السّلام لمخنف بن سلیم الأزدی،عامله علی أصبهان (۶).

۱- ۱) .نهج البلاغه:الکلام ۱۳۳.

۲- ۲) .وقعه صفّین:۱۱۲.

۳- ۳) .نهج البلاغه:الکلام ۱۵۳.

۴- ۴) .نهج البلاغه:کتاب ۶۹.

۵- ۵) .نهج البلاغه:کتاب ۳۱.

۶- ۶) .نهج البلاغه:کتاب ۳۲.

۱۳. و قال علیه السّلام لزید بن صوحان العبدی:«رحمک اللّه یا زید،قد کنت خفیف المئونه،عظیم المعونه»،کما قد ورد حدیث عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی بشارته بالشهاده علی الحقّ (۱).

۱۴. و قال علیه السّلام فی حکیم بن جبله العبدی:«فقتلوه-و یقصد أصحاب الجمل-فی سبعین رجلا من عبّاد أهل البصره و مخبتیهم،یسمّون المثفّنین،کأنّ راح أکفّهم و جباتهم ثفنات الإبل» (۲).

۱۵. و قال علیه السّلام فی یزید بن الحارث الیشکری:«و أبی أن یبایعهم و هو شیخ أهل البصره یومئذ،فقال-مخاطبا طلحه و الزبیر-:اتّقیا اللّه،إنّ أوّلکم قادنا إلی الجنّه،فلا یقودنا آخرکم إلی النار،فلا تکلّفونا أن نصدّق المدّعی و نقضی علی الغائب،أمّا یمینی فقد شغلها علیّ بن أبی طالب ببیعتی إیّاه،و أمّا شمالی فهذه خذاها فارغه إن شئتما؛فخنق حتّی مات رحمه اللّه» (۳).

۱۶. و قال علیه السّلام فی عمران بن حصین الخزاعی:«فقام صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و هو الذی جاءت فیه الأحادیث،و قال:یا هذان!-مخاطبا طلحه و الزبیر-مخاطبا طلحه و الزبیر-لا- تخرجانا ببیعتکما من طاعه علیّ،و لا تحملانا علی نقض بیعته،فإنّها للّه رضی.أ ما وسعتکما بیوتکما حتّی أتیتما بأمّ المؤمنین؟!فالعجب لاختلافها إیّاکما و مسیرها معکما!!!فکفّا عنّا أنفسکما و ارجعا من حیث جئتما،فلسنا عبید من غلب، و لا أوّل من سبق؛فهمّا به ثمّ کفّا عنه» (۴).

۱۷. و قال علیه السّلام:«ثمّ أخذوا عاملی عثمان بن حنیف أمیر الأنصار غدرا،فمثّلوا به کلّ المثله،و نتفوا کلّ شعره فی رأسه و وجهه» (۵).و هو صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،شهد

۱- ۱) .رجال الکشّی ۲۸۴/۱،الاختصاص:۲۹.

۲- ۲) .نهج البلاغه:الکتاب ۷۵.

۳- ۳) .نهج البلاغه:الکتاب ۷۵.

۴- ۴) .نهج البلاغه:الکتاب ۷۵.

۵- ۵) .نهج البلاغه:الکتاب ۷۵.

معه المشاهد،أحدا و ما بعدها.و هو أحد الاثنى عشر الّذين أنكروا على أبى بكر جلوسه مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و هم ستّه من المهاجرين،و ستّه من الأنصار، فالمهاجرين هم:سلمان الفارسى،و أبو ذرّ الغفارى،و عمّار بن ياسر،إضافه إلى:

۱۸. خالد بن سعيد بن العاص-و كان من بنى أميّه-

۱۹. المقداد بن الأسود.

۲۰. و بريده الأسلمى.

و الأنصار هم-إضافه إلى عثمان بن حنيف-:

۲۱. أبو الهيثم بن التيّهان.

۲۲. سهل بن حنيف،أخى عثمان.

۲۳. خزيمه بن ثابت،ذو الشهادتين.

۲۴. أبىّ بن كعب.

۲۵. و أبو أيّوب الأنصارى..

فقد قال لهم علىّ عليه السّلام-عند ما اتّفقوا على إنزال أبى بكر عن منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم-:«و أيم اللّه لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلاّ حربا،و لكنّكم كالملح فى الزاد و كالكحل فى العين- إلى أن قال لهم:-فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرّفوه ما سمعتم من قول نبيّكم،ليكون ذلك أوكد للحجّه،و أبلغ للعذر،و أبعد لهم من رسول اللّه إذا وردوا عليه».

و قال لهم علىّ عليه السّلام-بعد أن اعترضوا على أبى بكر-:«اجلس يا خالد فقد عرف اللّه لك مقامك و شكر لك سعيك...»،ثمّ التفت إلى أصحابه فقال:«انصرفوا رحمكم اللّه» (۱).

۲۶. و قال عليه السّلام فى العبد الصالح عمرو بن الحمق الخزاعى،صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، بعد تشدّد فى موالاته لأمير المؤمنين،و استبسال فى نصرته:«اللّهمّ نوّر قلبه بالتقى،و

۱- ۱) .الخصال:۴۶۱ ح ۴،الاحتجاج ۱۸۶/۱ ح ۳۷،اليقين فى إمره أمير المؤمنين:۱۰۸ ب ۱۲۶.

اهده إلی صراط مستقیم،لیت أنّ فی جندی[شیعتی]مائه مثلک!» (۱).

۲۷. و قال علیه السّلام فی عدیّ بن حاتم بن عبد اللّه الطائی،الصحابی المعروف،مخاطبا بنی الحزمر:«إنّی أراه رأسکم قبل الیوم،و لا أری قومه کلّهم إلّا مسلمین له غیرکم» (۲)و کان شدید الذود عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،متفانیا فی ولایته،و شهد معه مشاهده.

۲۸. و قال علیه السّلام فی عبد اللّه بن کعب المرادی-عند ما استشهد فی صفّین-:«رحمه اللّه،جاهد معنا عدوّنا فی الحیاه،و نصح لنا فی الوفاه»و کان قد أبلغ الأسود بن قیس السلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام فی آخر رمق له و أوصاه بنصرته علیه السّلام (۳).

۲۹. و عامر بن واثله بن عبد اللّه الکنانی اللیثی،أبو الطفیل،و هو آخر من مات من الصحابه،توفّی سنه ۱۰۰ ه،و لم یرو عنه البخاری؛لأنّه کان من شیعه علیّ علیه السّلام،و قد شهد مع علیّ علیه السّلام جمیع حروبه،و مادح علیّ علیه السّلام بشعره،و من ثقاته (۴).

۳۰. و قال علیه السّلام فی سعد بن مسعود الثقفی،عمّ المختار بن أبی عبید:«أمّا بعد، فإنّک قد أدّیت خراجک،و أطعت ربک،و أرضیت إمامک،فعل البرّ التقی النجیب،فغفر اللّه ذنبک،و تقبّل سعیک،و حسّن مآبک» (۵).

۳۱. و قال علیه السّلام فی صعصعه بن صوحان بن حجر العبدی،الذی کان لسانه السیف البتّار دفاعا عن علیّ علیه السّلام،و شهد معه الجمل و بقیّه حروبه:«إن کنت لما علمت خفیف المئونه عظیم المعونه» (۶)،و هو نظیر ما قاله علیه السّلام لأخیه زید.و قد قتل مع أخیه سیحان

۱- ۱) .وقعه صفّین:۱۰۳،الاختصاص:۱۴.

۲- ۲) .تاریخ الطبری ۹/۵،تاریخ ابن الأثیر ۳۶۹/۲.

۳- ۳) .وقعه صفّین:۴۵۷،تنقیح المقال-ط الحجریه-۱۶۹/۲؛و فی شرح نهج البلاغه ۹۳/۸ أنّ هذا القول کان فی حقّ عبد اللّه بن بدیل بن ورقاء الخزاعی،و کان قد أوصی الأسود بن طهمان الخزاعی بنصره الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام.

۴- ۴) .رجال الشیخ الطوسی:۷۰ رقم ۶۴۶،تاریخ الیعقوبی ۳۰۷/۲،تاریخ دمشق ۱۲۸/۲۶،سیر أعلام النبلاء ۴۶۸/۳ رقم ۹۷.

۵- ۵) .تاریخ الیعقوبی ۲۰۱/۲.

۶- ۶) .رجال الکشّی ۲۸۴/۱ رقم ۱۲۱،الغارات-للثقفی-۵۲۴/۲،مقاتل الطالبیّین:۵۰.

اثنین و ثلاثین یوم الجمل و دفنا فی قبر واحد.

۳۲. أمّا سلیمان بن صرد بن الجون الخزاعی،فهو من صحابه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و من وجوه الشیعه فی الکوفه،شهد مع علیّ علیه السّلام صفّین،و قد أتاه بعد التحکیم فی صفّین و وجهه مضروبا بالسیف،فلمّا نظر إلیه علیّ علیه السّلام قال:« فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِیلاً (۱)فأنت ممّن ینتظر و ممّن لم یبدّل» (۲).و قد قاد ثوره التوّابین علی ابن زیاد فی الکوفه بعد استشهاد الإمام الحسین علیه السّلام.

۳۳. و قال علیه السّلام فی حجر بن عدیّ بن معاویه الکندی-له صحبه-الذی کان من خواصّه،و شهد معه حروبه،بصیرا بمعرفه علیّ علیه السّلام و مقامه فی الدین:«لا حرمک اللّه الشهاده،فإنّی أعلم أنّک من رجالها» (۳).و قد روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم حدیثا فی استشهاده علی الحقّ،و أنّ أهل السماء یغضبون لقتله (۴).

۳۴. حبّه بن جوین البجلی العرنی،أبو قدامه،من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و علیّ علیه السّلام،و شهد معه حروبه،و روی حدیث الغدیر.

۳۵. و قال علیه السّلام لجندب بن کعب بن عبد اللّه الأزدی الغامدی،من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و علیّ علیه السّلام:«یا جندب!لیس هذا زمان ذاک» (۵)،و ذلک عند ما أصرّ جندب علیه علیه السّلام أن یدعو إلیه عند ما بویع عثمان لأنّه أحقّ بالخلافه ممّن تقدّم علیه،و أنّه سیجد من یناصره.

۳۶. جعده بن هبیره بن أبی وهب القرشی المخزومی،و أمّه أمّ هانی بنت أبی طالب،و کان ممّن یحفیه علیه السّلام و یولیه عنایه خاصّه (۶).

۳۷. و قال فی جاریه بن قدامه التمیمی السعدی و کان من صحابه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و

۱- ۱) .الأحزاب۲۳/.

۲- ۲) .وقعه صفّین:۵۱۹.

۳- ۳) .تاریخ الیعقوبی ۱۹۶/۲.

۴- ۴) .تاریخ الیعقوبی ۲۳۱/۲.

۵- ۵) .الإرشاد ۲۴۱/۱،أمالی الطوسی:۲۳۴ ح ۴۱۵،شرح نهج البلاغه ۵۷/۹.

۶- ۶) .وقعه صفّین:۴۶۳.

علیّ علیه السّلام،ثابتا صلبا فی ولائه له،شدیدا علی أعدائه،من جمله شرطه الخمیس.

۳۸. جابر بن عبد اللّه الأنصاری،الصحابی المعروف،شهد مع الإمام علیه السّلام صفّین،و کان یدور فی سکک الأنصار و مجالسهم و یقول:علیّ خیر البشر،فمن أبی فقد کفر،یا معشر الأنصار!أدّبوا أولادکم علی حبّ علیّ،فمن أبی فانظروا فی شأن أمّه (۱).و عن الصادق علیه السّلام أنّه آخر من بقی من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و کان رجلا منقطعا إلی أهل البیت (۲).

۳۹. ثابت بن قیس بن الخطیم الأنصاری الظفری،من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،شهد أحدا و ما بعدها،و کان له بلاء مع علیّ علیه السّلام فی حروبه،و استعمله علی المدائن،و کان معاویه یهابه (۳).

۴۰. أبو قتاده الحارث بن ربعی بن بلدمه الأنصاری الخزرجی،من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،شهد أحدا و ما بعدها،و شهد مع علیّ علیه السّلام حروبه،کان شدید الإیمان بعلیّ علیه السّلام،و قد ولّاه مکّه.

۴۱. أبو رافع،مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،شهد معه صلّی اللّه علیه و آله و سلم المشاهد ما عدا بدرا، و لازم علیّا علیه السّلام،و کان علی بیت المال من قبله (۴).

۴۲. أبو سعید سعد بن مالک بن شیبان الأنصاری الخدری،من صحابه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و کان معه فی عدّه من المشاهد،و لازم علیّا علیه السّلام و کان معه فی حرب النهروان (۵).

۴۳. أبو الأسود الدؤلی،ظالم بن عمرو،و هو من الثابتین علی محبّه علیّ علیه السّلام و ولده، شهد معه حروبه.و غیرهم ممّن مدحهم أمیر المؤمنین علیه السّلام.

۱- ۱) .علل الشرائع:۴/۱۴۲،أمالی الصدوق:۱۳۵ ح ۱۳۴،رجال الکشّی ۲۳۶/۱ رقم ۹۳.

۲- ۲) .الکافی ۴۱۹/۱،رجال الکشّی ۲۱۷/۱ رقم ۸۸.

۳- ۳) .تاریخ بغداد ۱۷۵/۱-۱۷۶،الإصابه ۵۱۰/۱ رقم ۹۰۴.

۴- ۴) .رجال النجاشی:۴ رقم ۱،رجال ابن داود:۳۱ رقم ۱۲،الخلاصه-للشیخ الطوسی-۴۷ رقم ۲.

۵- ۵) .تاریخ بغداد ۱۸۰/۱،رجال الکشّی ۱۸۳/۱ رقم ۷۸.

۷–موازین الجرح و التعدیل

اشاره

ص:۱۷۵

قد تبيّن ممّا مرّ كرارا أنّ البحث فی عنوان عداله الصحابه غير عاكس لحقيقه البحث بصوره عامّه،بل الحقيقه هو البحث عن أصحاب السقيفه،الذين بايعوا أبا بكر دون عامّه الأنصار،و الذين خالفوا البيعه تبعا لسعد بن عباده،و دون بنی هاشم،و كذا من والی عليّا عليه السّلام ممّن ذكرنا أسمائهم فی الحلقات السابقه،كما أنّ البحث ليس فی الصحبه للنبیّ الأكرم صلّی اللّه عليه و آله و سلم،و أنّما البحث الجاری فی مشروعيه ما أقيم و أسّس فی السقيفه من نهج الخلافه و ما تبع ذلك من النهج الأموی و المروانی كل ذلك إقصاء لعتره النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم.

و رغم الوعی بهذه الحقيقه فمسايره مع عنوان البحث نتابع النقطه التاليه:

من موازين التعديل و الجرح فی الصحابی:

اشاره

المودّه للعتره أو نصب العداوه لهم:

و ذلك لكون المودّه فريضه قرآنيه كبری أوجبها اللّه تعالی علی كلّ مسلم و عظّمها فی الذكر الحكيم،قال تعالی: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فِی رَوْضاتِ الْجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذلِكَ الَّذِی يُبَشِّرُ اللّهُ عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَهً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۱،مضافا إلی ما استفاض بل تواتر من السنّه النبويّه فی حبّ علی و العتره عليهم السّلام،فمن كان قائما من الصحابه بهذه الفريضه مراعيا لها كان علی حدّ العداله،و من كان تاركا لها ناقضا لهذا الميثاق فهو خارج عن حدّ العداله فضلا عن نصب العداوه للعتره.

و ذلک لکون المودّه فریضه قرآنیه کبری أوجبها اللّه تعالی علی کلّ مسلم و عظّمها فی الذکر الحکیم،قال تعالی: وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فِی رَوْضاتِ الْجَنّاتِ لَهُمْ ما یَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ* ذلِکَ الَّذِی یُبَشِّرُ اللّهُ عِبادَهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَهً نَزِدْ لَهُ فِیها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَکُورٌ (۱)،مضافا إلی ما استفاض بل تواتر من السنّه النبویّه فی حبّ علی و العتره علیهم السّلام،فمن کان قائما من الصحابه بهذه الفریضه مراعیا لها کان علی حدّ العداله،و من کان تارکا لها ناقضا لهذا المیثاق فهو خارج عن حدّ العداله فضلا عن نصب العداوه للعتره.

الذی هو بمثابه الجحود.

و سنری أنّ من أهل سنّه الجماعه قد عکس العیار عندهم و جعلوا النصب و العداوه سنّه یدینون بها.و لنتعرض للمعیار القرآنی و النبوی أوّلا،ثم نتبعه بترکهم له ثانیا.

المقام الأوّل

اشاره

المعیار القرآنی و النبویّ لفریضه المودّه

فأمّا الآیه الشریفه فقبل التعرّض إلی إطار مفادها نذکر:

أوّلا: مورد نزولها هو أنّ الأنصار و المهاجرین اجتمعوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فقالوا:

یا رسول اللّه أنّ لک مئونه فی نفقتک و من یأتیک من الوفود و هذه أموالنا مع دمائنا فاحکم فیها مأجورا،اعط منها ما شئت و أمسک ما شئت من غیر حرج فأنزل اللّه عزّ و جلّ علیه الروح الأمین،فقال:یا محمّد قل: لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی (۲)یعنی:أن تودّوا قرابتی من بعدی فخرجوا،فقال المنافقون:ما حمل رسول اللّه علی ترک ما عرضنا علیه إلاّ لیحثّنا علی قرابته من بعده،إن هو إلاّ شیء افتراه فی مجلسه،فکان ذلک من قولهم عظیما،فأنزل اللّه عزّ و جلّ: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَیْتُهُ فَلا تَمْلِکُونَ لِی مِنَ اللّهِ شَیْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِیضُونَ فِیهِ کَفی بِهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ (۳)فبعث إلیهم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،فقال:هل من حدث؟فقالوا:أی و اللّه قال بعضنا

ص:

۱- ۱) .الشوری۲۲/ و ۲۳.

۲- ۲) .الشوری۲۳/.

۳- ۳) .الأحقاف۸/.

كلاما غليظا كرهناه،فتلا عليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم الآيه فبكوا و اشتدّ بكاؤهم فأنزل اللّه عزّ و جلّ: وَ هُوَ الَّذِی یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ یَعْفُوا عَنِ السَّیِّئاتِ وَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ (۱)(۲).

و قد روی قریب منه عن عبد اللّه بن عبّاس،کما روی فی عدّه مصادر لأهل سنّه الجماعه أنّهم سألوا:یا رسول اللّه من قرابتک الذین وجبت علینا مودّتهم؟قال:«علی و فاطمه و ابناهما علیهم السّلام» (۳).

ثانیا: قال فی الکشاف:

یجوز أن یکون استثناء متّصلا أی:لا أسألکم أجرا إلّا هذا و هو أن تودّوا أهل قرابتی و لم یکن هذا أجرا فی الحقیقه لأنّ قرابته قرابتهم فکانت صلتهم لازمه لهم فی المروءه،و یجوز أن یکون منقطعا أی:لا أسألکم أجرا قط و لکننی أسألکم أن تودّوا قرابتی الّذین هم قرابتکم و لا تؤذوهم،فإن قلت:هلا قیل:إلاّ موده القربی،أو إلاّ الموده للقربی،و ما معنی قوله: إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی قلت:جعلوا مکانا للمودّه و مقرا لها،کقولک:لی فی آل فلان مودّه،ولی فیهم هوی و حبّ شدید،ترید:أحبّهم و هم مکان حبّی و محله و لیست(فی)بصله للمودّه،کاللام إذا قلت:إلّا المودّه للقربی،أنّما هی متعلّقه بمحذوف تعلّق الظرف به فی قولک المال فی الکیس و تقدیره:

إلّا الموده ثابته فی القربی و متمکنه فیها.و القربی:مصدر کالزلفی و البشری

۱- ۱) .الشوری۲۵/.

۲- ۲) .تفسیر البرهان ۸۱۹/۴.

۳- ۳) .لاحظ:فضائل الصحابه-لابن حنبل-۶۶۹/۲ ح ۱۱۴۱،و العمده-لابن بطریق-۹۴ ح ۴۷،و صحیح البخاری-فی تفسیر آیه المودّه-۲۳۱/۶ ح ۳۱۴،و تفسیر الطبری ۱۶/۲۵،و شواهد التنزیل ۱۴/۲ ح ۱۳۷،و مستدرک الحاکم ۱۷۲/۳،و الصواعق المحرقه:۱۷۰،و الطرائف:۱۱۲ ح ۱۶۹،مناقب الخوارزمی:۱۹۴،و مقاتل الطالبیین:۶۲،و غیرها من المصادر العدیده.

بمعنی:قرابه و المراد فی أهل القربی.و روی أنّها لمّا نزلت هذه الآیه،قیل:یا رسول اللّه!من قرابتک هؤلاء الذین وجبت علینا مودّتهم؟قال:«علیّ و فاطمه و ابناهما».

و یدلّ علیه ما روی عن علی رضی اللّه عنه:شکوت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم حسد الناس لی،فقال:«أ ما ترضی أن تکون رابع أربعه:أوّل من یدخل الجنّه أنا و أنت و الحسن و الحسین و أزواجنا عن أیماننا و شمائلنا،و ذریتنا خلف أزواجنا» (۱).

و عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

حرمت الجنّه علی من ظلم أهل بیتی و آذانی فی عترتی،و من اصطنع صنیعه إلی أحد من ولد عبد المطلب و لم یجازه علیها فأنا أجازیه علیها غدا إذا لقینی یوم القیامه.

ثم ذکر مورد النزول المتقدّم،و قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

من مات علی حبّ آل محمّد مات شهیدا (۲)،ألاّ و من مات علی حبّ آل محمّد مات مغفورا له،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات تائبا،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات مؤمنا مستکمل الإیمان،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد بشّره ملک الموت بالجنّه،ثمّ منکر و نکیر،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد یزف إلی الجنّه کما تزف العروس إلی بیت زوجها، ألا و من مات علی حبّ آل محمّد فتح له فی قبره بابان إلی الجنّه،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد جعل اللّه قبره مزار ملائکه الرحمه،ألا و من مات علی حبّ آل محمّد مات علی السنّه و الجماعه،ألا و من مات علی

۱- ۱) .فی هامش الکشّاف ۲۲۰/۴،أخرجه الکریمی عن ابن عائشه بسنده عن علی،و رواه الطبرانی من حدیث أبی رافع.

۲- ۲) .فی هامش الکشاف ۲۲۰/۴،أخرجه الثعلبی.

بغض آل محمّد جاء يوم القيامه مكتوب بين عينيه:آيس من رحمه اللّه،ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافرا،ألا و من مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحه الجنّه (۱).

و قال فى تفسير: وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَهً ،عن السدّى أنّها المودّه فى آل رسول اللّه::نزلت فى أبى بكر-رضى اللّه عنه-و مودّته فيهم (۲).و الظاهر:العموم فى أى حسنه كانت،إلاّ أنّها لمّا ذكرت عقيب ذكر المودّه فى القربى،دلّ ذلك على أنّها تناولت المودّه تناولا أوّليا،كأنّ سائر الحسنات لها توابع (۳).انتهى.

أقول:و يدلّ تقريبه الأخير لحسنه المودّه و عظمتها أنّها من الفرائض الكبرى فى الدّين،و سيأتى تقريب دلاله الآيه على ذلك بنحو أوضح.و قال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير بعد ما نقل كلام الزمخشرى:

و أنا أقول آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم هم الّذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل.و لا شكّ أنّ فاطمه و عليّا و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أشدّ التعلّقات و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل،و أيضا اختلف الناس فى الآل،فقيل:هم الأقارب،و قيل:هم أمّته،فإن حملناه على القرابه فهم الآل،و إن حملناه على الأمّه الّذين قبلوا دعوته فهم أيضا الآل،فثبت على جميع التقديرات هم الآل،

۱- ۱) .و فى تفسير القرطبى ۲۲/۱۶،فى ذيل الآيه حكى عن الثعلبى هذه الروايه مذيّله ب:«و من مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى».

۲- ۲) .و يشهد لذلك موت فاطمه عليها السّلام و هى واجده على أبى بكر،ما رواه البخارى فى صحيحه ۸۲/۵ غزوه خيبر،و إيصائها عدم حضوره جنازتها و أخذه لفدك منها،فى قبال إعطاءه ابنته عائشه حجره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم توريثا.

۳- ۳) .تفسير الكشّاف ۲۲۱/۴.

و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟فمختلف فيه (۱).

أقول:يشير الفخر الرازى إلى ما قاله الرضا عليه السّلام فى مجلس المأمون-فى حديث-:

فلمّا أوجب اللّه تعالى ذلك ثقل لثقل وجوب الطّاعه،فأخذ بها قوم أخذ اللّه ميثاقهم على الوفاء،و عاند أهل الشقاق و النفاق و ألحدوا فى ذلك،فصرفوه عن حدّه الذى قد حدّه اللّه تعالى،فقالوا القرابه هم العرب كلّها و أهل دعوته، فعلى أىّ الحالتين كان،فقد علمنا أنّ المودّه هى للقرابه فأقربهم من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أولاهم بالمودّه،و كلما قربت القرابه كانت المودّه على قدرها» (۲).

ثمّ قال الرازى فى تفسيره:

و روى صاحب الكشّاف أنّه لمّا نزلت هذه الآيه،قيل:يا رسول اللّه من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟فقال:«على و فاطمه و ابناهما».

فثبت أن هؤلاء الأربعه أقارب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم،و يدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ،و وجه الاستدلال به ما سبق.

الثانى: لا شك أنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم كان يحبّ فاطمه عليها السّلام،قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«فاطمه بضعه منّى يؤذينى ما يؤذيها»،و ثبت بالنقل المتواتر عن محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّه كان يحبّ عليّا و الحسن و الحسين،و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّه مثله؛ لقوله: وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۳)؛و لقوله تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ (۴)؛و لقوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ (۵)؛ و لقوله سبحانه: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (۶).

۱- ۱) .التفسير الكبير ۱۶۶/۲۷.

۲- ۲) .عيون أخبار الرضا عليه السّلام ۲۱۱/۱ ح ۱.

۳- ۳) .الأعراف۱۵۸/.

۴- ۴) .النّور۶۳/.

۵- ۵) .آل عمران۳۱/.

۶- ۶) .الأحزاب۲۱/.

الثالث: أنّ الدعاء للآل منصب عظيم،و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمه التشهد فى الصلاه و هو قوله:اللهم صل على محمّد و على آل محمّد و ارحم محمّدا و آل محمّد،و هذا التعظيم لم يوجد فى حقّ غير الآل،فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب،و قال الشافعى رضى اللّه عنه:

يا راكبا قف بالمحصّب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّى رافضى (۱)

أقول:عقد ابن قدامه الحنبلى صاحب كتاب المغنى،و كذا صاحب الشرح الكبير فصلا فى باب التشهد فى الصلاه-بعد ما نقلا الأقوال فى صفه الصلاه على النبى و آله صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّ هناك من اختار وجوب الصلاه على(آله)-.قال:

فصل آل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أتباعه على دينه،كما قال اللّه تعالى أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ (۲)،يعنى أتباعه من أهل دينه،و قد جاء عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّه سئل من آل محمّد؟فقال:كلّ تقىّ،أخرجه تمام فى فوائده،و قيل:آله أهله،الهاء منقلبه عن الهمزه-إلى أن قال-و معناهما جميعا أهل دينه،و قال ابن حامد و أبو حفص:لا يجزى لما فيه من مخالفه لفظ الأثر و تغيير المعنى فإنّ الأهل أنّما يعبّر عن القرابه و الآل يعبّر به عن الأتباع فى الدين (۳).

أقول:و تحريف الكلم عن مواضعه فى المقام و أمثاله ممّا يخصّ مناقب عتره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم امتثالا لفريضه المودّه،فتراه يترك ما يروونه من ذكر الذريّه فى صفه الصلاه على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى التشهد،و لا يشير إليها من قريب و لا بعيد،مع أنّ الآل فى قوله تعالى:

۱- ۱) .التفسير الكبير ۱۶۶/۲۷،ديوان الشافعى:۸۴.

۲- ۲) .غافر۴۶/.

۳- ۳) .المغنى ۵۸۲/۱.

وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ (۱)المراد به الرحم؛لأنّه ابن عمّ أو ابن خال فرعون، و ليس استعمال الآل فى الأتباع على وجه الحقيقه بل المجاز.

فكان الأولى بهم الاستشهاد فى معنى اللآل بقوله تعالى إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ* ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ (۲)،فحيث وضّحت الآيه الاصطفاء فى آل إبراهيم و آل عمران هو فى الذريّه و الرحم لا فى الأتباع.فالموازنه بين آل محمّد مع آل إبراهيم و آل عمران لا مع آل فرعون.

ثمّ قال الرازى:

قوله: إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ،فيه منصب عظيم للصحابه؛لأنّه تعالى قال:

وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ* أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (۳)،فكلّ من أطاع اللّه كان مقرّبا عند اللّه تعالى فدخل تحت قوله: إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى ،و الحاصل أنّ هذه الآيه تدلّ على وجوب حبّ آل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و حبّ أصحابه و هذا المنصب لا يسلم إلّا على قول أصحابنا أهل السنّه و الجماعه الّذين جمعوا بين حبّ العتره و الصحابه،و سمعت بعض المذكّرين قال أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،قال:

«مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح من ركب فيها نجا»،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

«أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم»و نحن الآن فى بحر التكليف و تضربنا أمواج الشبهات و الشهوات،و راكب البحر يحتاج إلى أمرين:

أحدهما:السفينه الخاليه من العيوب و الثقب.

و الثانى:الكواكب الظاهره الطالعه النّيره،فإذا ركب تلك السفينه و وقع نظره على تلك الكواكب الظاهره كان رجا السلامه غالبا،فكذلك ركب أصحابنا أهل السنّه سفينه حبّ آل محمّد و وضعوا أبصارهم على نجوم الصحابه،

۱- ۱) .غافر۲۸/.

۲- ۲) .آل عمران۳۳/ و ۳۴.

۳- ۳) .الواقعه۹/ و ۱۰.

فرجوا من اللّه تعالى أن يفوزوا بالسلامه و السعاده فى الدنيا و الآخره (۱).

انتهى.

أقول: ۱. كيف يجمع الرازى بين تفسير القربى بمعنى القرابه و تفسيرها بمعنى العباده.مع ما روى بطرق عديده أنّهم«علىّ و فاطمه و ابناهما»،بل مع قوله تعالى فى آيتى الخمس (۲)و الفىء (۳)من جعلهما للّه و للرسول و لذى القربى بمعنى القرابه و كذلك فى آيه إيتاء ذى القربى حقّه (۴)التى نزلت خطابا للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى اعطاء فاطمه فدكا،بل لم يرد لفظ و هيئه(القربى)فى القرآن بمعنى العباده و الطاعه و نحوهما،بل جميع مواردها بمعنى القرابه و الأهل.

۲. أنّه لم ينقل تتمّه حديث السفينه و هى:«و من تخلّف عنها هلك»،و حديث السفينه دالّ على انحصار النجاه بهم؛كما أنّ حديث النجوم المنقول فى بعض الطرق الأخرى لديهم أيضا هو:«أهل بيتى كالنجوم...»،و لو سلّمنا كون ألفاظ الحديث هو ما ذكرها فإنّ أصحابه صلّى اللّه عليه و آله و سلم هم على مجموعات،منهم جماعه السقيفه الذين عقدوا بيعه أبى بكر،و منهم الأنصار الذين خالفوا تلك البيعه،و منهم الموالين لعلى عليه السّلام،كسلمان و أبى ذرّ و عمّار و المقداد و بقيه الاثنى عشر الّذين ذكرناهم سابقا الذين اعترضوا على أبى بكر و جلوسه مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و كذا جابر بن عبد اللّه الأنصارى و زيد بن أرقم و أبى سعيد الخدرى و غيرهم،و بمقتضى الجمع بين الحديثين و عدم المعارضه و التوفيق بينهما هو الاقتداء بالصحابه الذين والوا عتره النبىّ و ركبوا سفينه النجاه،كما أنّ حديث السفينه المخاطب به كلّ المسلمين بما فيهم الصحابه،و لفظ الحديث حسب ما زعم (بأيّهم اقتديتم)لفظ العموم البدلى(أى)،المنطبق على مثل سلمان و أبى ذرّ و المقداد بل إنّ أكثر من صحب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أد من ملازمته هم قرابته على و فاطمه عليهما السّلام.

۱- ۱) .التفسير الكبير ۱۶۷/۲۷.

۲- ۲) .الأنفال ۴۱/.

۳- ۳) .الحشر ۷/.

۴- ۴) .الإسراء ۲۶/.

۳. أن دعواه ركوب أصحابه سفينه حبّ آل محمّد سيأتى تفشى سنّه العداء و النصب لآل محمّد فيهم،و جعلهم حبّ آل محمّد علامه للضعف و الجرح،و أنّهم مقيمون على الجفاء و الهجر لعتره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و اقرأ التاريخ من يوم وفاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و حدوث السقيفه إلى يومنا هذا فانظر من الذى وصل العتره رحم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (۱)؟!او من الذى قطع الصله بالعتره وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ (۲)؟!

ثالثا (۳): قد حكى القرطبى فى تفسيره عن قوم القول بنسخ الآيه بقوله تعالى: قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلَى اللّهِ (۴)و بقوله تعالى: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (۵)،لكى يلحق اللّه تعالى نبيّه بإخوانه من الأنبياء،حيث قالوا:

وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۶)،ثمّ حكى تقبيح هذا القول عن الثعلبى (۷).

أقول:إنّ قوله تعالى: ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ يعزز آيه المودّه و لا يصادم مفادها،بل هو شارح للأجر فى آيه المودّه و أنّ منفعته و نفعه عائد للمكلّفين و المسلمين أنفسهم لا إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فليس سنّه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم التى أمره اللّه تعالى بها فى آيه المودّه مخالفه لسنن الأنبياء من قبل من عدم طلب الأجر على أدائهم و تبليغهم للدّين و النبوّه.

إذ المودّه فى القربى التى سألها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم منهم ليس أجرا عائدا نفعه له بل نفعه ينتفع به هم أنفسهم،و هذا ممّا ينادى أنّ مودّه القربى هى منشأ هدايه لهذه الأمّه،و هذا ما يوضحه أيضا قوله تعالى: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ

۱- ۱) .الرعد۲۱/.

۲- ۲) .البقره۲۷/.

۳- ۳) .تقدّم«أو لا»فى صفحه ۱۷۶ و«ثانيا»فى صفحه ۱۷۷.

۴- ۴) .سبأ۴۷/.

۵- ۵) .ص۸۶/.

۶- ۶) .الشعراء۱۰۹/.

۷- ۷) .تفسير القرطبى ۲۲/۱۶.

سَبِيلاً (۱)،أی:أنّ الأجر الذی سأله النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و هو المودّه فی القربی هو اتخاذ السبیل إلی الربّ تعالی،فنفع المودّه عائد للأمّه نفسها لا للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،إذ المودّه تتخذ سبیلا للهدایه إلی اللّه تعالی،فمودّه علی و فاطمه و ابناهما هدایه،و هم السبیل إلیه تعالی.

و یتحصّل من ذلک:تطابق آیه المودّه مع حدیث الثقلین و حدیث السفینه و غیرها من الآیات و الأحادیث فی أصحاب الکساء.

مفاد آیه المودّه

إنّ التأمّل و التدبّر فی ألفاظ الآیه یرشدنا إلی ما أشارت إلیه الآیتان الأخریان من کون المودّه فی القربی مصلحه عامّه للأمّه و سبیل هدایه،و أنّ هذه الفریضه التی أمر اللّه تعالی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بتبلیغها للأمّه هی من عظائم الفرائض و أرکانها؛و ذلک لأنّ المودّه جعلت أجرا معادلا لکلّ الرساله و من البین أنّ تبلیغ الرساله اشتمل علی تبلیغ التوحید و المعاد و الإقرار و الایمان بالنبوّه و غیر ذلک من الأصول الاعتقادیه،فضلا عن بقیه أرکان الدین، و مقتضی المعادله بین الأجر و المعوض کون هذه الفریضه من أرکان الدین.

و فی حدیث الرضا علیه السّلام فی مجلس المأمون عن آیه المودّه:

و هذه خصوصیه للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی یوم القیامه و خصوصیه للآل دون غیرهم، و ذلک أن اللّه عزّ و جلّ حکی ذکر نوح فی کتابه: وَ یا قَوْمِ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مالاً إِنْ أَجرِیَ إِلاّ عَلَی اللّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لکِنِّی أَراکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲)و حکی عزّ و جلّ عن هود أنّه قال: یا قَوْمِ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلَی الَّذِی فَطَرَنِی أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۳)و قال عزّ و جلّ لنبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:یا محمّد! قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَهً نَزِدْ لَهُ

۱- ۱) .الفرقان۵۷/.

۲- ۲) .هود۲۹/.

۳- ۳) .هود۵۱/.

فِيها حُسْناً (۱)

و لم يفرض اللّه تعالى مودّتهم إلاّ و قد علم أنّهم لا يرتدّون عن الدّين أبدا و لا يرجعون إلى ضلال أبدا،و أخرى أن يكون الرجل وادّا للرجل،فيكون بعض أهل بيته عدوّا له،فلم يسلم قلب الرجل له،فأحبّ اللّه عزّ و جلّ أن لا يكون فى قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على المؤمنين شىء ففرض اللّه عليهم مودّه ذوى القربى فمن أخذ بها و أحبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أحبّ أهل بيته لم يستطع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يبغضه،و من تركها و لم يأخذ بها و أبغض أهل بيته،فعلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يبغضه لأنّه قد ترك فريضه من فرائض اللّه تعالى،فأىّ فضيله و أىّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه؟...

-إلى أن قال عليه السّلام-و ما بعث اللّه عزّ و جلّ نبيّا إلاّ أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجرا،لأنّ اللّه يوفّى أجر الأنبياء،و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فرض اللّه عزّ و جلّ مودّه قرابته على أمّته،و أمره أن يجعل أجره فيهم،لتودّوه فى قرابته،لمعرفه فضلهم الذى أوجب اللّه عزّ و جلّ لهم،فإنّ المودّه إنّما تكون على قدر معرفه الفضل.-إلى أن قال عليه السّلام-و ما أنصفوا نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى حيطته و رأفته،و ما منّ اللّه به على أمّته ممّا تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه،أن يودّوه فى قرابته و ذريّته و أهل بيته،و أن يجعلوهم فيهم بمنزله العين من الرأس، حفظا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيهم،و حبّا لهم،و كيف و القرآن ينطق به و يدعوا إليه،و الأخبار ثابته أنّهم أهل المودّه و الذين فرض اللّه تعالى مودّتهم و وعد الجزاء عليها،فما وفى أحد بهذه المودّه مؤمنا مخلصا إلاّ استوجب الجنّه، لقول اللّه عزّ و جلّ فى هذه الآيه: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الْجَنّاتِ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* ذلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللّهُ

۱- ۱) .الشورى۲۳/.

عِبادَهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبی (۱)مفسّرا مبیّنا (۲).

ثمّ إنّ هناک آیات أخر دالّه علی هذه الفریضه،کقوله تعالی: إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ* وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (۳)و هذه الآیه نزلت فی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام تصدّق و هو راکع فی واقعه معروفه،فلاحظ فیها مصادر الفریقین،و کذا آیه التبلیغ و آیه خیر البریّه،و سوره هل أتی و غیرها من الآیات الکثیره.

و أمّا الروایات،و الأحادیث الوارده فی افتراض محبّه عتره المصطفی علی و فاطمه و ولدیهما فهی فوق حدّ التواتر،فقد روی عن جابر:أمرنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أن نعرض أولادنا علی حبّ علی بن أبی طالب (۴).و روی عن عباده بن الصامت،أنّه قال:کنا نبور أولادنا بحبّ علی ابن أبی طالب فإذا رأینا أحدا لا یحبّه علمنا أنّه لیس منّا و أنه لغیر رشده (۵).

و روی المناوی فی کنوز الحقائق،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«حبّ علی علیه السّلام براءه من النفاق» (۶)،و روی الطبرانی و غیره عن فاطمه الزهراء علیها السّلام قالت:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم «أنّ السعید کلّ السعید من أحبّ علیّا علیه السّلام فی حیاته و بعد موته،و أنّ الشقیّ کلّ الشقیّ من أبغض علیّا علیه السّلام فی حیاته و بعد موته» (۷)،و روی جابر رضی اللّه عنه:سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم

۱- ۱) .الشوری۲۲/ و ۲۳.

۲- ۲) .عیون أخبار الرضا علیه السّلام ۲۱۱/۱ ح ۱.

۳- ۳) .المائده۵۵/ و ۵۶.

۴- ۴) .میزان الاعتدال ۲۳۶/۱،لسان المیزان ۲۳۱/۲.

۵- ۵) .الغریبین-للهروی-۲۱ مخطوط،مجمع بحار الأنوار-للصدیقی-۱۲۱/۱ طبعه لکهنو،الأربعین-لعلی الهروی-۵۴،المناقب-لعبد اللّه الشافعی-۲۱ مخطوط،تاج العروس ۶۱/۳ ماده«بور»،نزهه المجالس -للصفوری-۲۰۸/۲.

۶- ۶) .کنوز الحقائق:۶۷،ینابیع الموده-للقندوزی-۱۸.

۷- ۷) .المناقب-للخوارزمی-۴۷ و ۸۰ عن معجم الطبرانی،ذخائر العقبی:۹۲،الریاض النضره ۲۱۴/۲،

يقول:«لكلّ شيء أساس و أساس الدّين حبّنا أهل البيت»،و فی طريق آخر«حبّ أهل بيتی» (۱).و روی عن أنس بن مالک أنّه يقول:و اللّه الذی لا إله إلاّ هو لسمعت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم يقول:«عنوان صحيفه المؤمن حبّ علی بن أبی طالب» (۲).

و يمكن للقارىء العزيز مراجعه كتاب ملحقات إحقاق الحقّ بتوسط فهرست الملحقات ماده«ح ب ب»ليقف علی عشرات المصادر من كتب أهل سنه الجماعه التی روت الأحاديث الجمّه فی ذلک،مثل«من مات علی حبّ آل محمّد مات شهيدا»،فقد أخرج له فی الملحقات العديد من المصادر،و كذا«من مات علی حبّ آل محمّد فأنا كفيله بالجنّه و جعل اللّه زوار قبره ملائكه الرحمه»،و«لو اجتمع الناس علی حبّ علیّ بن أبی طالب لما خلق اللّه النار»،و«حبّ علی براءه من النار»،و«حبّ علی حسنه لا تضرّ معها سيئه و بغضه سيئه لا تنفع معها حسنه»،و«أساس الإسلام حبّی و حبّ أهل بيتی»،«لن يقبل اللّه فرضا إلاّ بحبّ علی بن أبی طالب»،«لا ينال ولايه النبیّ إلاّ بحبّ علی»،«أكثركم نورا يوم القيامه أكثركم حبّا لآل محمّد»،«أثبتكم علی الصراط أشدّكم حبّا لأهل بيتی»،«من أحبّ هذين-الحسنين-و أمّهما و أباهما كان معی فی درجتی»، «من أحبّ عليّا فقد أحبّنی و من أحبّنی فقد أحبّ اللّه»،«شفاعتی لأمّتی من أحبّ أهل بيتی»،«لا يحبّنا إلاّ من طابت ولادته»،«لا يحبّنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقیّ»،«لا يحبّنی حتّی يحبّ ذوی قرابتی»،«من أراد دخول الجنّه بغير حساب فليحبّ أهل

---

۱ - ۱) .لسان الميزان ۳۸۰/۵،المناقب المرتضويه-للكشفی الحنفی-۱۰۰،كنز العمال ۹۰/۱۳ و ۲۱۸/۶، رموز الأحاديث-للكمشخانوی-۴۹۸.

۲- ۲) .تاريخ بغداد ۴۱۰/۴،و المناقب:۲۴۳ ح ۲۹۰،لسان الميزان ۴۷۱/۴،الجامع الصغير ۱۴۵/۲، تاريخ دمشق ۴۵۴/۱.

بیتی»،«لا یقبل إیمان عبد إلّا بمحبته أهل بیتی»،«عاهدنی ربّی أن لا یقبل إیمان عبد إلّا بمحبّه أهل بیتی»،و غیرها من عشرات الأحادیث لو أردنا أن نستوفیها بأکملها لخرجنا عن حدّ البحث،لکن یمکن مراجعه تلک المصادر (۱).

۱- ۱) .لاحظ:فهرس ملحقات إحقاق الحقّ ۴۰۱/۳۴،ماده:«ح ب ب».

المقام الثانی

اشاره

فی ترک القوم فریضه المودّه و تبدیلها بسنّه النّصب و

العداوه

قال ابن قدامه فی المغنی فی کتاب الشهادات-شروط الشهاده-:

الشرط الرابع:العداله...فالفسوق نوعان:

أحدهما: من حیث الأفعال فلا نعلم خلافا فی ردّ شهادته.

و الثانی: من جهه الاعتقاد و هو اعتقاد البدعه فیوجب ردّ الشهاده أیضا،و به قال مالک و شریک و إسحاق و أبو عبید و أبو ثور،و قال شریک أربعه لا تجوز شهادتهم،(رافضی)یزعم أن له إماما مفترضه طاعته،(و خارجی)یزعم أن الدنیا دار حرب.إلی أن قال-و قال أبو حامد من أصحاب الشافعی المختلفون علی ثلاثه أضرب.

الأوّل: اختلفوا فی الفروع،فهؤلاء لا یفسقون بذلک و لا تردّ شهادتهم و قد اختلف الصحابه فی الفروع و من بعدهم من التّابعین.

الثانی: من نفسّقه و لا نکفّره و هو من سبّ القرابه کالخوارج أو سبّ الصحابه کالروافض فلا تقبل لهم شهاده لذلک... (۱)

و نظیر ذلک قال صاحب الشرح الکبیر (۲).و قال فی المغنی فی فصل التوبه من الکتاب المزبور:

و قد ذکر القاضی أنّ التائب من البدعه یعتبر له مضی سنه لحدیث صبیغ رواه أحمد فی الورع قال:و من علامه توبته أن یجتنب من کان یوالیه من أهل

۱- ۱) .المغنی ۲۸/۱۲-۲۹.

۲- ۲) .الشرح الکبیر بذیل المغنی ۳۹/۱۲-۴۰.

البدع و یوالی من کان یعادیه من أهل السنّه... (۱)

أقول:فالرفض أحد تعاریفه لدیهم هو:من یعتقد بالإمام المفترض الطاعه من عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و جعلوا هذا الاعتقاد بدعه فی الدّین و لا أدری أیّ دین یعنون؟!هل آیه المودّه و آیه التطهیر و آیه المباهله و سوره الدهر و آیه الولایه،و التصدّق فی حال الرکوع، و آیه الإبلاغ فی غدیر خم من سوره المائده،إلی غیر ذلک من الآیات الکثیره التی نزلت فی أصحاب الکساء،فضلا عن الأحادیث النبویّه فیهم کحدیث الغدیر و السفینه و الثقلین و الدار و المنزله و الأئمّه من قریش اثنا عشر،و غیرها من الأحادیث النبویّه الکثیره التی رواها الفریقان،کلّ هذه الحجج من الکتاب و السنّه ابتداع فی الدین الذی یرسمه القوم لأنفسهم؟!

و الأنکی أنّ جماعه من أهل سنّه الجماعه-کما نقل التفتازانی فی شرح المقاصد (۲)، فی مبحث الإمامه و غیره فی کتب أخری-قائلون بالنصّ علی أبی بکر و أنّه الخلیفه المنصوب المفترض طاعته،و کذلک النصّ علی عمر،فهل القول بالنصّ علیهما غیر مخرج عن الدین،و القول بالنصّ علی علیّ علیه السّلام و ولده بدعه فی الدین،لا أری هذه التفرقه إلّا امتثالا لفریضه المودّه فی القربی التی أمر القرآن بها!!

و الغریب أنّ التفتازانی ثمّه أعترف-و نقل عن بعضهم أیضا-أنّ الدلائل من کلا الطرفین موجوده،غایه الأمر انّه رجّح الدالّ منها-بزعمه-علی فضائل الشیخین،علی ما دلّ علی فضائل علی علیه السّلام،و لا ینقضی التدافع فی أقوال القوم فهم من جانب یجعلون الخلافه و الإمامه بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم من الفروع دون الاعتقادات،و من جانب آخر یجعلون الاختلاف بینهم و بین الشیعه فی الإمامه و الخلافه خلافا اعتقادیا،و هذا بخلاف الاختلاف فی المذاهب الأربعه و نحوها فإنّه خلاف فی الفروع لاتّفاقهم علی إمامه الشیخین و إن اختلفوا فی التجسیم و التشبیه و فی الجبر و التفویض و فی خلق القرآن

۱- ۱) .المغنی ۸۱/۱۲.

۲- ۲) .تقدّم نقله.

و غیرها من المسائل الخطیره الخلافیه فی الاعتقادات.

ثمّ أنّهم اشترطوا فی التوبه الاجتناب ممّن کان یواله من أتباع أهل البیت علیهم السّلام و یوالی من کان یعادیه من أهل سنّه الجماعه و لم یذکروا ذلک فی الناصبه الذین عادوا أهل البیت علیهم السّلام،و لم یعتبروهم من أهل البدع بل من أهل سنّه الجماعه الذین اشترط موالاتهم فی التوبه المتقدمه.و قال الذهبی فی ترجمه أبان بن تغلب الکوفی:

شیعی جلد،لکنّه صدوق،فلنا صدقه و علیه بدعته.و قد وثقه أحمد بن حنبل و ابن معین و أبو حاتم و أورده ابن عدی و قال:کان غالبا فی التشیّع، و قال السعدی:زائغ مجاهر.فلقائل أن یقول:کیف ساغ توثیق مبتدع،و حدّ الثقه العداله و الإتقان؟!فکیف یکون عدلا من هو صاحب بدعه؟!

و جوابه:أنّ البدعه علی ضربین:فبدعه صغری کغلوّ التشیّع أو کالتشیّع بلا غلو و لا تحرف،فهذا کثیر فی التّابعین و تابعیهم مع الدین و الورع و الصدق، فلو ردّ حدیث هؤلاء لذهب جمله من الآثار النبویّه،و هذه مفسده بیّنه ثم بدعه کبری،کالرفض الکامل و الغلو فیه،و الحطّ علی أبی بکر و عمر رضی اللّه عنهما،و الدعاء إلی ذلک،فهذا النوع لا یحتجّ بهم و لا کرامه.و أیضا فما استحضر الآن فی هذا الضرب رجلا صادقا و لا مأمونا،بل الکذب شعارهم، و التقیه و النفاق دثارهم،فکیف یقبل نقل من هذا حاله!حاشا و کلا فالشیعی الغالی فی زمان السلف و عرفهم هو من تکلّم فی عثمان و الزبیر و طلحه و معاویه و طائفه ممّن حارب علیّا رضی اللّه عنه،و تعرّض لسبّهم، و الغالی فی زماننا و عرفنا هو الذی یکفّر هؤلاء الساده،و یتبرأ من الشیخین أیضا،فهذا ضالّ معثّر،و لم یکن أبان بن تغلب یعرض للشیخین أصلا،بل قد یعتقد علیّا أفضل منهما (۱).انتهی.

۱- ۱) .میزان الاعتدال ۵/۱.

أقول:و إقرار الذهبى بأنّ كثيرا من رواه التّابعين و تابعيّهم هم ممن تشيّع و كان من الرافضه،يقتضى على أصول القوم تعديلهم لأولئك الرواه و حجّيتهم بمقتضى القاعده و الأصل الذى عدّلوا به الصحابه،و هو كونهم نقله الدّين و أنّه لو لا هم لما وصل إلينا،إلّا أنّ القوم لم يعملوا بهذا الأصل فى التّابعين و تابعيهم فى الرواه المذكورين،ممّا يدلل على أن وجهه التعديل ليس ذلك الأصل المتقدّم و إنّما هو بيعه السقيفه.

و يلحظ فى نهج الذهبى الدمشقى الذى هو من أئمّه الجرح و التعديل لدى أهل سنّه الجماعه و الذى وصفه تلميذه ابن السبكى فى الطبقات بالنصب،بل إنّ غالب أئمّه الجرح و التعديل لديهم ممّن ينصب العداوه لآل البيت عليهم السّلام-كما يفوح من كلماتهم-:أنّه جعل حبّ أهل البيت عتره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-و هو التشيّع كما يسمّيه-بدعه،و لا يستغرب من جرأه القوم على القرآن و السنّه و جعلهم الفريضه العظيمه بدعه،و سيأتى أنّهم جعلوا بغض أهل البيت سنّه و كلّما أشتد البغض أطلقوا عليه صلب فى السنّه.و قد جرى على ذلك غالب أئمّه الجرح و التعديل لديهم.

ففى ترجمه إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدى الجوزجانى قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب:

قال الخلال:إبراهيم جليل جدّا،كان أحمد بن حنبل يكاتبه و يكرمه إكراما شديدا...و قال ابن حبّان فى الثقات:كان حرورى المذهب،و لم يكن بداعيه، و كان صلبا فى السنّه،حافظا للحديث،إلّا أنّه من صلابته ربّما كان يتعدّى طوره.و قال ابن عدى:كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق فى الميل على على.و قال السلمى عن الدارقطنى بعد أن ذكر توثيقه:لكنّ فيه انحراف عن على،اجتمع على بابه أصحاب الحديث فأخرجت جاريه له فرّوجه لتذبحها فلم تجد من يذبحها،فقال:سبحان اللّه فرّوجه لا يوجد من يذبحها، و علىّ يذبح فى ضحوه نيفا و عشرين ألف مسلم.قلت:و كتابه فى الضعفاء يوضح مقالته،و رأيت فى نسخه من كتاب ابن حبان حريزى المذهب و هو

بفتح الحاء المهمله و كسر الراء و بعد الياء زاى نسبه إلى حريز ابن عثمان المعروف بالنصب (۱).انتهى.

و قال الذهبى فى ترجمته:

أحد أئمّه الجرح و التعديل...كان مقيما بدمشق يحدّث على المنبر و كان أحمد يكاتبه فيتقوّى بكتابه و يقرؤه على المنبر (۲).انتهى.

أقول:فقد أفصحوا بأبلغ وضوح مرادهم من السنّه و الصلابه فى السنّه و هى نصب العداوه لعلى عليه السّلام و ولده،و يلاحظها المتتبع فى تراجم كثير من الرواه من التّابعين و تابعيّهم المعروفين بالنصب و الجفاء للعتره،و هذه السنّه أفرزتها السقيفه من إقصاء أهل البيت عليهم السّلام،و من الهجوم على بيت فاطمه عليها السّلام،كما جاهر بها بنو أميّه و هى طابع النهج المروانى.

و لقد ارتجّ المسجد من صياح من فيه بعمر بن عبد العزيز:السنّه السنّه تركت السنّه!عند ما ترك فى خطبه الجمعه لعن ابن عمّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أخيه!!و أصرّ أهل حران على الاستمرار على تلك السنّه لمّا نهوا عن اللعن،و قالوا أنّ الجمعه لا تصحّ بدونها،و لا غرو فقد أخرجت تلك السنّه فى تلك البلدان أجيال ممّن تصلّبوا فيها من الوقيعه و اللمز فى أهل البيت عليهم السّلام.هذا فى حين يذكر الذهبى فى ترجمه عمر بن سعد قاتل سبط النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:و قال العجلى:روى عنه الناس،تابعى ثقه.

و قال ابن حجر فى ترجمه جعفر بن سليمان الضبعى البصرى:

قال أبو طالب عن أحمد:لا بأس به،قيل له:أن سليمان بن حرب يقول:

لا يكتب حديثه،فقال:أنّما يتشيّع،و كان يحدّث بأحاديث فى فضل على، و أهل البصره يغلون فى على-أى فى بغضه-و قال عباس عنه:ثقه كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه لا يروى عنه و كان يستضعفه،و قال أحمد بن

۱- ۱) .تهذيب التهذيب ۱۵۹/۱ رقم ۳۳۲.

۲- ۲) .ميزان الاعتدال ۷۵/۱-۷۶.

سنان:رأيت عبد الرحمن بن مهدى لا ينبسط لحديث جعفر بن سليمان قال أحمد بن سنان:استثقل حديثه،و قال ابن سعد:كان ثقه و به ضعف و كان يتشيّع،و قال جعفر الطيالسى عن ابن معين:سمعت من عبد الرزاق كلاما يوما فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب،فقلت له:أنّ أستاذيك الذين أخذت عنهم ثقات،كلهم أصحاب سنّه فعمّن أخذت هذا المذهب؟ فقال:قدم علينا جعفر بن سليمان فرأيته فاضلا حسن الهدى فأخذت هذا عنه.

و قال ابن الضريسى:سألت محمّد بن أبى بكر المقدمى عن حديث لجعفر ابن سليمان،فقلت:روى عنه عبد الرزاق قال:فقدت عبد الرزاق ما أفسد جعفر غيره-يعنى فى التشيع-...قال ابن حبان:كان جعفر من الثقات فى الروايات غير أنّه ينتحل الميل إلى أهل البيت و لم يكن بداعيه إلى مذهبه و ليس بين أهل الحديث من أئمّتنا خلاف،أن الصدوق المتقن إذا كانت فيه بدعه و لم يكن يدعوا إليها الاحتجاج بخبره جائز» (۱).انتهى.

فيلاحظ من نقله لكلمات أئمّه الجرح و التعديل الأمور التاليه:

الأوّل: جعلهم حبّ على عليه السّلام و نقل الروايه فى فضائله بدعه،و يسمونه تشيع،و هم فى ذلك يستحرمون الفريضه العظيمه التى أمر بها القرآن من مودّه القربى.

الثانى: جعلهم الميل إلى أهل البيت مصدر طعن و قدح فى الراوى،و تراهم يفصحون بذلك و يجاهرون به فى كثير من تراجم الرواه من غير نكير و هذا شقاق مع اللّه و رسوله و محادّه،و قد طعنوا فى كثير من أصحاب على عليه السّلام و حواريّه بمثل ذلك.

الثالث: إعراضهم عن روايات فضائل أهل البيت عليهم السّلام التى يرويها الثقات،و كم

۱- ۱) .تهذيب التهذيب ۶۱/۲-۶۳.

طمس و ضيّع من الآثار النبويّه فى مناقب العتره،الجمّ الغفير و ترى تصريحهم بالإعراض المزبور فى تراجم رواه ثقات كثير،و من ذلك قول الشافعى فى حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام:ما ذا أقول فى رجل أخفت أولياؤه فضائله خوفا،و أخفت أعداؤه فضائله حسدا،و شاع من بين ذين ما ملأ الخافقين (۱).و كيف لا يكون ذلك منهم و قد منع كتابه الحديث النبوى فى الصدر الأوّل تحت شعار حسبنا كتاب اللّه.

الرابع: جريهم على استبشاع الروايات الوارده فى فضائل على عليه السّلام فتاره يعبرون لا ينبسط لحديث فلان،و أخرى لا يكتب حديثه،و ثالثه استثقل حديثه و غير ذلك من عبائرهم التى تفوح بالاشمئزاز و النفره من الذى قال فيه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أنت منى بمنزله هارون من موسى»،«و على مع الحقّ و الحقّ مع على يدور معه حيثما دار»،«لا يبغضك يا على إلّا منافق أو ابن زنا أو ابن حيضه»،و غيرها من الأحاديث النبويّه.

الخامس: جعلهم الانقطاع عن أهل البيت عليهم السّلام و الابتعاد عنهم و تركهم سنّه،و العاملين بها أصحاب سنّه كما عبّر بذلك ابن معين فى كلامه مع المحدّث الحافظ عبد الرزاق الصنعانى،و جعل موادّه عبد الرزاق لأهل البيت عليهم السّلام فساد فى الدين.و لا يخفى أن جعفر بن سليمان ممّن روى حديث الطير،و حديث«ما تريدون من علىّ!علىّ منى و أنا منه و هو ولىّ كل مؤمن بعدى»كما ذكر ذلك الذهبى فى الميزان (۲).

و قال ابن حجر فى ترجمه حريز بن عثمان الحمصى:

قال معاذ بن معاذ حدّثنا حريز بن عثمان و لا أعلم أنى رأيت بالشام أحدا أفضله عليه.و قال الآجرى عن أبى داود:شيوخ حريز كلّهم ثقات،قال:

و سألت أحمد بن حنبل فقال:ثقه ثقه،و قال أيضا:ليس بالشام أثبت من

۱- ۱) .حليه الأبرار ۲۹۴/۱،و انظر:الرواشح السماويّه:۲۰۳،الأنوار البهيّه:۶۰،كشف اليقين:۴۰.

۲- ۲) .ميزان الاعتدال ۴۱۰/۱-۴۱۱.

حریز إلّا أن یکون بحیر،و قال أیضا عن أحمد و ذکر له حریز و أبو بکر بن أبی مریم و صفوان فقال:لیس فیهم مثل حریز لیس أثبت منه...

و قال عمر بن علی:کان ینتقص علیّا و ینال منه و کان حافظا لحدیثه و قال فی موضع آخر:ثبت شدید التحامل علی علی.و قال الحسن بن علی الخلال:

سمعت عمران بن إیاس سمعت حریز بن عثمان یقول:لا أحبّه قتل آبائی- یعنی علیّا-و قال أحمد بن سعید الدارمی،عن أحمد بن سلیمان المروزی:

سمعت إسماعیل بن عیاش قال:عادلت حریز بن عثمان من مصر إلی مکّه فجعل یسبّ علیّا و یلعنه،و قال الضحاک بن عبد الوهاب-و هو متروک متّهم-حدّثنا إسماعیل بن عیاش سمعت حریز بن عثمان یقول:هذا الذی یرویه الناس عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه قال لعلی:«أنت منّی بمنزله هارون من موسی»حقّ،و لکن أخطأ السامع،قلت:فما هو؟فقال:إنّما هو:أنت منّی بمنزله قارون من موسی.قلت:عمّن ترویه؟قال:سمعت الولید بن عبد الملک یقول و هو علی المنبر.

و قال ابن عدی:و حریز من الأثبات فی الشامیین،و یحدّث عن الثقات منهم، و قد وثّقه القطان و غیره،و إنّما وضع منه ببغضه لعلی،و قیل له فی ذلک،فقال:

هو القاطع رءوس آبائی و أجدادی.و قد اعتمده البخاری فی صحیحه (۱).

انتهی.

أقول:فانظر إلی مدح هذا الناصبیّ الوضّاع،و توثیقهم له و جعلهم إیّاه من الأثبات، و اعتمادهم علیه و ملازمه روایته و توثیقهم لجمیع مشایخه الذین منهم الولید بن عبد الملک!!ثمّ أین غیرتهم علی الصحابه و البراءه من سبّ الصحابه؟!و أین تلک الهاله القدسیّه التی یحیطونها بالصحابی؟!و أین تلک الحمیّه لصحبه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم؟!أو لیس ابن عمّ

۱- ۱) .تهذیب التهذیب ۲۱۹/۲-۲۲۲.

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم نجم و رأس فی الصحبه و الصحابه؟!علاوه علی قرابته للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و مقاماته فی بناء صرح الدّین.

کلّ هذا شاهد لما کررناه فی بحوث هذه الحلقات أنّ عنوان الصحابه لا یراد به إلّا أصحاب السقیفه دون الأنصار و دون بنی هاشم و دون من والی علیّا علیه السّلام من المهاجرین و سائر الصحابه،کما أنّ مرادهم من أصحاب السنّه هو سنّه العداء و القطیعه و الجفاء لعتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،بل إنّ هذه السنّه الجاهلیه و المنبعثه من السقیفه و الأمویّه المروانیه قد طالت شخص النبیّ الأعظم صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

قال ابن حجر فی ترجمه خالد بن سلمه بن العاص المخزومی المعروف بالفأفأ:

قال أحمد-أی ابن حنبل-و ابن معین و ابن المدینی:ثقه...و قال أبو حاتم:

شیخ یکتب حدیثه،و قال ابن عدی:هو فی عداد من یجمع حدیثه،و لا أری بروایته بأسا،و ذکره ابن حبان فی الثقات،و قال محمّد بن حمید عن جریر:

کان الفأفأ رأسا فی المرجئه و کان یبغض علیّا،ذکره علی بن المدینی یوما، فقال:قتل مظلوما.وقع فی صحیح البخاری ضمنا،و ذکر ابن عائشه أنّه:کان ینشد بنی مروان الأشعار التی هجی بها المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلم (۱).و قد وثّقه الذهبی أیضا (۲).

أقول:و کیف لا یرکنون إلی أمثال هؤلاء الرواه المبغضین للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و عترته، -کمروان بن الحکم و نظائره فی صحاحهم-؟!و کیف لا یأمنونهم علی دینهم و السنّه عندهم هی علی قطیعه العتره و جفائهم و هجرهم و العداوه لهم؟!و هی تؤدی إلی قطیعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و العداوه له،کما أنّ مودّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم تؤدی إلی مودّه عترته،فالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و عترته متلازمان فی المودّه،و بغض أحدهما یؤدی إلی بغض الآخر و هذا هو مفاد آیه المودّه،إذ مقتضی کون مودّه القربی أجر الرساله هو:أن تقدیر نبوّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و رساله

۱- ۱) .تهذیب التهذیب ۵۱۴/۲-۵۱۵.

۲- ۲) .میزان الاعتدال ۶۳۱/۱.

الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و تقديسه،بأداء أجرها و قيمتها و هو مودّه القربى،فالاستخفاف بمودّه القربى استخفاف بأجر الرساله و النبوّه،و استحلال عداوه العتره استحلال لحرمه الرساله.

و قال ابن حجر فى ترجمه لمازه بن زبّار-أبو لبيد البصرى-:

ذكره ابن سعد فى الطبقه الثانيه من أهل البصره،و قال:سمع من على و كان ثقه و له أحاديث،و قال حرب عن أبيه:كان أبو لبيد صالح الحديث،و أثنى عليه ثناء حسنا،و قال موسى بن إسماعيل،عن مطر بن حمران:كنّا عند أبى لبيد فقيل له:أ تحبّ عليّا؟فقال:أحبّ عليا و قد قتل من قومى فى غداه سته آلاف،و ذكره ابن حبّان فى الثقات.

و قال عباس الدورى عن يحيى بن معين:حدّثنا وهب بن جرير،عن أبيه،عن أبى لبيد و كان شتاما،قلت:زاد العقيلى،قال وهب:قلت لأبى:من كان يشتم؟ قال:كان يشتم على بن أبى طالب،و أخرجه الطبرى من طريق عبد اللّه بن المبارك عن جرير بن حازم،حدّثنى الزبير بن خريت،عن أبى لبيد،قال:

قلت له:لم تسبّ عليّا؟قال:ألا أسبّ رجلا قتل منّا خمسمائه و ألفين و الشمس هاهنا..

ثمّ قال ابن حجر-و قد كنت استشكل توثيقهم الناصبى غالبا،و توهينهم الشيعه مطلقا،لا سيّما أنّ عليّا ورد فى حقّه:«لا يحبّه إلّا مؤمن و لا يبغضه إلّا منافق».ثمّ ظهر لى فى الجواب عن ذلك أنّ البغض هاهنا مقيّد بسبب و هو كونه نصر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛لأن من الطبع البشرى بغض من وقعت منه إساءه فى حقّ المبغض،و الحبّ بعكسه؛و ذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا،و الخبر فى حبّ على و بغضه ليس على العموم،فقد أحبّه من أفرط فيه حتّى ادعى أنّه نبىّ،أو أنّه إله تعالى اللّه عن إفكهم،و الذى ورد فى حقّ على من ذلك قد ورد مثله فى حقّ الأنصار،و أجاب عنه العلماء أن بغضهم لأجل النصر كان

ذلک علامه نفاقه و بالعکس،فکذا یقال فی حقّ علی،و أیضا فأکثر من یوصف بالنصب یکون مشهورا بصدق اللهجه و التمسّک بأمور الدیانه بخلاف من یوصف بالرفض فإنّ غالبهم کاذب،و لا یتورّع فی الأخبار، و الأصل فیه أنّ الناصبه اعتقدوا أنّ علیّا رضی اللّه عنه قتل عثمان،أو کان أعان علیه فکان بغضهم له دیانه بزعمهم،ثمّ انضاف إلی ذلک أنّ منهم من قتلت أقاربه فی حروب علی (۱).انتهی کلامه.

و قال الذهبی فی ترجمه لمازه بن زبّار:

بصری حضر وقعه الجمل،و کان ناصبیا ینال من علی رضی اللّه عنه،و یمدح یزید (۲).انتهی.

أقول:دفاع ابن حجر عن الناصبه و إن کان استحلالا منه لعداوه علی علیه السّلام بتسویل واهی إلّا أننا نوضّح لوازم کلامه و نسجّل نقاط اعترافه:

الأولی: إقراره بتوثیق أهل سنّه الجماعه غالب الناصبه المعادین لعتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و اعتمادهم فی الروایه علیهم و أخذ أحکام الدّین عنهم،و لا غرابه فی ذلک لأنّ مآل من یترک العتره النبویّه التی أمر اللّه بمودّتها-و هو ترک لأعظم فریضه-الرکون إلی العصاه البغاه أهل النفاق و الشقاق.

الثانیه: إقراره بتوهین أهل سنّه الجماعه کافه الشیعه ممّن یمیل إلی عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و یوالیهم،و هذا یعزز ما ذکرناه من أنّ مرادهم من السنّه هو سنّه العداء و قطعیه عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

الثالثه: دعواه:أنّ حرمه بغض علی علیه السّلام و کون البغض نفاقا مقیّدا بسبب نصره

۱- ۱) .تهذیب التهذیب ۴۱۰/۸-۴۱۱ رقم ۸۳۱.

۲- ۲) .میزان الاعتدال ۴۱۹/۳ رقم ۶۹۸۹.

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و استدل علی التقیید بأنّ من وقعت منه إساءه فی حقّ المبغض یبغضه بحکم الطبع البشری.

و یندفع:مع ذیل کلامه من أنّ الناصبه یبغضون علیّا لمخالفته لعثمان،و لیس کلّ الناصبه ممّن کان فی عصر علی علیه السّلام،و لا کلّ الناصبه هم ممّن قتل علی آباءهم فی بدر و أحد و حنین و الأحزاب و خیبر و الجمل و صفین،کما أن قتل علی لآباء الناصبه و أجدادهم فی حروب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم کان فی سبیل اللّه و اعلاء کلمه الإسلام و إرغام کلمه الکفر،و کذلک فی حرب الجمل و صفین و النهروان کان قتالا للناکثین للبیعه و القاسطین الظلمه و المارقین من الإسلام،کما یمرق السهم من القوس،کما أمره بذلک النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و جاءت به الأحادیث النبویّه،و کما فی أحادیث قتل عمار بن یاسر و غیرها،و کیف یطلق ابن حجر علی ذلک الجهاد فی سبیل اللّه أنّه إساءه لآباء الناصبه و فعل سوء-ربنا نعوذ بک من استحلال حرمات دینک-

و لعمری إنّ دفاع ابن حجر بمثل ذلک أعظم فدحا فی الدّین من نصب الناصبه،لأن ذلک یفتح الباب للآخرین ببغض العتره بذلک التسویل،ثمّ ما ذا یصنع ابن حجر مع آیه المودّه فهل یؤوّلها أیضا؟و إذا ساغ مثل هذا العبث بمحکمات و بیّنات الدّین فلیعذر عندهم إبلیس فی معاداته لخلیفه اللّه آدم علیه السّلام؛لأنّه تأوّل فأخطأ لا سیّما و أن خلقه إبلیس من نار فطبعه الخلقی الحمیه و العصبیه.

ثمّ إن حدیث«علی مع الحقّ و الحقّ مع علی یدور معه حیثما دار»،أو مثل حدیث السفینه و حدیث الثقلین و غیرها من الأحادیث دالّ علی أنّ بغض علی علیه السّلام فی أیّ موقف مخالفه للحقّ و هلاک و ضلال؛لأنّ علیّا علیه السّلام فی کلّ سیرته و فعله مع الحقّ و نصره للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم حتّی بعد وفاته.

الرابعه: إنّ إفراط بعض من أحبّ علیّا و غلوه لا یسوّغ بغض و عداوه علی علیه السّلام،و إلّا لجاز بغض و معاداه النبیّ عیسی علیه السّلام،و کیف یتعذّر ابن حجر بمثل ذلک فی مخالفه آیه

المودّه التی تنادی بعظم فریضه المودّه فی القربی؟!و ما وزر من أحبّ علیّا و لم یغل فیه؟!

و أمّا قیاس ما ورد فی علی علیه السّلام بما ورد فی حقّ الأنصار،فهو قیاس مع الفرق و البون الشاسع،فإنّ ما ورد فی علی علیه السّلام لا یحصی من أحادیث الفضائل و المناقب،و أین ذلک ممّا ورد فی الأنصار،مضافا إلی أنّ الحکم فی علی علیه السّلام قد رتّب علی ذاته الطاهره التی أذهب اللّه عنها الرجس بنصّ آیه التطهیر.

و أمّا الحکم فی الأنصار فقد رتّب علی عنوان نصرتهم،و الوصف مشعر بعلّه الحکم،بخلاف عنوان الذات فی علی علیه السّلام فإنّه یعطی ملازمه ذاته الطاهره للحقّ و نصره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و الدّین فی کلّ المواطن.

ثمّ ما یصنع ابن حجر فی الحدیث الآخر:«لا یبغضک یا علی إلّا منافق أو ابن زنا أو ابن حیضه»،أو ما فی حدیث جابر:«کنّا نباری أولادنا بحبّ علی علیه السّلام،فمن کان یحبّه علموا أنّه طاهر الولاده،و من کان یبغضه علموا أنّه لغیر أبیه»،و غیر ذلک من الأحادیث التی تهیّج ثائره أهل النصب.

الخامسه: وصفه أکثر الناصبه بالتمسّک بأمور الدیانه و الصدق،و من تلک الدیانه قطع ما أمر اللّه به أن یوصل،و منع أجره النبوّه العائد نفعها لا إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و کیف لا یکون إبلیس أعبد العباد علی هذا المنطق؛لأنّه أبی أن یسجد لآدم و أصرّ أن یکون خضوعه للّه خالصا من طاعه ولی اللّه،فلقد اقترح إبلیس علی اللّه أن اعفنی من السجود لآدم و لأعبدنّک عباده لم یعبدک أحد مثلها،فأجابه تعالی:«إنّی أحبّ أن أعبد من حیث أرید لا من حیث ترید»،ثمّ إنّ ممّن وثّقوه من الناصبه خالد بن سلمه بن العاص الذی تقدّم أنّه ینشد بنی مروان أشعاره التی یهجو بها المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و کذا عمر بن سعد قاتل الحسین علیه السّلام،و نظائرهم فبخ بخ له بهذه الدیانه.

السادسه: دعواه کذب أکثر الرافضه یناقضه ما تقدّم من إقرار الذهبی فی ترجمه أبان بن تغلب:«فهذا کثیر فی التّابعین و تابعیهم مع الدین و الورع و الصدق،فلو ردّ حدیث

هؤلاء لـذهبت جمله من الآثار النبويّه و هـذه مفسـده بيّنه» (۱).هـذا مع أنّ تـأوّل ابن حجر فی جرح أهل سـنّه الجماعه فی الرواه الشـيعه يـدفعه تنصيصـهم علی أنّ منشأ الطعن هو الميل إلی أهل البيت عليهم السّـلام،أو حبّ علی عليه السّـلام،فكلماتهم تنادی بابتداع المودّه فی القربی التی أمر اللّه تعالی بها.

السابعه: أنّ الناصـبه يعـذرون فی بغضـهم لعلی عليه السّـلام،مع افتراض مودّته بنصّ الكتاب و مع ذلك يوصـفون بالـديانه،فلم لا يعذر من ينسب إليهم بغض الشيخين و أصحاب السقيفه؟!

العداوه مرض فی قلوب الناصبه

إنّ القرآن الكريم كما أمر و فرض مودّه أهل البيت و أمر بصـلتهم و عظّم من هـذه الفريضه حتّی جعل خطبها فی مصافّ أصول الاعتقاد و الإيمان بجعلها أجرا لكلّ الرساله المشـتمله علی العقيـده و المعرفه،و هذا البيان شاف لإقامه الحجّه البالغه علی العباد و قطع العذر و إناره سبيل النجاه.

كذلك القرآن حذّر و نهی عن البغض و العداوه لهم،حيث تعرّضت كثير من الآيات للنهی عن قطع ما أمر اللّه به أن يوصل،كما حـذّر من الضـغينه التی هی ضـد المودّه فی قوله تعالی: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَـدُّوا عَلی أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَی الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلی لَهُمْ * ذلِـكَ بِـأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللّهُ سَـنُطِيعُكُمْ فِی بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْـرارَهُمْ* فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَهُ يَضْـرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْـخَطَ اللّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ * وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (۲).

۱- ۱) .ميزان الاعتدال ۵/۱.

۲- ۲) .محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلم۲۵/-۳۰.

فقد سلّطت الضوء هذه الآيات الشريفه على تعريف الضغينه بأنّها مرض فى قلوب ثلّه،و لا نجد فى القرآن الكريم أنّ اللّه تعالى افترض المحبّه و المودّه-التى هى من أفعال القلب-،و من ثمّ تظهر على أفعال الجوارح إلّا فى المحبّه للّه تعالى و للرسول و لذى القربى، فالضغينه المحرّمه لا تكون إلّا فى موارد عصيان فريضه المحبّه و المودّه؛فالقرآن قد حرّم المودّه و المحبّه لآخرين فى موارد أخرى،كما فى قوله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (۱)،و قد أطلق القرآن على موادّه من حادّ اللّه و رسوله أنّها موالاه فى السوره نفسها فى الآيات الكريمه التى تحكى عن طائفه ممّن هم حول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لا مِنْهُمْ... (۲).

و لك أن تقول أطلق على الموالاه أنّها موادّه.

و هذا تعريف آخر يطلعنا و يوقفنا عليه القرآن الكريم و هو كون المودّه موالاه، غايه الأمر أنّ المودّه-و التى هى موالاه-على نحوين:

منها:واجبه مفترضه،و هى المحبّه و المودّه و الموالاه للّه و لرسوله و لذى القربى.

و منها:محرّمه،و هى المودّه و الموالاه لمن حادّ و شاقق اللّه و رسوله.

كما أنّ الضغينه المحرّمه هى التى يؤتى بها و ترتكب فى موارد الفريضه الواجبه مخالفه،فبتوسط آيه المودّه فى سوره الشورى و هذه الآيات من سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و المجادله يتبيّن أنّ المودّه و الموالاه و النصره هى للّه و لرسوله و لذى القربى-على و فاطمه و ابناهما-،و هو الإيمان الذى يكتبه اللّه تعالى فى القلوب،فالإيمان فى القلب هو المودّه و الموالاه للّه و لرسوله و لذى القربى و المرض فى القلوب هو العداوه و الضغينه للّه و لرسوله و لذى القربى.

۱- ۱) .المجادله۲۲/.

۲- ۲) .المجادله۱۴/.

و يتّضح من هذه الآيات:إنّ الإيمان يقابل المرض فى القلوب،و إنّ الّذين فى قلوبهم مرض من أوائل عهد الإسلام-كما تشير إليه سوره المدّثر-أولئك لم يكتب فى قلوبهم الإيمان من البدء و بقوا على تلك الصفه.

و من ذلك يعلم أنّ من الهدى الذى نزّل اللّه تعالى-و كرهه جماعه و تابعهم جماعه أخرى طواعيه للجماعه الأولى إسرارا بين الجماعتين-هو افتراض مودّه ذى القربى فى آيه المودّه كما أنّ ممّا نزّل اللّه تعالى من الهدى-و الذى كرهه جماعه أيضا و أبطلوا العمل به-هو افتراض الخمس و الفيء لذى القربى فى سوره الأنفال و الحشر،و لا ريب أنّ أداء الخمس لذى القربى و تمكينهم من الفيء الذى افترضه اللّه لهم هو من أبرز مصاديق الموالاه و المودّه لذى القربى.

و قد مرّ بنا فى ما تقدّم أنّ الّذين فى قلوبهم مرض هم ثلّه نشأت فى أوائل الدعوه و بدايه الإسلام،حيث ورد ذكرهم فى سوره المدثّر و هى رابع سوره نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مكّه فى أوائل عهد البعثه الشريفه،و قد جعلت سوره المدثّر الّذين فى قلوبهم مرض فئه فى قبال فئه الّذين آمنوا و فئه الّذين أوتوا الكتاب و فى مصافّ فئه رابعه هى فئه الّذين كفروا،لكنّها ميّزتهم عنوانا و اسما عن الذين كفروا و إن كانوا فى موقف واحد بحسب الحقيقه و الواقع لا بحسب الظاهر؛لأنّ الّذين فى قلوبهم مرض يبطنون هذا المرض و هو الضغينه المحرّمه بحسب تعريف آيات سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم تلك الضغينه تجاه من أمر تعالى بمحبّتهم و مودّتهم و موالاتهم،و هذه السور تلاحق هذه الفئه و الثلّه التى نشأت فى صفوف من أسلم فى أوائل البعثه.

و تبيّن أن مخططهم مبنى على الضغينه لذى القربى و كراهه ما نزّل اللّه فى حقّهم من المودّه و الموالاه و الخمس و الفيء،كما تبيّن الآيات السابقه فى سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هى تتحدّث فى وصف الّذين فى قلوبهم مرض: وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْكَمَهٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ* طاعَهٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ* أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ ١.

و تبیّن أن مخططهم مبنی علی الضغینه لذی القربی و کراهه ما نزّل اللّه فی حقّهم من المودّه و الموالاه و الخمس و الفیء،کما تبیّن الآیات السابقه فی سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و هی تتحدّث فی وصف الّذین فی قلوبهم مرض: وَ یَقُولُ الَّذِینَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَهٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْکَمَهٌ وَ ذُکِرَ فِیهَا الْقِتالُ رَأَیْتَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ نَظَرَ الْمَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلی لَهُمْ* طاعَهٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَکُمْ* أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمی أَبْصارَهُمْ (۱).

فهذه الآیات تنبأ عن ملحمه قرآنیه عن هذه الثلّه و الفئه-التی ترعرعت فی أوائل البعثه و وصفتهم هذه السوره بأنّ وصفهم البارز هو الضغینه لمن أمر اللّه تعالی بمودّته و صلته و موالاته-و کراهه ما نزّل علی رسوله من الهدی الذی منه مودّه و موالاه ذی القربی،و تخصیص الخمس و الفیء بهم أی بولایتهم،و قد أطلقت اسم مرض القلب فی قبال الإیمان المکتوب فی القلب-حسب ما ورد فی سوره المجادله کما مرّ بنا-هذه الملحمه تولی هذه الفئه سدّه الحکم و التصرّف فی الأمور العامّه للمسلمین،و سیکون الطاغی علی أفعال هذه الفئه-الّذین فی قلوبهم مرض-عدّه أمور:

الأوّل: هو الفساد فی الأرض،و هو مخالفه الکتاب و السنّه فی الأحکام و التشریعات، ممّا یوجب استشراء الفساد فی الأرض شیئا فشیئا حتّی ینتشر فی بلاد المسلمین الظلم و الفساد المالی و الفساد الأخلاقی و الحیف فی القضاء و التلاعب فی مقدّرات الحکم و السلطه،و غیرها من وجوه الفساد فی الأرض.

و الثانی: قطع ما أمر اللّه به أن یوصل،و هو معاداه من أمر اللّه بمودّتهم و موالاتهم و تمکینهم من حقّ الولایه لهم علی الخمس و الفیء،و قد أنبأت آیه أخری من کتاب اللّه العزیز عن نفس هذه الملحمه المستقبلیه لأوضاع المسلمین و هی وَ ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لا رِکابٍ وَ لکِنَّ اللّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ* ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ کَیْ لا یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ مِنْکُمْ وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعِقابِ (۲)،حیث علل هذه فی الآیات

ص:

۱- ۱) .محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۰/-۲۳.

۲- ۲) .الحشر ۶/ و ۷.

تخصیص ذوی القربی بالفیء-و هو الأموال العامّه و المنابع الطبیعه فی البلاد کما هو مقرّر فی الفقه-کی لا تکون-أی الأموال العامّه-دوله یتداولها الأغنیاء خاصّه منکم یستأثرون بها دون عامّه المسلمین،أی کی تسود العداله المالیه بین المسلمین لا بد من ولایه ذوی القربی علی الفیء و الأموال العامّه و مقتضی هذا التعلیل أنّ مجیء غیرهم علی سدّه الحکم و الولایه علی الأموال العامّه سوف ینجم منه الظلم و الفساد المالی،و هذا ما وقع فإنّه قد فرّق بین المسلمین فی عطاء بیت المال فی عهد الأوّل،و ازداد ذلک فی عهد الثانی و وصل إلی ذروه الحیف،و اللامساواه فی توزیع و عطاء بیت المال فی عهد الثالث حتّی ثار المسلمون و حدث الذی حدث،و کذلک استمر النهج فی عهد بنی أمیه و بنی العبّاس،و قد أخبرت الصدیقه فاطمه علیها السّلام بذلک فی خطبتها التی سبق نقلها.

و قد توعّدت آیات سوره الحشر عن مخالفه هذا الحکم و التشریع بشدّه العقاب.

فتلخّص-ممّا مرّ بنا-أنّ المودّه للقربی و عتره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم هی موالاه لهم-کما أوضحت ذلک سوره المجادله التی مرّ ذکر آیاتها-و أنّ الضغینه و العداوه لهم مرض فی القلوب-کما أوضحت ذلک سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم-فی قبال المودّه و الموالاه لهم فإنّه إیمان.

و إلی ظاهر هذه الآیات من السور یشیر الصادق علیه السّلام فی ما رواه عنه عبد اللّه بن سنان أنّه علیه السّلام قال:فی معرض کلامه عن علامات ظهور القائم من آل محمّد(عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف)و أنّه یکون فی السماء نداء«ألا أن الحقّ فی علی بن أبی طالب و شیعته،قال علیه السّلام:

ف یُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ (۱)علی الحقّ و هو النداء الأوّل،و یرتاب یومئذ الذین فی قلوبهم مرض،و المرض و اللّه عداوتنا» (۲).الحدیث.

و قد روی ابن المغازلی الشافعی فی المناقب،عن أبی سعید الخدری فی قوله تعالی:

وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ (۳)،قال:ببغضهم علی بن أبی طالب (۴)،و الآیه المذکوره فی

۱- ۱) .إبراهیم۲۷/.

۲- ۲) .الغیبه-للنعمانی-:۲۶۰ ح ۱۹ الباب ۱۴.

۳- ۳) .محمّد ۳۰/.

۴- ۴) .مناقب ابن المغازلی:۲۶۲ ح ۳۵۹.

سیاق وصف الّذین فی قلوبهم مرض،و غیرها من الروایات (۱).

هـذا،و ممّا یدلّ علی کون مودّه ذوی القربی موالاتهم،مضافا إلی ما تقدّم فی سوره المجادله،قوله تعالی فی سوره آل عمران: قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِی یُحْبِبْکُمُ اللّهُ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲)،فإنّ فی الآیه تصریحا بأنّ مقتضی المحبّه الاتّباع،کما أنّ مقتضی مفهوم الشرطیه فی الآیه أیضا هو أنّ ترک الاتّباع کاشف مسبب عن عدم المحبّه.فیتحصّل أنّ مودّه ذوی القربی مقتضاها اتّباعهم و موالاتهم و هی التی قد جعلها أجرا لکلّ الرساله.فمفاد الآیه متطابق مع حدیث الثقلین و حدیث السفینه.

فتحصّل أنّ مقتضی فریضه المودّه فی القربی و التی عظّم شأنها القرآن الکریم،و کون بغضهم و العداوه لهم و جفاءهم و قطعیتهم مرض یعری القلوب و یسلبها الإیمان،هو أن المودّه للقربی میزان و معیار لتعدیل الصحابی،و بغض ذوی القربی و المصادمه معهم میزان و معیار لجرح الصحابی،فهذا الضابط یتطابق مع ما تقدّم من الموازین و المعاییر التی مرّت بنا فی ما سبق.

و من ذلک قول الصدّیقه الزهراء علیها السّلام بأن الهجره کوصف للصحابی إنّما تنطبق علیه لا لکون معناها انتقال البدن من مکان إلی مکان کسفر جغرافی،بل الهجره إنّما هی بالهجره إلی أهل البیت علیهم السّلام،لا الابتعاد عنهم،و أنّ المدار علی الموالاه و المتابعه لرسول اللّه و أهل بیته،لا المعاداه لهم و المخالفه،و الهجره تحققت بهم،و النصره بنصره اللّه و رسوله و ذی القربی،فلا هجره إلاّ إلیهم لا إلی غیرهم،و لا نصره و مودّه و موالاه إلاّ لهم لا علیهم،و لا اتّباع بإحسان إلاّ باتباع سبیلهم،و ما أسألکم علیه من أجر إلاّ-و هو الموده فی القربی-من شاء أن یتخذ إلی ربه سبیلا،کما مرّ بنا قول علی علیه السّلام:«أنّ الصدّیق من

۱- ۱) .لاحظ:ما روی عنهم علیه السّلام فی تفسیر البرهان،و نور الثقلین فی ذیل آیات سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

۲- ۲) .آل عمران۳۱/.

صـدّق بحبهم و أبطل باطل عـدوهم،و الفاروق من فرّق بينهم و بين عـدوهم» (۱)،و أنّ مـن ترک الهجره إليهم يتعرّب،و أنّ من يترک المودّه و الموالاه لهم يتحزّب.

فهذه وقفه يلزم إعطاءها الإمعان التّام فی مبحث عداله الصحابه.

ص:۲۱۱

۱- ۱) .نهج البلاغه:کتاب ۴۹.ط مؤسسه الإمام صاحب الزمان-عجّل اللّه فرجه-

۸-العقبه و المظاهره

اشاره

ص:۲۱۳

يشير القرآن الكريم فى سوره التوبه(براءه)و سوره التحريم إلى تصاعد حدّه العداء للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لدى جماعه ممّن كان معه و ممّن يحيط به،و كذلك كتب الحديث و السير و التواريخ،و قد بلغ هذا العداء ذروته بتدبيرهم محاولتين للفتك به صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

الأولى:فى رجوعه من تبوك عند العقبه،و مدبّريها عرفوا ب:أهل العقبه.

قال تعالى:

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ* لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَهٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَهً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ (۱).

و قال تعالى فى السوره نفسها أيضا:

يَحْلِفُونَ بِاللّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَهَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلاّ أَنْ أَغْناهُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذاباً أَلِيماً فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ ما لَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۲)

قال الطبرسى فى مجمع البيان فى ذيل الآيات الأولى:

۱- ۱) .التوبه(براءه)۶۵/-۶۶.

۲- ۲) .التوبه(براءه)۷۴/.

قیل:نزلت فی اثنی عشر رجلا- وقفوا علی العقبه لیفتکوا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند رجوعه من تبوک،فأخبر جبرئیل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بذلک و أمره أن یرسل إلیهم و یضرب وجوه رواحلهم،و عمّار کان یقود دابّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و حذیفه یسوقها،فقال لحذیفه:اضرب وجوه رواحلهم،فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:إنّه فلان و فلان.حتّی عدّهم کلّهم.فقال حذیفه:ألا تبعث إلیهم فتقتلهم؟!فقال:أکره أن تقول العرب لمّا ظفر بأصحابه أقبل یقتلهم.

و روی عن أبی جعفر الباقر علیه السّلام مثله،إلّا أنّه قال:ائتمروا بینهم لیقتلوه، و قال بعضهم لبعض:إن فطن نقول:إنّا کنّا نخوض و نلعب،و إن لم یفطن نقتله.

و فی ذیل الآیات اللاحقه قال:

و قیل:نزلت فی أهل العقبه؛فإنّهم ائتمروا فی أن یغتالوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی عقبه عند مرجعهم من تبوک و أرادوا أن یقطعوا انساع راحلته،ثمّ ینخسوا به،فأطلعه اللّه تعالی علی ذلک،و کان من جمله معجزاته؛لأنّه لا- یمکن معرفه مثل ذلک إلّا بوحی من اللّه تعالی.

فسار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی العقبه و عمّار و حذیفه معه،أحدهما یقود ناقته و الآخر یسوقها،و أمر الناس کلّهم بسلوک بطن الوادی،و کان الّذین همّوا بقتله اثنی عشر رجلا أو خمسه عشر رجلا علی الخلاف فیه،عرفهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و سمّاهم بأسمائهم واحدا واحدا.عن الزجّاج و الواقدی و الکلبی، و القصّه مشروحه فی کتاب الواقدی.و قال الباقر علیه السّلام:کانت ثمانیه منهم من قریش و أربعه من العرب (۱).

و قال الزمخشری فی ذیل الآیه ۷۴:

أقام رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم فی غزوه تبوک شهرین ینزل علیه

۱- ۱) .مجمع البیان-للطبرسی-۵/۷۰-۷۸.

القرآن،و يعيب المنافقين فيسمع من معه منهم،منهم الجلاس بن سويد...- إلى أن قال:-فتاب الجلاس و حسنت توبته.

وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ :و أظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام. وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا :و هو الفتك برسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم،و ذلك:عند مرجعه من تبوك تواثق خمسه عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادى إذا تسنّم العقبه بالليل،فأخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها و حذيفه خلفها يسوقها،فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفه بوقع أخفاف الإبل و بقعقعه السلاح،فالتفت فإذا قوم متلثّمون،فقال:إليكم إليكم يا أعداء اللّه،فهربوا (۱).

و قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى كتاب الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشّاف فى ذيل كلام الزمخشرى المتقدّم:

أخرجه أحمد من حديث أبى الطفيل،قال:لمّا قفل رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم من غزوه تبوك أمر مناديا ينادى لا يأخذنّ العقبه أحد،فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم يسير وحده،فكان النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم يسير و حذيفه رضى اللّه عنه يقود به،و عمّار رضى اللّه عنه يسوق به،فأقبل رهط متلثّمين على الرواحل حتّى غشوا النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم، فرجع عمّار فضرب وجوه الرواحل،فقال النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم لحذيفه:قد قد.فلحقه عمّار فقال:سق سق.حتّى أناخ،فقال لعمّار:هل تعرف القوم؟!

فقال:لا،كانوا متلثّمين،و قد عرفت عامّه الرواحل.

فقال:أ تدرى ما أرادوا برسول اللّه؟!

۱- ۱) .الكشّاف-للزمخشرى-۲۹۱/۲.

قلت:اللّه و رسوله أعلم.

فقال:أرادوا أن يمكروا برسول اللّه فيطرحوه من العقبه.

فلمّا كان بعد ذلك وقع بين عمّار رضى اللّه عنه و بين رجل منهم شىء ممّا يكون بين الناس،فقال:أنشدكم اللّه،كم أصحاب العقبه الّذين أرادوا أن يمكروا برسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم؟!

فقال:ترى أنّهم أربعه عشر،فإن عشر،كنت فيهم فهم خمسه عشر..

و من هذا الوجه رواه الطبرانى و البزّار،و قال:روى من طريق عن حذيفه، و هذا أحسنها و أصلحها إسنادا.و رواه ابن إسحاق فى المغازى،و من طريقه البيهقى فى الدلائل،عن الأعمش،عن عمرو بن مرّه،عن أبى البخترى،عن حذيفه بن اليمان،قال:كنت آخذا بخطام ناقه رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم أقود به،و عمّار رضى اللّه عنه يسوق الناقه حتّى إذا كنّا بالعقبه و إذا اثنى عشر راكبا قد اعترضوه فيها،قال:فانتهت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم فصرخ بهم فولّوا مدبرين (۱).

و قال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير-بعد أن ذكر أسبابا أخرى لنزول هذه الآيات-:

قال القاضى:«يبعد أن يكون المراد من الآيه هذه الوقائع؛و ذلك لأنّ قوله: يَحْلِفُونَ بِاللّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَهَ الْكُفْرِ إلى آخر الآيه،كلّها صيغ الجموع،و حمل صيغه الجمع على الواحد،خلاف الأصل.

فإن قيل:لعلّ ذلك الواحد قال فى محفل و رضى به الباقون.

قلنا:هذا أيضا خلاف الظاهر؛لأنّ إسناد القول إلى من سمعه و رضى به خلاف الأصل..

ثمّ قال:بلى الأولى أن تحمل هذه الآيه على ما روى:أنّ المنافقين همّوا بقتله

۱- ۱) .ذيل الكشّاف ۲۹۲/۲.

عند رجوعه من تبوک،و هم خمسه عشر تعاهدوا أن یدفعوه عن راحلته إلی الوادی إذا تسنّم العقبه باللیل،و کان عمّار بن یاسر آخذا بالخطام علی راحلته و حذیفه خلفها یسوقها،فسمع حذیفه وقع أخفاف الإبل و قعقعه السلاح،فالتفت فإذا قوم متلثّمون،فقال:إلیکم إلیکم یا أعداء اللّه، فهربوا.

و الظاهر أنّهم لمّا اجتمعوا لذلک الغرض،فقد طعنوا فی نبوّته و نسبوه إلی الکذب و التصنع فی ادّعاء الرساله،و ذلک هو قول کلمه الکفر.و هذا القول اختیار الزجّاج».

فأمّا قوله: وَ کَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ ،فلقائل أن یقول:إنّهم أسلموا،فکیف یلیق بهم هذا الکلام؟!و الجواب من وجهین:

الأوّل:المراد من الإسلام:الذی هو نقیض الحرب؛لأنّهم لمّا نافقوا،فقد أظهروا الإسلام،و جنحوا إلیه،فإذا جاهروا بالحرب،وجب حربهم.

و الثانی:أنّهم أظهروا الکفر بعد أن أظهروا الإسلام.

و أمّا قوله: وَ هَمُّوا بِما لَمْ یَنالُوا ،المراد:إطباقهم علی الفتک بالرسول،و اللّه تعالی أخبر الرسول علیه السلام بذلک حتّی احترز عنهم،و لم یصلوا إلی مقصودهم.-إلی أن قال فی ذیل الآیات الثلاث التی تتلو الآیه المزبوره-:

اعلم أنّ هذه السوره أکثرها فی شرح أحوال المنافقین،و لا شکّ أنّهم أقسام و أصناف،فلهذا السبب یذکرهم علی التفصیل (۱).

أقول:قد مرّ بنا فی ما سبق أنّ سوره التوبه(البراءه)سمّیت:«الفاضحه».

فعن سعید بن جبیر قال:قلت لابن عبّاس:سوره التوبه؟

فقال:التوبه؟!بل هی الفاضحه،ما زالت تنزل:«و منهم...»حتّی ظننّا أن لن

۱- ۱) .التفسیر الکبیر-للرازی-۱۳۶/۱۶-۱۳۸.

يبقى منّا أحد إلاّ ذكر فيها..

و كذلك سمّيت:«المبعثره»؛لأنّها تبعثر عن أسرار المنافقين..

و سمّيت:«البحوث»؛لأنّها تذكر المنافقين و تبحث عن سرائرهم..

و«المدمدمه»،أى:المهلكه..

و«الحافره»؛لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين..

و«المثيره»؛لأنّها أثارت مخازيهم و قبائحهم..

و«العذاب»؛روى عاصم بن زر بن حبيش،عن حذيفه،قال:يسمّونها سوره التوبه و هى سوره العذاب (۱).

فترى أن سوره التوبه(البراءه)مليئه بالإشاره إلى أقسام المذمومين ممّن كان فى عهد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بظاهر الإسلام،و أبرز ما فيها الكشف عن أفضع عمليه حاول جماعه منهم ارتكابها،و هى الفتك بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و الجدير بالانتباه أنّ هذه السوره من أواخر السور نزولا؛فهى نزلت قبيل عام الفتح و عند غزوه تبوك،و قد صوّرت-بتفصيل- الأجواء التى كان يعيشها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالنسبه إلى من حوله.

حذيفه و أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام أعلم الناس بالمنافقين

فقد ورد هذا المضمون فى الحديث النبوى الشريف (۲)،و كذلك فى عدّه روايات قد مرّت فى ما سبق،و هو بروز الصحابى حذيفه بن اليمان فى علمه و معرفته بالمنافقين، و الظاهر أنّ هذه الواقعه-و هى محاوله اغتيال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم- هى مربض الفرس،و الحادثه العظمى التى أطلعت حذيفه على رءوس شبكه النفاق،و من المهمّ أن نتتبّع خيوط و تفاصيل الحادثه؛لترتسم لنا منظومه هذه الشبكه و المجموعه،و هل هى من دائره

۱- ۱) .مجمع البيان-للطبرسى-۳/۵-۴.

۲- ۲) .تفسير البرهان ۸۱۲/۲ سوره التوبه(براءه)ط الحديثه-قم،و كذا فى مصادر العامّه.

الصحابه المحيطه بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،أو من الدائره المتوسطه،أو الدوائر البعيده؟!

و هاهنا-فى البدء-عدّه موارد و تساؤلات مطروحه:

الأولى: ما مرّ من قول ابن كيسان و روايته:أنّ حذيفه قد قال للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم عقب الحادثه:ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟!فأجابه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أكره أن تقول العرب لمّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم»؛فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم يفيد أنّ المجموعه التى قامت بهذا التدبير هى من خواصّ الصحابه المحيطين به.

الثانيه: إنّ فى كثير من الروايات لدى الفريقين التعبير عنهم بفلان و فلان و...من دون ذكر أسمائهم؛فما هذه الحشمه عن ذكر أسمائهم و عدّتهم بكاملها؟!و لم هذا التحاشى عن التصريح إلى الكنايه المبهمه؟!و من هم هؤلاء الّذين يتحفّظ عن ذكر أسمائهم؟!أ ترى لو كانوا من الأباعد فى الصحبه يتستّر عليهم؟!أو لو كانوا من المشهورين علنا بالنفاق لكان يتخفّى عليهم؟!و هذا مؤشّر مهمّ يضع بصماته على هذه الجماعه.

الثالثه: قول الباقر عليه السّلام:إنّ ثمانيه منهم من قريش و أربعه من العرب.

الرابعه: إنّه وقع بين عمّار رضى اللّه عنه و بين رجل من تلك المجموعه شجار بعد وفاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أشار عمّار و لمّح بين ملأ من الناس إلى كون ذلك الرجل منهم.

الخامسه: إنّ سرّ معرفه حذيفه بالمنافقين و اختصاصه بهذه المعرفه هو مشاهدته لهذه الواقعه،و هذا يفيد أنّ أصحاب هذه المجموعه لم يكونوا مشهورين فى العلن لدى عامّه المسلمين بأنّهم من المتمرّدين و المنافقين،بل كانوا يتستّرون فى عداوتهم و كيدهم للدين و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛و إلّا لما اختصّ حذيفه بمعرفتهم كخصيصه أشاد بها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لحذيفه،و لما ذا لم تشمل هذه المعرفه أصحاب السقيفه و الخلفاء الثلاثه، بينما اختصّ بها أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و حذيفه؟!

السادسه: من الملاحظ و الملفت للنظر أنّ الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم لم يصطحب على

العقبه إلاّ عمّار و حذيفه و سلمان و المقداد،حسب اختلاف الروايات،بينما باقى الصحابه -كالصاحب فى الغار،و غيره من أصحاب السقيفه-لم يكونوا معه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.و ستأتى تتمّه للموارد الفاحصه لأوراق هذه الحادثه.

قال السيوطى فى الدرّ المنثور:

و أخرج البيهقى فى الدلائل عن عروه رضى اللّه عنه،قال:رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم قافلا من تبوك إلى المدينه،حتّى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم ناس من أصحابه،فتآمروا أن يطرحوه من عقبه فى الطريق،فلمّا بلغوا العقبه أرادوا أن يسلكوها معه، فلمّا غشيهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم أخبر خبرهم،فقال:من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادى فإنّه أوسع لكم.

و أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم العقبه و أخذ الناس بين الوادى إلاّ النفر الّذين مكروا برسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم لمّا سمعوا ذلك استعدّوا و تلثّموا و قد همّوا بأمر عظيم،و أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم حذيفه بن اليمان رضى اللّه عنه و عمّار بن ياسر رضى اللّه عنه فمشيا معه مشيا،فأمر عمّار أن يأخذ بزمام الناقه و أمر حذيفه يسوقها.فبينما هم يسيرون إذ سمعوا و كزه القوم من ورائهم قد غشوه فغضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم و أمر حذيفه أن يردّهم،و أبصر حذيفه رضى اللّه عنه غضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم فرجع و معه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضربا بالمحجن،و أبصر القوم و هم متلثّمون لا لا يشعروا إنّما ذلك فعل المسافر،فرعبهم اللّه حين أبصروا حذيفه رضى اللّه عنه و ظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر عليه فاسرعوا حتّى خالطوا الناس.

فأقبل حذيفه رضى اللّه عنه حتّى أدرك رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم،فلمّا أدركه قال:اضرب الراحله يا حذيفه،و امش أنت يا عمّار.فاسرعوا حتّى

استووا بأعلاها،فخرجوا من العقبه ينتظرون الناس،فقال النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم لحذیفه:هل عرفت یا حذیفه من هؤلاء الرهط أحدا؟!

قال حذیفه:عرفت راحله فلان و فلان،و قال:کانت ظلمه اللیل و غشیتهم و هم متلثّمون.

فقال النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم:هل علمتم ما کان شأنهم و ما أرادوا؟!

قالوا:لا و اللّه یا رسول اللّه.

قال:فإنّهم مکروا لیسیروا معی حتّی إذا طلعت فی العقبه طرحونی منها.

قالوا:أ فلا تأمر بهم یا رسول اللّه فنضرب أعناقهم.

قال:أکره أن یتحدّث الناس و یقولوا أنّ محمّدا وضع یده فی أصحابه.

فسمّاهم لهما و قال:اکتماهم.

ثمّ إنّ السیوطی ذکر روایه البیهقی بطریق آخر،فیها ذکر أسمائهم،قال:

و أخرج ابن سعد عن نافع بن جبیر بن مطعم،قال:لم یخبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم بأسماء المنافقین الّذین تحسّوه لیله العقبه بتبوک غیر حذیفه رضی اللّه عنه،و هم اثنا عشر رجلا لیس فیهم قرشی و کلّهم من الأنصار و من حلفائهم.

ثمّ ذکر السیوطی روایه أخری عن البیهقی أیضا فی الدلائل،و ذکر سرد الواقعه إلی أن قال:

قلنا:یا رسول اللّه!ألا تبعث إلی عشائرهم حتّی یبعث إلیک کلّ قوم برأس صاحبهم.

قال:لا،إنّی أکره أن تحدّث العرب بینها أن محمّدا قاتل بقوم حتّی إذا أظهره اللّه بهم أقبل علیهم یقتلهم.ثمّ قال:اللّهمّ ارمهم بالدبیله.

قلنا:یا رسول اللّه!و ما الدبیله؟

قال:شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيهلك (۱).

و يستفاد من هذه الروايات عدّه موارد أخرى كشواهد مقرّبه إلى معرفه هذه المجموعه-مضافا إلى ما تقدّم-

السابعه: قد عبّر الراوى الأخير لهذه الواقعه عن تلك المجموعه بأنّهم:«ناس من أصحابه صلّى اللّه عليه و آله و سلم»،و لا يخفى أنّ التعبير لدى الرواه بوصف الصحبه يخصّ من يتّصل بصحبه و بعلاقه قريبه،فلم يكن تعبيرهم بلفظ الصحبه عن كلّ من أدرك النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بل هو وصف خاص لدى الرواه لخصوص من هو ممّن حواليه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بخلاف أصحاب التراجم و الرجال؛إذ أنّهم اصطلحوا على تعاريف عدّه للصحابى،شملت بعضها كلّ من رأى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و إن لم يرو عنه،أو كلّ من أدركه و روى عنه و لو بعض روايات قليله،أو حتّى روايه واحده أو اثنتين.

فالاستعمال الجارى لدى الرواه أنّهم لا يطلقون لفظ الصحبه إلاّ على الخواصّ،و ممّن هم حواليه على علاقه متميزه به صلّى اللّه عليه و آله و سلم،كما فى الاستعمال العرفى الدارج حاليا،فإنّه لا يقال أصحاب فلان إلاّ على من لهم صله خاصّه بذلك الشخص.

هذا مضافا إلى قرائن أخرى فى هذه الروايات:

منها:إضافه اللفظ إلى الضمير«من أصحابه»؛فإنّه يختلف فى الظهور عن تعبير:

«من الصحابه»؛إذ الأوّل أكثر تخصّصا.

و منها:أنّهم أرادوا أن يسلكوا العقبه مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى بدء الأمر من دون الناس الّذين كانوا يمشون ببطن الوادى،فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلم لهم-بعد ما أخبر خبرهم-:«من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادى،فإنّه أوسع لكم»؛و هذا يفيد أنّهم ممّن يتعارف مشيه مع الرسول قريب منه فى الأسفار و الحركه،و هذه الصفه لا تكون للأباعد.

و منها:جواب حذيفه-عند ما سأله النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن معرفه الرهط الّذين همّوا بذلك

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۵۹/۳-۲۶۰.

الأمر العظيم-بأنّه رأى راحله فلان و فلان؛و هذا يفيد أنّ الرهط هم من وجوه المسلمين،و ممّن لحذيفه خلطه قريبه معهم،و ليسوا من الأباعد كى تخفى رواحلهم و دوابّهم على حذيفه.

و منها:قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم-عند ما طلب منه حذيفه و عمّار قتل الرهط-:«إنّى أكره أن يتحدّث الناس و يقولوا أنّ محمّدا وضع يده فى أصحابه»؛و منه يتبيّن أنّ الرهط و المجموعه هم ممّن ناصر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بحسب الظاهر،و كانوا ممّن حوله من الخواصّ الّذين لهم علاقه متميزه به أمام مرأى الناس،و من الّذين لا يتوقّع الناس معاداتهم له صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بل كان الإقدام على قتلهم من قبله صلّى اللّه عليه و آله و سلم مستنكرا عند الناس،و هذا ظاهر فى عدم كونهم من أوساط الناس أو من الأباعد.

و منها:قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم لحذيفه و عمّار لمّا أطلعهم بأسمائهم:«اكتماهم»؛فما وجه الأمر بالكتمان لو كان هؤلاء الرهط من أوساط الناس،و من حلفاء الأنصار و نحوهم،كما روى ابن سعد أنّهم لم يكونوا من قريش بل من الأنصار و حلفائهم؟!

لا ريب أنّ علّه الأمر بالكتمان ظاهره فى كون هؤلاء الرهط هم ممّن يحسب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بصحبه خاصّه،ممّن يؤدّى فضحه و كشفه-لا سيّما بمثل هذا الفعل الشنيع المنكر،الذى هو على أصول الكفر الباطنى-إلى حدوث بلبله و اضطراب فى أوساط الناس و عامّتهم ممّن لا يعرف من الإسلام إلّا رسمه،و من الدين إلّا طقوسا ظاهريه..

فحفاظا منه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على عدم إثاره الفتنه بين عامّه الناس بذلك،و عدم تزلزل إسلامهم أمر بالكتمان؛و لا سيّما أنّ قوله تعالى فى الآيه السابقه لهذه الآيات: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱)فى تفسير أهل البيت عليهم السّلام-كما روى ذلك الطبرسى فى مجمع البيان (۲)،و غيره من مفسّرى الإماميه، و بطرق مسنده عنهم عليه السّلام- «جاهِدِ الْكُفّارَ وَ الْمُنافِقِينَ» ،قالوا:لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لم يكن

۱- ۱) .التوبه(براءه)۷۳/.

۲- ۲) .مجمع البيان ۷۷/۵.

يقاتل المنافقين و إنّما كان يتألّفهم؛لأنّ المنافقين لا يظهرون الكفر،و علم اللّه تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان.فعلى هذا التفسير كان صلّى اللّه عليه و آله و سلم مأمورا بأن يستبقيهم و يجاهد بهم الكفار.

ثمّ أنّه من الغريب من ابن سعد أنّه يروى أنّهم ليسوا من قريش،بل من الأنصار و حلفائهم،و يروى-فى الوقت نفسه-أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لم يخبر بأسمائهم غير حذيفه، فكيف نفى كونهم من قريش؟!و الغريب منه أيضا نفى كونهم من حلفاء قريش؛إذ نسبهم إلى الأنصار و حلفائهم خاصّه.

و لا غرابه فى ذلك؛فإنّ أصحاب السقيفه لم يواجههم فى السقيفه إلّا الأنصار و حلفاؤهم-إلّا القليل-و لم يعقد البيعه فى السقيفه إلّا قريش و حلفائها.

و منها:قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى الروايه الأخرى المتقدّمه:«إنّى أكره أن تحدّث العرب بينها أنّ محمّدا قاتل بقوم حتّى إذا أظهره اللّه بهم أقبل عليهم يقتلهم»؛فإنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم وصف هؤلاء الرهط بأنّهم:«قوم قاتل بهم»و:«أظهره اللّه بهم»،و لو بنظر عامّه الناس و أذهان العرب،فهل هذا الوصف ينطبق إلّا على الخواصّ ممّن هاجر من الأوائل معه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد بيّن أنّ عامّه أذهان الناس،التى تنظر إلى مجريات الأحداث بسطحيه و تحكم عليها حسب ظواهرها لا حقيقتها،تستنكر الاقتصاص من هؤلاء الرهط و معاقبتهم و فضحهم على الملأ؛إذ كانوا قد أوجدوا-بحسب الظاهر- لأنفسهم مكانه و اختصاص لدى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى أعين الناس،لدرجه كان يصعب معها كشف زيف هذه الصنيعه،و لم يكن من الهيّن و اليسير بيان الحقيقه لعقول الناس القاصره،التى لا تزن الأمور حسب الواقع بل حسب الظواهر.

الثامنه: إنّ هؤلاء الرهط تميّزوا بأنّهم دعا صلّى اللّه عليه و آله و سلم عليهم بأن يبتليهم اللّه تعالى بالدبيله،و سيأتى فى روايات أخرى كالتى أوردها صحيح مسلم و غيره أنّها تشير إلى تلك الجماعه.

التاسعه: إنّ اقتران حذيفه و عمّار فی هذه الواقعه أمر تكرّر فی الروايات و النقول التاريخيه،أی اقترنا فی معرفه هؤلاء الرهط،و هذه علامه سيتمّ الاستفاده منها فی الموارد الروائيه اللاحقه بشأن المنافقين.

و الملفت للنظر أنّ النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم لمّا أخبره الوحی بنيّه تلك الجماعه الفتك به لم يستعن صلّی اللّه عليه و آله و سلم بأحد من خواصّ أصحابه سوی حذيفه و عمّار و سلمان و المقداد،فما شأن البقيه من الخواصّ؟!لما ذا لم يستأمنهم صلّی اللّه عليه و آله و سلم و يأمنهم فی الدفاع عنه و حمايته؟!أم أنّ الحال كان علی عكس ذلك.و أمّا أبا ذرّ فلم يكن عنده راحله فی غزوه تبوك،فكان يتأخّر عن جيش الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلم فی سيره ماشيا علی قدميه،كما ذكرت ذلك مصادر السير و التواريخ.

العاشره: إنّ هذه الواقعه الخطيره فی حياه النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم و مسيره الدين متّفق علی وقوعها فی كتب حديث الفريقين و كتب السير و التواريخ،سواء كانت هی سبب نزول الآيات،كما هو الأقوی الظاهر،أم كان السبب للنزول واقعه أخری.

قال ابن عبد البرّ فی الاستيعاب فی ترجمه أبی موسی الأشعری،عبد اللّه بن قيس بن سليم،أنّه:

ولّاه عمر البصره فی حين عزل المغيره عنها،فلم يزل عليها إلی صدر من خلافه عثمان،فعزله عثمان عنها و ولّاها عبد اللّه بن عامر بن كريز،فنزل أبو موسی حينئذ بالكوفه و سكنها،فلمّا دفع أهل الكوفه سعيد بن العاص ولّوا أبا موسی و كتبوا إلی عثمان يسألونه أن يولّيه،فأقرّه عثمان علی الكوفه إلی أن مات.و عزله علیّ رضی اللّه عنه عنها فلم يزل واجدا منها علی علیّ حتّی جاء منه ما قال حذيفه؛فقد روی فيه لحذيفه كلام كرهت ذكره و اللّه يغفر له.ثمّ كان من أمره يوم الحكمين ما كان (۱).

۱- ۱) .الاستيعاب-فی ذيل الإصابه-۳۷۲/۲.

قال ابن أبی الحدید فی شرح النهج البلاغه:

قلت:الکلام الذی أشار إلیه أبو عمر بن عبد البرّ و لم یذکره،قوله فیه-و قد ذکر عنده،أی عند حذیفه،بالدین-أمّا أنتم فتقولون ذلک،و أمّا أنا فأشهد أنّه عدوّ للّه و لرسوله و حرب لهما،فی الدنیا وَ یَوْمَ یَقُومُ الْأَشْهادُ* یَوْمَ لا یَنْفَعُ الظّالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ (۱).و کان حذیفه عارفا بالمنافقین،أسرّ إلیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أمرهم و أعلمه أسماءهم.و روی أنّ عمّارا سئل عن أبی موسی،فقال:لقد سمعت فیه من حذیفه قولا عظیما، سمعته یقول:صاحب البرنس الأسود.ثمّ کلح کلوحا علمت منه أنّه کان لیله العقبه بین ذلک الرهط.

و روی عن سوید بن غفله،قال:کنت مع أبی موسی علی شاطئ الفرات فی خلافه عثمان،فروی لی خبرا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،قال:سمعته یقول:إنّ بنی إسرائیل اختلفوا،فلم یزل الاختلاف بینهم،حتّی بعثوا حکمین ضالّین ضلّا و أضلّا من اتّبعهما،و لا ینفکّ أمر أمّتی حتّی یبعثوا حکمین یضلان و یضلّان.فقلت له:احذر یا أبا موسی أن تکون أحدهما!قال:فخلع قمیصه، و قال:أبرأ إلی اللّه من ذلک،کما أبرأ من قمیصی هذا».

ثمّ ذکر ما قاله أبو محمّد بن متّویه فی کتاب الکفایه:«أمّا أبو موسی فإنّه عظم جرمه بما فعله،و أدّی ذلک إلی الضرر الذی لم یخف حاله،و کان علیّ علیه السّلام یقنت علیه و علی غیره فیقول:اللّهمّ العن معاویه أوّلا و عمرا ثانیا و أبا الأعور السلمی ثالثا و أبا موسی الأشعری رابعا.و روی عنه علیه السّلام أنّه کان یقول فی أبی موسی:صبغ بالعلم صبغا و سلخ منه سلخا (۲).

۱- ۱) .غافر۵۱/ و ۵۲.

۲- ۲) .شرح نهج البلاغه-لابن أبی الحدید-۳۱۴/۱۳-۳۱۵.

و قال المزّی فی تهذیب الکمال:

و عمل للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی زبید و ساحل الیمن-و هذا قبل تبوک کما لا یخفی.

و استعمله عمر بن الخطّاب علی الکوفه و البصره،و شهد وفاه أبی عبیده بن الجراح بالأردن،و شهد خطبه عمر بالجابیه،و قدم دمشق علی معاویه.إلی أن قال:-و قال مجالد،عن الشعبی:کتب عمر فی وصیّته:أن لا یقرّ لی عامل أکثر من سنه،و أقرّوا الأشعری أربع سنین (۱).

و فی تاریخ دمشق عن أبی تحیی حکیم:

کنت جالسا مع عمّار فجاء أبو موسی،فقال[عمّار]:ما لی و لک؟!قال:أ لست أخاک؟!قال:ما أدری،إلّا أنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یلعنک لیله الجمل.

قال:إنّه استغفر لی.قال عمّار:قد شهدت اللعن و لم أشهد الاستغفار (۲).

و ذکر الذهبی فی سیر أعلام النبلاء،عن شقیق:

کنّا مع حذیفه جلوسا فدخل عبد اللّه و أبو موسی المسجد،فقال-أی حذیفه -:أحدهما منافق.ثمّ قال-أی حذیفه-:إنّ أشبه الناس هدیا و دلّا و سمتا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عبد اللّه (۳).

و روی الشیخ المفید فی أمالیه عن علیّ علیه السّلام-بشأن أبی موسی-:

و اللّه ما کان عندی مؤتمنا و لا ناصحا،و لقد کان الّذین تقدّمونی استولوا علی مودّته،و ولّوه و سلّطوه بالإمره علی الناس،و لقد أردت عزله فسألنی الأشتر فیه أن أقرّه،فأقررته علی کره منّی له،و تحمّلت علی صرفه من بعد (۴).

۱- ۱) .تهذیب الکمال ۲۴۴/۴.

۲- ۲) .تاریخ دمشق ۹۳/۳۲،کنز العمّال ۶۰۸/۱۳ ح ۳۷۵۵۴.

۳- ۳) .سیر أعلام النبلاء ۳۹۳/۲ رقم ۸۲،تاریخ دمشق ۹۳/۳۲.

۴- ۴) .الأمالی-للمفید-۲۹۵ رقم ۶.

و ذكر المسعودى فى مروج الذهب:

إنّ أبا موسى ثبّط الناس عن علىّ عليه السّلام فى حرب الجمل،فعزله عن الكوفه و كتب إليه:«اعتزل عملنا يا بن الحائك مذموما مدحورا،فما هذا أوّل يومنا منك،و إنّ لك فينا لهنّات و هنيّات» (۱).

و ذكر ابن سعد فى الطبقات عن أبى برده-و هو ابن أبى موسى الأشعرى-:

-إذ دخل يزيد بن معاويه فقال له معاويه:إن وليت من أمر الناس شيئا فاستوص بهذا،فإنّ أباه كان أخا لى-أو خليلا أو نحو هذا من القول-غير أنّى قد رأيت فى القتال ما لم ير (۲).

الحاديه عشره: إنّ أحد أعضاء مجموعه أهل العقبه و الرهط هو عبد اللّه بن قيس بن سليم،المشتهر ب أبى موسى الأشعرى،صاحب البرنس الأسود،و هو أوّل بصمات المجموعه يجدها المتتبّع بوضوح،و منه تتلاحق بقيه البصمات.

الثانيه عشره: ما تقدّم من قول علىّ عليه السّلام من أنّ الخلفاء قبله«استولوا على مودّته!! و ولّوه و سلّطوه بالإمره على الناس»،و قال عليه السّلام له:«فما هذا أوّل يومنا منك،و إنّ لك فينا لهنّات و هنيّات»؛فما هو يا ترى سبب مودّتهم له بالدرجه الشديده،كما عبّر عليه السّلام:

«استولوا على مودّته»؟!و ما هو سبب توليتهم و تسليطهم له،على نقيض نفره حذيفه و عمّار له،و تنويههم و تصريحهم بأنّه من مجموعه أهل العقبه؟!

الثالثه عشره: ما تقدّم من تصريح معاويه بخلّته لأبى موسى الأشعرى،كما فى شدّه مودّه الخلفاء السابقين له أيضا،و توافقهم على توليته و تسليطه على إماره على الناس..

۱- ۱) .مروج الذهب ۳۶۷/۲،تاريخ الطبرى ۴۹۹/۴-۵۰۰.

۲- ۲) .الطبقات الكبرى ۱۱۲/۴،تاريخ الطبرى ۳۳۲/۵،سير أعلام النبلاء ۴۰۱/۲ رقم ۸۲.

ذکر الطبری فی تاریخه عن جویریه بن أسماء:

قدم أبو موسی علی معاویه فدخل علیه فی برنس أسود،فقال:السلام علیک یا أمین اللّه!!!قال:و علیک السلام.فلمّا خرج قال معاویه:أقدم الشیخ لأوّلیه، و لا و اللّه لا أوّلیه (۱).

و روی الثقفی فی الغارات عن محمّد بن عبد اللّه بن قارب:

إنّی عند معاویه لجالس،إذ جاء أبو موسی فقال:السلام علیک یا أمیر المؤمنین!!قال:و علیک السلام،فلمّا تولّی قال:و اللّه لا یلی هذا علی اثنین حتّی یموت (۲).

یظهر من ذلک شدّه حرص أبی موسی الأشعری علی تولّی الإماره،و أنّ سیرته فی هذا الحرص-بالتالی-توضّح لنا معالم دواعی مشارکته فی عملیه الفتک بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و أنّ دواعی المجموعه هی الوصول إلی سدّه الحکم و الإماره فی ظل أجواء الدین الجدید، لا کبقیه المنافقین ممّن یرید إعاده الکفر و الشرک مرّه أخری جهارا.

فالظاهر إنّ هذه المجموعه رأت الفرصه متاحه للوصول إلی السلطه فی ظلّ الدعوه للإسلام؛إذ لم تکن متاحه لهم فی ظلّ سنن الملّه الجاهلیه،التی تحکمها القوانین القبلیه و العشائریه،و هم لیسوا بذوی حسب و نسب قبلی یؤهلهم إلی ذلک.

و یتوافق هذا الشاهد فی توضیح معالم دواعی أهل العقبه-و هی الوصول إلی سدّه الحکم فی ظلّ الدعوه الجدیده-مع الشاهد المتقدّم سابقا عنهم من أنّهم من خاصّه أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بنظر الناس و عامّه المسلمین،أی أنّهم رسموا و صنعوا لأنفسهم صوره لمکانه دینیه فی أذهان المسلمین،و هذه الصوره هی السلّم و الطریق لوصولهم لأماره الحکم؛ففی ظلّ الدعوه الجدیده یغیب المعیار القبلی و التحالفات العشائریه،

۱- ۱) .تاریخ الطبری ۳۲۲/۵،الکامل فی التاریخ ۵۲۷/۲،أنساب الأشراف ۵۰/۵.

۲- ۲) .الغارات ۶۵۶/۲.

و معیار القدره المالیه،و ینفتح باب تقنین جدید لعلاقات المجتمع و شرائعه،و من الممکن أن یسنّوا-حینئذ-ما یوافق تمرکز القدره لهم دون ما یرسمه الدین،و دون ما یرسمه و یقننه الدین الإسلامی،و دون ما کانت ترسمه شریعه الجاهلیه السابقه.

فلا القدره الشرعیه الدینیه المتمثّله بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و وصیّه أمیر المؤمنین ابن عمّه علیه السّلام،و لا القدره التقلیدیه القبلیه،بل السماح ببروز قدره ثالثه فی ظلّ الأجواء الجدیده إلاّ أنّها ولید اصطناعی من هذه المجموعه.

و روی الواقدی فی المغازی حادثه العقبه کما مرّ و ذکر فی ذیلها قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند ما سئل عن قتل أولئک الرهط:

إنّی لأکره أن یقول الناس أنّ محمّد لمّا انقضت الحرب بینه و بین المشرکین وضع یده فی قتل أصحابه.فقال:یا رسول اللّه!فهؤلاء لیسوا بأصحاب.قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:أ لیس یظهرون شهاده أن لا إله إلاّ اللّه؟!قال:بلی،و لا شهاده لهم!قال:أ لیس یظهرون أنّی رسول اللّه؟!قال:بلی،و لا شهاده لهم!قال:فقد نهیت عن قتل أولئک.

و روی عن أبی سعید الخدری:

قال:کان أهل العقبه الّذین أرادوا بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ثلاثه عشر رجلا،قد سمّاهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لحذیفه و عمّار رحمهما اللّه.

و روی عن جابر بن عبد اللّه:

قال:تنازع عمّار بن یاسر و رجل من المسلمین فی شیء فاستبّا،فلمّا کاد الرجل یعلو عمّارا فی السباب قال عمّار:کم کان أصحاب العقبه؟قال:اللّه أعلم.

قال:أخبرنی عن علمکم بهم؟!فسکت الرجل،فقال من حضر:بیّن لصاحبک ما سألک عنه.و إنّما یرید عمّار شیئا قد خفی علیهم،فکره الرجل أن یحدّثه،و أقبل القوم علی الرجل فقال الرجل:کنّا نتحدّث أنّهم کانوا أربعه

عشر رجلا.قال عمّار:فإنّک أن کنت منهم فهم خمسه عشر رجلا.فقال الرجل:مهلا،أذکرک اللّه أن تفضحنی.فقال عمّار:و اللّه ما سمّیت أحدا، و لکنّی أشهد أن الخمسه عشر رجلا اثنا عشر منهم حرب للّه و لرسوله فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ یَوْمَ یَقُومُ الْأَشْهادُ* یَوْمَ لا یَنْفَعُ الظّالِمِینَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ » (۱).

الرابعه عشره: ما تقدّم من أنّ أهل العقبه و الرهط هم ممّن یحیط بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم لدرجه عدّهم-عند الناس-من أصحابه فی مقابل بقیه الناس.و قد روی الصدوق فی الخصال،بإسناده إلی حذیفه بن الیمان أنّه قال:

الّذین نفروا برسول اللّه ناقته فی منصرفه من تبوک أربعه عشر:أبو الشرور، و أبو الدواهی،و أبو المعازف،و أبوه،و طلحه،و سعد بن أبی وقّاص،و أبو عبیده،و أبو الأعور،و المغیره،و سالم مولی أبی حذیفه،و خالد بن الولید، و عمرو بن العاص،و أبو موسی الأشعری،و عبد الرحمن ابن عوف،و هم الّذین أنزل اللّه عزّ و جلّ فیهم: وَ هَمُّوا بِما لَمْ یَنالُوا » (۲).

الخامسه عشره: إنّ الرجل الذی تنازع معه عمّار فتسابّا یشهد نقل الواقدی أنّه بقدر عمّار فی قرب الصحبه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و لو بنظر الناس؛إذ کیف یسأله عمّار عن عدّه أهل العقبه و عن علمه بهم مع کونه من الأباعد و أوساط الناس،کما أنّ تعبیر الآخرین أنّ الرجل صاحب عمّار،شاهد علی کونه ممّن یحیط بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و من ثمّ هو علی علقه قریبه من عمّار؛کما أن تعبیر عمّار و خطابه له:«أخبرنی عن علمکم بهم»دالّ علی کون کلّ مجموعه أهل العقبه هم من قبیل ذلک الرجل،أی من الدائره القریبه من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم؛کما أنّ تحاشی عمّار عن ذکر أسماء هؤلاء-مضافا إلی کونه وصیه النبیّ

۱- ۱) .المغازی ۱۰۴۲/۲-۱۰۴۵.

۲- ۲) .الخصال:۴۹۶ حدیث ۶.

صلّى اللّه عليه و آله و سلم له و لحذيفه فى تلك الواقعه،و لو بحسب ما دام النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم حيا-هو لمكانه أولئك الرهط فى أعين الناس،فكان من المشقّه و الصعوبه بمكان كشف الحقائق و الأوراق لعامّه الناس.

روى ابن عبد البرّ فى الاستيعاب فى ترجمه حذيفه:

من كبار أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و...و كان عمر بن الخطّاب يسأله عن المنافقين و هو معروف فى الصحابه بصاحب سرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم...و قتل صفوان و سعيد ابنا حذيفه بصفّين و كانا قد بايعا عليّا بوصيه أبيهما بذلك إيّاهما (۱).

و روى المزّى فى تهذيب الكمال،عن قتاده:

قال حذيفه:«لو كنت على شاطئ نهر،و قد مددت يدى لأغترف فحدّثتكم بكلّ ما أعلم ما وصلت يدى إلى فمى حتّى أقتل!!».

و قال عطاء بن السائب،عن أبى البخترى:«قال حذيفه:لو حدّثتكم بحديث لكذّبنى ثلاثه أثلاثكم-أى كلّكم-

قال:ففطن له شاب فقال:من يصدّقك إذا كذّبك ثلاثه أثلاثنا؟!

فقال:إنّ أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم كانوا يسألون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن الخير و كنت أسأله عن الشر.

قال:فقيل له:ما حملك على ذلك؟فقال:إنّه من اعترف بالشر وقع فى الخير».

و روى عن النزّال بن سبر:«كنّا مع حذيفه فى البيت فقال له عثمان:يا أبا عبد اللّه!ما هذا الذى يبلغنى عنك.قال:ما قلته.فقال عثمان:أنت أصدقهم و أبرّهم.فلمّا خرج قلت:يا أبا عبد اللّه!أ لم تقل ما قلته؟!قال:بلى،و لكنّى أشترى دينى ببعضه مخافه أن يذهب كلّه».

۱- ۱) .الاستيعاب-بذيل الإصابه-۱/۲۷۷-۲۷۸.

و روی عن بلال بن یحیی:«بلغنی أنّ حذیفه کان یقول:ما أدرک هذا الأمر أحد من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلاّ قد اشتری بعض دینه ببعض.قالوا:فأنت؟! قال:و أنا..و اللّه إنّی لأدخل علی أحدهم،و لیس من أحد إلاّ و فیه محاسن و مساوئ،فأذکر من محاسنه و أعرض عن ما سوی ذلک،و ربّما دعانی أحدهم إلی الغذاء فأقول:إنّی صائم و لست بصائم» (۱).

السادسه عشر: إنّ أسرار المنافقین-و عمدتها أسماء مجموعه أهل العقبه-لا یحتمل غالب الناس و عامّه المسلمین کشفها و الإعلان عنها،کما صرّح بذلک حذیفه،بل لقتلوه کما قال،کما إنّ حذیفه یصرّح بانسیاق و ذهاب کثیر من الصحابه وراء الدنیا و تکالبهم علیها،و نکث العهود التی أخذها اللّه و رسوله علیهم.

السابعه عشره: إنّه کانت بین حذیفه و عثمان منافره و مراقبه و مواجهه بسبب ما یعرفه حذیفه من أسماء أهل العقبه،و کان منها ما یمسّ عثمان و أمثاله من جماعته من الصحابه.

قول ابن حزم فی المحلّی:

و من طریق مسلم (۲):حدّثنا زهیر بن حرب،حدّثنا أحمد الکوفی،حدّثنا الولید بن جمیع،حدّثنا أبو الطفیل،قال:«کان بین رجل من أهل العقبه و بین حذیفه ما یکون بین الناس،فقال:انشدک اللّه کم کان أصحاب العقبه؟ فقال له القوم:أخبره إذ سألک.قال-یعنی حذیفه-کنّا نخبر أنّهم أربعه عشر،فإن کنت فیهم فقد کان القوم خمسه عشر،و أشهد باللّه أنّ اثنی عشر منهم حرب للّه و لرسوله و یوم یقوم الأشهاد،و عذر ثلاثه؛قالوا:ما سمعنا منادی رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلم و لا علمنا بما أراد القوم».

۱- ۱) .تهذیب الکمال ۷۵/۲-۷۷.

۲- ۲) .صحیح مسلم ۲۱۴۴/۴ ح ۱۱.

إلى أن قال ابن حزم:«و أحاديث موقوفه على حذيفه،فيها:أنّه كان يدرى المنافقين،و أنّ عمر سأله:أ هو منهم؟قال:لا،و لا أخبر أحدا بعدك بمثل هذا،و أنّ عمر كان ينظر إليه فإذا حضر حذيفه جنازه حضرها عمر و إن لم يحضرها حذيفه لم يحضرها عمر،و فى بعضها:منهم شيخ لو ذاق الماء ما وجد له طعما؛كلّها غير مسنده.و عن حذيفه،قال:مات رجل من المنافقين فلم أذهب إلى الجنازه،فقال:هو منهم،فقال له عمر:أنا منهم؟قال:لا».

إلى أن قال:«و عن زيد بن وهب،قال:كنّا عند حذيفه-و هو من طريق البخارى (۱)-فقال حذيفه:ما بقى من أصحاب هذه الآيه إلاّ ثلاثه،-يعنى قوله تعالى: فَقاتِلُوا أَئِمَّهَ الْكُفْرِ إلى قوله: يَنْتَهُونَ (۲)-قال حذيفه:و لا بقى من المنافقين إلاّ أربعه.فقال له إعرابى:إنّكم أصحاب محمّد تخبروننا بما لا ندرى،فما هؤلاء الّذين ينقرون بيوتنا و يسرقون أعلافنا؟قال:أولئك الفسّاق،أجل لم يبق منهم إلاّ أربعه،شيخ كبير لو شرب الماء وجد له بردا».

ثمّ نقل أحاديث بأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا يقتل أصحابه:«لا يتحدّث الناس أنّ محمّدا يقتل أصحابه» (۳).

و قال:«إنّه لا خلاف بين أحد من الأمّه فى أنّه لا يحلّ لمسلم أن يسمّى كافرا معلنا بأنّه صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و لا أنّه من أصحاب النبىّ عليه السلام،و هو عليه السلام قد أثنى على أصحابه،فصحّ أنّهم أظهروا الإسلام فحرّمت بذلك دماؤهم فى ظاهر الأمر،و باطنهم إلى اللّه تعالى فى صدق أو كذب،فإن كانوا صادقين فى توبتهم فهم أصحابه حقّا،عند الناس ظاهرهم

۱- ۱) .صحيح البخارى ۸۲/۶؛و فيه:«لو شرب الماء البارد لما وجد برده».

۲- ۲) .التوبه۱۲/.

۳- ۳) .المحلّى ۲۲۱/۱۱-۲۲۲.

و عند اللّه تعالى باطنهم و ظاهرهم،فهم الّذين أخبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّهم:لو أنفق أحدنا مثل أحد ذهبا ما بلغ نصيف مدّ أحدهم.و إن كانوا كاذبين فهم فى الظاهر مسلمون و عند اللّه تعالى كفّار» (۱).

و قال:«و أمّا حديث حذيفه فساقط؛لأنّه من طريق الوليد بن جميع،و هو هالك،و لا نراه يعلم من وضع الحديث؛فإنّه قد روى أخبارا فيها أنّ أبا بكر، و عمر،و عثمان،و طلحه،و سعد بن أبى وقّاص رضى اللّه عنهم أرادوا قتل النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلم و إلقاءه من العقبه فى تبوك و هذا هو الكذب الموضوع الذى يطعن اللّه تعالى واضعه،فسقط التعلّق به،و الحمد للّه ربّ العالمين» (۲).

إلى أن قال:«و أمّا الموقوفه على حذيفه فلا تصحّ،و لو صحّت لكانت بلا شكّ على ما بيّنا من أنّهم صحّ نفاقهم و عاذوا بالتوبه و لم يقطع حذيفه و لا غيره على باطن أمرهم فتورّع عن الصلاه عليهم.و فى بعضها:أنّ عمر سأله:أنا منهم؟فقال له:لا،و لا أخبر أحدا غيرك بعدك.و هذا باطل،كما ترى؛لأنّ من الكذب المحض أن يكون عمر يشكّ فى معتقد نفسه حتّى لا يدرى أ منافق هو أم لا؟و كذلك أيضا لم يختلف اثنان من أهل الإسلام فى أنّ جميع المهاجرين قبل فتح مكّه لم يكن فيهم منافق،إنّما كان النفاق فى قوم من الأوس و الخزرج فقط،فظهر بطلان هذا الخبر» (۳).

ثمّ روى عن البخارى (۴):«نا آدم بن أبى إياس،نا شعبه،عن واصل الأحدب، عن أبى وائل شقيق ابن سلمه،عن حذيفه بن اليمان،قال:إنّ المنافقين اليوم

۱- ۱) .المحلّى ۲۲۳/۱۱.

۲- ۲) .المحلّى ۲۲۴/۱۱.

۳- ۳) .المحلّى ۲۲۵/۱۱.

۴- ۴) .صحيح البخارى ۷۲/۹؛و فيه:«يومئذ»بدل:«حينئذ».

شرّ منهم على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،كانوا حينئذ يسرّون و اليوم يجهرون» (۱).

أقول:ذكر فى تهذيب الكمال فى ترجمه الوليد بن جميع:

الوليد بن عبد اللّه بن جميع الزهرى الكوفى،والد ثابت بن عبد اللّه بن جميع، و قد ينسب إلى جدّه أيضا.ثمّ نقل عن أحمد بن حنبل و أبى داود قولهما فيه:

لا بأس.و عن يحيى بن معين:ثقه-و زاد مصحّح الكتاب حكايه الدارمى عن يحيى بن معين ذلك عن ابن محرز،و زاد:مأمون مرضى-و كذلك عن العجلىّ.

و قال أبو زرعه:لا بأس به.و قال أبو حاتم:صالح الحديث.و قال عمرو بن على:كان يحيى بن سعيد لا يحدّثنا عن الوليد بن جميع فلمّا كان قبل موته بقليل حدّثنا عنه.و ذكره ابن حبّان فى كتاب الثقات،روى له البخارى فى الأدب،و الباقون سوى ابن ماجه (۲).

و ذكر مثل ذلك فى التهذيب،و قال:

و ذكره-اى ابن حبّان-فى الضعفاء،و قال:ينفرد عن الأثبات بما لا يشبه حديث الثقات،فلمّا فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به.و قال ابن سعد:كان ثقه،له أحاديث.و قال البزار:احتملوا حديثه،و كان فيه تشيّع.و قال العقيلى:

فى حديثه اضطراب.و قال الحاكم:لو لم يخرج له مسلم لكان أولى (۳).

فترى أنّهم مسلّمون بوثاقه الوليد بن جميع إلاّ أنّ سبب الطعن بوثاقته هو روايته عن أبى الطفيل،عن حذيفه روايات أصحاب عقبه تبوك.و قد ذكر ابن جرير الطبرى فى المسترشد بعض تلك الروايات،قال:

و روى عبيد اللّه بن موسى،عن الوليد بن جميع،عن أبى الطفيل،عن حذيفه

۱- ۱) .المحلّى ۲۲۵/۱۱.

۲- ۲) .تهذيب الكمال ۴۷۴/۷ رقم ۷۳۰۸.

۳- ۳) .تهذيب التهذيب ۱۵۴/۹.

أو عمّار،قال:«تجسّسوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ليله العقبه:...»،و ذكر جماعه من الصحابه.و روى أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال-بعد فشل أصحاب العقبه فى تنفير راحلته و مطالبه بعض من كان معه بقتل تلك المجموعه-«إنّى أكره أن يقول الناس:أنّ محمّدا لمّا انقطعت الحرب بينه و بين المشركين،وضع يده فى قتل أصحابه.فقال:يا رسول اللّه!فإنّ هؤلاء ليسوا بأصحاب.قال:أ ليس يظهرون شهاده أن لا إله إلاّ اللّه؟قال:بلى،و لا شهاده لهم.قال:أ ليس يظهرون أنّى رسول اللّه؟قال:بلى،و لا شهاده لهم.قال:فقد نهيت عن قتل أولئك» (۱).

و أخرج الذهبى فى سير أعلام النبلاء فى ترجمه حذيفه (۲):

و كان النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلم قد أسرّ إلى حذيفه أسماء المنافقين، و ضبط عنه الفتن الكائنه فى الأمّه (۳).و قد ناشده عمر:أ أنا من المنافقين؟ فقال:لا،و لا أزكّى أحدا بعدك (۴)» (۵).

و قال:

حمّاد بن سلمه:أخبرنا على بن زيد،عن الحسن،عن جندب:أنّ حذيفه قال:

ما كلام أتكلّم به يردّ عنّى عشرين سوطا،إلاّ كنت متكلّما به.

خالد،عن أبى قلابه،عن حذيفه،قال:إنّى لأشترى دينى بعضه ببعض؛مخافه أن يذهب كلّه (۶).

أبو نعيم:حدّثنا سعد بن أوس،عن بلال بن يحيى،قال:بلغنى أنّ حذيفه كان

۱- ۱) .المسترشد-لمحمّد بن جرير الطبرى-۵۹۳.

۲- ۲) .سير أعلام النبلاء ۳۶۱/۲ رقم ۷۶.

۳- ۳) .انظر:البخارى ۴۰/۱۳-۴۱ فى الفتن،و مسلم:۱۴۴،و الترمذى:۲۲۵۹.

۴- ۴) .نسبه فى الكنز ۳۴۴/۱۳ إلى رسته.

۵- ۵) .سير أعلام النبلاء ۳۶۴/۲.

۶- ۶) .حليه الأولياء ۲۷۹/۱.

يقول:ما أدرک هذا الأمر أحد من الصحابه إلّا قد اشتری بعض دينه ببعض.

قالوا:و أنت؟قال:و أنا و اللّه،إنّی لأدخل علی أحدهم-و ليس أحد إلّا فيه محاسن و مساوئ-فأذکر من محاسنه و أعرض عمّا سوی ذلک (۱).

و روی الديلمی فی إرشاد القلوب حادثه أخری مشابهه-هی المحاوله الثانيه لأصحاب عقبه تبوک-وقعت عقب بيعه غدير خمّ و تنصيب الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلم الإمام علیّ عليه السّلام خليفه من بعده؛إذ اجتمعوا.

و دار الكلام فيما بينهم و أعادوا الخطاب،و أجالوا الرأی فاتّفقوا علی أن ينفروا بالنبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم ناقته علی عقبه الهريش،و قد كانوا صنعوا مثل ذلک فی غزوه تبوک فصرف اللّه الشرّ عن نبيّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم.فاجتمعوا فی أمر رسول اللّه من القتل و الاغتيال و استقاء السمّ علی غير وجه،و قد اجتمع أعداء رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم من الطلقاء من قريش و المنافقين من الأنصار،و من كان فی قلبه الارتداد من العرب فی المدينه،فتعاقدوا و تحالفوا علی أن ينفروا به ناقته، و كانوا أربعه عشر رجلا،و كان من عزم رسول اللّه أن يقيم عليّا عليه السّلام و ينصبه للناس بالمدينه إذا قدم،فسار رسول اللّه...»،و ذكر واقعه غدير خمّ.

و قال:«قال حذيفه:و دعانی رسول اللّه و دعا عمّار بن ياسر و أمره أن يسوقها و أنا أقودها حتّی إذا صرنا فی رأس العقبه ثار القوم من ورائنا و دحرجوا الدباب بين قوائم الناقه فذعرت و كادت أن تنفر برسول اللّه...»،ثمّ ذكر تفاصيل الحدث قريب ممّا جری فی عقبه تبوک.

«قال حذيفه:فقلت-أی لرسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم-و من هؤلاء المنافقون يا رسول اللّه!أ من المهاجرين أم الأنصار؟فسمّاهم لی رجلا رجلا حتّی فرغ منهم، و قد كان فيهم أناس أكره أن يكونوا منهم فأمسكت عن ذلک.فقال رسول

۱- ۱) .سير أعلام النبلاء ۳۶۸/۲.

اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:يا حذيفه!كأنّک شاکّ فی بعض من سمّيت لک؟!ارفع رأسک إليهم.

فرفعت طرفی إلی القوم و هم وقوف علی الثنيه،فبرقت برقه فأضاءت جميع ما حولنا و ثبتت البرقه حتّی خلتها شمسا طالعه،فنظرت و اللّه إلی القوم فعرفتهم رجلا-رجلا-و إذا هم کما قال رسول اللّه،و عدد القوم أربعه عشر رجلا،تسعه من قريش و خمسه من سائر الناس...» (۱)

و قد ذکرنا فی ما سبق ما رواه مسلم فی صحيحه عن قيس بن عبّاد قال:«قلت لعمّار:

أ رأيتم صنيعکم هذا فيما کان من أمر علیّ،أ رأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليکم رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم؟!فقال:ما عهد إلينا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم شيئا لم يعهده إلی الناس کافّه،و لکن حذيفه أخبرنی عن النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال:فی أصحابی اثنا عشر منافقا،منهم ثمانيه لا يدخلون الجنّه حتّی يلج الجمل فی سمّ الخياط» (۲).

و من الواضح أنّ حکايه عمّار عن حذيفه حديث النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم عن الاثنی عشر منافقا-عدد أصحاب العقبه الّذين نفروا دابّه رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم-فی ذلک الوقت،تعريض بأنّ بعض الصحابه کانوا من جمله الاثنی عشر،لا سيّما و أنّ عمّار و حذيفه هما اللّذان کانا مع الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلم حينها،و أنّ تعبيره صلّی اللّه عليه و آله و سلم کان:«فی أصحابی»،الذی يعطی اختصاصهم القريب بالصحبه له صلّی اللّه عليه و آله و سلم.

و روی مسلم فی صحيحه أيضا فی کتاب صفات المنافقين روايات أخری فيهم نقلناها سابقا،فلتلحظ.و روی ابن عساکر فی تاريخ دمشق بسنده عن زيد بن وهب الجهنی،يحدّث عن حذيفه:

قال:مرّ بی عمر بن الخطّاب و أنا جالس فی المسجد فقال:يا حذيفه!إنّ فلانا قد مات فاشهده.قال:ثمّ مضی حتّی إذا کاد أن يخرج من المسجد

۱- ۱) .راجع تفاصيل الحادثه و الأسماء فی:إرشاد القلوب:۳۳۰-۳۳۲.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۲۱۴۳/۴ ح ۹،کتاب صفات المنافقين.

التفت إلیّ فرآنی و أنا جالس فعرف،فرجع إلیّ فقال:یا حذیفه!أنشدک اللّه أ من القوم أنا؟قال:قلت:اللّهمّ لا،و لن أبرّئ أحدا بعدک،قال:فرأیت عینی عمر جاءتا» (۱).

و روی هذه الروایه ابن العدیم فی بغیه الطلب فی تاریخ حلب بسنده (۲).و جواب حذیفه فی هذه الروایه یتضمّن التعریض الشدید،کما هو طافح من ألفاظه؛إذ ما معنی:

«و لن أبرّئ أحدا بعدک»؟!فإنّ أیّ فرد من الناس إذا لم یکن من المنافقه أصحاب العقبه فلا معنی لامتناع حذیفه من الجواب،و التعبیر ب:«لن أبرّئ أحدا بعدک»یعطی:لن أبرئ أحدا من الجماعه الخاصّه التی هی أصحاب العقبه؛فالتعبیر«أبرّئ»أی:أثبت له البراءه مع کونه متورّطا فی عملیه الاغتیال المدبّر فی العقبه؛و لذلک قال بعد ذلک:«فرأیت عینی عمر جاءتا»أی:وقع فی دهشه و هلع شدید،و ذلک لکون جواب حذیفه صریح بالتخلّص الذکی؛و هو لا یعنی تبرئه صافیه عن شوب التعریض بالنفی.

مضافا إلی أنّ الرجل المیت الذی کنّی عنه حذیفه ب:«فلان»لا بدّ أن یکون من رجالات الدوله البارزین؛حتّی سبّب حصول التساؤل لدی عمر عن حاله عند حذیفه،و عن مدی معرفه حذیفه بجمیع أصحاب العقبه،و إلّا فکیف لا یعرف-و اَلْإِنْسانُ عَلی نَفْسِهِ بَصِیرَهٌ (۳)-أنّه کان منهم أم لم یکن؟!!فلا بدّ و أن یکون مصبّ السؤال هو عن مدی معرفه حذیفه بتمام المجموعه.

و مثل هذا التساؤل قد یوحی و یقضی بتورّط السائل؛لأنّ البریء لا یحصل لدیه الشکّ فی کونه من مجموعه العقبه.و السبب فی الشکّ بمعرفه حذیفه بالمجموعه هو أنّ وقت تنفیذ العملیه فی العقبه کان لیلا مظلما،و کانت الجماعه ملثّمه،و عند ما تصدّی لهم حذیفه و عمّار و رجعوا و اختفوا فی الناس ظنّوا و حسبوا أنّ حذیفه و عمّار لم یعرفوهم،

۱- ۱) .تاریخ مدینه دمشق ۲۷۶/۱۲.

۲- ۲) .بغیه الطلب فی تاریخ حلب ۲۱۶۷/۵.

۳- ۳) .القیامه۱۴/.

لا سیّما و أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم نبیّ الرحمه لم یفصح و لم یشهّر بهم بأمر من اللّه تعالی،کما جاء فی کتب حدیث الفریقین و کتب السیر،قال تعالی: وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْیَا الَّتِی أَرَیْناکَ إِلاّ فِتْنَهً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِی الْقُرْآنِ (۱)،و قال تعالی: أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا یُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ (۲).

و روی ابن عساکر عن النزّال بن سبره الهلالی:

قال:وقفنا من علیّ ابن أبی طالب ذات یوم طیب نفس و مراح فقلنا:یا أمیر المؤمنین!حدّثنا عن أصحابک-إلی أن قال:-فحدّثنا عن حذیفه،قال:فذاک امرؤ علم المعضلات و المفصّلات،و علم أسماء المنافقین،إن تسألوه عنها تجدوه بها عالما (۳).

و قد تکرّر تسمیه علم أسماء المنافقین بعلم المعضلات فی الأحادیث الوارده فی حذیفه،و ذلک إشاره إلی خطوره الأسماء المندرجه فی تلک القائمه بحیث أنّ ذلک معضل یصعب إفشاؤه علنا أمام عامّه الناس.

و روی فی بغیه الطلب فی تاریخ حلب بسنده عن النمری:

و کان عمر بن الخطّاب یسأله عن المنافقین،و هو معروف فی الصحابه بصاحب سرّ رسول اللّه،و کان عمر ینظر إلیه عند موت من مات منهم فإن لم یشهد جنازته حذیفه لم یشهدها عمر (۴).

و قال:

و قتل صفوان و سعید ابنا حذیفه بصفّین،و کانا قد بایعا علیّا بوصیه أبیهما

۱- ۱) .الإسراء ۶۰/.

۲- ۲) .العنکبوت۲/-۳.

۳- ۳) .تاریخ مدینه دمشق ۲۷۵/۱۲.

۴- ۴) .بغیه الطلب فی تاریخ حلب ۲۱۵۹/۵.

بذلک إیاهما (۱).

و روی الذهبی بسنده،و غیره،عن بلال بن یحیی:

إنّ حذیفه أتی و هو ثقیل بالموت فقیل له:قتل عثمان فما تأمرنا؟فقال:

سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقول:أبو الیقظان علی الفطره،ثلاث مرّات،لن یدعها حتّی یموت أو یلبسه الهرم (۲).

و الذیل لم یسلم من تصرّف بعض الرواه.و روی عن حذیفه بأسانید مختلفه،قال:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«علیّ خیر البشر فمن أبی فقد کفر» (۳).

هذا،و المتصفّح لترجمه حذیفه بن الیمان فی کتب السیر و التراجم،و لروایاته فی کتب الحدیث یستشرف أنّ ولاءه و هواه مع علیّ علیه السّلام و أصحابه کعمّار بن یاسر،و قد آخی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بینه و بین عمّار،و أنّه کان یتحفّظ فی تعامله مع أصحاب السقیفه،و قد مرّ لوم عثمان بن عفّان له علی کلام تحدّث به فلمّا أحضره أنکر حذیفه ذلک،کعادته فی التحفّظ،کما مرّ ذلک فی کلامه المروی عنه.

و روی البخاری فی التاریخ الکبیر عن قیس بن رافع،أنّه:

سمع حذیفه قال:کیف لا یضیع أمر أمّه محمّد صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم إذا ملک أمرهم من لا یزن عند اللّه جناح بعوضه (۴).

و روی ابن عدی بسنده عن حذیفه،عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،قال:

«یکون لأصحابی بعدی زلّه فیغفر اللّه لهم بسابقتهم معی،یعمل قوم بها بعدهم یکبّهم اللّه

۱- ۱) .بغیه الطلب فی تاریخ حلب ۲۱۶۰/۵.

۲- ۲) .سیر أعلام النبلاء ۴۱۷/۱.و أخرجه ابن سعد فی الطبقات ۱/۳ رقم ۱۸۸،و ذکره الهیثمی فی المجمع ۲۵۹/۹؛و قال:و رواه الطبرانی و البزّار باختصار،و رجالهما ثقات.

۳- ۳) .الکامل-لابن عدی-۱۴۸/۴،الضعفاء الکبیر-للعقیلی-۱۱۱/۳،تاریخ مدینه دمشق ۳۷۲/۴۲.

۴- ۴) .التاریخ الکبیر ۱۴۹/۷.

فی النار علی مناخرهم» (۱).

و الحدیث قد اشتمل علی معنی متدافع،و هو إنّ الزلّه تغفر لجماعه و تدخل النار جماعه أخری،و الظاهر أنّ الجمله المتوسّطه-و هی الغفران بسبب الصحبه السابقه- زیاده من ید الوضع،کما فی مقوله:«المغفره للصحابی و إن بلغ عمله الطالح ما بلغ»،و التی تعرّضنا لزیفها فی الحلقات السابقه بدلاله آیات«الأنفال»فی واقعه بدر و آیات«آل عمران»فی واقعه أحد.و الحدیث و إن اشتمل علی هذه الزیاده،و علی هذا المعنی المتدافع،إلّا أنّ أصله متطابق مع الأحادیث المستفیضه الوارده و جمله من الآیات الدالّه علی الإحداث و التبدیل.

و لنعم ما قال الإمام أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام:

إنّ العرب کرهت أمر محمّد ۹،و حسدته علی ما آتاه اللّه من فضله، و استطالت أیامه حتّی قذفت زوجته،و نفرت به ناقته مع عظیم إحسانه إلیها،و جسیم مننه عندها،و أجمعت مذ کان حیّا علی صرف الأمر عن بیته بعد موته،و لو لا أنّ قریشا جعلت اسمه ذریعه إلی الرئاسه،و سلّما إلی العزّ و الإمره لما عبدت اللّه بعد موته یوما واحدا (۲).

۱- ۱) .الکامل-لابن عدی-۱۴۸/۴.

۲- ۲) .شرح نهج البلاغه-لابن أبی الحدید-۲۹۸/۲۰.

الثانیه:المظاهره بالمکیده

اشاره

أمّا الواقعه الخطیره الثانیه التی وقعت من بعض خواصّ الصحابه،فهی المظاهره و المؤازره علی الرسول الأمین صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و التی أشار إلیها القرآن الکریم فی سوره التحریم بالخصوص،و کذلک فی بعض آیات من سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و آیه من سوره البقره..

قال تعالی فی سوره التحریم: وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إِلی بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِیثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هذا قالَ نَبَّأَنِیَ الْعَلِیمُ الْخَبِیرُ* إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَیْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِیلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمَلائِکَهُ بَعْدَ ذلِکَ ظَهِیرٌ* عَسی رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَکُنَّ أَنْ یُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَیْراً مِنْکُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَیِّباتٍ وَ أَبْکاراً .

إلی قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ جاهِدِ الْکُفّارَ وَ الْمُنافِقِینَ وَ اغْلُظْ عَلَیْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ* ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ کَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ کانَتا تَحْتَ عَبْدَیْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَیْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ یُغْنِیا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَیْئاً وَ قِیلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِینَ (۱).

۱- ۱) .التحریم۳/-۱۰.

و القراءه المبتدأه للسوره،و التدبّر للوهله الأولى فى سياق آياتها و أسلوب خطابها يوقف الناظر على أنّ هناك حديثا أسرّه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى بعض أزواجه فقامت بإفشاء سرّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى زوجه أخرى،أو بالإضافه إلى جماعه أخرى.و استعقب هذا الحديث مأربا لزوجتى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و القيام بتدبير مناهض له،و مكيده و احتيالا فى غايه الخطوره على وجود النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،ممّا استدعى نفيرا إلهيا عامّا،و تعبئه شامله لجنود الرحمن،و أوجب تحذيرا و تهديدا معلنا من قبله تعالى لأصحاب المؤامره.

و لا- يعقل فى الحكمه العقليه،فضلا عن الحكمه الإلهيه،أن يكون كلّ هذا الاستعراض للقوّه الإلهيه فى قبال خلاف فى الأمور الزوجيه حدث بينه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بين زوجتيه،بل لا محاله أنّ الحدث و إن ابتدأ بذلك إلّا أنّه انتهى إلى المواطأه الدهياء على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و من المنطقى اتّصال هذه المواطأه بأصحاب مصلحه فى إجرائها،و أنّهم على مكمن إعداد و تهيّئ لتنفيذها،فهى على اتّصال محتمل بقوّه مع الحادثه الخطيره الأولى الواقعه فى عقبه تبوك.و قد توصّلنا ثمّه إلى تجميع العديد من خيوط المجموعه التى قامت بارتكاب محاوله الاغتيال،و الملفت للنظر أنّ تلك المجموعه على اتّصال وثيق بزوجتى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،اللتين نزلت السوره فيهما،و كشفت هول ما عزمتا عليه تواطئا على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم، هذا هو المتراءى البدوى من ألفاظ السوره.

و لنستعرض أقوال المفسّرين،و الروايات الوارده من الفريقين فى ذيل السوره،ثمّ نرجع إلى متن السوره و نمعن النظر فى معانيها مرّه أخرى؛لنتعرّف على ملابسات الحدث بصوره أوضح و أشمل.

قال فى الدرّ المنثور:

أخرج ابن سعد،و عبد بن حميد،و البخارى،و ابن المنذر،و ابن مردويه،عن عائشه:إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم كان يمكث عند زينب بنت جحش و يشرب عندها عسلا،فتواصيت أنا و حفصه أن أيّتنا دخل

علیها النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم فلتقل:إنّی أجد منک ریح المغافیر، أکلت مغافیر؟فدخل علی إحداهما فقالت ذلک له،فقال:لا،بل شربت عسلا عند زینب بنت جحش،و لن أعود.فنزلت: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ إلی: إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ لعائشه و حفصه (۱).

و قال أیضا:

و أخرج النسائی،و الحاکم و صحّحه،و ابن مردویه،عن أنس:إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم کانت له أمه یطؤها،فلم تزل به عائشه و حفصه حتّی جعلها علی نفسه حراما،فانزل اللّه هذه الآیه...

و أخرج الترمذی،و الطبرانی،بسند حسن صحیح،عن ابن عبّاس،قال:

نزلت: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ..الآیه،فی سریّته.و أخرج ابن جریر،و ابن المنذر،عن ابن عبّاس(رض)،قال:قلت لعمر بن الخطّاب(رض):من المرأتان اللتان تظاهرتا؟!قال:عائشه و حفصه.و کان بدء الحدیث فی شأن ماریه أمّ إبراهیم القبطیه،أصابها النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم فی بیت حفصه فی یومها،فوجدت حفصه،فقالت:یا نبیّ اللّه!لقد جئت شیئا ما جئته إلی أحد من أزواجک،فی یومی و فی داری و علی فراشی؟فقال:ألا ترضین أن أحرّمها فلا أقربها.قالت:بلی.فحرّمها،و قال:لا تذکری ذلک لأحد.فذکرته لعائشه(رض)،فأظهره اللّه علیه،فأنزل اللّه: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللّهُ لَکَ ،الآیات کلّها،فبلغنا أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله] و سلّم کفّر عن یمینه و أصاب جاریته (۲).

و أخرج ابن سعد،و ابن مردویه،عن ابن عبّاس(رض)،قال:«کانت عائشه و حفصه متحابّتین،فذهبت حفصه إلی بیت أبیها تحدّث عنده،فأرسل النبیّ

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۳۹/۶،سوره التحریم.

۲- ۲) .الدرّ المنثور ۲۳۹/۶.

صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم إلى جاريته...»ثمّ ذكر بقيه القصّه،و فيها:

«فأسرّت إليها-أى حفصه لعائشه-أن أبشرى إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه[و آله] و سلّم قد حرّم عليه فتاته،فلمّا أخبرت بسرّ النبيّ صلّى اللّه عليه[و آله] و سلّم أظهر اللّه النبيّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم عليه،فأنزل اللّه: يا أَيُّهَا... ...» (۱).

و أخرج ابن مردويه،عن أنس:أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم أنزل أمّ إبراهيم منزل أبى أيوب،قالت:عائشه(رض):فدخل النبيّ صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم بيتها يوما فوجد خلوه،فأصابها فحملت بإبراهيم.قالت عائشه:فلمّا استبان حملها فزعت من ذلك،فمكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم حتّى ولدت،فلم يكن لأمّه لبن فاشترى له ضائنه يغذّى منها الصبى،فصلح عليه جسمه و حسن لحمه و صفا لونه،فجاء به يوما يحمله على عنقه فقال:يا عائشه!كيف ترى الشبه؟!

فقلت:أنا غيرى ما أدرى شبها.فقال:و لا باللحم؟!فقلت:لعمرى لمن تغذّى بألبان الضان ليحسن لحمه.قال:فجزعت عائشه(رض)و حفصه من ذلك، فعاتبته حفصه،فحرّمها،و أسرّ إليها سرّا فأفشته إلى عائشه(رض)،فنزلت آيه التحريم،فاعتق رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم رقبه» (۲).

و يتبيّن من هذه الروايه الأخيره التى أوردها السيوطى أنّ السرّ الذى أفشته حفصه لعائشه ليس هو تحريم ماريه على نفسه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،بل هو أمر آخر،كما يتبيّن من الروايات السابقه التى أوردها أنّ هناك تحالفا شديدا بين حفصه و عائشه،و أنّهما كانتا تغاران بشدّه من ماريه و من ولادتها إبراهيم ابنا للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّهما كانتا تمانعان من الشبه له به صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و هذه بصمات لحديث الإفك.

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۳۹/۶.

۲- ۲) .الدرّ المنثور ۲۴۰/۶.

و العمده:أنّ الروايه الأخيره دالّه على أنّ السرّ وراء التحريم الذى تحلّل منه صلّى اللّه عليه و آله و سلم هو أمر ما،و أنّ تسميته فى الآيه و الروايه ب«السرّ»يقتضى خطوره المعلومه التى ذكرها النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لحفصه،و أنّ هذه المعلومه لا ريب فى ارتباطها الوثيق مع التظاهر الخفى المدبّر من ضدّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

ثمّ إنّ السيوطى روى روايات عديده عن ابن مردويه،و ابن عساكر،و الطبرانى،و ابن المنذر،و عبد الرزّاق،و البخارى،و غيرهم،عن ابن عبّاس،و عائشه،و غيرهما:

أنّ السرّ الذى أسرّه النبيّ إلى حفصه هو فى أمر الخلافه من بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّ الذى سيلى الأمر بعده أبويهما،إلّا أنّ ألفاظ الروايات مختلفه،ففى بعضها:

«قال:أسرّ إلى عائشه فى أمر الخلافه بعده،فحدّثت به حفصه».و فى بعضها:

«إنّ إماره أبى بكر و عمر لفى الكتاب: وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً ،قال لحفصه:أبوك و أبو عائشه واليان الناس بعدى،فإيّاك أن تخبرى أحدا».و فى بعضها:«أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لحفصه:لا تخبرى عائشه حتّى أبشّرك بشاره،فإنّ أباك يلى الأمر بعد أبى بكر إذا أنا متّ.فذهبت حفصه فأخبرت عائشه،فقالت عائشه للنبيّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم: مَنْ أَنْبَأَكَ هذا ؟قال: نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ » (۱).

و الغريب فى صياغات هذه الأحاديث أنّها تعبّر عن هذا السرّ بأنّه:«بشاره»،أو أنّه:«عهد من البارى تعالى»،و أنّه:«من فضائل الصديق و الفاروق»؛فإذا كان جوّ المحيط و مناخ هذه المعلومه أنّها«بشاره»و«عهد إلهى»و«فضيله عظمى»فلم تتظاهرا و تتآزرا فى تدبير أمر خفىّ خطير على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،إلى درجه تستدعى النفير الإلهى،و التعبئه الشديده المحال،و الإرباك الأمنى؟!!من البيّن الشاهر أنّ المناخ الذى تصوّره السوره هو جوّ ملبّد بظلمه المجابهه،و المواجهه،و الاستعداد،و إثم قلوبهما و استدعائه التوبه إلى اللّه

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۴۱/۶.

تعالی.

و قد روی فی الدرّ المنثور عن مجاهد،قال:

کنّا نری أنّ صَغَتْ قُلُوبُکُما شیء هیّن،حتّی سمعناه بقراءه عبد اللّه: إِنْ تَتُوبا إِلَی اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُکُما .و فی التمثیل و التعریض فی ذیل السوره بامرأتی نوح و لوط،و أنّهما مثلا للّذین کفروا،قال الرازی فی تفسیره:«و فی ضمن هذین التمثیلین تعریض بأمّی المؤمنین،و هما:حفصه و عائشه،لما فرط منهما،و تحذیر لهما علی أغلظ وجه و أشدّه؛لما فی التمثیل من ذکر الکفر» (۱).

و إنّ الخیانه التی ارتکبتها امرأتی نوح و لوط کانت فی الدین،و عداوتهما للنبیّین العظیمین کانت فی رسالتیهما الإلهیّتین،فکیف یکون کلّ هذا المسار الذی ترسمه الآیه هو عن بشاره خلافه والدی عائشه و حفصه؟!،بل لو کان الحال حال بشاره لاقتضی طبع الحال تعاونهما مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم؛لما جبلت علیه الطباع من المیل إلی نفع الرحم،و لو کان الحال حال عهد إلهی بخلافه أبی بکر و عمر لاقتضی انشداد الابنتین إلی ذلک،مدیحا منه تعالی و عطفا ربّانیا علی ما قد أتیتاه؛لأنّه ذوبان فی الإراده الإلهیه و مسارعه فی الغایه الدینیه.

و کیف یکون ما فعلتاه مضادّه لدین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی حذو مضادّه امرأه نوح و امرأه لوط،لو کان خبر خلافه أبی بکر و عمر عهد معهود من رضا الربّ المعبود؟!ثمّ کیف یتلائم کون خلافتهما عهدا فی الکتاب و یصرّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی إخفائه و عدم تبلیغه للناس،و یکون إفشاؤه من ابنتیهما مضادّه للّه و لرسوله و خیانه فی الدین؟!

و لم لا ینزل الکتاب بذلک،کما نزلت فی علیّ علیه السّلام عشرات الآیات،کقوله تعالی:

إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاهَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاهَ وَ هُمْ راکِعُونَ*

۱- ۱) .التفسیر الکبیر ۴۹/۳۰.

وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (۱).و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۲)،الذى نزل فى غدير خمّ.

نعم،كون الخبر وصول أبويهما إلى سدّه الحكم هو ظاهر اتّفاق روايات الفريقين- كما ستأتى بقيّتها-لكن هل أنّه بشاره و عهد أم أنّه نذاره و تغلّب و نزاع مع الحقّ و أهله؟! فهذا ما اختلفت فيه الروايات،و سياق السوره صدرا و ذيلا يتنافى مع الأوّل و يتوافق مع الثانى؛و هو ما سيتبين من مواصله البحث فى بقيه فقرات السوره.

روى فى الدرّ المنثور،عن الطبرانى فى الأوسط،و ابن مردويه:

فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ :يعنى عائشه، وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ :أى بالقرآن، عَرَّفَ بَعْضَهُ :عرّف حفصه ما أظهر من أمر ماريه، وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ :عمّا أخبرت به من أمر أبى بكر و عمر،فلم يبده، فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ إلى قوله:

اَلْخَبِيرُ ،ثمّ أقبل عليهما يعاتبهما فقال: إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ .الحديث (۳).

و فى هذا الحديث إلفاته حسّاسه،هى:إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لم ينبئ حفصه أو عائشه عمّا فعلتاه من إفشاء الخبر المرتبط بأمر أبى بكر و عمر و ما اتّصل من أمور أخرى بذلك الأمر،ممّا عدّه القرآن الكريم تظاهر و تواطؤ على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و دين اللّه تعالى،و ممّا له صله أمنيه خطيره بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛الذى استدعى هذا النفير و التعبئه الإلهيه الشامله.

فهذه قصاصه وثائقيه بالغه المؤدّى تقتضى أنّ التدبير الخفى الذى قامتا به هو ممّا يتّصل بأمر أبى بكر و عمر من بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم.و الغريب ما فى جمله من تفاسير أهل سنّه الجماعه و رواياتهم من تصوير هذه التظاهره التى قامتا بها على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّها شأن دارج فى الحياه الزوجيه،و استدعى كلّ هذا الصخب و الاهتمام منه تعالى و الإنذار الشديد

۱- ۱) .المائده۵۵/-۵۶.

۲- ۲) .المائده۶۷/.

۳- ۳) .الدرّ المنثور ۶/۲۴۰-۲۴۱.

اللحن.

فقد روى السيوطى عن عبد بن حميد،و مسلم،و ابن مردويه،عن ابن عبّاس:

قال:حدّثنى عمر بن الخطّاب،قال:...فقلت:يا رسول اللّه!ما يشقّ عليك من شأن النساء،فإن كنت طلّقتهنّ فإنّ اللّه تعالى معك و ملائكته و جبريل و ميكائيل،و أنا و أبو بكر و المؤمنون معك،و قلّما تكلّمت و أحمد اللّه بكلام إلاّ رجوت أن يكون اللّه يصدق قولى الذى أقوله.و نزلت هذه الآيه:

عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَهُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ ،و كانت عائشه (رض)بنت أبى بكر و حفصه تظاهران على سائر نساء النبىّ صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم.الحديث (۱).

و آثار الوضع لائحه بيّنه على هذا الحديث؛إذ يتضمّن المتناقضات،فإنّ المنازعه الزوجيه الاعتياديه إذا استلزمت هذه النصره المهيبه فتكون أشبه بالهزل البارد منها بالحدث الجدّى الخطير،و حاشاه تعالى عن الباطل،كما تضمّن أنّ تظاهرهما هو على بقيه أزواج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و هو مخالف لصريح القرآن الكريم من أنّ المجابهه فى تدبيرهما الخفى كانت قبال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،كما تضمّن أنّ«صالح المؤمنين»هو:أبو بكر و عمر، فكيف يكونا فى طرف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى هذه الحادثه الواقعه،و الحال أنّ ابنتيهما بشّرتاهما بأمرهما بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أنّه عهد معهود مرضى من ربّ العزّه؟!!

و كيف يكونا فى الطرف المقابل لابنتيهما و لم تقوما بإفشاء السرّ إلاّ بما هو بشاره لهما؟!و بطبيعه الحال إنّ مثل هذا السرّ لم تكن حفصه و عائشه لتخبر إحداهما الأخرى به دون أن تطلعا أبويهما عليه؛كما هو مقتضى جبلّه الطبع،فإنّهما إذا كانتا متحابّتين فإنّ تحابّهما مع أبويهما أشدّ،و إذا كان هذا الخبر بشاره لهما فإنّ استبشارهما سيكون

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۴۲/۶-۲۴۳.

بسبب النفع العائد لوالديهما،فكيف لا تخبرانهما بذلك؟!و ما الذى بنى عليه الأربعه و أطلق القرآن عليه:«تظاهر منهما»على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!

و الأظرف ذكر هذه النبوءه لعمر:«قلّما تكلّمت و أحمد اللّه بكلام إلّا رجوت أن يكون اللّه يصدق قولى الذى أقوله...»..و إن كانت الموارد التى نزل الوحى فيها مطابقا لكلامه جميعها تحتاج إلى بحث مبسوط؛كى يتبيّن النسيج المحبوك لهذه الموضوعات.

و روى ابن كثير فى تفسيره،عن مجاهد:إنّ«صالح المؤمنين»هو الإمام علىّ عليه السّلام،و رواه أيضا بطريق آخر (۱).و روى فى الدرّ المنثور روايات متعدّده فى«صالح المؤمنين»:فتاره أنّه:أبو بكر و عمر،و أخرى:عمر،و ثالثه:قال:

و أخرج ابن عساكر عن مقاتل بن سليمان(رض) فى قوله: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ،قال:أبو بكر و عمر و علىّ(رض)،و رابعه:أنّه:الأنبياء،و خامسه:قال:«و أخرج ابن أبى حاتم...قال:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم فى قوله: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ،قال:هو علىّ بن أبى طالب.و أخرج ابن مردويه عن أسماء بنت عميس:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه [و آله]و سلّم يقول: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ،قال:علىّ بن أبى طالب،و أخرج ابن مردويه و ابن عساكر،عن ابن عبّاس فى قوله: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ،قال:

هو علىّ بن أبى طالب (۲).

و قال القرطبى-بعد ما نقل الأقوال فى«صالح المؤمنين»أنّه:أبو بكر أو عمر-:

و قيل:هو علىّ؛عن أسماء بنت عميس،قالت:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ :علىّ بن أبى طالب (۳).

و روى مثل ذلك الثعلبى فى تفسيره (۴).و حكى ابن الجوزى فى زاد المسير أنّه:

۱- ۱) .تفسير ابن كثير ۴۱۵/۴.

۲- ۲) .الدرّ المنثور ۲۴۳/۶-۲۴۴.

۳- ۳) .الجامع لأحكام القرآن ۱۹۲/۱۸.

۴- ۴) .تفسير الثعلبى ۳۴۸/۹.

علیّ علیه السّلام،حکاه الماوردی؛قاله الفرّاء (۱).

و فی کون«صالح المؤمنین»علیّا علیه السّلام بالغ المعنی؛فإنّ أبا بکر و عمر-کما مرّ-هما من الطرف الآخر فی الحادثه،لأنّهما ممّن أفشی لهما الخبر الذی نجم عنه التظاهر و التواطؤ علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم؛ففی الآیه مقابله بین تلک المجموعه المتواطئه علی دین اللّه و نبیّه و بین معسکر الدین و التوحید بقیاده النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أنّ«صالح المؤمنین»ولیّه و حامیه بعد اللّه تعالی و جبرئیل،و هی لا تخلو من دلاله علی التخالف و التقابل بین الولایتین،بین ولایه أبی بکر و عمر-التی کانت السرّ الذی أفشی و تسبّب منه حصول المظاهره و المواطئه الأمنیه علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم-و بین ولایه«صالح المؤمنین»المنشعبه ولایته من ولایه اللّه و رسوله.

قال الزمخشری فی ذیل الآیه الکریمه: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِینَ کَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ کانَتا تَحْتَ عَبْدَیْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَیْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ یُغْنِیا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَیْئاً وَ قِیلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِینَ :

مثّل اللّه عزّ و جلّ حال الکفّار-فی أنّهم یعاقبون علی کفرهم و عداوتهم للمؤمنین معاقبه مثلهم،من غیر إبقاء و لا محاباه،و لا ینفعهم مع عداوتهم لهم ما کان بینهم و بینهم من لحمه نسب أو وصله صهر؛لأنّ عداوتهم لهم و کفرهم باللّه و رسوله قطع العلائق و بتّ الوصل و جعلهم أبعد من الأجانب و أبعد،و إن کان المؤمن الذی یتّصل به الکافر نبیّا من أنبیاء اللّه-بحال امرأه نوح و امرأه لوط،لمّا نافقتا و خانتا الرسولین لم یغن الرسولان عنهما بحقّ ما بینهما و بینهما من وصله الزواج إغناء ما من عذاب اللّه، وَ قِیلَ لهما عند موتهما أو یوم القیامه: اُدْخُلَا النّارَ مَعَ سائر اَلدّاخِلِینَ الّذین لا وصله بینهم و بین الأنبیاء...

۱- ۱) .زاد المسیر-لابن الجوزی-۵۲/۸.

إلی أن قال:-و فی طیّ هذین التمثیلین تعریض بأمّی المؤمنین المذکورتین فی أوّل السوره،و ما فرط منهما من التظاهر علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله]و سلّم بما کرهه،و تحذیر لهما علی أغلظ وجه و أشدّه؛لما فی التمثیل من ذکر الکفر و نحوه فی التغلیظ قوله تعالی: وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ ،و إشاره إلی أنّ من حقّهما أن تکونا فی الإخلاص و الکمال فیه کمثل هاتین المؤمنتین-أی:آسیه و مریم-و أن لا تتّکلا علی أنّهما زوجا رسول اللّه؛فإنّ ذلک الفضل لا ینفعهما إلاّ مع کونهما مخلصتین.و التعریض بحفصه أرجح؛لأنّ امرأه لوط أفشت علیه کما أفشت حفصه علی رسول اللّه،و أسرار التنزیل و رموزه فی کلّ باب بالغه من اللطف و الخفاء حدّ أ یدقّ عن تفطّن العالم،و یزلّ عن تبصّره...

إلی أن قال:-فإن قلت:ما کانت خیانتهما؟قلت:نفاقهما و إبطانهما الکفر، و تظاهرهما علی الرسولین؛فامرأه نوح قالت لقومه:إنّه مجنون،و امرأه لوط دلّت علی ضیافته،و لا یجوز أن یراد بالخیانه الفجور؛لأنّه سمج فی الطباع، نقیصه عند کلّ أحد،بخلاف الکفر،فإنّ الکفّار لا یستسمجونه بل یستحسنونه و یسمّونه حقّا،و عن ابن عبّاس(رض):ما بغت امرأه نبیّ قط (۱).

و قد ذکر الفخر الرازی هذا التساؤل بعینه،و قرّر أنّ الخیانه هی:النفاق و إخفاء الکفر،و التظاهر علی الرسولین.و روی السیوطی فی الدرّ،قال:

و أخرج ابن المنذر عن ابن جریج(رض)فی قوله: فَخانَتاهُما ،قال:کانتا کافرتین مخالفتین،و لا ینبغی لامرأه نبیّ أن تفجر (۲).

و لا یخفی علی الناظر فی ذیل السوره مقدار شدّه اللحن من التمثیل بزوجتی

۱- ۱) .الکشّاف ۵۷۱/۴-۵۷۲.

۲- ۲) .الدرّ المنثور ۲۴۵/۶.

النبيّين،ممّا يتّحد مع الممثّل له و المعرّض به،و كون جهه التمثيل و التعريض هى:العداوه الدينيه و النفاق و إبطان الكفر،و من ثمّ التظاهر على الرسولين؛فأين يجد الباحث هذه الصفات فى الحادثه الواقعه فى أوّل السوره؟!هل هى فى مجرّد الغيره الزوجيه؟!أم أنّها فى السرّ المفشى من أمر أبى بكر و عمر بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ما استعقبه من التدبير المبطن على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!،فما هى ملابسات الحادثه التى انطبقت عليها الخيانه الدينيه العظمى؟!

كما لا يخفى أنّ ذيل السوره قد اشتمل أيضا على مقابله بين معسكر النفاق و الكفر المبطن،و بين معسكر الصلاح و الاصطفاء.روى السيوطى فى الدرّ-فى ذيل السوره-قال:

و أخرج أحمد،و الطبرانى،و الحاكم و صحّحه،عن ابن عبّاس(رض)،قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم:أفضل نساء أهل الجنّه:خديجه بنت خويلد،و فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم،و مريم بنت عمران،و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون،مع ما قصّ اللّه علينا من خبرهما فى القرآن، قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّهِ (۱)(۲).

و روى الزمخشرى فى الكشّاف:

و عن النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم:كمل من الرجال كثير،و لم يكمل من النساء إلّا أربع:آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون،و مريم بنت عمران، و خديجه بنت خويلد،و فاطمه بنت محمّد (۳).

۱- ۱) .التحريم۱۱/.

۲- ۲) .الدرّ المنثور ۲۴۶/۶.

۳- ۳) .الكشّاف ۵۷۳/۴؛و ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشّاف: أخرجه الثعلبى من طريق عمرو بن مرزوق،عن شعبه،عن عمرو بن مرّه،سمع مرّه عن أبى موسى بهذا. و أخرجه أبو نعيم فى الحليه فى ترجمه عمرو بن مرّه من هذا الوجه؛قال:حدّثنا سليمان بن أحمد،حدّثنا

و روی القرطبی فی تفسیره،قال:

و روی من طرق صحیحه أنّه علیه السّلام قال:...و ذکر الحدیث،ثمّ ذکر طریقا آخر بألفاظ أخری،و ثالث بغیرها (۱).

و روی قتاده،عن أنس،عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم،قال:

حسبک من نساء العالمین أربع:مریم بنت عمران،و خدیجه بنت خویلد،و فاطمه بنت محمّد،و آسیه امرأه فرعون بنت مزاحم (۲).

و روی عبد الرزّاق الصنعانی بسنده عن أنس بن مالک،عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم مثله (۳).و رواه الطبری فی تفسیره عن أنس أیضا،و عن أبی موسی الأشعری (۴).و بذلک تتبلور صوره المواجهه و أطرافها بشکل أوضح نساء و رجالا.و قال القرطبی فی ذیل السوره:

فَخانَتاهُما :قال عکرمه و الضحّاک:بالکفر،و قال سلیمان بن رقیه،عن ابن عبّاس:کانت امرأه نوح تقول للناس:إنّه مجنون،و کانت امرأه لوط تخبر بأضیافه،و عنه:ما بغت امرأه نبیّ قط.و هذا إجماع من المفسّرین.فی ما ذکر القشیری:إنّما کانت خیانتاهما فی الدین و کانتا مشرکتین.و قیل:کانتا منافقتین،و قیل:خیانتهما النمیمه؛إذ أوحی اللّه إلیهما شیئا أفشتاه إلی المشرکین؛قاله الضحّاک....

۱- ۱) .الجامع لأحکام القرآن ۸۳/۴،و مثله فی تفسیر ابن کثیر ۳۷۰/۱،و ۴۲۰/۴-۴۲۱.

۲- ۲) .الجامع لأحکام القرآن ۲۰۴/۱۸.

۳- ۳) .تفسیر القرآن-للصنعانی-۱۲۱/۱.

۴- ۴) .جامع البیان ۳۵۸/۳.

و قال:قال يحيى بن سلام:قوله: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا :مثل ضربه اللّه يحذّر به عائشه و حفصه فى المخالفه حين تظاهرتا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم،ثمّ ضرب لهما مثلا بامرأه فرعون و مريم بنت عمران؛ترغيبا فى التمسّك بالطاعه و الثبات على الدين (۱).

و قال الشوكانى فى قوله تعالى: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما :

و اخرج ابن جرير،و ابن مردويه،عن ابن عبّاس فى قوله: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ،قال:زاغت و أثمت (۲).و أخرج البزّار و الطبرانى- قال السيوطى:

بسند صحيح-عن ابن عبّاس،قال:قلت لعمر بن الخطّاب:من المرأتان اللتان تظاهرتا؟قال:عائشه و حفصه (۳).

و صغو القلب:ميله إلى الإثم،و زيغه عن سبيل الاستقامه،و عدوله عن الصواب إلى ما يوجب الإثم (۴).و حكى الطبرسى عن مقاتل-فى ذيل السوره-أنّه قال:

يقول اللّه سبحانه لعائشه و حفصه:لا تكونا بمنزله امرأه نوح و امرأه لوط فى المعصيه،و كونا بمنزله امرأه فرعون و مريم (۵).

و روى الطبرى عن الضحّاك فى تفسير قوله تعالى: فَخانَتاهُما .

قال:«فى الدين فخانتاهما»،و قال:«و قوله: فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً ، يقول:فلم يغن نوح و لوط عن امرأتيهما من اللّه-لمّا عاقبهما على خيانتهما أزواجهما-شيئا،و لم ينفعهما أن كان أزواجهما أنبياء»،و روى مثل ذلك

۱- ۱) .الجامع لأحكام القرآن ۲۰۲/۱۸،و روى ذلك ابن الجوزى فى زاد المسير ۵۶/۸.

۲- ۲) .فتح القدير-للشوكانى-۲۵۳/۵.

۳- ۳) .فتح القدير ۲۵۱/۵،و فى صحيح البخارى ۱۹۵/۶-۱۹۷.

۴- ۴) .مجمع البيان-للطبرسى-المجلّد ۳۱۶/۵.

۵- ۵) .مجمع البيان-المجلّد ۳۱۹/۵.

عن قتاده (۱).

و حکی ابن الجوزی فی زاد المسیر عن ابن السائب تفسیر الخیانه بالنفاق،و قال فی قوله عزّ و جلّ: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِینَ کَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ :

قال المفسّرون منهم:مقال هذا المثل یتضمّن تخویف عائشه و حفصه أنّهما إن عصیا ربّهما لم یغن رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم عنهما شیئا (۲).

و قال فی قوله تعالی: وَ إِنْ تَظاهَرا :

و قرأ ابن مسعود،و أبو عبد الرحمن،و مجاهد،و الأعمش:تظاهرا،بتخفیف الظاء؛أی:تعاونا علی النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم بالإیذاء، فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ ،أی:ولیّه فی العون و النصره، وَ جِبْرِیلُ ولیّه وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِینَ (۳).

و حکی أیضا عن الزجّاج فی قوله تعالی: صَغَتْ قُلُوبُکُما :«عدلت و زاغت عن الحقّ» (۴).و قال ابن القیّم فی الأمثال فی القرآن،فی ذیل السوره:

فاشتملت هذه الآیات علی ثلاثه أمثال:مثل للکافر و مثلین للمؤمنین:

فتضمّن مثل الکفّار أنّ الکافر یعاتب علی کفره و عداوته للّه تعالی و رسوله صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم و أولیائه،و لا ینفعه مع کفره ما کان بینه و بین المؤمنین من لحمه نسب أو وصله صهر أو سبب من أسباب الاتّصال؛فإنّ الأسباب کلّها تنقطع یوم القیامه إلّا ما کان منها متّصلا باللّه وحده علی أیدی رسله علیهم الصلاه و السلام،فلو نفعت وصله القرابه و المصاهره و النکاح مع عدم الإیمان لنفعت الصله التی کانت بین نوح و لوط علیهما الصلاه و السلام و امرأتیهما فَلَمْ یُغْنِیا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَیْئاً وَ قِیلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِینَ .

۱- ۱) .جامع البیان ۲۱۷/۲۸-۲۱۸.

۲- ۲) .زاد المسیر-لابن الجوزی-۵۵/۸.

۳- ۳) .زاد المسیر ۵۲/۸.

۴- ۴) .زاد المسیر ۵۲/۸.

إلی أن قال:-فذکر ثلاثه أصناف للنساء:المرأه الکافره التی لها وصله بالرجل الصالح،و المرأه الصالحه التی لها وصله بالرجل الکافر،و المرأه العزبه التی لا وصله بینها و بین أحد،فالأولی لا تنفعها وصلتها و سببها، و الثانیه لا تضرّها وصلتها و سببها،و الثالثه لا یضرّها عدم الصله شیئا.

ثمّ فی هذه الأمثال من الأسرار البدیعه ما یناسب سیاق السوره؛فإنّها سیقت فی ذکر أزواج النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم و التحذیر من تظاهرهنّ علیه،و أنّهن إن لم یطعن اللّه و رسوله صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم و یردن الدار الآخره لم ینفعهن اتّصالهن برسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم،کما لم ینفع امرأه نوح و لوط اتّصالهما بهما،و لهذا ضرب لهما فی هذه السوره مثل اتّصال النکاح دون القرابه.قال یحیی بن سلام:ضرب اللّه المثل الأوّل یحذّر عائشه و حفصه،ثمّ ضرب لهما المثل الثانی یحرّضهما علی التمسّک بالطاعه (۱).

و قال:فی التمثیل بامرأه نوح و لوط تحذیر لها-أی عائشه-و لحفصه ممّا اعتمدتاه فی حقّ النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم،فتضمّنت هذه الأمثال التحذیر لهنّ و التخویف و التحریض لهنّ علی الطاعه و التوحید...و أسرار التنزیل فوق هذا و أجلّ منه،و لا سیّما أسرار الأمثال التی لا یعقلها إلّا العالمون (۲).

و قال ابن کثیر فی ذیل السوره:

ثمّ قال تعالی: ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا لِلَّذِینَ کَفَرُوا ،أی:فی مخالطتهم المسلمین و معاشرتهم لهم،إنّ ذلک لا یجدی عنهم شیئا،و لا ینفعهم عند اللّه إن لم یکن

۱- ۱) .الأمثال فی القرآن-لابن قیم الجوزیه-۵۴-۵۷.

۲- ۲) .الأمثال فی القرآن:۵۸.

الإيمان حاصلا فی قلوبهم.

ثمّ ذکر المثل فقال: اِمْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ کانَتا تَحْتَ عَبْدَیْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَیْنِ ،أی:نبیّین رسولین عندهما فی صحبتهما لیلا و نهارا،یؤاکلانهما و یضاجعانهما و یعاشر انهما أشدّ العشره و الاختلاط، فَخانَتاهُما أی:فی الإیمان،لم توافقاهما علی الإیمان و لا صدّقتاهما فی الرساله،فلم یجد ذلک کلّه شیئا،و لا دفع عنهما محذورا،و لهذا قال: فَلَمْ یُغْنِیا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَیْئاً أی:لکفرهما،و قیل للمرأتین: اُدْخُلَا النّارَ مَعَ الدّاخِلِینَ ،و لیس المراد بقوله: فَخانَتاهُما فی فاحشه بل فی الدین (۱).

و قال الشوکانی-بعد ما حکی قول یحیی بن سلام،المتقدّم فی حکایه القرطبی-:

و ما أحسن من قال:فإنّ ذکر امرأتی النبیّین بعد ذکر قصّتهما-أی عائشه و حفصه-و مظاهرتهما علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم یرشد أتمّ إرشاد و یلوّح أبلغ تلویح إلی أنّ المراد تخویفهما مع سائر أمّهات المؤمنین، و بیان أنّهما و إن کانتا تحت عصمه خیر خلق اللّه و خاتم رسله،فإنّ ذلک لا یغنی عنهما من اللّه شیئا (۲).

ثمّ ذکر حدیث أنّ أفضل نساء أهل الجنّه:خدیجه،و فاطمه،و مریم،و آسیه.و حکی فی مجمع البیان عن مقاتل،فی ذیل السوره:

یقول اللّه سبحانه لعائشه و حفصه:لا تکونا بمنزله امرأه نوح و امرأه لوط فی المعصیه (۳).

و غیر ذلک من کلمات المفسّرین التی توضّح شدّه لحن الخطاب القرآنی فی هذه السوره الموجّه لحفصه و عائشه،و أنّ غائله تظاهرهما هی خیانه دینیه،و نفاق معادی

۱- ۱) .تفسیر ابن کثیر ۴۱۹/۴.

۲- ۲) .فتح القدیر-للشوکانی-۲۵۶/۵.

۳- ۳) .مجمع البیان-المجلّد ۳۱۹/۵.

خطير،و مكيده عظيمه،استدعت هذا التصعيد الشامل فى النفير و التعبئه الإلهيه فى صدر السوره،و التعريض بأقصى الحدّه فى ذيل السوره.

ثمّ إنّ لفظ ظَهِيرٌ بمعنى العون و الحمايه يعطى أنّ المكيده متّصله بمسأله تتعلّق بالحياه الأمنيه لوجود النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و بضميمه كون سبب المكيده هى أمر الخلافه بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و أمر أبى بكر و عمر الذى أفشته حفصه أو عائشه إلى الأخرى-كما مرّ-و من ثمّ إلى أبويهما-كما تقدّمت الإشاره إلى ذلك-.

و بلحاظ كون الحمايه الإلهيه المستنفره بالغه القوّه يقتضى أنّ المكيده لم يكن المتورّط فيها هاتين المرأتين بمفردهما بمجرّد حولهما و قوّتهما،بل كان ذلك على اتّصال و ارتباط بأطراف القضيه،و من يعنيه شأن الحدث،و من له علاقه ماسّه بالخبر المفشى؛ و الذى قد تقدّم أنّ صدر السوره يعطى كون الخبر و الحديث يحمل فى طيّاته إنذارا و تحذيرا،لا بشاره و استهلالا،و إلّا لما اقتضت طبيعه الخبر تولّد المكيده الخطيره و التسبّب لذلك.

و لعظم الخطب فى هذه الحادثه نرى الآيات الأخرى المتوسّطه فى هذه السوره،قد حملت الشدّه نفسها فى الخطاب و التعريض،و لم يحاول المفسّرون من أهل سنّه الجماعه الإلفات إليه،و تغاضوا عن مدلوله،و هى قوله تعالى: عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً ،فإنّ ذكر هذه الصفات تعريض بفقدها فيهما.

قيل:المراد ب مُسْلِماتٍ :مطيعات و منقادات لأمر اللّه تعالى و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قيل:

مخلصات؛و المراد ب مُؤْمِناتٍ :أى:المعتقدات بحقيقه الإيمان؛و التعريض بهذا الوصف يماثل التعريض بما فى ذيل السوره: فَخانَتاهُما بمعنى نافقتاهما و حاددتاهما فى الدين.

و ب قانِتاتٍ :المطيعات الخاضعات المتذلّلات لأمر اللّه تعالى و رسوله؛إذ القنوت هو لزوم الطاعه مع الخضوع،و قد ذكر هذا فى ذيل السوره فى توصيف مريم بنت عمران،

و هو تأكيد للتعريض بالصفه المقابله فيهما.

و ب تائِباتٍ :نادمات،و هو تعريض بعنادهما و إصرارهما.

و ب عابِداتٍ :الطاعه فى العباده،و هو التعريض بطغيان الطرف المقابل.

و ب سائِحاتٍ :قيل:الصيام،و قيل:الهجره؛و على الثانى يكون التعريض بهجره جماعه النفاق و العداء للّه تعالى و لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و ب ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً :فقد أكثر المفسّرون من الروايات فى ذيلها أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم وعد بالزواج من آسيه و هى الثيّب،و مريم و هى البكر فى الآخره،و كذلك رووا أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أوصى خديجه عليها السّلام عند موتها بالتسليم على أظآرها آسيه و مريم و كلثم،فأجابت:

بالرفاه و البنين،و فى ذلك تعريض بأنّهما ليستا زوجتاه فى الآخره.

و الحال نفسه فى الآيات اللاحقه؛إذ التهديد بالنار المتوقّده و الملائكه الغلاظ الشداد،ثمّ قوله تعالى: يَوْمَ لا يُخْزِى اللّهُ النَّبِىَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا (۱)ترغيب فى الانتهاء عن الكيد و المواطأه على الدين و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

قال الشوكانى فى ذيل الآيه:

و أخرج الحاكم و البيهقى فى البعث،عن ابن عبّاس فى قوله تعالى:...الآيه، قال:ليس أحد من الموحّدين إلاّ يعطى نورا يوم القيامه،فأمّا المنافق فيطفأ نوره،و المؤمن مشفق ممّا رأى من إطفاء نور المنافق،فهو يقول: رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا (۲).

و فى الدرّ المنثور عن مجاهد:

قال:قول المؤمنين حين يطفأ نور المنافقين (۳).

۱- ۱) .التحريم۸/.

۲- ۲) .فتح القدير ۲۵۵/۵.

۳- ۳) .الدرّ المنثور ۲۴۵/۶.

و أعظم بها من سوره قد اشتملت على العديد من الدلالات و التلويحات؛تعريضا بأطراف الحادثه،و بالسنن الإلهيه فى مثل هذا النمط من الفتن،التى تحاك كيدا من الوسط الداخلى فى المسلمين.

و قد أفصح بذلك الزمخشرى فى ما مرّ من مقاله:

...و أسرار التنزيل و رموزه فى كلّ باب بالغه من اللطف و الخفاء حدّا يدقّ عن تفطّن العالم و يزلّ عن تبصّره.

و مثله قال الرازى:

و أمّا ضرب المثل بامرأه نوح المسمّاه بواعله،و امرأه لوط المسمّاه بواهله، فمشتمل على فوائد متعدّده لا يعرفها بتمامها إلاّ اللّه تعالى.إلى أن قال:- و منها التنبيه على أنّ التضرّع بالصدق فى حضره اللّه تعالى وسيله إلى الخلاص من العقاب (۱).

و كذلك مقوله ابن القيّم التى تقدّمت،قال-بعد أن ذكر التعريض بهما و تحذيرهما و تخويفهما-:

و أسرار التنزيل فوق هذا و أجلّ منه،و لا سيّما أسرار الأمثال التى لا يعقلها إلاّ العالمون.

و ها قد حان أن ننقل أسرار التنزيل و لطائفه و رموزه،و أسرار الأمثال فى هذه السوره عن أئمّه الهدى من آل محمّد صلوات اللّه عليهم.فقد روى على بن إبراهيم القمّى فى تفسيره،بسند صحيح عن الصادق عليه السّلام فى ذيل الآيه الأولى فى سبب نزولها:

كان سبب نزولها-و ذكر قصّه حلفه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن لا يطأ ماريه،ثمّ إخباره صلّى اللّه عليه و آله و سلم حفصه باستيلاء أبيها على الأمر من بعد استيلاء أبى بكر عليه بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم، و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم لها:«فإن أنت أخبرت به فعليك لعنه اللّه و الملائكه و الناس

۱- ۱) .التفسير الكبير ۵۱/۳.

أجمعين»،و أنّها قالت:من أخبرك بهذا؟قال:اللّه أخبرنى-فأخبرت حفصه عائشه من يومها بذلك،و أخبرت عائشه أبا بكر،فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له:إنّ عائشه أخبرتنى عن حفصه كذا،و لا أثق بقولها،فسل أنت حفصه.فجاء عمر إلى حفصه فقال لها:ما هذا الذى أخبرت عنك عائشه؟ فأنكرت ذلك و قالت:ما قلت لها من ذلك شيئا.فقال لها عمر:إن كان هذا حقّا؟فأخبرينا حتّى نتقدّم فيه.فقالت:نعم،قد قال ذلك رسول اللّه.

فاجتمع أربعه على أن يسمّوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،فنزل جبرئيل بهذه السوره:

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ... تَحِلَّهَ أَيْمانِكُمْ ،يعنى قد أباح اللّه لك أن تكفّر عن يمينك، وَ اللّهُ مَوْلاكُمْ... فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ أى أخبرت به، وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ يعنى:أظهر اللّه نبيّه على ما أخبرت به و ما همّوا به من قتله، عَرَّفَ بَعْضَهُ أى:

أخبرها و قال:«و لم أخبرت بما أخبرتك»به؟ (۱).

صالح المؤمنين و أطراف المواجهه

روى محمّد بن العبّاس،بسنده عن الصادق عليه السّلام:

قال:إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عرّف أصحابه أمير المؤمنين عليه السّلام مرّتين،و ذلك أنّه قال لهم:أ تدرون من وليّكم من بعدى؟،قالوا:اللّه و رسوله أعلم.قال:فإنّ اللّه تبارك و تعالى قد قال: فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام،و هو وليّكم بعدى.و المرّه الثانيه يوم غدير خمّ،قال:من كنت مولاه فعلىّ مولاه (۲).

و قد تقدّم أنّ مقتضى الحادثه و تنازع الأطراف فيها يقتض هذا التوزيع فى طرفى المواجهه،و قد مرّ جمله من روايات أهل سنّه الجماعه فى كون«صالح المؤمنين»هو

۱- ۱) .تفسير القمّى ۳۶۰/۲.

۲- ۲) .تأويل الآيات ۶۶۹/۲ ح ۳.

علیّ علیه السّلام.و لا یخفی سرّ التعبیر بالمفرد المضاف إلی الجمع؛إذ أنّه یختلف عمّا لو کان:

«صالح من المؤمنین»،أو:«صالحو المؤمنین»،فإنّه یقتضی التساوی فی الصلاح و الإیمان، فإفراده من بین مجموع المؤمنین و إدراجه فی سلک انتظام جبرئیل الروح الأمین و الملائکه قاض بعلوّ درجته.

و روی فی الدرّ المنثور،قال:

و أخرج الطبرانی،و ابن مردویه،بسند ضعیف عن ابن عبّاس،عن النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم،قال:«السّبق ثلاثه:فالسابق إلی موسی یوشع بن نون، و السابق إلی عیسی صاحب یس،و السابق إلی محمّد صلّی اللّه علیه[و آله] و سلّم علیّ بن أبی طالب».

و أخرج ابن عساکر من طریق صدقه القرشی،عن رجل،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم:أبو بکر الصدیق خیر أهل الأرض إلّا أن یکون نبیّ،و إلّا مؤمن آل یاسین،و إلّا مؤمن آل فرعون.أی أنّه دون الثلاثه.

و أخرج ابن عدی،و ابن عساکر:«ثلاثه ما کفروا باللّه قط:مؤمن آل یاسین،و علیّ بن أبی طالب،و آسیه امرأه فرعون».

و أخرج البخاری فی تاریخه عن ابن عبّاس،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه [و آله]و سلّم:«الصدّیقون ثلاثه:حزقیل مؤمن آل فرعون،و حبیب النجّار صاحب آل یاسین،و علیّ بن أبی طالب».

و أخرج داود،و أبو نعیم،و ابن عساکر،و الدیلمی،عن ابن أبی لیلی،قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم:«الصدیقون ثلاثه:حبیب النجّار مؤمن آل یاسین،الذی قال: یا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِینَ (۱)،و حزقیل مؤمن آل فرعون،الذی قال: أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ یَقُولَ رَبِّیَ اللّهُ (۲)،و علیّ بن

۱- ۱) .یس ۲۰/.

۲- ۲) .غافر۲۸/.

أبی طالب و هو أفضلهم» (۱).

و رواه الحاکم الحسکانی فی شواهد التنزیل بعدّه طرق (۲).و رواه أحمد فی فضائل علیّ علیه السّلام من فضائل الصحابه (۳).و روی ابن کثیر فی تفسیره:

قال ابن أبی نجیح:عن مجاهد،عن ابن عبّاس: وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ (۴)، قال:یوشع بن نون سبق إلی موسی،و مؤمن آل یس سبق إلی عیسی،و علیّ بن أبی طالب سبق إلی محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم (۵).

و روی مثله السیوطی فی الدرّ المنثور،قال:

و أخرج ابن أبی حاتم،و ابن مردویه،عن ابن عبّاس:...و ذکر مثله.

و قال:«و أخرج ابن مردویه عن ابن عبّاس فی قوله: وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ ،قال:نزلت فی حزقیل مؤمن آل فرعون،و حبیب النجّار الذی ذکر فی یس،و علیّ بن أبی طالب،و کلّ رجل منهم سبق أمّته،و علیّ أفضلهم سبقا» (۶).

و هذه الروایات (۷)من طرقهم قاضیه بأنّ:«صالح المؤمنین»هو علیّ علیه السّلام و هو

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۲۶۲/۵.

۲- ۲) .شواهد التنزیل ۳۰۴/۲-۳۰۵.

۳- ۳) .فضائل الصحابه ۶۲۸/۲ و ۶۵۶.و رواه ابن المغازلی فی مناقبه:۲۴۵،و الروض النضیر ۳۶۸/۵ عن ابن النجّار،و أبی نعیم فی المعرفه،و السلفی فی المشیخه البغدادیه الورقه ۹ ب و ۱۰ ب،و الدار قطنی فی عنوان«خربیل»من کتاب المؤتلف و المختلف ۷۷۰/۲.و رواه السیوطی فی الجامع الصغیر ۵۰/۲ و رمز له بالحسن،و بطریق آخر ضعیف،و رواه أیضا المناوی فی فیض القدیر ۲۳۸/۴؛و قال:و رواه ابن مردویه و الدیلمی.

۴- ۴) .الواقعه ۱۰/.

۵- ۵) .تفسیر ابن کثیر ۳۰۴/۴.

۶- ۶) .الدرّ المنثور ۱۵۴/۶.

۷- ۷) .و ممّن روی أنّ«صالح المؤمنین»هو علیّ علیه السّلام:الآلوسی فی روح المعانی ۱۳۵/۲۸،و ابن کثیر فی تفسیره ۳۸۹/۴،و السیوطی فی الدرّ المنثور ۲۴۴/۶،و الشوکانی فی فتح القدیر ۲۴۶/۵،و ابن بطریق

صدّيق هذه الأمّه الأكبر،و فاروقها الأعظم بين الحقّ و الباطل،و يقتضيه ما روى مستفيضا عند الفريقين أنّه:«قسيم الجنّه و النار».

كما أنّ الأشخاص المعنيين بالخبر المفشى تقتضى السوره و الآيات بتقابلهم و تباينهم مع موقع الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الدين و صالح المؤمنين،و أنّ«صالح المؤمنين» مولى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و وليّه يلى أمره فى الدين،و من ثمّ كانت هذه الآيات فى السوره معلنه لولايه«صالح المؤمنين»،و أنّه وليّهم بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى قبال موقع الطرف الآخر صاحب المكيده و التدبير على الدين و الرسول الأمين صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

الملحمه القرآنيه و الإسرار النبوى

الحديث الذى أسرّ به النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى حفصه-كما تشير إليه سوره التحريم-قد سبق و أن أنبأ به القرآن الكريم فى سوره البقره و فى سوره محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و الأولى من أوائل السور المدينه نزولا،و الثانيه متقدّمه نزولا على سوره التحريم أيضا..

ففى الأولى: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ* وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ* وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ* وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۱).

الملفت للانتباه أنّ فى هذه الآيات جرى التقابل بين طرفين و موقعين فى مجرى

۱- ۱) .البقره۲۰۴/-۲۰۷.

الأحداث فی مسار الأمّه،و هاهنا الطرف الثانی الذی تتعرّض له الآیات بالمدیح و الثناء،و بیان أنّه المؤهّل لولایه الأمر من قبله تعالی؛بقرینه تقریع الآیات للطرف الأوّل،الذی تتوقّع استیلاءه علی مقالید الأمور،و تذکر له العدید من الصفات،مثل:حلاوه المقال مع عداوه القلب،و خصامه الکثیر و لجاجه،و قساوته عند تولّیه الأمور بتغریب النتاج المدنی البشری،و الإباده للطبیعه البشریه.

و هاهنا الآیات لم تصف النسل البشری بصفه خاصّه،ممّا یعطی أنّ التقریع للإباده موردها الطبیعه البشریه من حیث هی محترمه کخلق للّه تعالی،بغضّ النظر عن الحرمه من جهه الإیمان أو الإسلام،و هذا مؤشّر علی موارد وقوع هذه الصفه المتنبأ بها فی الآیات،و قد مرّت الإشاره إلی هذا البحث فی سابق.

و الحاصل إنّ الطرف الثانی الذی تمدحه الآیات هو فی مقابل الطرف الأوّل المذموم لتولّی الأمر.و الممدوح هاهنا کما هو معروف من الروایات و لدی المفسّرین هو علیّ بن أبی طالب علیه السّلام؛إذ فدّی نفسه للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی لیله المبیت علی فراشه.

و فی السوره الثانیه قال تعالی: فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَهٌ مُحْکَمَهٌ وَ ذُکِرَ فِیهَا الْقِتالُ رَأَیْتَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ نَظَرَ الْمَغْشِیِّ عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلی لَهُمْ* طاعَهٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَکانَ خَیْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَکُمْ* أُولئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمی أَبْصارَهُمْ (۱).

هذه الآیات تشیر إلی وقوع استیلاء علی مقالید الأمور من قبل فئه من المسلمین، و هم: اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ،و هذا العنوان قد أشار القرآن الکریم إلی وجوده بین صفوف المسلمین منذ بدایه نشأه الإسلام،کما فی سوره«المدّثر»،رابع سوره نزلت علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی مکّه فی أوائل البعثه.

و هذا التقارن بین سوره المدّثر و سوره محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم دالّ علی أنّ هدف هذه الفئه

۱- ۱) .محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم۲۰/-۲۳.

من الدخول فی الإسلام منذ أوائل عهده هو الوصول إلی مسند القدره و زمام الأمور بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کما هو طمع و هدف أعلن علی لسان کثیر من القبائل التی کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم یدعوها للدخول فی الإسلام؛فقد کانت مشارطتهم للدخول فی الدین استخلافهم علی زمام الأمور بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و کان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم یرفض هذا الشرط،و یجیب بأنّ ذلک لیس له،بل للّه عزّ و جلّ ربّ العالمین.

و مع انضمام سوره التحریم إلی السور السابقه یتّضح جلیّا مفاد الإشاره فی السور القرآنیه،و تتبیّن أوصاف من تعرّض به الملحمه القرآنیه.و قد وقع نظیر هذه الأنباء من الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم حول مجریات الاستیلاء علی السلطه بعده.فقد روی البخاری،عن عمر بن یحیی بن سعید بن عمرو بن سعید:

قال:أخبرنی جدّی،قال:کنت جالسا مع أبی هریره فی مسجد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالمدینه و معنا مروان،قال أبو هریره:سمعت الصادق المصدّق یقول:هلکه أمّتی علی یدی غلمه من قریش،فقال مروان:لعنه اللّه علیهم غلمه.فقال أبو هریره:لو شئت أن أقول بنی فلان بنی فلان لفعلت.

فکنت أخرج مع جدّی إلی بنی مروان حین ملکوا بالشام،فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا:عسی هؤلاء أن یکونوا منهم.قلنا:أنت أعلم (۱).

قال ابن حجر فی شرحه:

قال ابن بطّال:جاء المراد بالهلاک مبیّنا فی حدیث آخر لأبی هریره أخرجه علی بن معبد،و ابن أبی شیبه من وجه آخر عن أبی هریره،رفعه:أعوذ باللّه من إماره الصبیان.قالوا و ما إماره الصبیان؟قال:إن أطعتموهم هلکتم-أی فی دینکم-و إن عصیتموهم أهلکوکم،إن فی دنیاکم بإزهاق النفس،أو بإذهاب المال،أو بهما.

۱- ۱) .صحیح البخاری:کتاب الفتن ب ۳-فتح الباری ۹/۱۳.

و فی روایه ابن أبی شیبه:(إنّ أبا هریره کان یمشی فی السوق و یقول:اللّهمّ لا تدرکنی سنه ستّین و لا إماره الصبیان)،و فی هذا إشاره إلی أنّ أوّل الأغیلمه کان فی سنه ستّین،و هو کذلک؛فإنّ یزید بن معاویه استخلف فیها.

إلی أن قال:-تنبیه:یتعجّب من لعن مروان الظلمه المذکورین مع أنّ الظاهر أنّهم من ولده،فکأنّ اللّه تعالی أجری ذلک علی لسانه لیکون أشدّ فی الحجّه علیهم لعلّهم یتّعظون.و قد وردت أحادیث فی لعن الحکم والد مروان و ما ولد،أخرجها الطبرانی و غیره،غالبها فیه مقال،و بعضها جیّد (۱).

و کذا ما رواه البخاری فی الباب الثانی من کتاب الفتن-و عنونه:باب قول النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«سترون بعدی أمورا تنکرونها»-:«و قال عبد اللّه بن زید،قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:اصبروا حتّی تلقونی علی الحوض»!!

ثمّ روی البخاری أحادیث فی الباب تدعو إلی السکوت عن سلاطین الجور و الإطاعه لهم،و هی أشبه بنصوص السلطه من النصوص النبویه.قال تعالی: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ (۲).و قال تعالی: اَلْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالْمُنْکَرِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ (۳).

و قال تعالی: وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النّارُ (۴).

و بمثل هذه الملحمه القرآنیه و الإسرار النبوی ما رواه البخاری أیضا فی کتاب الفتن:الباب الأوّل و الرابع من اقتراب الفتن بعده صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و إحداث أصحابه بعده صلّی اللّه علیه و آله و سلم.و کلّ ذلک خارج مخرج التحذیر و الإنذار.. حِکْمَهٌ بالِغَهٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ (۵).

۱- ۱) .فتح الباری ۱۳/۱۰-۱۱.

۲- ۲) .التوبه(البراءه)۷۱/.

۳- ۳) .التوبه(البراءه)۶۷/.

۴- ۴) .هود۱۱۳/.

۵- ۵) .القمر۵/.

۹–آفاق الوحده

اشاره

ص:۲۷۳

إنّ مسأله الفتوحات طرحت تاره تمهيدا لعداله الصحابه و دليلا لها كوجه تاريخى- و قد مرّ البحث عنه مبسوطا-و أخرى تمهيدا للوحده الإسلاميه بين المذاهب و الفرق.و هنا نشرع-بعون اللّه الملك العلاّم-فى هذا البحث المهم و هو:

إنّ كثيرا من الضلالات ناشئه من العمى فى البصيره،قال تعالى: فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ (۱)و قال: فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِىَ فَعَلَيْها (۲).و العمى فى البصيره ينشأ من أسباب مختلفه،تاره من ضحاله فى العلم و الفقه،و أخرى من اتّباع الهوى و المصالح الدنيويه القصيره المدى،و إذا اجتمع السببان فالطامّه الدهياء بين العمى و الازدواجيه.

قال تعالى: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَهٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ* وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّهٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۳).

هذه الآيه الكريمه كما تعيّن مدار وحده المسلمين فهى تنبّأ بملحمه خطيره،هى:

۱- ۱) .الحجّ۴۶/.

۲- ۲) .سوره الأنعام۱۰۴/.

۳- ۳) .آل عمران۱۰۳/-۱۰۴.

أنّ الوحده الإسلاميه لم و لن تتمّ و لا تتحقّق فی هذه الأمّه و تنال تلک السعاده فی ظلّ الألفه الأخویه إلّا بالاعتصام ب«حبل اللّه»،أی التمسّک بحبل اللّه،فیکون هذا الحبل عاصما عن الفرقه،و عن السقوط فی الهاویه،و عن الضیاع فی المتاهات؛فما هو«حبل اللّه»،و ما هو سرّ التعبیر ب«الحبل»؟!

ل«حبل اللّه»-کما لکلّ حبل-طرفان،طرف تستمسک به الأمّه،و طرف آخر عند اللّه تعالی،أی أنّ هذا الحبل شیء رابط بین البشریه و الغیب،و سبب متّصل بین الأرض و السماء،فلا بدّ أن یکون قطب الوحده و مرکز الاتّحاد سبب موصل مطّلع علی الغیب؛ و هذا یعطی أنّ سفینه الوحده و الاتّحاد یجب أن ترسو علی ما هو حقّ و حقیقه،لا التوافق علی الهوی و الهوس.

و سیاق الآیه الثانیه المتّصله یصرّح بأنّ الوحده یجب أن تکون علی الخیر و المعروف و الاجتناب عن المنکر،بحسب الواقع و الحقیقه،فلو حصلت وحده علی المنکر و اجتناب المعروف،لکانت هذه فرقه فی منطق القرآن الکریم؛لأنّ الناس افترقوا و ابتعدوا عن الحقّ.

و هذا یدلّ علی أنّ الحقّ و المعروف له وجود و حقیقه فی نفس الأمر،اتّفقت کلمه الأمّه علیه أم لم تتّفق،و لیس الحقّ ناتجا و متولّدا من اتّفاق الأمّه کی یقال:«کلّ ما اتّفقت الأمّه علیه فهو حقّ،و کلّ ما لم تتّفق علیه فهو باطل».

و من ثمّ کان الحسن و القبح فی الأفعال،و الصفات،و الاعتقادات ذاتی،تکوینی، عقلی،حقیقی؛إذ لیس حسن الشیء بسبب رأی الأکثریه أو توافق الکلّ علی مدحه،و لا قبح الشیء بسبب رأی الأکثریه أو توافق الکلّ علی ذمّه،بل الحسن و المدح و الثناء ذاتی؛ للکمال،و القبح و الذمّ و الهجاء ذاتی؛للنقص،و من ذلک یعلم أنّ الثابت الدینی لیس ولید الوفاق بل هو مرهون بالأدلّه و البراهین.

فإذا کان الحقّ ثابت فی نفسه فیجب إقامه الوحده علی أساسه،لا أن تقام الوحده علی أساس الباطل أو الحقّ الممزوج بالباطل،فنقیم الاتّحاد و لو علی النهج السقیفی أو

الأموی أو العبّاسی،بل هذا اتّحاد علی الغوایه و تعاون علی الإثم و العدوان،و من ثمّ لم یبال سیّد الشهداء علیه السّلام أن یشقّ عصا المسلمین المتآلفین علی النهج الیزیدی،و قال:

إنّما خرجت لطلب الإصلاح فی أمّه جدّی،أرید أن آمر بالمعروف و أنهی عن المنکر.

فالاصلاح و النصیحه للمسلمین لیس بإقرارهم علی ما هم علیه من الفساد و الغوایه،بل هو بأمرهم بالمعروف و الحقیقه و نهیهم عن المنکر و الباطل،و دعوتهم للتعاون علی السیر علی نهج الحقّ و الصراط المستقیم.

و خذ مثالا لذلک:لو شاهدت مدمنا علی المخدّرات و أردت أن تنصحه،فإنّ نصیحته لیست بمدحه علی فعله و تحسینه له؛فهو غشّ و دغل و احتیال،بل نصیحته بتعلیمه بسوء ما هو علیه و قبحه،و إرشاده إلی الطریق السوی..

و کما قام سیّد الشهداء بتفرقه الجماعه المتجمّعه علی الباطل،قام جدّه النبیّ المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلم بتفرقه المجتمع المکّی القرشی،الذی کان متّحدا علی عباده الأوثان،و أرشدهم بالأسلوب التدریجی،و بالحکمه و الموعظه،و بالتی هی أحسن،و المداراه،إلی طریق الصواب و الهدایه،و لم تکن مداراته بمعنی ذوبانه فی أرجاس الجاهلیه و مداهنته لزیغهم و غیّهم،نعم لا یکون العلاج إلّا تدریجیا و بتعقّل و تروّی و تؤده.

و لک أن تعتبر بسیره سیّد الشهداء علیه السّلام،فإنّه لمّا رأی العالم الإسلامی ساکت علی تولّی یزید بن معاویه للأمور وفاقا سکوتیا أخذ فی توعیه الناس فی المدینه المنوّره،ثمّ فی مکّه عدّه أشهر،یلتقی بوفود المسلمین فی العمره و موسم الحجّ و یخطب فیهم،إلی أن أثمرت جهوده علیه السّلام و بانت فی مخالفه أهل العراق للسلطه الأمویه،فخالفوا وحده الصفّ التی کانت فی جانب یزید،و أخذ فی توسیع القاعده الشعبیه المخالفه کی تصبح أکثریه، ثمّ توجّه صوب العراق لإنجاز الإصلاح فی الأمّه،فلمّا رأی عوده أهل العراق عن مخالفه الصفّ الیزیدی و اتّحادهم مع الوفاق الأموی،لم یستسلم للوحده علی الباطل و الغی حتّی استشهد إحیاء لفریضه الإصلاح و الأمر بالوحده علی المعروف و الانتهاء عن المنکر.

فترى أنّ سيّد الشهداء عليه السّلام لم يقم وزنا للوحده و الاتّحاد على الخطأ و الباطل، و أشاد بالوحده على طريق الحقّ و الهدايه،و هذا هو معنى أنّ الحسن و القبح للأشياء ذاتيا واقعيا،و ليس اعتباريا خاضعا لرأى الأكثريه و المجموع و توافقهم.

روى الصدوق فى معانى الأخبار عن ابن حميد رفعه،قال:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:أخبرنى عن السنّه و البدعه،و عن الجماعه و عن الفرقه؟فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:السنّه:ما سنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و البدعه:ما أحدث من بعده،و الجماعه:أهل الحقّ و إن كانوا قليلا،و الفرقه:أهل الباطل و إن كانوا كثيرا (۱).

و روى النعمانى بسنده فى كتاب الغيبه عن ابن نباته،قال:

سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام على منبر الكوفه يقول:أيّها الناس!أنا أنف الهدى و عيناه،أيّها الناس!لا تستوحشوا فى طريق الهدى لقلّه من يسلكه،إنّ الناس اجتمعوا على مائده قليل شبعها كثير جوعها (۲).

و فى روايه هشام المعروفه عن موسى بن جعفر عليه السّلام:

يا هشام!ثمّ ذمّ اللّه الكثره فقال: وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ (۳)،و قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۴)،و قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۵)

۱- ۱) .معانى الأخبار:۱۵۴-۱۵۵ ح ۳،بحار الأنوار ۲۶۶/۲ ح ۲۳.

۲ - ۲) .انظر:الغيبه-للشيخ النعمانى-۱۷۰،الإرشاد-للشيخ المفيد-۲۷۶/۱،بحار الأنوار ۲۶۶/۲ ح ۲۷،نهج البلاغه-لمحمّد عبده-۲۰۷/۲ رقم ۱۹۶.

۳- ۳) .الأنعام۱۱۶/.

۴- ۴) .لقمان۲۵/.

۵- ۵) .العنكبوت۶۳/.

یـا هشـام!ثمّ مـدح القلّه فقال: وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکورُ (۱)،و قـال: وَ قَلِیلٌ ما هُمْ (۲)،و قـال: وَ قـالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمـانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ یَقُولَ رَبِّیَ اللّهُ (۳)،و قـال: وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَلِیلٌ (۴)،و قال: وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۵)،و قال: وَ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ (۶)،و قال: أَکْثَرَهُمْ لا یَشْکُرُونَ (۷)..الحدیث (۸).

و لاـ یخفی أنّ الروایـات فی صـدد بیـان ضوابـط و موازین البصـیره الحقّه و تمییزها عن الباطل،لا فی مقام ترک المسـئولیه تجاه الأکثریه و القیام بواجب هدایتهم و إرشادهم، و العنایه بأمورهم بالإصلاح و تقویم العوج و إزاله الفساد،بل هی فی مقام بیان أنّ الاعتـداد بشـأن موازین منطق التفکیر التی هی موازین العلم و العقـل و الفطره و السـنّه غیر المحرّفه لا یکون بالمنطق الأکثری بل بالقیم و المبادئ التی تتضمّن هذه الموازین.

روی فی مستطرفات السرائر بسنده عن أبی الحسن موسی علیه السّلام،قال:

قال لی:أبلغ خیرا و قل خیرا و لا تکوننّ إمّعه.قلت:و ما الإمّعه؟قال:لا تقل أنا مع الناس و أنا کواحد من الناس؛إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سـلم قال:یا أیّها الناس! إنّما هما نجـدان:نجـد الخیر،و نجد الشـرّ،فلا یکن نجد الشـرّ أحبّ إلیکم من نجد الخیر (۹).

و الإمّعه:الذی لا رأی له،فهو یتابع کلّ أحد علی رأیه،و الذی یقول لکلّ أحد:أنا

۱- ۱) .سبأ۱۳/.

۲- ۲) .ص۲۴/.

۳- ۳) .غافر۲۸/.

۴- ۴) .هود۴۰/.

۵- ۵) .الأنعام۳۷/؛و تکرّرت هذه الآیه فی سور عدیده أخری.

۶- ۶) .المائده۱۰۳/.

۷- ۷) .یونس۶۰/،سوره النمل۷۳/.

۸- ۸) .الکافی ۱۲/۱ ضمن ح ۱۲.

۹- ۹) .مستطرفات السرائر(ضمن السرائر)۵۹۵/۳،الاختصاص:۳۴۳،الأمالی-للشیخ المفید-۲۱۰ ح ۴۷، بحار الأنوار ۶۲/۲۱.

معک،أنا مع الناس.

و روی الصدوق بسنده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه قال لرجل من أصحابه:

لا تکون إمّعه،تقول:أنا مع الناس،و أنا کواحد من الناس (۱).

و هذه الأحادیث أیضا فی مقام تخطئه التأثّر من رأی الأکثریه بسبب الأکثریه، و الحثّ علی التمسّک بما هو مقتضی البدیهه الفطریه و الضروره الدینیه،و هناک توصیات عدیده فی القرآن و السنّه علی طریقه التفکیر و الاعتقاد کمنهج منطقی دینی لا یسع المقام ذکرها.

ثمّ إنّ آیه الاعتصام بحبل اللّه تعالی تتضمّن نبوءه بملحمه قرآنیه مهمّه،و هی:أنّ وحده الأمّه الإسلامیه لا و لن تتمّ إلّا بالتمسّک جمیعا بحبل اللّه،فلا تأمل هذه الأمّه یوما ما فی الخلاص من ذلّ الفرقه و التشتّت و الضعف أمام الأعداء بدون التمسّک بحبل اللّه.

و الرغبه فی الوحده بأن تکون علی محور الاعتصام بحبل اللّه کی لا یقعوا فی الفرقه؛فحبل اللّه هو العاصم من الفرقه،و بدونه سوف تکون الرغبه فی الوحده حلما و شعارا أجوف و مجرّد تشدّق باللسان.

و حبل اللّه الذی یدعو إلیه القرآن الکریم هو:الثقلان؛لأنّه حبل طرف منه عند الناس و طرف آخر عند اللّه،و هذا القرآن الکریم قد تضمّنت عدّه سور قرآنیه منه التشدید علی أنّ للقرآن قرینا و ملازما لا یفترق عنه،هو ثلّه مطهّره من هذه الأمّه،لدیها علم الکتاب؛فقد قال تعالی فی سوره الواقعه: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ* فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ* لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ* أَ فَبِهذَا الْحَدِیثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ* وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَکُمْ أَنَّکُمْ تُکَذِّبُونَ (۲).

۱- ۱) .معانی الأخبار:۲۲۶ ح ۱،بحار الأنوار ۲۶/۲.

۲- ۲) .الواقعه۷۵/-۸۲.

فذكر تعالى أنّ للقرآن وجودا علويا غيبيا غير ما تنزّل منه،لا يصل إلى حقيقته و حقائق ذلك الوجود غير المطهّرين-بصيغه الجمع-من هذه الأمّه،و هم الموصوفون بالطهاره فى قوله تعالى: إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (۱).

و كذلك قال تعالى: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَهً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ (۲).

و قد اعترف الفخر الرازى-و إن لم تكن أهمّيه لاعترافه فأهمّيه القرآن ذاتيه-أنّ الآيه دالّه على وجود شخص فى زمن لا يزل و لا يخطأ يكون شاهدا على أمّه كلّ قرن (۳)، و إلّا فكيف يكون شاهدا و هو مشهود عليه بالذنب أو الضلاله؛كما تبيّن الآيه من سوره العنكبوت: بَلْ هُوَ -أى الكتاب أو القرآن- آياتٌ بَيِّناتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظّالِمُونَ (۴)و مثله قوله تعالى فى سوره الرعد: قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ (۵)و غيرها من آيات الثقلين و أنّهما مقترنان معا لا يفترقان.

و الحاصل أنّ آيه الاعتصام تنبّأ بملحمه مهمّه،و هى:أنّ ضعف و ذلّ هذه الأمّه لفرقتها لا يزول بغير الاعتصام بحبل اللّه،و هما الثقلان:الكتاب و العتره،و بذلك تتحقّق الوحده.و قد أشارت الصدّيقه الزهراء عليها السّلام بنت المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى هذه الملحمه القرآنيه فى خطبتها:

فجعل الإيمان تطهيرا لكم من الشرك...و طاعتنا نظاما للملّه و إمامتنا أمانا

۱- ۱) .الأحزاب۳۳/.

۲- ۲) .النحل۸۹/.

۳- ۳) .انظر:التفسير الكبير-ذيل الآيه ۸۹ من سوره النحل.

۴- ۴) .العنكبوت۴۹/.

۵- ۵) .الرعد۴۳/.

من الفرقه (۱).

و المرتضی علیه السّلام وصیّ المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی خطبته القاصعه-و هی من أعظم خطبه صلوات اللّه علیه؛إذ یصف فیها ولایه أهل البیت علیهم السّلام أنّها توحید للّه تعالی فی الطاعه- یقول:

فانظروا إلی مواقع نعم اللّه علیهم حین بعث إلیهم رسولا؛فعقد بملّته طاعتهم،و جمع علی دعوته ألفتهم،کیف نشرت النعمه علیهم جناح کرامتها، و أسالت لهم جداول نعیمها...

و تعطفت الأمور علیهم فی ذری ملک ثابت،فهم حکّام علی العالمین و ملوک فی أطراف الأرضین،یملکون الأمور علی من یملکها علیهم،و یمضون الأحکام فی من کان یمضیها فیهم...

ألا و إنّکم قد نفضتم أیدیکم من حبل الطاعه،و ثلمتم حصن اللّه المضروب علیکم بأحکام الجاهلیه،فإنّ اللّه سبحانه قد امتنّ علی جماعه هذه الأمّه فی ما عقد بینهم من حبل هذه الألفه التی ینتقلون فی ظلّها،و یأوون إلی کنفها، بنعمه لا یعرف أحد من المخلوقین لها قیمه؛لأنّها أرجح من کلّ ثمن،و أجلّ من کلّ خطر.

و اعلموا أنّکم صرتم بعد الهجره أعرابا،و بعد الموالاه أحزابا،ما تتعلّقون من الإسلام إلاّ باسمه،و لا تعرفون من الإیمان إلاّ رسمه،تقولون:النار و لا العار!کأنّکم تریدون أن تکفئوا الإسلام علی وجهه انتهاکا لحریمه،و نقضا لمیثاقه الذی وضعه اللّه لکم،حرما فی أرضه،و أمنا بین خلقه،و إنّکم إن لجأتم إلی غیره حاربکم أهل الکفر،ثمّ لا جبرائیل و لا میکائیل و لا مهاجرون و لا أنصار ینصرونکم إلاّ المقارعه بالسیف حتّی یحکم اللّه

۱- ۱) .الاحتجاج-للطبرسی-۲۵۸/۱ ضمن ح ۴۹،کشف الغمّه-للإربلی-۴۸۳/۱.

بینکم (۱).

فقوله علیه السّلام:«فعقد بملّته طاعتهم،و جمع علی دعوته ألفتهم...قد نفضتم أیدیکم من حبل الطاعه،و ثلمتم حصن اللّه المضروب علیکم...»إنّ منّه اللّه علی جماعه و وحده الأمّه هو بتوسّط ذلک الحبل،حبل الطاعه،و هو حبل الألفه،و إنّ فی مقابل الموالاه الأحزاب، أیّ التفرّق و الفرقه؛فلا نصره لهم من اللّه تعالی و ملائکته و المؤمنین،کما أنّه علیه السّلام أخبر الأمّه بملحمه مستقبلیه،هی الملحمه القرآنیه فی آیه الاعتصام،أنّهم سیتفرّقون و یضعفون أمام الکفر و تکالب الأعداء و کثره الحروب حتّی یقدّر اللّه تعالی النهایه،و لعلّه إشاره إلی عصر الظهور.

و لا یخفی الاقتباس فی تعبیره علیه السّلام بالحبل و إنّه الطاعه؛إذ تضمّن الإشاره إلی آیه الاعتصام من الفرقه بحبل اللّه،و أنّه طاعتهم و ولایتهم.فلا یأمل و لا یحلم المسلمون بتحقّق الألفه و الوحده و القدره لهم علی أعدائهم من دون التمسّک بحبل اللّه،المتمثّل بولایه و طاعه أهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أنّ إنشاد الوحده من دون ذلک ممتنع.

و هذا الإخبار من القرآن و من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أهل بیته علیهم السّلام إخبار إعجاز و تحدّ للمسلمین؛یعضد ذلک العقل و المشاهده العیانیه الاستقرائیه لأوضاع المسلمین...

أمّا العقل:فإنّ المسلمین إن لم یرجعوا فی عقائدهم،و من ثمّ فی أحکامهم و قوانینهم إلی مصدر واحد،فکیف یتمّ لهم الاتّفاق فی نظامهم السیاسی و الاجتماعی و المذهبی؟!

و أمّا المشاهده العیانیه الاستقرائیه:فهی حاصله بأنّ مذاهب العامّه لا تکاد تنحصر فی عدد معیّن،و حصرها فی أربعه ما هو إلاّ من فعل الخلافه العبّاسیه فی القرن الرابع الهجری،و إلاّ فمذاهب فقهائهم کثیره کاثره،و هی لا تزال فی تشعّب مذهبی-أی فی أصول القواعد-و فقهی و اعتقادی،و لم یبق من الأربعه إلاّ العدد فقط،فهناک-الآن-

---

۱- ۱) .نهج البلاغه:خطبه ۱۹۲-القاصعه.

مـذاهب الوهّـابيّه و الظاهريه و الأباضـيه و التكفير و الهجره،و هلمّ جرّا؛فكيف يرجى خلاص الأمّه و هم يتّبعون مـذاهب فقهيه و اعتقاديه هى فى الأصل من وضع الأمويّين و العبّاسيّين،أى فقه السلاطين و اعتقاداتهم؟!

ففقهـاؤهم قاطبه-إلّا ما شـذّ و نـدر-يحرّمون الخروج على سـلطان الجور،بلغ ما بلغ غيّه و فساده و جوره،ما لم يكن كفرا بواحا،و إن كان وصوله إلى السـلطه بالتغلّب و القهر و السيف؛فهل ترى للأمّه الإسلاميه من خلاص و نصره على عدوّها و الحال أنّ على رقاب و رءوس المسلمين حكّاما خونه؟!

قال المزّى:

و قال أبو العبّاس ابن عقده-و ذكر المزّى السند إلى حسن بن زياد،يقول:

سمعت أبـا حنيفه و سـأله:من أفقه من رأيت؟فقـال:ما رأيت أحـدا أفقه من جعفر بن محمّـد.لمّا أقـدمه المنصور الحيره بعث إلىّ فقال:يا أبا حنيفه!إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد،فهيّئ له من مسائلك الصعاب.قال:فهيأت له أربعين مسأله.

ثمّ بعث إلىّ أبو جعفر فأتيته بالحيره،فدخلت عليه و جعفر جالس عن يمينه،فلمّا بصرت بهما دخلنى لجعفر من الهيبه ما لم يدخل لأبى جعفر.

فسـلّمت،و أذن لى،فجلست.ثمّ التفت إلى جعفر فقال:يا أبا عبـد اللّه!تعرف هـذا؟قال:نعم،هذا أبو حنيفه.ثمّ أتبعها:قد أتانا (۱).ثمّ قال:يا أبا حنيفه! هات من مسائلك نسأل أبا عبد اللّه.

و ابتـدأت أسـأله،و كان يقول فى المسأله:أنتم تقولون فيها كـذا و كـذا،و أهل المـدينه يقولون كـذا و كـذا و نحن نقول كـذا و كذا،فربّما تابعنا،و ربّما تابع أهل المدينه،و ربّما خالفنا جميعا،حتّى أتيت على أربعين مسأله ما أحزم منها

۱- ۱) .الظاهر أنّ المراد:تتلمذ عندنا،كما ذكر ذلك المزّى أيضا فى تهذيب الكمال:أنّ أبا حنيفه تتلمذ عنده عليه السّلام.

مسأله.ثمّ قال أبو حنيفه:أ ليس قد روينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس (۱).

فها أنّك ترى أنّ أبا حنيفه يستخدمه الخليفه العبّاسى آله طيّعه ليقابل تنامى نفوذ الإمام الصادق عليه السّلام فى المسلمين،و مثله الحال فى بقيه فقهائهم.قال الحافظ ابن عبد البرّ:

إنّ محمّد بن سعد قال:سمعت مالك ابن أنس يقول:لمّا حجّ أبو جعفر المنصور دعانى،فدخلت عليه فحادثته،و سألنى فأجبته،فقال:إنّى عزمت أن آمر بكتبك هذه التى وضعت(يعنى الموطّأ)فتنسخ نسخا ثمّ أبعث إلى كلّ مصر من أمصار المسلمين منها نسخه،و آمرهم أن يعملوا بما فيها و لا يتعدّوها إلى غيرها!فإنّى رأيت أصل العلم روايه أهل المدينه و علمهم (۲).

و قد ذكر هذه الحادثه ابن قتيبه الدينورى،و ذكر دخول أكثر فقهاء العامّه على المنصور،كسفيان الثورى،و ابن ابى ذؤيب،و ابن سمعان،و أنّ المنصور خطب فيهم ثمّ قسّم عليهم أموالا،و أنّ بعضهم أخذها،و منهم مالك،و أنّ المهدى العبّاسى أمر لمالك بأربعه آلاف دينار مكافأه على كتابه الموطّأ،و لابنه بألف دينار،و أنّ هارون بالغ فى الحفاوه به أيضا (۳).

فبدون ولايه و طاعه المعصوم لا سبيل للنجاه من الفرقه؛إذ الأهواء المتّبعه مدعاه للفرقه،و الجهل و الجهالات المتفشّيه هى الأخرى موجبه لاختلاف القول و الرأى، و بالتالى اختلاف الكلمه.

و توحيد الكلمه الذى هو مظهر التوحيد الإلهى لا يتحقّق إلّا بإمامه أهل البيت عليهم السّلام؛و ذلك لأنّ توحيد اللّه تعالى على مقامات و مواطن،فمنه توحيد الذات و الصفات و الأفعال،و التوحيد فى العباده بالإخلاص،و التوحيد فى التشريع و هو النبوّه،و

۱- ۱) .تهذيب الكمال ۷۹/۵.

۲- ۲) .كتاب الانتقاء:۴۱.

۳- ۳) .انظر:الإمامه و السياسه:۲۰۸،۲۰۳،۱۹۵،۱۹۳.

التوحید فی الغایه و هی المعاد،و التوحید فی الطاعه و الولایه و هی الإمامه؛إذ أنّ الأئمّه المعصومین هم أوعیه مشیئه و إراده اللّه تعالی،فقیادتهم هی حاکمیه لمشیئه اللّه تعالی و إرادته.

و لن یستکمل التوحید حتّی یعمّ قوله تعالی: إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ (۱)کلّ المواطن،و إلاّ فعزل الباری عن مسرح الحیاه البشریه و قصر التوحید علی الذات و الصفات -کما یصنع العلمانیون-لیس إلاّ توحید أجوف صوری،کما أنّ التوحید فی التشریع -النبوّه- دون التوحید فی التطبیق هو الآخر توحید نظری بدون تطبیق،کما قال الإمام علیّ علیه السّلام:«احتجّوا بالشجره و أضاعوا الثمره» (۲)،أی ثمره النبوّه و هی الولایه لأهل البیت علیهم السّلام،فولایتهم و إمامتهم نهایه معاقل التوحید و زبده مواطنه،و هو الامتحان الذی فشل فیه إبلیس الرجیم؛إذ لم یکفر بتوحید الذات و لا الصفات بحسب الظاهر و لا بالمعاد،بل کفر بولایه آدم و خلافته،أی بالتوحید فی مقام الطاعه و الولایه،فنجم عن ذلک کفره و حبط عمله،و إلی ذلک یشیر أمیر المؤمنین علیه السّلام فی خطبته القاصعه الطویله، و سنشیر إلی مقطعین منها.

الأوّل: «الحمد للّه الذی لیس العزّ و الکبریاء،و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمی و حرما علی غیره،و اصطفاهما لجلاله،و جعل اللعنه علی من نازعه فیهما من عباده.

ثمّ اختبر بذلک ملائکته المقرّبین لیمیز المتواضعین منهم من المستکبرین؛فقال سبحانه و هو العالم بمضمرات القلوب و محجوبات الغیوب: إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ* فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ* فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاّ إِبْلِیسَ (۳)اعترضته الحمیه فافتخر علی آدم بخلقه،و تعصّب علیه لأصله،فعدوّ اللّه

۱- ۱) .الأنعام۵۷/،یوسف ۴۰/ و ۶۷.

۲- ۲) .نهج البلاغه/الخطبه القاصعه.

۳- ۳) .ص ۷۱/-۷۴.

إمام المتعصّبين،و سلف المتكبّرين،الذى وضع أساس العصبيه،و نازع اللّه رداء الجبريه، و ادّرع لباس التعزّز،و خلع قناع التذلّل.

ألا ترون كيف صغّره اللّه بتكبيره،و وضعه بترفّعه،فجعله فى الدنيا مدحورا، و أعدّ له فى الآخره سعيرا،فاعتبروا بما كان من فعل اللّه بإبليس؛إذ أحبط عمله الطويل و جهده الجهيد-و كان قد عبد اللّه ستّه آلاف سنه لا يدرى أ من سنىّ الدنيا أم من سنىّ الآخره-عن كبر ساعه واحده،فمن ذا بعد إبليس يسلم على اللّه بمثل معصيته...».

الثانى: «فاحذروا عباد اللّه!أن يعديكم بدائه،و أن يستفزّكم بندائه...ألا و قد أمعنتم فى البغى،و أفسدتم فى الأرض،مصارحه للّه بالمناصبه،و مبارزه للمؤمنين بالمحاربه،فاللّه اللّه فى كبر الحميه،و فخر الجاهليه...ألا- فالحذر الحذر من طاعه ساداتكم و كبرائكم!الّذين تكبّروا عن حسبهم،و ترفّعوا فوق نسبهم،و ألقوا الهجينه على ربّهم-أى قبحوا فعل ربّهم-و جاحدوا اللّه على ما صنع بهم؛مكابره لقضائه، و مغالبه لآلائه،فإنّهم قواعد أساس العصبيه،و دعائم أركان الفتنه،و سيوف عنزاء الجاهليه،فاتقوا اللّه...

و لا- تطيعوا الأدعياء الّذين شربتم بصفوكم كدرهم،و خلطتم بصحّتكم مرضهم، و أدخلتم فى حقّكم باطلهم،و هم أساس الفسوق،و أحلاس العقوق،اتّخذهم إبليس مطايا ضلال و جندا بهم يصول على الناس،و تراجمه ينطق على ألسنتهم،استراقا لعقولكم، و دخولا فى عيونكم،و نفثا فى أسماعكم،فجعلكم مرمى نبله،و موطئ قدمه،و مأخذ يده».

ثمّ بيّن عليه السّلام فى آخر الخطبه خصائصه الموجبه لوصايته بعد النبوّه.فبيّن عليه السّلام أنّ الخضوع لآدم و طاعته و ولايته بأمر من اللّه تعالى هى تواضع للّه،و نفى للكبر،أى نفى المخلوق استقلاليّته أمام استقلاليه الذات الأزليه؛فولايه خليفه اللّه توحيد للّه تعالى فى آخر المعاقل التى يطرد منها الكفر و يقام فيها التوحيد،و ذلك المعقل هو ذات الإنسان

نفسه،فهدم كبر الأنانيه و إقامه فقر العبد للّه بتولّى الإمام المنصوب من قبل اللّه،إقامه للتوحيد فى صقع الذات الإنسانيه،و إن إبليس قد فشل فى هذا الامتحان للتوحيد،فلم تنفعه دعواه التوحيد فى سائر المقامات،هذا فى المقطع الأوّل.

و أمّا المقطع الثانى فهو عليه السّلام يبيّن فيه أنّ من تقحّموا الخلافه من قبله قد ردّوا على اللّه تعالى أمره،و قبّحوا نصبه تعالى و جعله عليّا عليه السّلام خليفه و وصيّا؛فنهجوا نهج إبليس فى الاستكبار،و أنّهم قواعد أساس العصبيه و دعائم أركان الفتنه،و هذا الحكم منه عليه السّلام أشدّ ممّا ورد فى الخطبه الشقشقيه و أصرح فى بيان حالهم..

ثمّ إنّه عليه السّلام بيّن أنّ الإفساد فى الأرض هو لكون الناس أحزابا متفرّقين غير مجتمعين على وحده الطاعه و الولايه لخليفه اللّه فى الأرض،و هذا التفرّق عن الطاعه و الولايه يعنى مناصبه العداء للّه تعالى،و بالتالى فلا يقبل تعالى على البشر بالبركات و النعم،مضافا إلى تأديه الخلاف إلى الخراب بدل الإعمار؛لتخالف الهوى و المصلحه، فتصبح البشريه فى حرمان من البركات الإلهيه المقدّره لها.

و تتّضح جليّا الإشاره إلى ذلك فى قوله تعالى: إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّهً واحِدَهً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (۱)؛فلازم كونها أمّه واحده توحيديه بتمام التوحيد هو الربوبيه للّه وحده من دون وجود طاغوت استكبارى على أوامره تعالى،و إلّا فالأمّه الإسلاميه ستكون أمما كثيره،كلّ مجموعه تتّبع هوى ما،و طاغوتا ما؛إذ الأمّه فى اللغه و الاشتقاق من:أمّ يؤمّ، أى:قصد و اتّبع،فإذا كانت المقاصد و المناهج الأصليه مختلفه فسيكون المجموع أمما لا أمّه واحده.

و الإشاره إلى ذلك أيضا فى قوله تعالى: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَهٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ (۲).

۱- ۱) .الأنبياء۹۲/.

۲- ۲) .آل عمران۶۴/.

فإن توحّد الربوبيه للّه تعالى يقضى بتوحيد المنهاج و الشريعه و الطاعه و الولايه،نعم من أبجديات فقه أهل البيت عليهم السّلام أنّ أهل الكتاب فى ظلّ الحكم الشرعى لهم حقّ التعايش السلمى بضريبه الجزيه،بدلا عن ضريبه الزكاه و الخمس الموضوعه على المسلمين،و أنّ من خصوصيات عقيده الإمامه أنّ الحاكم الأوّل فى النظام الاجتماعى السياسى هو اللّه تعالى،سواء فى السلطه التنفيذيه أو القضائيه أو التشريعيه،و سواء على الصعيد السياسى أو العسكرى أو المالى أو التقنينى،و هذه الحقيقه تتحقّق لكون الإمام وعاء مشيئه اللّه و إرادته،كما هو الحال فى حكومه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،التى يستعرض سيرتها القرآن الكريم فى السور المدنيه..

فإنّ المشاهد فى الآيات أنّه عند المنعطفات الحادّه الصعبه سياسيا،أو عسكريا من الحرب أو السلم،أو قضائيا أو ماليا يكون التدبير الجزئى و الحكم صادر منه تعالى، فالحاكم السياسى الأوّل فى حكومه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم هو اللّه تعالى،و حاكميّته تعالى لا تقتصر على التشريعات الكليه فحسب،كما هو المزعوم فى معتقد المذاهب الإسلاميه الأخرى،و كما هو الحال فى الديانه المسيحيه و اليهوديه: وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ (۱)،بل تشمل جميع نواحى الحياه..

و لن تجد-إذا فتّشت-عقيده تتبنّى حاكميه اللّه تعالى السياسيه و العسكريه و...و باقى نواحى الحياه فضلا عن حاكميّته فى مجال التشريع غير عقيده الإمامه الإلهيه؛و هذا معنى أنّ الإمامه و الولايه باب من أبواب التوحيد و من أبواب ربوبيه اللّه تعالى وحده فى النظام الاجتماعى السياسى.

۱- ۱) .المائده۶۴/.

النبیّ هارون علیه السّلام و نموذج الوحده

و قوله تعالی حکایه عن هارون بعد عباده بنی إسرائیل العجل: قالَ یَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لا بِرَأْسِی إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی (۱)ملحمه قرآنیه یسطرها لنا القرآن الکریم تبیانا لموقف هارون وصیّ موسی علیه السّلام بعد ما ضلّ کثیر من بنی إسرائیل عن الهدی إلی عباده العجل و اتّباع السامری.ففی الوقت الذی راعی فیه هارون وحده بنی إسرائیل و حافظ علیها،إلّا أنّه لم یتّبع ضلال أکثریه بنی إسرائیل و السامری فی عباده العجل لتحقیق الوحده،بل قال لهم: یا قَوْمِ إِنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ وَ إِنَّ رَبَّکُمُ الرَّحْمنُ فَاتَّبِعُونِی وَ أَطِیعُوا أَمْرِی (۲)؛فقام بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر..

و کان الأسلوب الذی اتّخذه لا بنحو یؤدّی إلی فرقه بنی إسرائیل و لا بنحو ذوبانه هو فی الانحراف و ترک طریق الإصلاح،لا سیّما و أنّه لم تکن لدیه القدره علی الالتجاء إلی القوّه فی الإصلاح،کما قال: اِبْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی (۳)و هو یدلّ علی مدی رفض هارون علیه السّلام للانحراف الحاصل لدی بنی إسرائیل و مقاومته السلمیه الثابته لهم بلا مهادنه حتّی کادوا أن یقتلوه.

و الذی قام به هارون علیه السّلام هو الذی أوصاه به موسی علیه السّلام: وَ قالَ مُوسی لِأَخِیهِ هارُونَ اخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ (۴)،فأمره بالإصلاح و نهاه عن اتّباع سبیل المفسدین،و من ثمّ لمّا رجع موسی إلی قومه و قال: یا هارُونُ ما مَنَعَکَ إِذْ رَأَیْتَهُمْ ضَلُّوا* أَلاّ تَتَّبِعَنِ أَ فَعَصَیْتَ أَمْرِی* قالَ یَا بْنَ أُمَّ... (۵).

و کانت مساءله موسی علیه السّلام عن عدم اتّباع هارون علیه السّلام له،أی عن عدم مفارقه هارون لبنی إسرائیل و لحوقه بموسی کی یحلّ علیهم العذاب،أو عن عدم مقاتلته لتیّار الانحراف

۱- ۱) .طه۹۴/.

۲- ۲) .طه۹۰/.

۳- ۳) .الأعراف۱۵۰/.

۴- ۴) .الأعراف۱۴۲/.

۵- ۵) .طه۹۲/-۹۴.

و الضلال فی بنی إسرائیل،فأجابه بتحرّیه طریق الإصلاح من الاهتمام بمصیر بنی إسرائیل،و إرشادهم إلی الصواب،و نهیهم عن الضلال،و مقاطعته و تبرّیه عن سبیل المفسدین،و رضی موسی علیه السّلام بفعله.

و فی الحقیقه إنّ مساءله النبیّ موسی علیه السّلام لوصیّه النبیّ هارون علیه السّلام عن دوره فی هذا الحدث الداهیه الفظیع،و کذلک أخذه برأسه و لحیته،لیس لإدانه أخیه و وصیّه،أو شکّه فی استقامته،بل هی لأجل بیان مدی فظاعه الانحراف و الضلال الذی ارتکب،کما قال موسی: بِئْسَما خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی (۱)، قالَ فَإِنّا قَدْ فَتَنّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَ أَضَلَّهُمُ السّامِرِیُّ (۲)،و کذلک لدفع تهمه تخاذل هارون عن الحقّ.

و هی أیضا نظیر مساءله اللّه تعالی للنبیّ عیسی یوم المعاد: وَ إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّیَ إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ قالَ سُبْحانَکَ ما یَکُونُ لِی أَنْ أَقُولَ ما لَیْسَ لِی بِحَقٍّ إِنْ کُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِی نَفْسِی وَ لا أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ إِنَّکَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُیُوبِ* ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِی بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّی وَ رَبَّکُمْ (۳)؛إذ هی لبیان العظیمه التی ارتکبها النصاری من الشرک،لا لأجل عتاب النبیّ عیسی علیه السّلام؛کیف و هو تعالی عالم ببراءه ساحته عن انحراف النصاری؟!

و کذلک لکون مساءله و محاسبه النبیّ عیسی علیه السّلام تدلّ علی عظم الخطب فی الحدث،الذی یستدعی مساءله کلّ أطراف الحدث عنه،حتّی مثل النبیّ؛و لتبرئه عیسی علیه السّلام عن ضلال النصاری،و هذا الأسلوب من فنون الکلام و البیان،فکذلک الحال فی مساءله النبیّ موسی علیه السّلام لوصیّه هارون علیه السّلام.

و کذلک فی مساءله الصدّیقه الزهراء لوصیّ المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«اشتملت مشیمه

۱- ۱) .الأعراف ۱۵۰/.

۲- ۲) .طه۸۵/.

۳- ۳) .المائده۱۱۶/-۱۱۷.

الجنين،و قعدت حجره الظنين،نقضت قادمه الأجدل،فخانک ريش الأعزل؟!» (۱)؛فهی لم تکن-کما يوهمه عمی البصيره-جزعا منها عليها السّلام أو عتابا لأمير المؤمنين،و إنّما هی عليها السّلام فی صدد بيان انحراف القوم و شدّه ضلال ما ارتکبوه،و لکی يتبيّن أنّ عليّا عليه السّلام لم يکن سکوته عن مقاتلتهم تخاذلا منه أو جبنا أو نکصا عن الحقّ،بل لأنّ صدامه المسلّح معهم يوجب تزلزل عقيده الناس بالدين،و النزاع علی السلطه فی نظر و ذهنيه عامّه الناس من أکبر أمثله التنازع علی الدنيا و أعظمها،و بالتالی سيسری شکّهم فی دواعی الوصیّ عليه السّلام إلی دواعی ابن عمّه النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم بأنّ کلّ ما جری هو تغالب علی الملک،کما قال ذلک يزيد بن معاويه:

لعبت هاشم بالملک فلا خبر جاء و لا وحی نزل (۲)

و قال أبی سفيان عند فتح مکّه للعبّاس:«إنّ ملک ابن اخيک لعظيم»فأجابه العبّاس:«إنّها النبوّه» (۳).فالناس ليس لديهم الوعی و البصيره الکافيه فی کون خطوره هذا الانحراف هو شبيه الانحراف الذی حصل فی الديانه اليهوديه و المسيحيه،و ليس هو محض مسند القدره فی النظام الاجتماعی السياسی.

ثمّ إنّ من سيره هارون عليه السّلام تستخلص العبر؛إذ المحافظه علی وحده بنی إسرائيل أوجبت عدم المصادمه المسلّحه بين فريقی الحقّ و الباطل،لکن الوحده لم توجب ذوبان فريق الحقّ فی فريق الباطل،و لا ترکهم للنصيحه و الوعظ بأسلوب المداراه،و الوحده التکتيکيه لم توجب إيقاف الإصلاح و الأمر بالحقّ و النهی عن الباطل بأسلوب الحکمه و طريق الموعظه الحسنه،فضلا عن التنکر و الريب فی ثوابت الحقّ،و لا استحسان الباطل و موادّته،و لا کراهه الحقّ و الازدراء به.

۱- ۱) .الأمالی-للشيخ الطوسی-۶۸۳ ح ۱۴۵۵،المناقب-لابن شهرآشوب-۵۰/۲.

۲- ۲) .تذکره الخواصّ:۲۳۵،البدايه و النهايه ۱۵۴/۸،الإتحاف بحبّ الأشراف:۵۷.

۳- ۳) .الطبقات الکبری-لابن سعد-۱۳۵/۲،المعجم الکبير-للطبرانی-۷۶/۷.

الوحده و عناوين مختلطه

ثمّ إنّه فی بحث الوحده هناک محور آخر یثار دائما و یحصل الخلط المتعمّد فیه.

عناوین:السبّ،اللعن،التولّی،التبرّی،المداراه،الموادّه،الاحترام،التعظیم،الخلق الحسن، المحبّه،الأدب،تحرّی و کشف الحقیقه فی الأحداث التاریخیه للمسلمین،الطعن علی الآخرین،و غیرها من العناوین التی تتداول،هی موضوعات و أفعال مختلفه،لکن یتوسّل بمفردات ألفاظ بعضها لإراده بعضها الآخر تمویها،و لکلّ منها حکم شرعی و عقلی و أخلاقی یختلف عن الآخر،فتری بعضهم یدافع -بذریعه قبح السبّ-حتّی عمّن انحرف عن منهاج النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و یتولاّه،و یعظّمه، و یتواضع عند ذکره،و یجعل منه قدوه تحتذی.

فاللازم تحریر معانی هذه العناوین،ثمّ بیان أحکامها:

أمّا السبّ فهو-لغه-الشتم و ذکر الشخص بعار و نقیصه،و هو-عرفا-ذکر الشخص بالألفاظ المستقبحه و الشنیعه و المستهجنه و القذره.

و أمّا اللعن فهو:الطرد عن الرحمه؛و قد سمّی اللّه تعالی ابلیس بذلک لأنّه أبلس من رحمه اللّه،أی یئس و طرد من رحمته.

و أمّا التبرّی فهو:النفره،و القطیعه،و التباعد،و التجافی.

و أمّا المداراه فهی:المجامله،و إظهار حسن العشره و اللین،و نحو ذلک علی صعید التعامل.و نحوه الخلق الحسن فی العریکه و المعشر.و کذلک الأدب فی المعامله و المخالطه.

و أمّا المحبّه فهی:میل قلبی و انعطاف نفسانی تجاه المحبوب،و الموادّه:بروز المحبّه أو اشتدادها.

و الاحترام و التعظیم:إبداء حرمه و عظمه الشیء-أو الشخص-و وضعه فی مکانه و منزله مرموقه.

أمّا كشف الحقائق فإنّه ضروری لتکوین رؤیه واقعیه صادقه،و لاستخلاص العبر و المنهاج و إلّا کانت البصیره زائفه،و فی هذا المجال لا معنی لطمس ورقه من الحقیقه بذریعه تحاشی الطعن علی الآخرین.

أمّا الطعن علی الآخرین:فهو إمّا أن یکون کاذبا غیر مطابق للواقع،أو مطابقا إلّا أنّه غیر هادف و ناشئ عن دواعی متدنّیه.

إذا اتّضحت مفاهیم جمله من العناوین المتداوله فی البحث فاللازم بیان حکم کلّ منها.

الوحده و التولّی و التبرّی

أمّا فریضه التبرّی من أهل الباطل و الضلال من ذوی العناد فیدلّ علیه قوله تعالی:

لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ (۱).

و قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ قَدْ کَفَرُوا بِما جاءَکُمْ مِنَ الْحَقِّ یُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِیّاکُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّکُمْ إِنْ کُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِی سَبِیلِی وَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِی تُسِرُّونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَیْتُمْ وَ ما أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ یَفْعَلْهُ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِیلِ (۲).

و قوله تعالی: قَدْ کانَتْ لَکُمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِی إِبْراهِیمَ وَ الَّذِینَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَآؤُا مِنْکُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ کَفَرْنا بِکُمْ وَ بَدا بَیْنَنا وَ بَیْنَکُمُ الْعَداوَهُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّی تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ... لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِیهِمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ لِمَنْ کانَ یَرْجُوا اللّهَ وَ الْیَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ (۳).

۱- ۱) .المجادله۲۲/.

۲- ۲) .الممتحنه۱/.

۳- ۳) .الممتحنه۴/-۶.

و فی هذه الآیات یلاحظ الحثّ علی إبراز و إظهار البراءه القلبیه و النفسیه علی مستوی العلاقه الخارجیه،نعم فی الآیه اللاحقه: لا یَنْهاکُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِینَ لَمْ یُقاتِلُوکُمْ فِی الدِّینِ وَ لَمْ یُخْرِجُوکُمْ مِنْ دِیارِکُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَیْهِمْ إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ (۱)،و هذا لیس تفصیل فی الموده بل فی تجویز البرّ و المعامله الحسنه مع غیر المعادین منهم،و إلاّ فالمواده لا استثناء فیها،بخلاف المعادین منهم فاللازم إظهار الشدّه معهم: أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ (۲).

و قال تعالی: ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ* وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِیّاهُ فَلَمّا تَبَیَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِیمَ لَأَوّاهٌ حَلِیمٌ (۳).

و قال تعالی: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَکُوا وَ لَمّا یَعْلَمِ اللّهُ الَّذِینَ جاهَدُوا مِنْکُمْ وَ لَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لاَ الْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَهً وَ اللّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۴)،و الولجه-بالتحریک- هی المکان الذی یستتر فیه المار عن المطر و غیره،و الولوج هو دخول شیء فی شیء باستتار الأوّل فی الثانی،فالولیجه هی:الجماعه التی یحتمی بها الشخص و ینضمّ إلیها و یتحالف معها.

و لا یخفی تعدّد ألسن البراءه و التبرّی:الأوّل:تحریم الموادّه،و الثانی:تحریم ولیجه غیر المؤمنین مطلقا،و الثالث:وجوب التبرّی من الأعداء فی الدین،و الرابع:حرمه الاستغفار لهم و هو نحو من طلب الرحمه الإلهیه لهم.

و قال تعالی: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْداداً یُحِبُّونَهُمْ کَحُبِّ اللّهِ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَ لَوْ یَرَی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یَرَوْنَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً وَ أَنَّ اللّهَ شَدِیدُ الْعَذابِ* إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ* وَ قالَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا لَوْ

۱- ۱) .الممتحنه۸/.

۲- ۲) .الفتح۲۹/.

۳- ۳) .التوبه(البراءه)۱۱۴/.

۴- ۴) .التوبه(البراءه)۱۶/.

أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ (۱).

و يلاحظ فى هذه الآيات تقنين المحبّه-التولّى و البراءه-بتحريم محبّه الأنداد، و الندّ:كلّ من يدعى لغير طاعه اللّه تعالى،كما جاء فى الروايات،و يطابق المعنى اللغوى بقرينه السياق،و أنّ التبرّى من أهل العصيان و الطغيان فريضه،و أنّ هذا العصيان فى التولّى و التبرّى يوجب الخلود فى النار؛و فى ذلك تعظيم لفريضه التولّى و التبرّى،و أنّها بمثابه الأصول الاعتقاديه الموجبه للنجاه مع الطاعه،و للخلود فى النار مع المعصيه.

و هذا لسان خامس فى هذه الفريضه؛قال تعالى: فَلَمّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَهً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ (۲)،و كان طالوت إماما لبنى إسرائيل و جعل متابعته و عدمها مرتبطه بالتولّى و التبرّى.

و كذا قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى (۳)؛إذ جعلت المودّه التى هى عماد التولّى لأهل البيت فى مصاف أصول الدين بمقتضى تعادل الأجر مع العمل فى ماهيه المؤاجره و المعاوضه،و العمل هو تبليغ الدين،و هذه الآيه جعلت مدار التولّى فى الدين و الإسلام و الإيمان هو موالاه أهل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛و هو ممّا يقتضى عصمتهم.

و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ* فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَهٌ فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ* وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ

۱- ۱) .البقره۱۶۵/-۱۶۷.

۲- ۲) .البقره۲۴۹/.

۳- ۳) .الشورى۲۳/.

مِنْكَمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهٍ عَلَى الْكافِرِينَ...

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ* وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفّارَ أَوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱).

و هذه الآيات كآيه مودّه القربى حاصره للتولّى فى الدين باللّه و الرسول و الأئمّه أوصياء النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قد اتّفق الفريقان على نزولها فى علىّ عليه السّلام و تصدّقه و هو راكع فى الصلاه،كما تدلّ هذه الآيات على كون التولّى لأئمه الهدى من أهل البيت و التبرّى من الأعداء هو من أصول الإيمان..

و تدلّ على أنّ فئه اَلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ -و هى الفئه التى نشأت فى صفوف المسلمين فى أوائل البعثه النبويه فى مكّه،كما تشير إلى ذلك سوره المدّثر،رابع سوره نزلت على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم-تتولّى أهل الكتاب و الكفّار لخوفهم من انقلاب الكفّه لصالحهم على المسلمين..

كما أنّ الآيه تدلّ على أنّ النصره لهذا الدين و وليّه منحصره بعلىّ عليه السّلام و ولده عليهم السّلام بتولّيهم،و أنّهم حزب اللّه الغالبون،و أنّ من يرتدّ عن الدين بترك فريضه التولّى لهم عليهم السّلام و التبرّى من الكفّار و بقيه أعدائهم فسوف يأتى اللّه بقوم يقومون بفريضه التولّى و التبرّى.

و قد روت العامّه بطرق مستفيضه حديثا بمضمون الآيه نفسه عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّه قال:«إنّ الإسلام لا يزال عزيزا ما مضى فيهم اثنا عشر خليفه،كلّهم من قريش» (۲).و فى روايه مسلم:«لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا...كلّهم من قريش» (۳)،و فى لفظ آخر فى صحيح مسلم:«لا يزال هذا الدين عزيزا متبعا إلى اثنى

۱- ۱) .المائده۵۱/-۵۷.

۲- ۲) .جامع الأصول ۴۴۰/۴.

۳- ۳) .صحيح مسلم ۱۴۵۲/۳ ح ۶.

عشر خليفه،كلّهم من قريش» (۱).و فی روایه أبی داود السجستانی:«لا یزال هذا الدین قائما حتّی یکون علیکم اثنا عشر خلیفه...کلّهم من قریش» (۲).و فی أخری:«لا یزال هذا الدین عزیزا إلی اثنی عشر خلیفه،قال:فکبّر الناس و ضجّوا...کلّهم من قریش» (۳)، و فی بعضها:«لا یزال أمر أمّتی صالحا حتّی یمضی اثنا عشر خلیفه...کلّهم من قریش»؛ رواه الطبرانی فی الأوسط (۴)و الکبیر،و البزّار (۵)،و رجال الطبرانی رجال الصحیح..

و فی الکبیر:«لا یزال الإسلام ظاهرا حتّی یکون اثنا عشر أمیرا أو خلیفه،کلّهم من قریش» (۶).و فی لفظ آخر:«لا یزال أمر هذه الأمّه هادیا علی من ناواها حتّی یکون علیکم اثنی عشر أمیرا...کلّهم من قریش» (۷).و فی روایه أخری:«لا یزال أمر هذه الأمّه ظاهرا...» (۸).و فی لفظ آخر:«لا یضرّ هذا الدین من ناواه حتّی یقوم اثنی عشر خلیفه، کلّهم من قریش» (۹).و فی لفظ:«لا تزال أمّتی علی الحقّ ظاهرین حتّی یکون علیهم اثنی عشر أمیرا،کلّهم من قریش» (۱۰).و فی لفظ:«لا تبرحون بخیر ما قام علیکم اثنی عشر أمیرا...کلّهم من قریش» (۱۱).و فی لفظ:«لا یزال هذا الأمر عزیزا منیعا،ینصرون علی من ناواهم علیه إلی اثنی عشر...».و فی لفظ:«لن یزال هذا الدین عزیزا منیعا علی من

۱- ۱) .صحیح مسلم ۱۴۵۳/۳،ح ۹.

۲- ۲) .سنن أبی داود ۱۰۶/۴ ح ۴۲۷۹.

۳- ۳) .سنن أبی داود ۱۰۶/۴ ح ۴۲۸۰،مفتاح المسند عن المسند ۱۰۷،۸۷،۸۶/۵،و ۳۹۹/۷،و ۳۳/۵- طبعه مصر القدیمه،و قد ذکر لها اثنا عشر سندا؛نقلا عن شرح إحقاق الحقّ-للسیّد المرعشی-۳۵۴/۲، و لاحظ:۴۶/۱۳ فإنّه نقل مصادر أخری عن فتح الباری و إرشاد الساری.

۴- ۴) .المعجم الأوسط ۲۸۴/۶ ح ۶۲۱۱.

۵- ۵) .المعجم الکبیر ۱۲۰/۲۲ ح ۳۰۸؛و مسند البزّار ج ۵ ح ۱۵۸۴ نقلا عنه.

۶- ۶) .المعجم الکبیر ۲۰۶/۲ ح ۱۸۴۱.

۷- ۷) .المعجم الکبیر ۱۹۷/۲ ح ۱۸۰۰.

۸- ۸) .المعجم الکبیر ۱۹۶/۲ ح ۱۷۹۷.

۹- ۹) .المعجم الکبیر ۲۰۸/۲ ح ۱۸۵۲.

۱۰- ۱۰) .المعجم الکبیر ۲۵۳/۲ ح ۲۰۶۱.

۱۱- ۱۱) .المعجم الکبیر ۲۵۳/۲ ح ۲۰۶۰.

ناوأه،لا یضرّه من فارقه أو خالفه حتّی یملک اثنا عشر،کلّهم من قریش» (۱).و فی بعضها:«کلّهم من بنی هاشم» (۲).و فی لفظ:«لا یزال الدین قائما حتّی تقوم الساعه أو یکون علیکم اثنی عشر خلیفه،کلّهم من قریش» (۳).و فی لفظ:«لا یزال هذا الأمر صالحا...» (۴).و:«لا یزال هذه الأمّه مستقیما أمرها،ظاهره علی عدوّها،حتّی یمضی منهم اثنی عشر خلیفه،کلّهم من قریش» (۵).و:«لا یزال هذا الدین قائما...» (۶).و لاحظ بقیه الألفاظ فی إحقاق الحقّ (۷).

فتبیّن من آیات سوره المائده و الأحادیث النبویه أنّ عزّه الدین و الإسلام و قوامه بالأئمّه من أهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کما أنّ صلاح أمر الأمّه الإسلامیه و مضیّه و استقامته هو بالاثنی عشر علیهم السّلام،و أنّ هدی أمر الأمّه بیدهم علیهم السّلام.

کما أن غلبه الأمّه علی أعدائها و عزّها و بقاءها علی الحقّ هو ببرکه الذی یقوم به أئمّه أهل البیت علیهم السّلام،سواء الدور البارز علی السطح أو الدور الخفی الذی یتّخذ أشکالا و صورا مختلفه،و سواء العلمی أو الاجتماعی أو السیاسی أو الأمنی أو العسکری أو الاقتصادی أو الأخلاقی المعنوی أو باقی المجالات الأخری..

و سیأتی أنّ بهم علیهم السّلام حصل انتشار الإسلام و بأعدائهم حصل توقّف انتشاره،و بهم علیهم السّلام تفتّقت بنیه الاعتقادات و المعارف الحقّه و بأعدائهم تولّد الزیغ و الضلال،و بهم علیهم السّلام شیّد للدین منهاجه الأخلاقی و القانونی و بأعدائهم دبّت الأهواء و المیول

۱- ۱) .المعجم الکبیر ۱۹۶/۲ ح ۱۷۹۵ و ح ۱۷۹۶.

۲- ۲) .ینابیع الموده-للقندوزی-۳۱۵/۲ ح ۹۰۸ و ۲۹۰/۳ ح ۴.

۳- ۳) .المعجم الکبیر ۱۹۹/۲ ح ۱۸۰۹.

۴- ۴) .المعجم الأوسط ۳۶۶/۴ ح ۳۹۳۸.

۵- ۵) .المعجم الکبیر ۲۵۳/۲ ح ۲۰۵۹،المعجم الأوسط ۳۴۵/۶ ح ۶۳۸۲.

۶- ۶) .المعجم الکبیر ۱۹۹/۲ ح ۱۸۰۸،۲۰۷ ح ۱۸۴۹.

۷- ۷) .إحقاق الحقّ ۱۱/۱۳-۴۹.

و حصلت الفوضی،و ذلک بیّن واضح لمن أمعن قراءه التاریخ الاجتماعی طوال الأربعه عشر قرنا.

و من الآیات الدالّه علی التولّی و التبرّی قوله تعالی: تَری کَثِیراً مِنْهُمْ یَتَوَلَّوْنَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَیْهِمْ وَ فِی الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ* وَ لَوْ کانُوا یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ النَّبِیِّ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِیاءَ وَ لکِنَّ کَثِیراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَهً لِلَّذِینَ آمَنُوا الْیَهُودَ وَ الَّذِینَ أَشْرَکُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّهً لِلَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ قالُوا إِنّا نَصاری ذلِکَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّیسِینَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا یَسْتَکْبِرُونَ (۱).

و هذه الآیات تقابل بین المودّه و العداوه،و المودّه مقرّره بین المؤمنین و العداوه مع الأعداء،و الولاء مع أهل الحقّ و القطیعه مع أهل الباطل،و قد تکون الوظیفه حیثیه أو نسبیه بقدر ما عند الطرف الآخر من اتّباع للحقّ أو اتّباع للباطل.

و مثل هذه الآیات طائفه أخری دالّه علی اتّخاذ العداوه مع الأعداء:

قوله تعالی: مَنْ کانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْکافِرِینَ (۲).

و قال تعالی علی لسان إبراهیم: قالَ أَ فَرَأَیْتُمْ ما کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِی إِلاّ رَبَّ الْعالَمِینَ (۳).

و قال تعالی: وَ إِذا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌ یَحْسَبُونَ کُلَّ صَیْحَهٍ عَلَیْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّی یُؤْفَکُونَ (۴).

و قال تعالی: إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما یَدْعُوا حِزْبَهُ لِیَکُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِیرِ (۵).

۱- ۱) .المائده ۸۰/-۸۲.

۲- ۲) .البقره۹۸/.

۳- ۳) .الشعراء۷۵/-۷۷.

۴- ۴) .المنافقون۴/.

۵- ۵) .فاطر۶/.

و قد مرّ قوله تعالى: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ .

هذا مضافا إلى آيات الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر:

قوله تعالى: وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (۱).

و قوله تعالى: اَلْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ (۲).

و قال تعالى: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ* كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ (۳).

و لا ريب فى أنّ النهى عن منكر تبرّى منه،و الواجب فى النهى عن المنكر أن يكون بنكرانه فى القلب أوّلا و بالسعى فى إزالته ثانيا،كما أنّ الواجب فى الأمر بالمعروف برضاه و حبّه فى القلب أوّلا و بالسعى لإقامته ثانيا،و من أحبّ عمل قوم أشرك معهم؛ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه،و من غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده» (۴).

فالتولّى للمعروف بالقلب و العمل فريضه ركنيه،و التبرّى من المنكر بالقلب و العمل فريضه ركنيه،و من أعظم المعروف معرفه الحقّ،و من أعظم المنكر جحود الحقّ و الإقرار بالباطل؛فظهر أنّ باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر قائم على التولّى و التبرّى..

و لا يخفى أنّ لتولّى المعروف و الحقّ و الأمر به،و للتبرّى من الباطل و المنكر و النهى عنه،درجات و أساليب و مقامات مشروحه فى محالّها،فليس النهى عن المنكر و التبرّى

۱- ۱) .آل عمران۱۰۴/.

۲- ۲) .التوبه(براءه)۷۱/.

۳- ۳) .المائده۷۸/-۷۹.

۴- ۴) .وسائل الشيعه:أبواب الأمر و النهى ب ۲ ح ۵.

من الباطل يعنى أسلوب الحدّه و الشدّه بل قد يكون اللين و الموعظه الحسنه أنفع و أنجع فى إزاله الباطل و المنكر،إلّا أنّ الخلط و التشويش يقع بين كيفيه أسلوب اللين و بين استحسان المنكر و استنكار المعروف،أو بين المداراه و بين الرضا بالباطل،و كذلك بين مقام التعامل مع الطوائف الأخرى و بين مقام الحقيقه الدينيه الواقعيه و فى ما هو داخل الطائفه.و بعباره أدقّ:الخلط فى الموازنه بين المحافظه على حقائق الدين و بين تجنّب الفرقه فى زمن الهدنه.

و قد مرّ موقف هارون عليه السّلام من ضلال بنى إسرائيل و تبرّيه من زيغهم فى حين عدم تفريطه بوحدتهم و أنّ ردعه عن منكرهم اقتصر فيه على ذلك لعدم قدرته على ما هو أشدّ درجه،كذلك مرّ موقف سيّد الشهداء عليه السّلام من الانحراف فى حين كان عليه السّلام يجعل مصير الأمّه و المسلمين من مسئوليّته،و كذلك موقف سيّد الوصيّين فى حروب الجمل و صفّين و النهروان؛فهو لم يعر أهمّيه لما اقترح عليه جمله ممّن زعم الحرص على وحده المسلمين من عدم قتال الناكثين و القاسطين و المارقين،إذ أنّه عليه السّلام-بروايه الفريقين- مأمور من النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يقاتل الفئات الثلاث،و أنّه يقاتل على التأويل فى الشريعه و القرآن كما قاتل صلّى اللّه عليه و آله و سلم على تنزيله،و أنّ القتال الثانى عين القتال الأوّل فى الأهمّيه و الضروره لبناء صرح الدين،بل نشاهد عليّا عليه السّلام لم يقبل البيعه لنفسه-بعد قتل عمر-عند ما اشترط فيها الأخذ بسنّه الشيخين،كما أنّه لم يشارك فى حروبهم رغم أنّ بسيفه فتح اللّه على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و به قام الإسلام فى ربوعه أمّه و ملّه و دوله.

كذلك موقف الصدّيقه البتول التى شهد القرآن بطهارتها و عصمتها،ثالثه أصحاب الكساء،التى احتجّ اللّه تعالى بشهادتها لصدق النبوّه على أهل الكتاب فى واقعه المباهله، و روى الفريقان أنّها سيّده نساء أهل الجنّه؛إذ قامت بالمعارضه الشديده حتّى استنهضت الأنصار للانقلاب على حكم السقيفه،مع أنّ الأوضاع بعد وفاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم كانت مضطربه حسب زعم أهل السقيفه،و قد أعلن علىّ عليه السّلام بطلان مشروعيه الحكم بامتناعه عن بيعتهم،كما روى ذلك البخارى.

و فی قتل عثمان لم یمانع علیه السّلام وقوعه،و إنّما کان ینکر علی الثوّار هذا الأسلوب من جهه أنّه یعطی الذریعه لمعاویه و بنی أمیه و غیرهم لزعم مظلومیه عثمان،بخلاف حصره و مطالبته بخلع نفسه و تسلیم من سبّب الفتنه ممّن کان فی جهته،فإنّ ذلک کان قد ارتضاه علیه السّلام،و هو مفاد الوساطه التی قام علیه السّلام بها فی المرّه الأولی،إلّا أنّ عثمان اتّهمه بأنّه السبب فی کلّ ذلک فاعتزل علیه السّلام.

و قد منع السیّد المرتضی فی الشافی (۱)و الشیخ فی تلخیصه (۲)ثبوت إرسال أمیر المؤمنین الحسن علیه السّلام للذبّ عن عثمان من طرقنا؛و لو سلّم فلیس للذبّ عنه بل للوساطه درءا عن تشعّب الفوضی،و إلی ذلک یشیر ما رواه الشریف المرتضی (۳)عن الواقدی،عن الحکم بن الصلت،عن محمّد بن عمّار بن یاسر،عن أبیه،قال:

رأیت علیّا علی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم حین قتل عثمان و هو یقول:ما أحببت قتله و لا کرهته،و لا أمرت به و لا نهیت عنه.

و روی البلاذری عنه علیه السّلام أنّه قال:

و اللّه الذی لا إله إلّا هو ما قتلته و لا مالأت علی قتله و لا ساءنی (۴).

و روی بطرق کثیره عنه علیه السّلام أنّه قال:«من یسائلی عن دم عثمان فإنّ اللّه قتله و أنا معه» (۵)،و فسّر بأنّ حکم اللّه هو قتله و أنّه علیه السّلام راض بحکم اللّه تعالی.

و فی خطبه له جوابا لاعتراض الأشعث بن قیس قال علیه السّلام:

و لو أنّ عثمان لمّا قال له الناس:اخلعها و نکفّ عنک،خلعها،لم یقتلوه، و لکنّه قال:لا أخلعها،فقالوا:فإنّا قاتلوک فکفّ یده عنهم حتّی قتلوه،

۱- ۱) .الشافی ۲۴۲/۴.

۲- ۲) .تلخیص الشافی ۱۰۰/۳.

۳- ۳) .الشافی ۳۰۷/۴-۳۰۸؛و رواه البلاذری فی الأنساب ۱۰۱/۵.

۴- ۴) .الأنساب ۹۸/۵.

۵- ۵) .الغدیر-للأمینی-۶۹/-۷۷-۳۱۵-۳۷۵،و الشافی ۳۰۸/۴-۳۰۹.

و لعمری لخلعه إیّاها کان خیرا له؛لأنّه أخذها بغیر حقّ،و لم یکن له فیها نصیب،و ادّعی ما لیس له،و تناول حقّ غیره.

ویلک یا ابن قیس!إنّ عثمان لا یعدوا أن یکون أحد رجلین:إمّا أن دعا الناس إلی نصرته فلم ینصرونه،و إمّا أن یکون القوم دعوه إلی أن ینصروه فنهاهم عن نصرته؛فلم یکن یحلّ له أن ینهی المسلمین عن أن ینصروا إماما هادیا مهتدیا،لم یحدث حدثا و لم یؤو محدثا،و بئس ما صنع حین نهاهم، و بئس ما صنعوا حین أطاعوه،فإمّا أن یکونوا لم یروه أهلا لنصرته؛لجوره و حکمه بخلاف الکتاب و السنّه... (۱)

و هکذا مواقف حواریّیه علیه السّلام تجاه عثمان،مثل أبی ذرّ و ما جری بینهما،و موقف عمّار مع عثمان،بل إنّ مصادر القوم تنسب تدبیر خلع عثمان فی الدرجه الأولی إلی عمّار و محمّد بن أبی بکر.

و غیر ذلک من مواقفهم علیهم السّلام و مواقف أصحابهم-رضی اللّه عنهم-التی قد یتخیّل أنّ فیها مصادمه مع الوحده،و لم یجدوا فی الوحده معنی یطغی علی الأمر بالحقّ و المعروف و النهی عن الباطل و المنکر،أی علی تولّی الحقّ و التبرّی من الباطل.

معنی و قوام الوحده

و یشیر علیه السّلام إلی الوحده المعنیه التی هی محلّ أهمّیه فی قوله علیه السّلام:

و أیم اللّه لو لا مخافه الفرقه من المسلمین أن یعودوا إلی الکفر و یعود[یبور] الدین لکنّا قد غیّرنا ذلک ما استطعنا (۲).

---

۱ - ۱) .کتاب سلیم بن قیس الکوفی ۶۶۶/۲ ضمن ح ۱۲،بحار الأنوار ۴۶۹/۲۹ ضمن ح ۵۵، و لها مصادر کثیره أخری؛لاحظ:هامش هذه الخطبه فی بحار الأنوار.

۲- ۲) .الأمالی-للشیخ المفید-۱۵۴-۱۵۶ ح ۶.

فهو علیه السّلام یفسّر الفرقه بمعنی اختلاف المسلمین عن الدین باختیار جمله منهم الخروج عن الإسلام و اعتناق الکفر أو دیانه أخری..

و بیانه علیه السّلام هذا یفسّر قول هارون علیه السّلام: إِنِّی خَشِیتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَیْنَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِی (۱)،أنّه بمعنی تفرّق بنی إسرائیل عن دین النبیّ موسی علیه السّلام لو اصطدم هارون معهم بالسلاح أو قاطعهم بمفارقتهم و الخروج عنهم،و هذا یوجب شدّه تعصّبهم و ارتدادهم عن دین موسی علیه السّلام؛إذ أنّ عبادتهم للعجل بتسویل السامری کانت بخداعه أنّ ذلک من شرع موسی علیه السّلام: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقالُوا هذا إِلهُکُمْ وَ إِلهُ مُوسی فَنَسِیَ (۲).

أمّا السبّ،فقد تقدّم افتراقه عن اللعن؛إذ هو الفحش من القول القذر الذی یمارسه حثالی و أسافل الناس،قال تعالی: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَیَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ (۳)،و هو یفترق عن ذکر حقائق الأمور و الأحداث الواقعه فی تاریخ المسلمین،فالسبّ لا یرتبط بها،و خلط العناوین مثار مغالطه.

قال علیّ علیه السّلام-و قد سمع قوما من أصحابه یسبّون أهل الشام أیام حربهم بصفّین-:

إنّی أکره لکم أن تکونوا سبّابین،و لکنّکم لو وصفتم أعمالهم،و ذکرتم حالهم،کان أصوب فی القول،و أبلغ فی العذر،و قلتم مکان سبّکم:اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم،و أصلح ذات بیننا و بینهم،و اهدهم من ضلالتهم، حتّی یعرف الحقّ من جهله،و یرعوی عن الغی من لهج به (۴).

فتراه علیه السّلام فی الوقت الذی ینهی عن السبّ،یحثّ علی وصف أعمالهم و ذکر حالهم، أی استعراض حقائق الأمور و ما علیه أهل الباطل من رداءه العمل و رذیله الحال،و بیّن علیه السّلام الغایه من ذلک:«حتّی یعرف الحقّ من جهله»أی:لیتبیّن طریق الحقّ و أهله و

۱- ۱) .طه۹۴/.

۲- ۲) .طه۸۸/.

۳- ۳) .الأنعام۱۰۸/.

۴- ۴) .نهج البلاغه:خطبه ۲۰۶.

طریق الباطل و أهله،و تفیق الأجیال من رقدتها و سباتها،و تبصر الحقّ و الهدی،و لا یصیبها العمی و الهذیان،«و یرعوی عن الغی و العدوان من لهج به»أی:ینقطع المسلمون السالکون طریق الغی و العدوان،و لئلّا یدعون إلی ذلک الطریق الضال.

قال ابن أبی الحدید-فی ذیل الخطبه فی شرح النهج البلاغه-:

الذی کرهه علیه السّلام منهم أنّهم کانوا یشتمون أهل الشام،و لم یکن یکره منهم لعنهم إیّاهم (۱).

کما أنّه علیه السّلام یبیّن قواعد و ضوابط الوحده الإسلامیه،بقوله علیه السّلام:

اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم،و أصلح ذات بیننا و بینهم،و اهدهم من ضلالتهم،حتّی یعرف الحقّ...

فالقاعده الأولی هی:حقن الدماء و سیاده الأمن بین طوائف المسلمین.

و القاعده الثانیه:إنّ إصلاح ذات البین بین طوائف المسلمین یجب أن یکون علی مسیر الهدایه و الحقیقه و الابتعاد عن الضلال،و لغایه معرفه الحقّ و رجوع صاحب الغی عن غیّه و رجوع صاحب العدوان عن اعتدائه و صاحب الدعوه الضالّه عن ترویجه للضلال.

و کلامه علیه السّلام طبق هدی الآیه: وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَی الْأُخْری فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ (۲).

فقد دلّت الآیه علی أنّ إصلاح ذات البین و رفع اختلاف المسلمین و وحدتهم یجب أن یرسو علی العدل و القسط و الحقّ و الهدی،لا علی الظلم و إغماط الحقّ،و أنّ الإصلاح و الوحده یجب أن تکون علی أساس الفیء و الرجوع إلی أمر اللّه تعالی،لا إلی الأهواء و المیول و الضلالات.

ثمّ إنّ فی الآیه الناهیه عن سبّ الّذین یدعون من دون اللّه نکته ظریفه،و هی:أنّ علّه

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه ۱۱/۲۱.

۲- ۲) .الحجرات۹/.

النهی هی تمادی أهل الضلال فی ضلالهم و غیّهم و ابتعادهم عن سبیل اللّه،و لم یعلل النهی بترک مباغضه المؤمنین لأهل الضلال و التبرّی من غیّهم،و لو علی مستوی القلب أو علی مستوی السلوک الداخلی فی ما بین المؤمنین،کما أنّ مورد آیه النهی عن السبّ هو صعید التعامل مع أهل الضلال،و صعید دعوتهم للهدایه.

و حیث اتّضح الفرق بین السبّ و اللعن موضوعا،فالمناسب الإشاره إلی حکم اللعن للظالمین و المعتدین،فإنّه خلق إلهی،استعرضه القرآن الکریم فی ما یزید علی الثلاثین موردا فی السور القرآنیه (۱)،و کذلک هو خلق الأنبیاء،کما فی قوله تعالی فی آیه المباهله: ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ (۲)،و قوله تعالی: لُعِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ عَلی لِسانِ داوُدَ وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ (۳).

بل فی قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ یَکْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَیِّناتِ وَ الْهُدی مِنْ بَعْدِ ما بَیَّنّاهُ لِلنّاسِ فِی الْکِتابِ أُولئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ (۴)دعوه و ندب إلی التبرّی من الکاتمین لحقائق الدین و الشرائع و لهدایه السماء بتوسّط اللعن هذا،فضلا عن عشرات الموارد التی لعن فیها سیّد المرسلین صلّی اللّه علیه و آله و سلم أشخاصا بأسمائهم،مثل لعنه أصحاب العقبه و أبی سفیان فی سبعه مواطن (۵)،و لعن رسول اللّه قاتل الحسین علیه السّلام،کما رواه الفریقان (۶).

۱- ۱) .البقره۸۹/،النساء۴۶/ و ۴۷ و ۹۳ و ۱۱۸،المائده۱۳/ و ۶۰،الأحزاب۶۴/،و غیرها؛فلاحظ مادّه «ل ع ن»فی المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الکریم.

۲- ۲) .آل عمران۶۱/.

۳- ۳) .المائده۷۸/.

۴- ۴) .البقره۱۵۹/.

۵- ۵) .الخصال:۳۹۷-۳۹۸ ح ۱۰۵.

۶- ۶) .تاریخ بغداد ۲۹۰/۳،أسد الغابه ۲۲/۲؛و لاحظ ما رواه فی الدرّ المنثور ۱۹۱/۴ من الروایات فی ذیل الآیه: وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ ،و ما رواه الخوارزمی فی مقتل الحسین ۱۷۶/۱،و ابن عساکر فی تاریخ دمشق ۳۳۹/۴،و ابن حجر فی لسان المیزان ۳۷۷/۵،و السیوطی فی ذیل اللآلئ:۷۶.

و قد قال:سعد التفتازانی فی شرح العقائد النسفیه:

و إنّما اختلفوا فی یزید بن معاویه؛حتّی ذکر فی الخلاصه و غیرها:أنّه لا ینبغی اللعن علیه و لا علی الحجّاج؛لأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم نهی عن لعن المصلّین و من کان من أهل القبله،و ما نقل عن لعن النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم لبعض من أهل القبله فلما أنّه یعلم من أحوال الناس ما لا یعلمه غیره.و بعضهم أطلق اللعن علیه لما أنّه کفر حین أمر بقتل الحسین رضی اللّه عنه،و اتّفقوا علی جواز اللعن علی من قتله،و أمر به، و أجازه،و رضی به.

و الحقّ أنّ رضا یزید بقتل الحسین رضی اللّه عنه،و استبشاره بذلک، و إهانته أهل بیت النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم،ممّا تواتر معناه،و إن کان تفاصیله آحادا،فنحن لا نتوقّف فی شأنه بل فی إیمانه،لعنه اللّه علیه و علی أنصاره و أعوانه (۱).

و لا یخفی أنّ المناط و الضابطه التی ذکرها التفتازانی تنطبق علی کثیر ممّن عادی أهل بیت النبوّه.

و قال الغزّالی:

الصفات المقتضیه للّعن ثلاثه:الکفر و البدعه و الفسق (۲).

و قد ألّف أبو الفرج ابن الجوزی کتابا فی لعن یزید سمّاه:الردّ علی المتعصّب العنید المانع من ذمّ یزید،و نسب فیه اللعن إلی العلماء الورعین (۳)،کما حکی القاضی أبو یعلی الفرّاء فی کتاب المعتمد عن أحمد بن حنبل-و کذا الشبراوی (۴)فی الإتحاف-أنّه جوّز

۱- ۱) .شرح العقائد النسفیه-بتحقیق محمّد عدنان درویش-۲۴۷-۲۴۸.

۲- ۲) .إحیاء علوم الدین ۱۰۶/۳.

۳- ۳) .الردّ علی المتعصّب العنید:۱۳.

۴- ۴) .الإتحاف بحبّ الأشراف:۶۴.

لعن یزید (۱)،و استدلّ بقوله تعالی: فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ (۲)و حکی الدمیری (۳)ذلک عن أبی حنیفه و مالک و أحمد و مثله ابن کثیر (۴)،و الطبری (۵)،و الآلوسی (۶).و حکی کذلک عن الحنفیه (۷).

و قد وقع أهل السنّه فی حیص و بیص من لعن النبیّ جماعه بأسمائهم،فأخذوا فی توجیه ذلک بما یضحک الثکلی (۸)مع أنّهم رووا عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه کان یلعنهم فی صلاته و یقنت علیهم (۹).و روی الحاکم عن عائشه أنّه قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

ستّه لعنتهم،لعنهم اللّه و کلّ نبیّ مجاب:الزائد فی کتاب اللّه،و المکذّب بقدر اللّه تعالی،و المتسلّط بالجبروت؛فیعزّ بذلک من أذلّ اللّه و یذلّ من أعزّ اللّه،و المستحلّ لحرم اللّه،و المستحلّ من عترتی ما حرّم اللّه،و التارک لسنّتی (۱۰).

و قال المحقّق الکرکی فی نفحات اللاهوت:

لا ریب أنّ اللعن هو الطرد و الإبعاد من الرحمه،و إنزال العقوبه بالمکلّف، و کلّ فعل أو قول اقتضی نزول العقوبه بالمکلّف من فسق أو کفر فهو مقتضی لجواز اللعن (۱۱).

نعم هذا حکم اللعن للظالمین و المعتدین فی نفسه أو فی الوسط الداخلی،و أمّا أسلوب دعوه الآخرین و إرشادهم فلا ریب أن یتحرّی فیه ما لا یثیر عصبیه الطرف

۱- ۱) .الردّ علی المتعصّب العنید:۱۶-۱۷.

۲- ۲) .محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم۲۲/.

۳- ۳) .حیاه الحیوان ۱۷۵/۲.

۴- ۴) .البدایه و النهایه ۱۵۴/۸ و ۱۶۳ و ۱۷۹.

۵- ۵) .تاریخ الطبری ۵۳۷/۴.

۶- ۶) .روح المعانی ۷۳/۲۶.

۷- ۷) .الدرّ المنتقی ۶۹۲/۱،فیض القدیر ۲۰۵/۱.

۸- ۸) .لاحظ:الانتصار-للعاملی-۱۱۰/۳-۱۱۲.

۹- ۹) .صحیح البخاری ۳۵/۵ باب:لیس لک من الأمر شیء.

۱۰- ۱۰) .المستدرک علی الصحیحین-للحاکم-۹۱/۱ ح ۱۰۲.

۱۱- ۱۱) .نفحات اللاهوت فی لعن الجبت و الطاغوت:۴۴-۴۵.

الآخر،كما ينبغى الالتفات إلى فلسفه اللعن فى نفسه أو فى الوسط الداخلى؛إذ أنّه مصداق لطبيعه التولّى و التبرّى،التى مرّ أنّها فريضه قرآنيه اعتقاديه،كما أنّه مصداق لطبيعه إنكار المنكر-و لو بالقلب و اللسان-و كراهه الباطل،و بالتالى فإنّه أسلوب تربوى للنفوس يقيمها على الحقّ و يبعدها عن استحسان الباطل،فإنّه من أكبر الأدواء فى المجتمعات استنكار الحقّ و استحسان الباطل و الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف.

و قال عليه السّلام فى خطبه له:

و إنّى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكنّى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى (۱).

و هذا أصل بالغ الأهمّيه لطريقه إصلاح الآخرين:أن لا تكون على حساب فساد المصلح نفسه؛فقد يدارى المصلح الطرف الآخر لدرجه يضيّع فيها على نفسه و طائفته موقف الثبات على الحقّ،و يؤدّى إلى ذوبانه فى الباطل و الانحراف باسم المداراه للإصلاح، و بادّعاء أنّ الإصلاح قد يستلزم تخلّى الطائفه المحقّه عن بعض مبادئها و ضروریاتها لتربيه الطائفه نفسها.

إنّ لمعرفه الأهمّيه البالغه للأمر بالمعروف و الحقّ و النهى عن المنكر و الباطل دور كبير فى ثبات هويه المجتمع الدينى،و نظامه الاجتماعى،و حصانته أمام الغزو الثقافى و العقائدى الأجنبى الدخيل،الموجب للتحلّل الخلقى و لعدم التزام أفراد المجتمع تجاه مقدّسات الملّه و الأمّه و المسئوليات الملقاه على عاتقهم.

الوحده و شعائر المذهب

و هذه الوظيفه التى تؤدّيها فريضه التولّى و التبرّى و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر-من إيجاد الغيره الدينيه و حسّ المسئوليه الاجتماعيه الدينيه-تتأدّى بآليات

۱- ۱) .نهج البلاغه:خطبه ۶۹.

عدیده،عمدتها الشعائر الدینیه،و من هنا یتفطّن لأهمیّه الشعائر و عدم التفریط بها،و لا سیّما الشعائر الإیمانیه المذهبیه؛فإنّ التفریط بها یوجب التفریط بکیان المذهب و ذوبانه أمام هویه المذاهب الإسلامیه الأخری،القائمه علی فقه و اعتقادات السلاطین، المصنوعه من سیاسات السلطات الحاکمه،کالجبریه،و القدریه،و المجسّمه،و اجتهاد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالظنّ و إلقاء الشیطان فی أمنیّته،و أنّ ید اللّه-و العیاذ باللّه-مقطوعه عن الأرض،و مشروعیه ولایه الحاکم المتغلّب بالقوّه،و إطلاق الاجتهاد بالرأی،و التأوّل، و القیاس،و الاستحسان،و غیرها من الأصول،و یؤکّد علماء الاجتماع کذلک علی أهمیّه الشعائر-الطقوس-الدینیه و فلسفتها.

و نظیر الخلط السابق بین العناوین،الخلط فی الموازنه بین إقامه الشعائر الإیمانیه و بین عنوان التقیه،مع أنّ موضوع التقیه«الخوفیه»حیث لا سلطه قائمه للمؤمنین،و کونهم أقلّیه قلیله و نحو ذلک،أو الخلط بین التقیه«المداراتیه»و بین إقامه المعرفه الحقّه فی نفوس أبناء الطائفه؛فإنّ التقیه إنّما شرّعت لحفظ الحقّ و أهله لا لطمسهما فی المجتمع.

الوحده و طوائف الشیعه

و إنّ التساؤل الجادّ المطروح فی مشروع سیاسه الوحده هو عن الاهتمام ببقیّه طوائف و مذاهب الشیعه غیر الإمامیه-کالإسماعیلیه و الزیدیه و مذهب العلویّین-نظیر الاهتمام بالطوائف السنّیه،مع أنّ الملاحظ قلّه العنایه بهم،بل اللازم أولویه الاهتمام بهم لعدّه أسباب:

الأوّل:إنّ تحالفهم السیاسی مع الطائفه مضمون؛نظرا لقرب أصولهم الاعتقادیه لنا.

الثانی:قوّه و أقربیّه احتمال هدایتهم بالمقارنه مع الطوائف السنّیه.

الثالث:کبر حجمهم العددی و الخطوره الاستراتیجیه لأماکن تواجدهم.

فالعلويّون-مثلا-يصل تعدادهم فى جنوب تركيا إلى ١٣ مليون نسمه حسب الإحصائيات الرسميه،و لكن بعض التقارير المحليه تصل بعددهم إلى ٢٢ مليون نسمه، فضلا عن تواجدهم فى سوريا و لبنان و شمال العراق.

و مثلهم الإسماعيليه،فهم منتشرون فى لبنان و سوريا و العراق و أفغانستان و پاكستان و الهند و اليمن،و فى جنوب السعوديه يشكّلون الأكثريه فى المحافظات الجنوبيه،و الغريب أنّه فى مؤتمرات الوحده لم توجّه إلى الآن-حسب ما قيل-أى دعوه لعلماء الإسماعيليه فى سوريا أو فى المناطق الأخرى،و الظاهر أنّ الحال كذلك بالنسبه إلى العلويّين؛إذ لم توجّه لهم دعوه.

و أمّا الزيديه فهم الأكثريه فى اليمن.و كذلك الحال بالنسبه إلى الأشراف الساده من نسل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛فإنّ انتشارهم فى الأصقاع كوثر كاثر،و لهم نقابات فى أكثر البلدان، و هم على محبّه و ولاء قلبى لأئمّه أهل البيت عليهم السّلام أشدّ من غيرهم،ففى بلاد المغرب العربى و الجزائر و تونس ما يقرب من ۵ ملايين حسنى،فضلا عن مصر و ليبيا،و كذلك فى المدينه المنوّره و مكّه المكرّمه و أندونسيا.

و الحاصل قلّما يخلو بلد من البلدان الإسلاميه من هذا النسل الطيّب،و هم أولى بإقامه الجسور معهم من أتباع بنى أميه و مروان،بل إنّ صوفيه السنّه و فرقهم أولى بإقامه العلاقه معهم من بقيه طوائف السنّه؛إذ أنّ غالبيّتهم يعتقدون باطنا بإمامه الاثنى عشر عليهم السّلام،و لذلك تتخوّف الطوائف السنّيه الظاهريه الرسميه منهم.

و الحاصل:إنّ سياسه الوحده لم تبن على بصيره منهجيه،آخذه فى عين الاعتبار درجات و أقسام الطوائف الإسلاميه الموجوده،و إرساء منهج يستند على أولويات مدروسه.

و كم فرق بين من يبطن المحبّه لك و بين من يبطن العداوه و البغضاء؛قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ* ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ... ١.و قال تعالى: كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ... ٢.

و کم فرق بین من یبطن المحبّه لک و بین من یبطن العداوه و البغضاء؛قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَهً مِنْ دُونِکُمْ لا یَأْلُونَکُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَ ما تُخْفِی صُدُورُهُمْ أَکْبَرُ قَدْ بَیَّنّا لَکُمُ الْآیاتِ إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ* ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَ لا یُحِبُّونَکُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْکِتابِ کُلِّهِ... (۱).و قال تعالی: کَیْفَ وَ إِنْ یَظْهَرُوا عَلَیْکُمْ لا یَرْقُبُوا فِیکُمْ إِلًّا وَ لا ذِمَّهً یُرْضُونَکُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبی قُلُوبُهُمْ... (۲).

و لا یخفی أنّ الآیات المزبوره لیست فی صدد تخشین العلاقه الخلقیه مع الآخرین المتّصفین بذلک کی یتوهّم معارضتها بنظیر قوله تعالی: وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً (۳)، و قوله تعالی: اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ (۴)،بل هی فی صدد بیان سیاسه الانفتاح و بناء العلاقات الأساسیه المعتمده لبناء خطوات المستقبل من التحالفات فی المجالات المختلفه.

الوحده و حدیث الفرقه الناجیه

إنّ الحدیث المتواتر بین الفریقین عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«إنّ أمّتی ستفترق بعدی علی ثلاث و سبعین فرقه،فرقه منها ناجیه و اثنتان و سبعون فی النار» (۵)یلزم الباحث المسلم الطالب للنجاه الأخرویه الفحص عن خصوص تلک الفرقه الناجیه،و التمسّک بها دون بقیه فرق المسلمین؛لأنّ مؤدّی الحدیث النبوی أنّ الاختلاف الواقع لیس فی دائره الظنون و الاجتهاد المشروع،بل هو فی دائره الأصول و الأرکان من الأمور القطعیه و الیقینیه،أی ممّا قام الدلیل القطعی و الیقینی علیها،و إن لم تکن ضروریه فی زمن أو أزمان معیّنه نتیجه التشویش أو التعتیم الذی تقوم به الفرق الأخری.

و الحدیث-مضافا إلی کونه ملحمه نبویه-یحدّد معالم الوحده التی یجب أن تقیمها الأمّه الإسلامیه بأن تکون علی منهاج الحقّ و الهدی الذی تسیر علیه الفرقه الناجیه،و إنّ الأمّه و إن اشترکت فی الإقرار بالشهادتین و الانتماء إلی الملّه الواحده إلّا أنّ

۱- ۱) .آل عمران۱۱۸/-۱۱۹.

۲- ۲) .التوبه۸/.

۳- ۳) .البقره۸۳/.

۴- ۴) .المؤمنون۹۶/.

۵- ۵) .بحار الأنوار ۲/۲۸-۳۶.

ذلک لا یعدو الأحکام بحسب ظاهر الإسلام فی النشأه الدنیویه،إلّا أنّها مفترقه بحسب واقع الإسلام و الإیمان الذی به النجاه الأخرویه؛فهناک دیانه بحسب إقرار اللسان تترتّب علیها أحکام المواطنه فی النظام الاجتماعی السیاسی،و هناک دیانه بحسب القلب و الأعمال تترتّب علیها أحکام الآخره من النجاه من النار و إعطاء الثواب.

و هذه الأمور المستفاده من الحدیث الشریف المتواتر إنّما هی بلحاظ الإنسان البالغ العاقل المکلّف،الذی قد اجتمعت فیه شرائط التکلیف،أمّا الصبی و المجنون و الجاهل القاصر أو المعتوه أو الأبله و حدیث العهد بالإسلام و نحوهم ممّن لم تقم علیه الحجّه و تتمّ شرائط التکلیف لدیه،فهم معذورون،و عاقبه المعذور-کما سیأتی-موقوفه علی المشیئه الإلهیه الأخرویه،التی فسّرت فی الروایات بإقامه امتحان إلهی له یوم القیامه إن أطاع فیه نجا و إن عصی هلک.

و قد أطلق علی أفراد المعذور فی الکتاب و السنّه عدّه تسمیات،ک اَلْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلاً (۱)،و مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ (۲)،و أَصْحابُ الْأَعْرافِ (۳)،و الّذین خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً (۴)، و اَلْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ (۵)،و أطلق علیهم أیضا:«الضّلال»،بمعنی:الضالّ«القاصر»؛إذ هذا أحد معانیه،و إلّا فهو یطلق علی«المقصّر»المخلّد فی النار أیضا..

لذلک لا مفرّ لهذا الإنسان-المکلّف المختار-و لا مخلص و لا نجاه له إلّا بالفحص عن الفرقه الناجیه من فرق المسلمین،و لیس له أن یتعامی عن عمد و یسلک طریق الضلال و الغوایه و یرجو مع ذلک النجاه،کما أنّ البحث الجادّ بین فرق المسلمین فی إطار الوحده لا بدّ أن یتحرّی فیه-بمقتضی الحدیث الشریف و التوصیه النبویه-عن الحقّ الذی

۱- ۱) .النساء۹۸/.

۲- ۲) .التوبه۱۰۶/.

۳- ۳) .الأعراف۴۸/.

۴- ۴) .التوبه۱۰۲/.

۵- ۵) .التوبه ۶۰/.

تسلکه الفرقه الناجیه لکی تتّبعها بقیّه الفرق،فإنّ منهاج الهدی لا یرسم بضلال القاصر المستضعف.

و لکی تتمّ الفائده من هذا الحدیث المتواتر-حدیث الفرقه الناجیه-الذی أقرّت بمضمونه جلّ فرق المسلمین،نذکر بعض النقاط التالیه:

الأولی

إنّ الکلام فی النجاه فی الحدیث الشریف هو بحسب الاستحقاق و الامتثال،لا- بحسب الشفاعه و الشفقه الإلهیه و الرحمه الواسعه،أی بحسب ما یلزمه حکم العقل باتّباع الأدلّه و البراهین الشرعیه و العقلیه الأولیه،فإنّ العقل یوجب التجنّب عن التعرّض للسخط الإلهی و احتمال العقوبه الأخرویه،و إن لم یکن بین استحقاق العقوبه و وقوعها تلازم؛لاحتمال الشفاعه و نحوها،فإنّ التعرّض لمثل العقوبه الأخرویه التی أشفقت منها السماوات و الأرض یعدّ من الإلقاء فی الهلکه،هذا فضلا عن الأصناف الأخری لحکم العقل من وجوب شکر المنعم و قبح التمرّد و الطغیان علی المولی،و غیرها من أنماط حکم العقل و الفطره.

الثانیه

إنّ المقصود من النجاه فی الحدیث الشریف هو النجاه من الدخول فی النار و من ذوق حریق العذاب،لا فی النجاه من الخلود فیها و من دوام العذاب؛فإنّ آراء المتکلّمین تکاد تتّفق أنّ الخلود للجاحدین و أهل العناد،سواء کان الجحود فی توحید الذات أو الصفات،أو فی التشریع و الرساله،أو فی الولایه و الإمامه،أو فی الغایه و المعاد،و نحوها من أصول الاعتقاد.

و بعباره أخری:إنّ مفاد الحدیث فی دخول الجنّه عند الحساب و المیزان،لا فی دخول الجنّه بعد أحقاب من العذاب فی النار.

الثالثه

إنّ معذوریه أفراد المعذور-کما یأتی-لا یعنی تنجّز نجاته بل هی مرهونه

بالمشیئه الإلهیه،و التی فسّرت فی عدّه من الأخبار بالامتحان،کما لا یعنی أنّ مسار هؤلاء هو طریق هدی بل مفروض العذریه تخبّط المعذور فی الضلال و الغوایه،فلا تلازم بین العذریه و الأمان و لا بینها و بین ضمان النجاه،و لا بینها و بین اتّخاذ خطأ و ضلال المعذور منهاجا یتبجّح به.و سیأتی أنّ فی الروایات ما یدلّ علی أنّه یبیّن الحقّ لأفراد المعذور فی امتحان یوم القیامه.

الرابعه

إنّ هناک جمله من الأحادیث النبویه المستفیضه و المتواتره الأخری الدالّه علی مفاد حدیث الفرقه الناجیه نفسه،لکن بألفاظ مختلفه و دلالات متعدّده التزامیه و مطابقیه،منها:«من مات و لم یعرف إمام زمانه مات میته جاهلیه» (۱)؛و فی بعض الطرق:«و لیس فی عنقه بیعه لإمام زمانه» (۲)،و نحو ذلک.و منها:«مثل أهل بیتی کسفینه نوح،من رکبها نجا و من ترکها هلک» (۳).و منها:ذیل حدیث الثقلین؛و مفهومه:

«ما إن تمسّکتم بهما فلن تضلّوا أبدا»و غیرها من الأحادیث النبویه الوارده فی علیّ علیه السّلام و أهل بیته.

الخامسه

قد وردت جمله من الروایات المستفیضه فی امتحان أقسام المعذور یوم القیامه، منها:صحیحه هشام؛عن أبی عبد اللّه علیه السّلام:«سئل عمّن مات فی الفتره-أی فی زمان انقطاع الرسل و غیاب الحجّه-و عمّن لم یدرک الحنث-أی البلوغ-و المعتوه،فقال:

«یحتجّ اللّه علیهم یرفع لهم نارا فیقول لهم:ادخلوها،فمن دخلها کانت علیه بردا

۱- ۱) .دعائم الإسلام ۲۷/۱،قرب الإسناد:۳۵۱ ضمن ح ۱۲۶۰،المحاسن ۲۵۱/۱-۲۵۲ ح ۴۷۴ و ح ۴۷۶.

۲- ۲) .صحیح مسلم ۱۴۷۸/۳ ح ۱۸۵۱،المعجم الکبیر ۳۳۴/۱۹ ح ۷۶۹،سنن البیهقی ۱۵۶/۸.

۳- ۳) .المناقب-للکوفی-۲۹۶/۱ ح ۲۲۰ و ۱۴۶/۲ ح ۶۲۴،عیون أخبار الرضا علیه السّلام ۲۷/۲ ح ۱۰ ،المسترشد:۲۶۰ ذیل ح ۷۳ و ۵۷۸ ح ۲۵۰،مسند البزّار ۳۴۳/۹ ح ۳۹۰۰. المسترشد:۲۶۰ ذیل ح ۷۳ و ۵۷۸ ح ۲۵۰،مسند البزّار ۳۴۳/۹ ح ۳۹۰۰.

و سلاما،و من أبی قال:ها أنتم قد أمرتکم فعصیتمونی» (۱).

و فی صحیحه أخری قال علیه السّلام:«ثلاثه یحتجّ علیهم:الأبکم،و الطفل،و من مات فی الفتره،فیرفع لهم نار فیقال لهم:ادخلوها،فمن دخلها کانت علیه بردا و سلاما،و من أبی قال تبارک و تعالی:هذا قد أمرتکم فعصیتمونی» (۲).و فی بعض الروایات:«إنّ أولاد المشرکین خدم أهل الجنّه» (۳).

و منها:صحیح زراره؛قال:سألت أبا جعفر علیه السّلام:«هل سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عن الأطفال؟فقال:«قد سئل فقال:اللّه أعلم بما کانوا عاملین».ثمّ قال:«یا زراره!هل تدری ما قوله اللّه أعلم بما کانوا عاملین؟!»قلت:لا.قال:«للّه عزّ و جلّ فیهم المشیئه؛إنّه إذا کان یوم القیامه أتی بالأطفال،و الشیخ الکبیر الذی قد أدرک السن[النبیّ]و لم یعقل من الکبر و الخرف،و الذی مات فی الفتره بین النبیّین،و المجنون،و الأبله الذی لا یعقل،فکلّ واحد یحتجّ علی اللّه عزّ و جلّ،فیبعث اللّه تعالی إلیهم ملکا من الملائکه و یؤجّج نارا فیقول:

إنّ ربّکم یأمرکم أن تثبوا فیها.فمن وثب فیها کانت علیه بردا و سلاما،و من عصاه سبق إلی النار» (۴).

و هناک جمله عدیده من الروایات،فلاحظها فی محالّها (۵)،کما أنّ هناک جمله أخری من الروایات دالّه علی دخول أطفال المشرکین مع آبائهم فی النار،لکنّها محموله علی عصیانهم فی الامتحان.

و فی روایه لزراره،قال:قال أبو جعفر علیه السّلام-و أنا أکلّمه فی المستضعفین-:«أین

۱- ۱) .الکافی ۲۴۹/۳ ح ۶،بحار الأنوار ۲۹۲/۵ ح ۱۴.

۲- ۲) .الکافی ۲۴۹/۳ ح ۷،بحار الأنوار ۲۹۳/۵ ح ۱۵.

۳- ۳) .المعجم الکبیر ۲۹۵/۷ ح ۶۹۹۳،حلیه الأولیاء ۳۰۸/۶،بحار الأنوار ۲۹۱/۵ ح ۵.

۴- ۴) .الکافی ۲۴۸/۳ ح ۱،معانی الأخبار:۴۰۷ ح ۸۶،بحار الأنوار ۲۹۰/۵ ح ۳.

۵- ۵) .الکافی ۲۴۸/۳-۲۴۹ ح ۱-ح ۷،بحار الأنوار ۲۸۸/۵-۲۹۷ ح ۱-ح ۲۲.

أَصْحابُ الْأَعْرافِ ؟!أين المرجون لأمر اللّه؟!أين الّذين خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً ؟!أين اَلْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ ؟!أين أهل تبيان اللّه؟!أين اَلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ؟! فَأُولئِكَ عَسَى اللّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (۱)» (۲).

و تعبيره عليه السّلام عن أفراد المعذورين ب«أهل تبيان اللّه»لعلّ المراد به أنّه يبيّن تعالى لهم الهدى من الضلال فى الامتحان المقام لهم عند الحساب.

السادسه

هناك جمله أخرى من الروايات يظهر منها دخول أفراد المعذور إلى الجنّه،و لكنّها محموله و مقيّده بامتحانهم و طاعتهم فيه،و من ثمّ نجاتهم،كما تقدّم حمل جمله من الروايات الوارده فى دخول أطفال المشركين النار على عصيانهم فى الامتحان؛بمقتضى العديد من الروايات المستفيضه المفصّله المقيّده لدخول الجنّه أو النار بالامتحان عند الحساب.

منها:صحيح زراره؛قال:«دخلت أنا و حمران-أو:أنا و بكير-على أبى جعفر عليه السّلام، قال:قلت له:إنّا نمدّ المطمار؟قال:«و ما المطمار؟!»قلت:التتر،فمن وافقنا من علوى أو غيره تولّيناه،و من خالفنا من علوى أو غيره برئنا منه..

فقال:«يا زراره!قول اللّه أصدق من قولك؛فأين الّذين قال اللّه عزّ و جلّ: إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ... ؟!أين المرجون لأمر اللّه؟!أين الّذين خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً ؟!أين أَصْحابُ الْأَعْرافِ ؟!أين اَلْمُؤَلَّفَهِ قُلُوبُهُمْ ...»

و زاد فيه جميل،عن زراره:فلمّا كثر بينى و بينه الكلام قال:«يا زراره!حقّا على

۱- ۱) .النساء۹۹/.

۲- ۲) .تفسير العيّاشى ۲۶۹/۱ ح ۲۴۶،بحار الأنوار ۱۶۴/۷۲ ح ۲۳.

اللّه أن[لا]يدخل الضّلال الجنّه» (۱)؛بناء على نسخه بدون«لا»النافيه.و فى روايه العيّاشى:«يا زراره!حقّا على اللّه أن يدخلك الجنّه» (۲).

و صدر الروايه قد روى بطرق متعدّده،و موردها فى الأصل أنّه عليه السّلام سأل زراره:

«متأهّل أنت؟!»،فقال:لا.ثمّ ذكر زراره أنّه لا يستحلّ نكاح هؤلاء فذكر عليه السّلام أنّ المستضعفين لا زالوا على الولاء،لا ولاء الإيمان بل ولاء ظاهر الإسلام من المناكحه و حلّيه ذبيحتهم و...ففى روايه لحمران عنه عليه السّلام:«هم من أهل الولايه...أما إنّها ليست بولايه فى الدين و لكنّها الولايه فى المناكحه و الموارثه و المخالطه،و هم ليسوا بالمؤمنين و لا بالكفّار،و هم المرجون لأمر اللّه عزّ و جلّ» (۳).

و الحاصل أنّ هذه الروايه و مثيلاتها محموله على النجاه-و مقيّده لها-بالطاعه عند الامتحان فى الحساب مع تبيان الحقّ لهم و اختيارهم له؛لما مرّ من روايات مستفيضه دالّه على ذلك مضافا إلى كون مثل هذه الروايات متعرّضه إلى أحكام الحياه الاجتماعيه مع هؤلاء.

و مثل هذا التقييد فى صحيح ضريس الكناسى:عن أبى جعفر عليه السّلام،قال:قلت له:

«جعلت فداك،ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من المسلمين المذنبين، الّذين يموتون و ليس لهم إمام و لا يعرفون ولايتكم؟

فقال:«أمّا هؤلاء فإنّهم فى حفرهم لا يخرجون منها،فمن كان له عمل صالح و لم يظهر منه عداوه فإنّه يخدّ له خدّا إلى الجنّه التى خلقها اللّه بالمغرب-أى البرزخيه لا الأخرويه-فيدخل عليه الروح فى حفرته إلى يوم القيامه حتّى يلقى اللّه فيحاسبه بحسناته و سيئاته،فإمّا إلى الجنّه و إمّا إلى النار،فهؤلاء الموقوفون لأمر اللّه».قال عليه السّلام:

۱- ۱) .الكافى ۲۸۲/۲ ح ۳،كتاب الإيمان و الكفر:باب أصناف الناس.

۲- ۲) .تفسير العيّاشى ۹۳/۲ ح ۷۴،بحار الأنوار ۱۶۴:۷۲-۱۶۵ ح ۲۶.

۳- ۳) .تفسير العيّاشى ۲۶۹/۱ ح ۲۴۹،معانى الأخبار:۲۰۲ ح ۸،بحار الأنوار ۱۶۰/۷۲ ح ۱۳.

«و كذلك يفعل بالمستضعفين،و البله،و الأطفال،و أولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم».

الحديث (۱).

و ذيل الروايه صريح فى كون حالهم موقوفا على المشيئه الإلهيه،التى قد فسرت فى روايات عديده بالامتحان،و حاشا لعدله تعالى أن يدخل النار بغير موجب.

و مثلها روايه الأعمش،عن الصادق عليه السّلام:«أصحاب الحدود فسّاق،لا مؤمنون و لا كافرون،و لا يخلدون فى النار و يخرجون منها يوما ما،و الشفاعه لهم جائزه، و للمستضعفين إذا ارتضى اللّه دينهم» (۲).و ذيل هذه الروايه دالّ على التمييز بين «أصحاب الحدود»و بين«المستضعفين»فى كون«المستضعفين»لا تجوز لهم الشفاعه حتّى يرتضى اللّه تعالى دينهم،أى حتّى يدينوا بالعقائد الحقّه فحينئذ يكونوا على حدّ فسّاق المؤمنين من صلاح العقيده لكنّهم أساءوا العمل؛فهى تدلّ على إقامه الامتحان للمستضعفين،و أنّه بالدرجه الأولى فى تبيان العقائد و الإيمان الحقّ،كما مرّ فى بعض الروايات أنّهم من:«أهل تبيان اللّه».

و من جمله هذا النمط من الروايات:روايه الصباح بن سيابه،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال:«إنّ الرجل ليحبّكم و ما يدرى ما تقولون فيدخله اللّه الجنّه،و إنّ الرجل ليبغضكم و ما يدرى ما تقولون فيدخله النار» (۳).و هذه الروايه تبيّن مدى أهمّيه تولّى أولياء اللّه، و الهلاك فى ترك ولايتهم،و إنّ التولّى و التبرّى منشأه من الأصول الاعتقاديه.

و فى بعض الروايات التقييد بمن أحبّ الشيعه لحبّهم سيّده نساء العالمين الزهراء

۱- ۱) .الكافى ۲۴۷/۳ ضمن ح ۱،تفسير القمّى ۲۶۰/۲،بحار الأنوار ۲۸۶/۶ ح ۷ و ۲۹۰ ضمن ح ۱۴ و ۱۵۸/۷۲ ح ۳.

۲- ۲) .الخصال:۶۰۸ ضمن ح ۹،عيون الأخبار ۱۲۵/۲ ضمن ح ۱،بحار الأنوار ۴۰/۸ ح ۲۲ و ۱۵۹/۷۲ ح ۶.

۳- ۳) .معانى الأخبار:۳۹۲ ح ۴۰،بحار الأنوار ۱۵۹/۷۲ ح ۷.

فاطمه علیها السّلام (۱).و فی بعض الروایات الأخری أنّ ذلک بعد شفاعه المؤمنین فی من أحبّهم (۲).

و علی أی تقدیر؛ وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی (۳)،کما فی الآیه الکریمه،و رضاه بارتضاء دینه،کما مرّ فی روایه الأعمش،و فسّر بذلک فی روایات الشفاعه،فیدلّ علی أنّ الامتحان الذی یقام للمستضعفین و نحوهم من أفراد الضّلال القاصرین هو فی الدیانه و اعتناق الإیمان الحقّ.

أمّا کون الشفاعه موردها من ارتضی دینه فیدلّ علیه قوله تعالی: إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَری إِثْماً عَظِیماً (۴).

و فی آیه أخری: إِنَّ اللّهَ... وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِیداً (۵)،و هو شامل للکفر؛لأنّه ضرب من الشرک.و قد أطلق الکفر علی جحود ولایه خلیفه اللّه فی أرضه، کما فی إبلیس لعنه اللّه،فیعمّ ولایه علیّ علیه السّلام و ولده علیهم السّلام،کما وردت بذلک روایات عدیده فی ذیل الآیتین فی تفسیری البرهان و نور الثقلین،فلاحظها.

و قوله تعالی: لا یَمْلِکُونَ الشَّفاعَهَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً (۶).

و قوله تعالی: یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَهُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلاً (۷)،أی:

معتقده.و کذا قوله تعالی: وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (۸)،فالآیه قیّدت المغفره بالهدایه إضافه إلی الإیمان و العمل الصالح.

۱- ۱) .تفسیر فرات الکوفی:۲۹۸ ح ۴۰۳،بحار الأنوار ۵۲/۸ ضمن ح ۵۹.

۲- ۲) .تفسیر القمّی ۲۰۲/۲،الخصال:۴۰۸ ح ۶،ثواب الأعمال:۲۰۶ ح ۱،بحار الأنوار ۳۸/۸ ح ۱۶ و ۱۹/۳۹ و ۲۶/۴۱.

۳- ۳) .الأنبیاء۲۸/.

۴- ۴) .النساء۴۸/.

۵- ۵) .النساء۱۱۶/.

۶- ۶) .مریم۸۷/.

۷- ۷) .طه۱۰۹/.

۸- ۸) .طه۸۲/.

فالهدایه هی للولایه؛کما عرّفت فی آیات عدیده أنّ الهدایه الصراطیه للإیصال إلی المطلوب هی الولایه و الإمامه،کما فی: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ (۱)،و: جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ (۲)،و: اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ،و: أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳).

و قد وردت روایات مستفیضه فی ذیل الآیه فی بیان ذلک براهینا،فلاحظ تفسیر البرهان (۴)و نور الثقلین (۵)؛فمقتضی الآیه کون الامتحان و التبیان لأهل الأعذار من الضّلال مستعقب لهدایتهم بالطاعه.

و یدلّ علیه روایه الحسین بن خالد،عن الرضا،عن أبیه،عن آبائه،عن أمیر المؤمنین علیهم السّلام،قال:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:من لم یؤمن بحوضی فلا أورده اللّه حوضی،و من لم یؤمن بشفاعتی فلا أناله اللّه شفاعتی»،ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«إنّما شفاعتی لأهل الکبائر من أمّتی،فأمّا المحسنون فما علیهم من سبیل».

قال الحسین بن خالد:فقلت للرضا علیه السّلام:یا بن رسول اللّه!فما معنی قول اللّه عزّ و جلّ: وَ لا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى (۶)؟قال:لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی اللّه دینه (۷).

۱- ۱) .الرعد۷/.

۲- ۲) .الأنبیاء۷۳/.

۳- ۳) .یونس۳۵/.

۴- ۴) .تفسیر البرهان ۲۸/۳-۳۰ ح ۴۸۸۵-ح ۴۸۹۴.

۵- ۵) .تفسیر نور الثقلین ۳۰۲/۲-۳۰۴ ح ۵۷-ح ۶۳.

۶- ۶) .الأنبیاء۲۸/.

۷- ۷) .عیون أخبار الرضا علیه السّلام ۱۳۶/۱ ح ۳۵،الأمالی-للشیخ الصدوق-۵۶ ح ۱۱،بحار الأنوار ۱۹/۸ ح ۵ و ۳۴ ح ۴.

و عمده الباب ما فی صحیحه ابن أبی عمیر؛قال:سمعت موسی بن جعفر علیه السّلام یقول:

لا یخلد اللّه فی النار إلاّ أهل الکفر و الجحود،و أهل الضلال و الشرک،و من اجتنب الکبائر من المؤمنین لم یسأل عن الصغائر»،-ثمّ ذکر علیه السّلام أنّ الشفاعه لأهل الکبائر من المؤمنین-قال ابن أبی عمیر:فقلت له:یا بن رسول اللّه! فکیف تکون الشفاعه لأهل الکبائر و اللّه تعالی یقول: وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی وَ هُمْ مِنْ خَشْیَتِهِ مُشْفِقُونَ ،و من یرکب الکبائر لا یکون مرتضی؟! فقال:«یا أبا أحمد!ما من مؤمن یرتکب ذنبا إلاّ ساءه ذلک و ندم علیه،و قد قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:کفی بالندم توبه.و قال:من سرّته حسنه و ساءته سیّئه فهو مؤمن؛فمن لم یندم علی ذنب یرتکبه فلیس بمؤمن،و لم تجب له الشفاعه، و کان ظالما،و اللّه تعالی یقول: ما لِلظّالِمِینَ مِنْ حَمِیمٍ وَ لا شَفِیعٍ یُطاعُ (۱).

فقلت له:یا بن رسول اللّه!و کیف لا یکون مؤمنا من لم یندم علی ذنب یرتکبه؟!فقال:یا أبا أحمد!ما من أحد یرتکب کبیره من المعاصی و هو یعلم أنّه سیعاقب علیها إلاّ ندم علی ما ارتکب،و متی ندم کان تائبا مستحقّا للشفاعه،و متی لم یندم علیها کان مصرّا،و المصرّ لا یغفر له؛ لأنّه غیر مؤمن بعقوبه ما ارتکب،و لو کان مؤمنا بالعقوبه لندم،و قد قال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:لا کبیره مع الاستغفار و لا صغیره مع الإصرار..

و أمّا قول اللّه: وَ لا یَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی ،فإنّهم لا یشفعون إلاّ لمن ارتضی اللّه دینه،و الدین الإقرار بالجزاء علی الحسنات و السیّئات،و من ارتضی اللّه دینه ندم علی ما یرتکبه من الذنوب؛لمعرفته بعاقبته فی القیامه (۲)

فإنّه استدلال عقلی لتقیید الشفاعه بمن ارتضی اللّه دینه و هو المؤمن،و أنّ الضالّ

۱- ۱) .غافر۱۸/.

۲- ۲) .التوحید:۴۰۷ ح ۶،بحار الأنوار ۳۵۱/۸ ح ۱.

القاصر لا تناله الشفاعه إلّا بعد التبيان و الامتحان و تعرّفه على حقائق الإيمان فينخرط فى زمره المؤمنين.

و نظير الروايات المتقدّمه:ما رواه الصدوق بسنده عن أبى عبد اللّه،عن أبيه،عن جدّه،عن علىّ عليهم السّلام،قال:«إنّ للجنّه ثمانيه أبواب...و باب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ اللّه و لم يكن فى قلبه مقدار ذرّه من بغضنا أهل البيت» (۱).فإنّ غايه دلالتها:على عدم خلودهم فى النار،و لا تنافى ما دلّ على امتحانهم و توقّف دخولهم الجنّه على إطاعتهم بالإيمان،كما لا تنافى ما دلّ على دخولهم النار حقبه لتطهيرهم ثمّ دخولهم الجنّه؛فهناك فرق بين الخلود فى النار و بين الدخول فيها و لو لحقبه منقطعه الأمد،و كذلك بين الدخول فى الجنّه ابتداء و بين الدخول فيها لاحقا،فحساب الأكثريه و الأقليه من الناجين يختلف بحسب المقامين،و قد ورد عنهم عليهم السّلام:«الناجون من النار قليل؛ لغلبه الهوى و الضلال» (۲)،و الروايه ناظره للنجاه من النار لا النجاه من الخلود فيها،و قد تقدّم فى حديث الكاظم عليه السّلام أنّ طوائف المخلّدين أربع و ما عداهم لا يخلد.

السابعه قد دلّت الآيات و الروايات المتواتره على أنّ قبول الأعمال مشروط، و صحّتها كذلك مشروطه بعدّه شرائط،لا يثاب العامل على عمله إلّا بها،و إلّا يكون مردودا بالنسبه إلى الثواب الأخروى،لا سيّما مثل الدخول فى الجنّه،بل الأدلّه دالّه على أنّ صحّه الاعتقادات مشروطه بالولايه،نظير قوله تعالى المتقدّم: وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی ،فقد قيّد الإيمان و العمل الصالح بالهدايه؛فإنّ المغفره-و هى النجاه من العقوبه-إذا كانت مقيّده فكيف بالمثوبه؟!

و قوله تعالى: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (۳)،و الغايه فى تعبير الآيه:أنّه قد قيّد

۱- ۱) .الخصال:۴۰۷ ح ۶،بحار الأنوار ۳۹/۸ ح ۱۹.

۲- ۲) .غرر الحكم-للآمدى-۸۵/۱ ح ۱۷۴۹،مستدرك الوسائل ۱۱۳/۱۲ ضمن ح ۱۳.

۳- ۳) .المائده۲۷/.

القبول ليس بوصف العمل بالتقوى بل بوصف العامل بـذلك،و الصـفه لا تصـدق إلّا مع تحقّقها فى مجمل الأعمال و أركانها،و هى العقائد الحقّه.

و كذا قوله تعالى: أَبى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ (۱)،فجعل تعالى أعمال إبليس كلّها هباء منثورا باستكباره على وليّ اللّه و عدم إطاعته لخليفه اللّه بتولّيه،بل الملاحظ فى واقعه إبليس-التى يستعرضها القرآن الكريم فى سبع سور-أنّ كفره لم يكن شركا بالـذات الإلـهيه و لا بالصـفات و لا بالمعاد و لا بالنبوّه،بل هو جحود لإمامه و خلافه آدم عليه السّلام،فلم يقبل اللّه تعالى اعتقاد إبليس،كما لم يقبل أعماله،و أطلق عليه الكفر بدل التوحيد.

و السرّ فى ذلك أنّ ذروه التوحيد و سنامه و مفتاحه و بابه هو التوحيد فى الولايه؛ فإنّ اليهود قائلون بالتوحيد فى الذات و المعاد و هو توحيد الغايه،و بالتوحيد فى التشريع و هو النبوّه،إلّا أنّهم كافرون بالتوحيد فى الولايه؛إذ قالوا: يَدُ اللّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ (۲)،فإنّهم حجبوا الذات الإلهيه عن التصرّف فى النظام البشرى،و قالوا بأنّ البشر مختارين فى نظامهم الاجتماعى السياسى،و أنّ الحاكميه السياسيه ليست للّه تعالى.

و إنّك و إن أجهدت و أتعبت نفسك فلن تجد دينا و مذهبا يعتقد بحاكميه اللّه تعالى السياسيه و التنفيذيه كحاكميته تعالى فى التشريع و القانون،كما كان حال حكومه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و سيرته السياسيه،التى يستعرضها القرآن الكريم؛فإنّ الحاكم السياسى الأوّل فى حكومته صلّى اللّه عليه و آله و سلم كان هو البارى تعالى فى المهمّات و المنعطفات فى التدبير السياسى و العسكرى و القضائى،و قد اختفت حاكميه اللّه تعالى هذه فى عهد الخلفاء الثلاثه ثمّ عاودت الظهور فى عهد الأمير عليه السّلام،فإنّ أئمّه أهل البيت عليهم السّلام محالّ مشيئه اللّه تعالى و إرادته،فتصرّفاتهم منوطه بإرادته المتنزّله عليهم.

۱- ۱) .البقره۳۴/.

۲- ۲) .المائده۶۴/.

فهذه الحاكميه التوحيديه لا تجد لها أثرا فی مذاهب المسلمين،فضلا عن الأديان الأخری المحرّفه،سوی مذهب أهل البيت عليهم السّلام،فمن ثمّ كانت الإمامه و الولايه هی مظهر و مجلی التوحيد فی الولايه،و كان الاعتقاد بها هو كمال التوحيد و ذروته و سنامه؛إذ أنّ تمجيد التوحيد فی الذات أو فی الصفات أو فی التشريع أو فی المعاد-إنّ إليه الرجعی و المنتهی-تعطيل له،و لا تظهر ثمرته إلّا بظهوره فی الولايه و الحاكميه فی مسيره البشر.

و يمكن ملاحظه اشتراط الولايه فی صحّه الاعتقاد،فضلا عن الأعمال،فی جلّ الآيات الوارده فی ولايه أهل البيت عليهم السّلام،و كذلك فی كثير من الروايات.

ص:۳۲۶

***أمّا الآيات**

فنظير قوله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۱).فإنّه تعالى قد نفى تبليغ الرساله-من الأساس-مع عدم إبلاغ ولايه علىّ عليه السّلام للناس،و هو يقتضى عدم الاعتداد بتوحيد الناس للذات الإلهيه و بإقرارهم بالمعاد و النبوّه من دون ولايه علىّ عليه السّلام،أى أنّ التوحيد فى جميع أبوابه و أركانه وحده واحده:توحيد الذات،و توحيد الغايه و الخلوص، و توحيد التشريع،و توحيد الولايه.

و لازم الكفر و الإشراك فى مقام من مقامات التوحيد هو الكفر و الإشراك الخفى المبطّن فى بقيه المقامات،و ذيل الآيه صريح فى ترتّب الكفر على ذلك فى مقابل الإيمان، لا ما يقابل ظاهر الإسلام؛إذ الظاهر مترتّب على الإقرار بالشهادتين لسانا.

و نظير قوله تعالى: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً (۲).فإنّ الإكمال يستعمل فى تحوّل الشىء فى الأطوار النوعيه من نوع إلى نوع،و الإتمام يستعمل فى انضمام الأجزاء الخارجيه بعضها إلى بعض،ففى التعبير عنايه فائقه فى كون الدين لم يكتمل طوره النوعى التام إلّا بالولايه،و أمّا النعمه الدنيويه فلا تتمّ أجزاءها إلّا بها أيضا،و إن كان للأجزاء قوام مستقلّ،كمن امتنع عن المحرّمات و الفواحش فإنّه يتنعّم بالوقايه من مفاسدها الدنيويه،و هذا ممّا يبيّن الاختلاف الماهوى بين الإسلام فى ظاهر اللسان و بين الإيمان فى مكنون القلب و مقام العمل و هو الإسلام بوجوده الحقيقى.

ثمّ إنّ فى الآيه تقييد رضا الربّ بكون الإسلام دينا بالولايه،فالإسلام من توحيد الذات و التشريع(النبوّه)و المعاد و توحيد الغايه معلّق رضا الربّ به بشرطيه الولايه،

۱- ۱) .المائده۶۷/.

۲- ۲) .المائده۳/.

فضلا عن العمل بفرائض الفروع.

و نظير ذلك:ما فى سوره الحمد(الفاتحه).فالمصلّى عند ما يقرّ لربّه فى النصف الأوّل من السوره بالتوحيد فى الذات اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ،و الصفات اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ،و فى الغايه و المعاد مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ،و فى التشريع إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ فى جميع الأمور فى الحياه الفرديه و الاجتماعيه؛فإنّه يعود فى النصف الثانى من السوره ليطلب الهدايه إلى الصراط المستقيم اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ .

فإنّ كلّ ما تقدّم من إقراره و تسليمه بالعقائد الحقّه لم يكفه حتّى يثمر ذلك فى طيّه صراط التوحيد المستقيم،و هو صراط ثلّه فى هذه الأمّه و مجموعه موصوفه بثلاث صفات: صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ أى منعم عليهم بنعمه خاصّه لهم دون سائر الأمّه و هى نعمه الاصطفاء و الاجتباء،كما فى الاستعمال القرآنى لاصطفاء الأنبياء و الأوصياء.

و فى هذه الأمّه قد أنعم البارى تعالى على أهل البيت عليهم السّلام قربى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالتطهير الخاص بهم،و أنّهم الّذين يمسّون و يصلون إلى الوجود الغيبى العلوى للقرآن فى الكتاب المكنون فى اللوح المحفوظ.

و الصفه الثانيه: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ،و هى العصمه العمليه،فلا يغضبون ربّهم قطّ.و الصفه الثالثه: وَ لاَ الضّالِّينَ ،و هى العصمه العلميه.فجعل الولايه لهؤلاء ثمره لإقرار المصلّى بالتوحيد فى المواطن الأربعه فى النصف الأوّل من السوره.

و نظير ذلك قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى .فإنّه جعل مودّه و اتّباع و تولّى قربى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم عدل كلّ الرساله المتضمّنه لتوحيد الذات و الصفات و التشريع و الغايه لبيان أنّ توحيد الولايه هو ثمره التوحيد فى سائر المقامات،و هو الذروه و السنام،و قد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام فى وصفه للمسلمين بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنّهم:«أخذوا بالشجره و ضيّعوا الثمره» (۱).و كذلك سائر الآيات الوارده فى

۱- ۱) .نهج البلاغه:الخطبه القاصعه.

ولايتهم عليهم السّلام تبيّن هذه الحقيقه الدينيه.

***و أمّا الروايات**

فقد روى الفريقان مستفيضا عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،أنّه قال:«لو أنّ عبدا عبد بين الركن و المقام ألف عام ثمّ ألف عام و لم يحبّنا أهل البيت أكبّه اللّه على منخريه فى النار» (۱).

و أخرج الطبرانى فى الأوسط،أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال:«الزموا مودّتنا أهل البيت،فإنّه من لقى اللّه عزّ و جلّ و هو يودّنا دخل الجنّه بشفاعتنا،و الذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله إلاّ بمعرفه حقّنا» (۲).و فى كثير من طرق العامّه:«و كان مبغضا لعلىّ بن أبى طالب و أهل البيت[أو:آل محمّد]أكبّه...» (۳)؛نعم،فى غالب الطرق الوارد فيها:«مبغضا»جعل الجزاء دخول النار،و فى الطرق الوارد فيها:«عدم محبّتهم»،أو:«عدم معرفتهم»،أو:«عدم ولايتهم»جعل الجزاء عدم قبول عمله و صيرورته هباء منثورا.

و هكذا فى طرقنا؛ففى صحيح محمّد بن مسلم،قال:سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول:

«كلّ من دان اللّه عزّ و جلّ بعباده يجهد فيها نفسه و لا إمام له من اللّه فسعيه غير مقبول،و هو ضالّ متحيّر،و اللّه شانئ لأعماله...و إن مات على هذه الحال مات ميته كفر و نفاق.و اعلم يا محمّد!إنّ أئمّه الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين اللّه قد ضلّوا و أضلّوا، فأعمالهم التى يعملونها كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا عَلى

۱- ۱) .شرح إحقاق الحقّ ۴۹۱/۹.

۲- ۲) .المعجم الأوسط ۲۶/۳ ح ۲۲۵۱؛و ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ۱۷۲/۹،و ابن حجر فى الصواعق، و النبهانى فى الشرف المؤبّد:۹۶،و الحضرمى فى رشفه الصادى:۴۳.

۳- ۳) .لاحظ:شرح إحقاق الحقّ ۴۹۲/۹-۴۹۴،و ۵۷۹/۱۵،و ۴۴۸/۱۸،و ۲۹۰/۲۰-۳۱۵،المستدرك على الصحيحين ۱۴۹/۳،الغدير ۳۰۱/۲،و ۲۶۸/۹.و أخرجه الطبرانى و السيوطى و الثعلبى و النبهانى،و ابن حجر فى الصواعق:۱۷۲.و غيرهم.

شَیْءٍ ذلِکَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِیدُ (۱)» (۲).

و فی روایه عبد الحمید بن أبی العلاء عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث،قال:«و اللّه لو أنّ إبلیس سجد للّه بعد المعصیه و التکبّر عمر الدنیا ما نفعه ذلک،و لا قبله اللّه عزّ و جلّ؛ ما لم یسجد لآدم کما أمره اللّه عزّ و جلّ أن یسجد له،و کذلک هذه الأمّه العاصیه، المفتونه بعد نبیّها صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و بعد ترکهم الإمام الذی نصبه نبیّهم صلّی اللّه علیه و آله و سلم لهم،فلن یقبل اللّه لهم عملا،و لن یرفع لهم حسنه،حتّی یأتوا اللّه من حیث أمرهم،و یتولّوا الإمام الذی أمروا بولایته،و یدخلوا من الباب الذی فتحه اللّه و رسوله لهم».

و فی روایه میسر:«ثمّ لقی اللّه بغیر ولایتنا لکان حقیقا علی اللّه عزّ و جلّ أن یکبّه علی منخریه فی نار جهنّم» (۳).و فی روایه أخری:«و لم یعرف حقّنا و حرمتنا أهل البیت لم یقبل اللّه منه شیئا أبدا» (۴)،و مثلها روایه المفضّل (۵).

و فی صحیح آخر لمحمّد بن مسلم،عن أحدهما علیه السّلام،قال:«قلت:إنّا لنری الرجل له عباده و اجتهاد و خشوع و لا یقول بالحقّ،فهل ینفعه ذلک شیئا؟!

فقال:یا أبا محمّد!إنّما مثل أهل البیت مثل أهل بیت کانوا فی بنی إسرائیل،کان لا یجتهد أحد منهم أربعین لیله إلّا دعا فأجیب،و إنّ رجلا منهم اجتهد أربعین لیله ثمّ دعا فلم یستجب له،فأتی عیسی بن مریم علیه السّلام یشکو إلیه ما هو فیه و یسأله الدعاء،قال:

فتطهّر عیسی و صلّی ثمّ دعا اللّه عزّ و جلّ،فأوحی اللّه عزّ و جلّ إلیه:یا عیسی بن مریم!إنّ عبدی أتانی من غیر الباب الذی أوتی منه،إنّه دعانی و فی قلبه شکّ منک،فلو دعانی حتّی ینقطع عنقه و تنتثر أنامله ما استجبت له.قال:فالتفت إلیه عیسی علیه السّلام فقال:تدعو ربّک و

۱- ۱) .إبراهیم۱۸/.

۲- ۲) .الکافی ۱۴۰/۱ ح ۸،الوسائل ۱۱۸/۱ ح ۲۹۷.

۳- ۳) .عقاب الأعمال:۲۵۰ ذیل ح ۱۶،الوسائل ۱۲۳/۱ ذیل ح ۳۱۲.

۴- ۴) .علل الشرائع:۲۵۰ ح ۷،الوسائل ۱۲۳/۱ ذیل ح ۳۱۰.

۵- ۵) .عقاب الأعمال:۲۴۴ ذیل ح ۳،الوسائل ۱۲۴/۱ ح ۳۱۴.

أنت فی شکّ من نبیّه؟!فقال:یا روح اللّه و کلمته!قد کان و اللّه ما قلت،فادع اللّه لی أن یذهب به عنّی.قال:فدعا له عیسی علیه السّلام فتاب اللّه علیه و قبل منه و صار فی حدّ أهل البیت» (۱).

و قد جعل تعالی مودّه ذوی القربی سبیلا إلیه فقال: ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَنْ شاءَ أَنْ یَتَّخِذَ إِلی رَبِّهِ سَبِیلاً (۲)،و قد قال تعالی: وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهَ (۳)،فلم یکن التعبیر:«فابتغوه»بل:«ابتغوا الوسیله إلیه»،و قال تعالی: وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنی فَادْعُوهُ بِها (۴)،فجعل الأسماء أبوابا لدعوته،و الاسم آیه للمسمّی و لیس عینه.

الثامنه

فی تحدید معنی المستضعف و ذوی العذر من الضّلال القصّر؛فقد وردت عدّه آیات فی تحدیده:

فی قوله تعالی: إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَهً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلاً* فَأُولئِکَ عَسَی اللّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ کانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُوراً (۵)،فالآیه تعدّد عدم قدرتهم علی الوسیله،و عدم درکهم السبیل إلی الحقّ.

و قوله تعالی: وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اللّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۶)و قوله تعالی: وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمّا یُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ اللّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۷).

فالآیه الأولی من البراءه تحدّده بالاعتراف بالذنوب،و هذا نوع و نمط من التوبه و الإیمان بالحقّ و الإعراض عن الضلال.و وردت أیضا روایات عدیده فی تحدیده:

۱- ۱) .الکافی ۲۹۴/۲ ح ۹.

۲- ۲) .الفرقان۵۷/.

۳- ۳) .المائده۳۵/.

۴- ۴) .الأعراف ۱۸۰/.

۵- ۵) .النساء۹۸/-۹۹.

۶- ۶) .التوبه(براءه)۱۰۲/.

۷- ۷) .التوبه(براءه)۱۰۶/.

فی روایه ابن الطیّار عن أبی جعفر علیه السّلام،قال:سألته عن المستضعف،فقال:«هو الذی لا یستطیع حیله الکفر فیکفر،و لا یهتدی سبیلا إلی الإیمان فیؤمن،لا یستطیع أن یؤمن و لا یستطیع أن یکفر،فهم الصبیان،و من کان من الرجال و النساء علی مثل عقول الصبیان،و من رفع عنه القلم» (۱).

و روی أیضا،قال:قال أبو عبد اللّه علیه السّلام:«المرجون لأمر اللّه قوم کانوا مشرکین قتلوا حمزه و جعفر و أشباههما من المؤمنین ثمّ دخلوا بعده فی الإسلام،فوحّدوا اللّه و ترکوا الشرک،و لم یعرفوا الإیمان بقلوبهم فیکونوا من المؤمنین فتجب لهم الجنّه،و لم یکونوا علی جحودهم فتجب لهم النار،فهم علی تلک الحاله مرجون لأمر اللّه إمّا یعذّبهم و إمّا یتوب علیهم» (۲).

و ظاهر الروایه الثانیه أنّ«المرجأ»هو الذی أسلم و لم یؤمن،نظیر قوله تعالی:

قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا یَدْخُلِ الْإِیمانُ فِی قُلُوبِکُمْ (۳).

و روی الحلبی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال:«الناس علی ستّ فرق:مستضعف،و مؤلّف، و مرجی،و معترف بذنبه،و ناصب،و مؤمن» (۴).

و روی عبد الغفّار الجازی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال:«إنّ المستضعفین ضروب یخالف بعضهم بعضا،و من لم یکن من أهل القبله ناصبا فهو مستضعف» (۵).

و هذه الروایه تبیّن أنّ القصور علی درجات عدیده،شدّه و ضعفا،و هو هکذا عقلا، و الضابطه فیه:أن لا یکون ناصبا،و هی تشیر إلی اشتراط انتفاء درجات نصب العداء التی

۱- ۱) .تفسیر القمّی ۱۴۹/۱،بحار الأنوار ۱۵۷/۷۲ ح ۱.

۲- ۲) .تفسیر القمّی ۳۰۴/۱-۳۰۵،بحار الأنوار ۱۵۷/۷۲.

۳- ۳) .الحجرات۱۴/.

۴- ۴) .الخصال:۳۳۳ ح ۳۴،بحار الأنوار ۱۵۸/۷۲ ح ۴.

۵- ۵) .معانی الأخبار:۲۰۰ ح ۱،بحار الأنوار ۱۵۹/۷۲ ح ۸.

قد فسّرت فی روایات عدیده بأنّ منها:معاداه الشیعه لکونهم أتباع أهل البیت علیهم السّلام،و منها:تولّی أصحاب السقیفه و الائتمام بهم،و منها:بغض أهل البیت قلبا و إن لم یکن لسانا،و منها:إنکار و جحد فضائل أهل البیت علیهم السّلام،و ستأتی الروایات فی ذلک.

و فی روایه سفیان بن السمط،قال:قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:«ما تقول فی المستضعفین؟فقال لی شبها بالمفزع:«و ترکتم أحدا یکون مستضعفا؟!و أین المستضعفون؟!فو اللّه لقد مشی بأمرکم هذا العواتق إلی العواتق فی خدورهنّ،و تحدّث به السقایات بطرق المدینه» (۱).

و روی عمرو بن إسحاق،قال:سئل أبو عبد اللّه علیه السّلام:«ما حدّ المستضعف الذی ذکره اللّه عزّ و جلّ؟قال:من لا یحسن سوره من القرآن و قد خلقه اللّه عزّ و جلّ خلقه ما ینبغی له أن لا یحسن» (۲)؛و الحدّ فی هذه الروایه من هو متخلّف عقلیا.

و فی روایه حمران،قال سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ ؟قال:«هم أهل الولایه»،قلت:و أی ولایه؟!فقال:«أما إنّها لیست بولایه فی الدین و لکنّها الولایه فی المناکحه و الموارثه و المخالطه،و هم لیسوا بالمؤمنین و لا بالکفّار،و هم المرجون لأمر اللّه عزّ و جلّ» (۳).

و روی سلیمان بن خالد،قال:سألت أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الآیه؟قال:«یا سلیمان!فی هؤلاء المستضعفین من هو أثخن رقبه منک،المستضعفون قوم یصومون و یصدّون،تعفّ بطونهم و فروجهم،لا یرون أنّ الحقّ فی غیرنا[غیرها]آخذین بأغصان الشجره، فَأُولئِکَ عَسَی اللّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ ؛إذ کانوا آخذین بالأغصان و إن لم یعرفوا أولئک،فإن عفی عنهم

۱- ۱) .معانی الأخبار:۲۰۱ ح ۶،بحار الأنوار ۱۶۰/۷۲ ح ۱۱.

۲- ۲) .معانی الأخبار:۲۰۲ ح ۷،بحار الأنوار ۱۶۰/۷۲ ح ۱۲.

۳- ۳) .مرّت تخریجات الحدیث فی ص ۱۰۶.

فبرحمته،و إن عذّبهم فبضلالتهم عمّا عرّفهم» (۱).

و على نسخه:«غيرها»؛يكون المعنى:لا يرون أنّ الحقّ فى غير الأعمال الصالحه، كالصوم و الصلاه و العفّه،و لا يعرفون حقائق الإيمان و الولايه،فعسى أن يعفو اللّه تعالى عنهم بأخذهم بتلك الأعمال و بعد امتحانهم-كما تقدّم فى مستفيض الروايات-و إن لم يعرفوا أولئك أصحاب السقيفه بالباطل،فإن عفى عنهم بعد الامتحان فبرحمته،و إن عذّبهم فبضلالتهم عن حقيقه الإيمان التى عرّفها لهم،و من هو أثخن رقبه منك،أى الساذج البله..

و على نسخه:«غيرنا»؛أى:لا يرون أنّ الحقّ فى غيرنا،و لكنّهم لم يعرفوا أصحاب السقيفه بالباطل،فلديهم تولّى و لكن ليس لديهم تبرّى.

و فى موثّق سليمان بن خالد عن أبى جعفر عليه السّلام،قال:سألته عن المستضعفين؟فقال:

«البلهاء فى خدرها و الخادم تقول لها:صلّ فتصلّى لا تدرى إلّا ما قلت لها،و الجليب المجلوب،و هو الخادم الذى لا يدرى إلّا ما قلت له،و الكبير الفانى،و الصبى الصغير، هؤلاء المستضعفين،فأمّا رجل شديد العنق،جدل خصم،يتولّى الشراء و البيع،لا تستطيع أن تغبنه فى شىء تقول:هذا مستضعف؟!لا و لا كرامه» (۲).

و روى الصدوق عن أبى عبد اللّه عليه السّلام،قال:«من عرف الاختلاف فليس بمستضعف» (۳)،و فى روايه أبى بصير:«من عرف اختلاف الناس...» (۴).

و فى روايه سليم بن قيس فى جواب أمير المؤمنين عليه السّلام للأشعث بن قيس؛قال الأشعث-رأس الفتنه-:«و اللّه لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الأمّه غيرك و غير

۱- ۱) .تفسير العيّاشى ۲۷۰/۱ ح ۲۵۰،معانى الأخبار:۲۰۲ ح ۹،بحار الأنوار ۱۶۱/۷۲ ح ۱۴.

۲- ۲) .تفسير العيّاشى ۲۷۰/۱ ح ۲۵۱،معانى الأخبار:۲۰۳ ح ۱۰،بحار الأنوار ۱۶۱/۷۲ ح ۱۵.

۳- ۳) .معانى الأخبار:۲۰۰ ح ۲،بحار الأنوار ۱۶۲/۷۲ ح ۱۷.

۴- ۴) .معانى الأخبار:۲۰۱ ح ۳،بحار الأنوار ۱۶۲/۷۲ ح ۱۸.

شیعتک؟!قال:فإنّ الحقّ و اللّه معی یا ابن قیس کما أقول،و ما هلک من الأمّه إلاّ الناصبین و المکابرین و الجاحدین و المعاندین،فأمّا من تمسّک بالتوحید و الإقرار بمحمّد و الإسلام،و لم یخرج من الملّه،و لم یظاهر علینا الظلمه و لم ینصب لنا العداوه،و شکّ فی الخلافه و لم یعرف أهلها و ولاتها،و لم یعرف لنا ولایه و لم ینصب لنا عداوه،فإنّ ذلک مسلم مستضعف یرجی له رحمه اللّه و یتخوّف علیه ذنوبه» (۱).

فذکر علیه السّلام للمستضعف تسعه قیود لفظا قد ترجع خمسه منها إلی أن لا یتوالی أعداء أهل البیت،و الغاصبین للخلافه،و یکون شاکّا،و لا یظاهر علیهم النصّاب.

و روی فی مستطرفات السرائر مسائل محمّد بن علی بن عیسی مکاتبه لمولانا أبی الحسن الهادی علیه السّلام،قال:«کتبت إلیه أسأله عن الناصب،هل أحتاج فی امتحانه إلی أکثر من تقدیمه الجبت و الطاغوت و اعتقاده بإمامتهما؟!فرجع الجواب:«من کان علی هذا فهو ناصب» (۲).

و روی فی العلل،بسنده إلی عبد اللّه بن سنان،عن الصادق علیه السّلام،قال:«لیس الناصب من نصب لنا أهل البیت؛لأنّک لا تجد رجلا یقول:أنا أبغض محمّدا و آل محمّد،و لکنّ الناصب من نصب لکم و هو یعلم أنّکم تتولّونا و أنّکم من شیعتنا» (۳).

و روی المعلّی بن الخنیس،قال:سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول:«لیس الناصب من نصب لنا أهل البیت،لأنّک لا تجد أحدا یقول:أنا أبغض محمّدا و آل محمّد،و لکنّ الناصب من نصب لکم و هو یعلم أنّکم تتولّونا و تتبرءون من أعدائنا» (۴).

و روی فی الأمالی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،قال:«من سرّه أن یعلم أ محبّ لنا أم مبغض؟!فلیمتحن قلبه،فإن کان یحبّ ولیّا لنا فلیس بمبغض لنا،و إن کان یبغض ولیّا لنا

۱- ۱) .کتاب سلیم بن قیس الکوفی ۶۷۰/۲ ضمن ح ۱۲،بحار الأنوار ۱۷۰/۷۲ ح ۳۶.

۲- ۲) .مستطرفات السرائر ۵۸۳/۳.

۳- ۳) .علل الشرائع:۶۰۱ ح ۶۰،طبعه النجف الأشرف.

۴- ۴) .معانی الأخبار:۳۶۵ ح ۱.

فليس بمحبّ لنا» (۱).

و روی فی تفسیر العسکری عن السجّاد-علیهما السّلام-قال:«قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:ما من عبد و لا أمه زال عن ولایتنا،و خالف طریقتنا،و سمّی غیرنا بأسمائنا و أسماء خیار أهلنا،الذی اختاره اللّه للقیام بدینه و دنیاه،و لقّبه بألقابنا،و هو کذلک یلقّبه معتقدا،لا یحمله علی ذلک تقیّه خوف،و لا تدبیر مصلحه دین،إلّا بعثه اللّه یوم القیامه و من کان قد اتّخذه من دون اللّه ولیّا و حشر إلیه الشیاطین الّذین کانوا یغوونه فقال له:یا عبدی!أ ربّا معی هؤلاء کنت تعبد؟!و إیّاهم کنت تطلب؟!فمنهم فاطلب ثواب ما کنت تعمل،لک معهم عقاب أجرامک» (۲).

فیتحصّل أنّ الناصب علی أقسام و المستضعف علی درجات،کلّها خارجه عن التقصیر،و لا یندرج فیه الموالی لأئمّه الضلال،و من ثمّ روی عنهم علیهم السّلام:«الناجون من النار قلیل؛لغلبه الهوی و الضلال» (۳)،و مفاده:فی النجاه من النار،لا النجاه من الخلود، و بینهما بون کما مرّ.

التاسعه

إنّ شرطیه النجاه بالولایه لا تعنی التواکل فی العمل،و إنّما تعنی أهمیّه الولایه و أهمّیه هذا المقام التوحیدی،فإنّ روح العمل و قوامه بالنیّه؛قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«إنّما الأعمال بالنیّات» (۴)،و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«نیّه المؤمن خیر من عمله» (۵).

و قد روی العسکری علیه السّلام،عن آبائه علیهم السّلام،عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،أنّه قال لبعض

۱- ۱) .الأمالی-للمفید-۳۳۴ ح ۴،الأمالی-للشیخ الطوسی-۱۱۳ ح ۱۷۲،بحار الأنوار ۵۳/۲۷ ح ۶.

۲- ۲) .تفسیر الإمام العسکری علیه السّلام:۵۷۹ ح ۳۴۱.

۳- ۳) .مرّت تخریجات الحدیث.

۴- ۴) .دعائم الإسلام ۱۵۶/۱،الهدایه-للشیخ الصدوق-۶۲،الأمالی-للشیخ الطوسی-۶۱۸ضمن ح ۱۲۷۴.

۵- ۵) .الکافی ۶۹/۲ ح ۲،علل الشرائع:۵۲۴ ح ۱.

أصحابه ذات يوم:«يا أبا عبد اللّه!أحبّ فى اللّه و أبغض فى اللّه،و وال فى اللّه و عاد فى اللّه؛ فإنّه لا تنال ولايه اللّه إلّا بذلك،و لا يجد رجل طعم الإيمان و إن كثرت صلاته و صيامه حتّى يكون كذلك،و قد صارت مؤاخاه الناس يومكم هذا أكثرها فى الدنيا،عليها يتوادّون و عليها يتباغضون،و ذلك لا يغنى عنهم من اللّه شيئا» (۱).

فكما أنّ أهمّيه الولايه لا تعنى التفريط فى العمل و التهاون فيه،فكذلك صلاح العمل فى صورته و قالبه لا يعنى التفريط بالولايه و الإيمان،إذ أنّ الولايه لهم عليهم السّلام هى توحيد الولايه له تعالى و إخلاص له فى التولّى.

و من ثمّ أكّدت عدّه آيات و روايات على خواء العمل بدونها،و إنّه هباء منثورا؛قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا عَلى شَيْءٍ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ (۲).و قال: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً (۳).و قال: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَهٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً (۴).و قال: يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۵).و قال: وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ (۶).

العاشره

إنّ مفاد الحديث النبوى المعروف بين الفريقين ب«حديث الفرقه الناجيه»هو الدعوه لتمييزها و معرفتها كى تتّبع،و النهى عن اتّباع غيرها،و عن التوقّف و التبلبل

۱- ۱) .تفسير الإمام العسكرى عليه السّلام:۴۹ ضمن ح ۲۲،عيون أخبار الرضا عليه السّلام ۲۹۱/۱ ح ۴۱،علل الشرائع ۱۴۰ ح ۱الأمالى-للشيخ الصدوق-۶۱ ح ۲۱،معانى الأخبار:۳۷ ضمن ح ۹ و ۳۹۹ ح ۵۸، بحار الأنوار ۵۴/۲۷ ح ۸.

۲- ۲) .إبراهيم۱۸/.

۳- ۳) .الفرقان۲۳/.

۴- ۴) .النور۳۹/.

۵- ۵) .الكهف۱۰۴/.

۶- ۶) .المجادله۱۸/.

و الحیره و الاضطراب.

روی الشیخ المفید بسنده عن سلمان رضی اللّه عنه،یقول:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

«تفترق أمّتی ثلاث فرق:فرقه علی الحقّ لا ینقص الباطل منه شیئا،یحبّوننی و یحبّون أهل بیتی،مثلهم کمثل الذهب الجیّد کلّما أدخلته النار فأوقدت علیه لم یزده إلاّ جوده، و فرقه علی الباطل لا ینقص الحقّ منه شیئا،یبغضوننی و یبغضون أهل بیتی،مثلهم مثل الحدید کلّما أدخلته النار فأوقدت علیه لم یزده إلاّ شرّا،و فرقه مدهدهه،علی ملّه السامری،لا یقولون:لا مساس،لکنّهم یقولون:لا قتال،إمامهم عبد اللّه بن قیس الأشعری» (۱).

و یشیر صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی اضطراب الفرقه الثالثه،و أنّ شعارهم:«لا قتال»،أی:لا فیصله بین الحقّ عن الباطل،و یمزجون المذاهب و المسارات،مدهدهه البصیره (۲).

و روی ذلک عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،إلاّ أنّه وصف الفرقه المذبذبه بأنّها شرّ الفرق؛ فقال:«إنّ هذه الأمّه تفترق علی ثلاث و سبعین فرقه،فرقه واحده منها فی الجنّه و اثنتان و سبعون فی النار،و شرّها فأبغضها إلی اللّه و أبعدها منه السامره،الّذین یقولون:«لا قتال»و کذبوا،و قد أمر اللّه عزّ و جلّ بقتال هؤلاء الباغین فی کتابه و سنّه نبیّه،و کذلک المارقه» (۳).

و روی فی کشف الغمّه أنّ علیّ بن الحسین علیه السّلام قال:«قد انتحلت طوائف من هذه الأمّه-بعد مفارقتها أئمّه الدین و الشجره النبویه-إخلاص الدیانه و أخذوا أنفسهم فی ضحائل الرهبانیه و...حتّی إذا طال علیهم الأمد و بعدت علیهم الشقّه و امتحنوا بمحن الصادقین رجعوا علی أعقابهم ناکصین...

۱- ۱) .الأمالی-للشیخ المفید-۲۹ ح ۳.

۲- ۲) .مناقب علیّ بن أبی طالب-لابن مردویه-۱۲۴ ح ۱۵۷،بحار الأنوار ۹/۲۸-۱۰ ح ۱۲ و ۱۶.

۳- ۳) .کتاب سلیم بن قیس الکوفی ۶۶۳/۲ ضمن ح ۱۲.

و ذهب آخرون إلى التقصير فى أمرنا،و احتجّوا بمتشابه القرآن،فتأوّلوا بآرائهم، و اتّهموا مأثور الخبر ممّا استحسنوا،يقتحمون فى أغمار الشبهات و دياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب،و لا أثره علم من مظانّ العلم،بتحذير مثبطين زعموا أنّهم على الرشد من غيّهم..

و إلى من يفزع خلف هذه الأمّه،و قد درست أعلام الملّه،و دانت الأمّه بالفرقه و الاختلاف يكفّر بعضهم بعضا،و اللّه تعالى يقول: وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ (۱)؟!فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّه و تأويل الحكمه،إلّا أهل الكتاب و أبناء أئمّه الهدى و مصابيح الدجى؟!...» (۲).

الحاديه عشره

إنّ جمله من أتباع الشيخين قد ذهبوا إلى وجود النصّ من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم عليهما.

قال التفتازانى:

المبحث الرابع:الجمهور على انّه(صلّى اللّه عليه[و آله]و سلّم)لم ينصّ على إمام،و قيل:نصّ على أبى بكر(رض)نصّا خفيّا،و قيل:جليّا.و قالت الشيعه:

على علىّ(كرّم اللّه وجهه)خفيّا،و الإماميه منهم:جليّا أيضا (۳).انتهى.

و قال فى شرح كلامه السابق:

ذهب جمهور أصحابنا و المعتزله و الخوارج إلى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه[و آله] و سلّم لم ينصّ على إمام بعده،و قيل:نصّ على أبى بكر؛فقال الحسن البصرى:

نصّا خفيّا،و هو تقديمه إيّاه فى الصلاه،و قال بعض أصحاب الحديث:نصّا جليّا» (۴).

۱- ۱) .آل عمران۱۰۵/.

۲- ۲) .كشف الغمّه ۹۸/۲-۹۹،بحار الأنوار ۱۹۳/۲۷ ح ۵۲.

۳- ۳) .شرح المقاصد ۲۵۸/۵.

۴- ۴) .شرح المقاصد ۲۵۹/۵.

ثمّ إنّ التفتازانی یناقض نفسه؛فمع إنکاره للقول بالنصّ یستدلّ علی إمامه أبی بکر بالنصّ!!قال:

المبحث الخامس:الإمام بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم أبو بکر،و قالت الشیعه:علیّ.لنا إجماع أهل الحلّ و العقد...و قد یتمسّک بقوله تعالی: قُلْ لِلْمُخَلَّفِینَ مِنَ الْأَعْرابِ... (۱)الآیه،فالداعی المفترض الطاعه أبو بکر عند المفسّرین!!و عمر عند البعض!!و فیه المطلوب،و بقوله صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم:اقتدوا باللّذین من بعدی:أبی بکر و عمر...ثمّ قال:یأبی اللّه و المسلمون إلّا أبا بکر...و بأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه[و آله]و سلّم استخلفه فی الصلاه و لم یعزله...و هذه ظنّیات ربّما تفید باجتماعها القطع،مع أنّ المسأله فرعیه یکفی فیها الظنّ (۲).

و استدلّ فی موضع آخر بعدّه نصوص رووها فی فضائل أبی بکر و عمر (۳).

ثمّ إنّ التفتازانی-ککثیر من متکلّمی و محدّثی أهل سنّه الجماعه-عقد بحثا آخر مستقلّا فی ذیل الإمامه،و هو البحث عن الأفضلیه فی هذه الأمّه لمن؟!و ترتیبها و أدلّتها، قال:

المبحث السادس:الأفضلیه عندنا بترتیب الخلافه،مع تردّد فیما بین عثمان و علیّ(رضی اللّه عنه)،و عند الشیعه و جمهور المعتزله الأفضل علیّ.لنا إجمالا (۴).

و کذلک لاحظ الإیجی فی المواقف،و الشریف الجرجانی فی شرحها فی المرصد الرابع،فإنّهما مع نفیهما للنصّ قالا فی جواب النصوص علی إمامه علیّ علیه السّلام:

هذه النصوص معارضه بالنصوص الدالّه علی إمامه أبی بکر،و هی من وجوه:

۱- ۱) .الفتح۱۶/.

۲- ۲) .شرح المقاصد ۲۶۳/۵-۲۶۴.

۳- ۳) .فلاحظ:شرح المقاصد ۲۹۲/۵-۲۹۴.

۴- ۴) .شرح المقاصد ۲۹۰/۵.

الأوّل:قوله تعالى:...

ثمّ استدلّ بعدّه آيات قرآنيه و نصوص روائيه (۱)،كما أنّه فى المقصد الخامس من المرصد الرابع عقد البحث فى الأفضليه.

هذا،و الإمعان فى كلماتهم فى عداله الصحابه و فضائلهم،و بالخصوص أصحاب السقيفه،و بالأخصّ الشيخين،يدلّ بوضوح على أنّهم يستدلّون بها بنحو يوازى الاستدلال بالعصمه و امتناع ارتكاب الباطل،إلّا أنّهم يغلّفوها بعبارات و عناوين عائمه غائمه تغطيه للمعنى المستدلّ به بألفاظ أخرى كى تتم المغالطه و تنطوى.

و هذا النمط من الاستدلال من أوسع أنواع صناعه المغالطه مضافا إلى اضطراب حدود المعانى بتوسّط هذا النمط من الاستدلال،كما أنّهم إذا ضاق بهم الخناق فى الاستدلال و الجواب عن دلائل إمامه علىّ عليه السّلام تراهم يتأمّلون فى كون عصمه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم مطلقه،لاحظ مثلا:ما ذكر الإيجى فى المواقف عن الاستدلال ب:«فاطمه بضعه منّى» (۲).

و هذه هى عاقبه الأمر،و قد رووا:إنّ عمر محدّث هذه الأمّه!!و:لو كان نبيّا بعدى لكان عمر!!!

الثانيه عشره

هناك طوائف عديده من الروايات بألفاظ مختلفه تنهى عن الذوبان فى المخالفين و التسيّب فى مخالطتهم،و تأمر بالتحفّظ فى كيفيه التعايش معهم،و هذه الطوائف متوافقه مع الطوائف الأخرى الآمره بالمداراه لهم و التعامل معهم بالحسن و التجمّل؛لأنّ الأولى تحدّد هذا التعامل بكونه سطحيّا لا فى العمق،و الثانيه إنّما تحثّ على حسن التعامل على صعيد السطح.

منها:صحيحه الحلبى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:«أنّه أتاه قوم من أهل خراسان من ما وراء النهر فقال لهم:تصافحون أهل بلادكم و تناكحونهم،أما إنّهم إذا صافحتموهم

۱- ۱) .شرح المواقف ۳۶۳/۸.

۲- ۲) .المواقف ۶۰۷/۳-۶۱۰.

انقطعت عروه من عرى الإسلام و إذا ناكحتموهم انتهك الحجاب فيما بينكم و بين اللّه عزّ و جلّ» (۱).

و فى موثّق زراره عن أبى جعفر عليه السّلام،قال:«كانت تحته امرأه من ثقيف و له منها ابن يقال له:إبراهيم،فدخلت عليها مولاه لثقيف فقالت لها:من زوجك هذا؟قالت:محمّد بن على.قالت:فإنّ لذلك أصحابا بالكوفه قوم يشتمون السلف و يقولون.قال:فخلّى سبيلها،فرأيته بعد ذلك قد استبان عليه و تضعضع من جسمه شىء».الحديث (۲).

و فى صحيح عبد اللّه بن سنان،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام-فى حديث-:«و لا يتزوج المستضعف المؤمنه» (۳).

و فى موثّق زراره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام،قال:«تزوّجوا فى الشكّاك و لا تزوّجوهم؛فإنّ المرأه تأخذ أدب زوجها و يقهرها على دينه» (۴)؛و رواها الصدوق بطريق صحيح (۵).

و هذه الروايات فى مورد النكاح و إن اختلفت أقوال الفقهاء فى المنع أو الكراهه أو التفصيل،إلّا أنّ مفادها إجمالا يسوس باتّجاه التحفّظ عن الذوبان فيهم،و إبقاء عازل فى ضمن نظام التعايش معهم.

۱- ۱) .الكافى ۳۵۲/۵ ح ۱۷.

۲- ۲) .الكافى ۳۵۱/۵ ح ۱۳.

۳- ۳) .الكافى ۳۵۱/۵ ح ۸.

۴- ۴) .الكافى ۳۵۱/۵ ح ۵.

۵- ۵) .من لا يحضره الفقيه ۴۰۸/۳ ح ۴۴۲۶.

۱۰–محطّه الفتوحات

اشاره

ص:۳۴۳

إنّ من الأمور التی تسترعی اهتمام کلّ مؤمن و مسلم هو حال الدین الإسلامی من حیث الانتشار فی بلاد الأرض من جهه،و حاله من حیث إقامه أحکامه و معالمه فی البلدان الإسلامیه نفسها من جهه أخری،فلما ذا لم ینتشر فی کلّ أو سائر أرجاء الکره الأرضیه؟!و لما ذا لا یقام الحکم العادل القویم للدین الإسلامی بتمام أرکانه و أصوله و سائر جوانبه؟!إذ لم یقم حکم العدل منذ عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی الآن،سوی خمس سنین،هی مدّه حکومه أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام،مع مواجهته للعدید من الموانع التی خلّفتها السنن الجائره التی شیّدها من سبقه فی الخلافه.

فهذان السؤالان یتحرّی کلّ طالب للحقیقه،و کلّ ذی وجدان و ضمیر دینی الجواب عنهما،فلما ذا لا تنعم البشریه جمعا بربیع الإسلام؟!و لما ذا لا ینعم المسلمون بجمیع ثمار الدین؟!و تقف بنت المصطفی-صلوات اللّه و سلامه علیهما و آلهما-مجیبه الأجیال عن السبب فی ذلک،و ترسم لنا موطن العجز الذی أصاب المسلمین و بسببه لم یتمکّنوا من نیل هذه المنی.

هذا مع الأخذ بعین الاعتبار أنّ الدین قد بدأ و تولّد فی المشیئه الإلهیه برعایه سیّد النبیّین صلّی اللّه علیه و آله و سلم و جهود علیّ علیه السّلام،و ببرکتهما ترعرع و بنی صرح نظام المسلمین،ملّه و مجتمعا و دوله،کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم لعلیّ:«إنّی و أنت أبوا هذه الأمّه،فمن عقّنا فلعنه اللّه علیه، ألا و إنّی و أنت مولیا هذه الأمّه،فعلی من أبق عنّا لعنه اللّه،ألا و إنّی و أنت أجیرا هذه

الأمّه،فمن ظلمنا أجرتنا فلعنه اللّه عليه» (۱).

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أنا و علىّ أبوا هذه الأمّه،و لحقّنا عليهم أعظم من حقّ أبوى ولادتهم؛ فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار،و نلحقهم من العبوديه بخيار الأحرار» (۲).

و قالت فاطمه عليها السّلام:«أبوا هذه الأمّه:محمّد و علىّ،يقيمان أودهم و ينقذانهم من العذاب الدائم إن اطاعوهما،و يبيعانهم النعيم الدائم إن وافقوهما» (۳).

كما يؤخذ بعين الاعتبار أيضا الوعد الإلهى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (۴).

و قوله تعالى: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ (۵).و قوله: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ* وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ (۶).

هذا الوعد الإلهى الذى روى الفريقان متواترا أنّه سينجزه البارى تعالى على يد المهدى من ولد فاطمه عليها السّلام،و هو من أهل البيت عليهم السّلام،فالدين قد بدأ بهم،و آخره مآلا يطبق على الأرجاء بهم أيضا،إلاّ أنّ السؤالين المتقدّمين يطرحان بشأن الحقب المتوسطه بين البدايه و النهايه.

و نكاد نلمس الإجابه فى قول فاطمه عليها السلام فى خطبتها على رءوس المسلمين أيام السقيفه:«و كنتم على شفا حفره من النار،مذقه الشارب...فأنقذكم اللّه تبارك و تعالى بأبى محمّد،بعد اللتيا و اللتى،و بعد أن منى ببهم الرجال و ذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب، كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ (۷)،أو نجم قرن للشيطان،أو فغرت فاغره

۱- ۱) .بحار الأنوار ۴۵/۴۰،عن روضه الكافى و الفضائل-لابن شاذان-

۲- ۲) .بحار الأنوار ۲۵۹/۲۳ ح ۲۳.

۳- ۳) .بحار الأنوار ۲۵۹/۲۳ ح ۲۳.

۴- ۴) .الصفّ/۹.

۵- ۵) .النمل/۶۲.

۶- ۶) .القصص/۶.

۷- ۷) .المائده/۶۴.

من المشركين،قذف أخاه فی لهواتها،فلا ينكفئ حتّی يطأ صماخها بأخمصه،و يخمد لهبها بسيفه،مكدودا فی ذات اللّه،مجتهدا فی أمر اللّه،قريبا من رسول اللّه،سيّدا فی أولياء اللّه،مشمّرا،ناصحا،مجدّا،كادحا،لا تأخذه فی اللّه لومه لائم،و أنتم فی رفاهيه من العيش، وادعون فاكهون آمنون،تتربّصون بنا الدوائر،و تتوكّفون الأخبار،و تنكصون عند النزال،و تفرّون من القتال.

فلمّا اختار اللّه لنبيّه دار أنبيائه و مأوی أصفيائه،ظهرت فيكم حسيكه النفاق، و سمل جلباب الدين،و نطق كاظم الغاوين،و نبغ خامل الأقلّين،و هدر فنيق المبطلين، فخطر...هذا و العهد قريب،و الكلم رحيب،و الجرح لمّا يندمل،و الرسول لمّا يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنه؟! أَلا فِی الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ (۱)...

حتّی إذا دارت بنا رحی الإسلام،و درّ حلب الأيام،و خضعت نعره الشرك، و سكنت فوره الإفك،و خمدت نيران الكفر،و هدأت دعوه الهرج،و استوسق نظام الدين، فأنّی جرتم بعد البيان؟!و أسررتم بعد الإعلان؟!و أشركتم بعد الإيمان؟!بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم...

ألا و قد أری أن قد أخلدتم إلی الخفض،و أبعدتم من هو أحقّ بالبسط و القبض...ألا و قد قلت ما قلت علی معرفه منّی بالخذله التی خامرتكم،و الغدره التی استشعرتها قلوبكم...» (۲).

و قالت فی خطبتها الأخری:«ويحهم!أنّی زعزعوها عن رواسی الرساله،و قواعد النبوّه و الدلاله،و مهبط الروح الأمين،و الطبين بأمور الدنيا و الدين؟! أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ (۳).

۱- ۱) .التوبه۴۹/.

۲- ۲) .شرح نهج البلاغه-لابن أبی الحديد-۷۸/۴-۹۴.

۳- ۳) .الزمر۱۵/.

و ما الذی نقموا من أبی الحسن؟!نقموا منه و اللّه نکیر سیفه،و قلّه مبالاته بحتفه، و شدّه وطأته و نکال وقعته،و تنمّره فی ذات اللّه،و تاللّه لو مالوا عن المحجّه اللائحه، و زالوا عن قبول الحجّه الواضحه،لردّهم إلیها،و لحملهم علیها،و لسار بهم سیرا سجحا،لا یکلم خشاشه،و لا یکلّ سائره،و لا یملّ راکبه،و لأوردهم منهلا نمیرا صافیا رویّا فضفاضا،تطفح ضفتاه و لا یترنّق جانباه،و لأصدرهم بطانا،و نصح لهم سرّا و إعلانا،و لم یکن یحکی من الغنی بطائل-أی:لا یجمع لنفسه الثروه-و لا یحظی من الدنیا بنائل،غیر ریّ الناهل،و شبعه الکافل،و لبان لهم-أی:لظهر لهم-الزاهد من الراغب،و الصادق من الکاذب، وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَیْهِمْ بَرَکاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (۱)...

استبدلوا و اللّه الذنابی بالقوادم،و العجز بالکاهل...و ویحهم! أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلاّ أَنْ یُهْدی فَما لَکُمْ کَیْفَ تَحْکُمُونَ (۲)...»

و بعد أن أوضحت تصویر حال الفتنه بعد وفاه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم أخذت سلام اللّه علیها فی تصویر المستقبل المتوقّع للأمّه الإسلامیه بسبب هذا الانحراف الذی قامت به بعض رجالاتها،فقالت:

«أما لعمری لقد لقحت فنظره ریثما تنتج،ثمّ احتلبوا ملء القعب دما عبیطا، و ذعافا مبیدا،هنا لک یخسر المبطلون،و یعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون،ثمّ طیبوا عن دنیاکم نفسا،و اطمئنوا للفتنه جأشا،و أبشروا بسیف صارم،و سطوه معتلّ غاشم، و بهرج شامل دائم،و استبداد من الظالمین یدع فیأکم زهیدا،و جمعکم حصیدا،فیا حسره لکم و أنّی بکم و قد عمّیت علیکم أَ نُلْزِمُکُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها کارِهُونَ (۳)» (۴).

۱- ۱) .الأعراف۹۶/.

۲- ۲) .یونس۳۵/.

۳- ۳) .هود۲۸/.

۴- ۴) .راجع:شرح نهج البلاغه-لابن أبی الحدید-۲۲۳/۱۶.

أی:لقد بدء تولّد انحراف الدین و النظام الإسلامی عن مسیره،و سینتج ذلک تفشّی الظلم و الفساد فی الأمّه و هرج فی مسیرها.و هو ما حصل؛فإنّ الخلیفه الأوّل عیّن یزید بن أبی سفیان والیا علی الشام،کما جعل الولاه و أمراء الجیش غالبهم من الحزب القرشی من مسلمه الفتح و الطلقاء،الّذین لم یفتئوا یکیدوا للإسلام عداء،و بالتالی فهو أوّل من وطّأ و أعدّ لمجیء بنی أمیه إلی رأس السلطه،و التسلّط علی رقاب المسلمین و التحکّم بمصیر الأمّه.

و کذلک فعل الخلیفه الثانی؛إذ عیّن معاویه بن أبی سفیان والیا علی الشام،و عثمان- من البطن الأموی-خلیفه له من بعده؛بتوسّط معادله شوری الستّه الّذین عیّنهم،و التی کانت واضحه الرجحان لصالح عثمان.

هذا مضافا إلی ما قام به کلّ من الأوّل و الثانی من السنن الجائره الحائده عن سنن اللّه و رسوله،فلم یبقیا من الإسلام إلّا اسمه و من القرآن إلاّ رسمه،کما ستأتی الإشاره إلی جمله منها.و قد طفقت ثروات الحزب القرشی-حزب السقیفه-فی عهد الأوّلین،فضلا عن الثالث،تزید من غنائم الفتوحات حتّی بلغت أرقاما خیالیه،کما سنوا فیک بقائمه ببعضها،و ساد التمییز الطبقی و العرقی مجتمع المسلمین؛فقتل الخلیفه الثانی بید أحد الموالی،بعد أن مات الأوّل فی ظروف مریبه،بسبب الاختلاف الذی جری بین عصابه أصحاب السقیفه،حتّی قام أهل بلاد الفتوح-و هم أهل مصر و العراق-إضافه إلی أهل المدینه بقتل الثالث،بسبب وصول فساد وضع المسلمین الداخلی إلی درجه المناداه بتقویم أو خلع الخلیفه.

روی الطبری من طریق عبد الرحمن بن یسار أنّه قال:لمّا رأی الناس ما صنع عثمان کتب من بالمدینه من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم إلی من بالآفاق،و کانوا قد تفرّقوا فی الثغور:

«إنّکم إنّما خرجتم أن تجاهدوا فی سبیل اللّه عزّ و جلّ تطلبون دین محمّد ۹،فإنّ دین

محمّد قد أفسده من خلفكم و ترك،فهلمّوا فأقيموا دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم» (۱).

و رواه ابن الأثير أيضا،إلّا أنّه بهذا اللفظ:«فإنّ دين محمّد قد أفسده خليفتكم فأقيموه» (۲).و رواه ابن أبى الحديد بلفظ:«فاخلعوه» (۳).

و هذه الصحوه التى حصلت للمسلمين فى قتل عثمان لم تكن نافعه تماما لتستأصل الداء؛و ذلك لأنّ أسس الانحراف فى الأمّه و بنيان الفساد قد تمّ على طول عهد الثلاثه،و لم تكن تلك البنى لتزول بسهوله،كما سنشير إليها،كما لم يكن الحال الموصوف فى كلام الناس مختصّا بعهد عثمان من أنّ دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد أفسده الخليفه،فإلى م يدعو المسلمون الآخرين فى الجهاد فى سبيل اللّه عزّ و جلّ؟!و هل هو جهاد فى سبيل اللّه أم فى سبيل الخلافه الفاسده؟!و إلى ما ذا يدعى الآخرين؟إلى الدين الذى قد أفسده الخلفاء؟!

و يشير الإمام الصادق عليه السّلام إلى هذه الحاله التى نخرت فى داخل المسلمين و النظام الدينى فى صحيح أبى بكر الحضرمى:قال:«قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام:أهل الشام شرّ أم أهل الروم؟فقال:إنّ الروم كفروا و لم يعادونا و إنّ أهل الشام كفروا و عادونا» (۴).

يشير عليه السّلام إلى كفر إبليس لعنه اللّه؛فكفره كان جحود خليفه اللّه آدم عليه السّلام،و لم يكن كفره بجحود الذات الإلهيه،و لا بجحود المعاد،و لا بجحود شريعه اللّه تعالى،فقد كان يتعبّد.

و كذلك فى موثّق سليمان بن خالد،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:قال:«أهل الشام شرّ من أهل الروم،و أهل المدينه شرّ من أهل مكّه،و أهل مكّه يكفرون باللّه جهره» (۵).

قال فى مرآه العقول:

۱- ۱) .تاريخ الطبرى ۱۱۵/۵.

۲- ۲) .الكامل فى التاريخ ۷۰/۵.

۳- ۳) .شرح نهج البلاغه ۱۶۵/۱ و ج ۳۰۷/۴-۳۰۸.

۴- ۴) .الكافى /۲كتاب:الإيمان و الكفر-باب:صنوف أهل الخلاف ح ۵.

۵- ۵) .الكافى /۲كتاب:الإيمان و الكفر-باب:صنوف أهل الخلاف ح ۳.

و يحتمل أن يكون هذا الكلام فى زمن بنى أميّه،و أهل الشام،من بنى أميّه و أتباعهم،كانوا منافقين يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر،و المنافقون شرّ من الكفّار و هم فى الدرك الأسفل من النار،و هم كانوا يسبّون أمير المؤمنين عليه السّلام و هو الكفر باللّه العظيم،و النصارى لم يكونوا يفعلون ذلك.

و يحتمل أن يكون هذا مبنيا على أنّ المخالفين غير المستضعفين مطلقا شرّ من سائر الكفّار،كما يظهر من كثير الأخبار،و التفاوت بين أهل تلك البلدان باعتبار اختلاف رسوخهم فى مذهبهم الباطل،أو على أنّ أكثر المخالفين فى تلك الأزمنه كانوا نواصب منحرفين عن أهل البيت عليهم السّلام،لا سيّما أهل البلدان الثلاثه،و اختلافهم فى الشقاوه باعتبار اختلافهم فى شدّه النصب و ضعفه.

و لا ريب فى أنّ النواصب أخبث الكفّار،و كفر أهل مكّه جهره هو إظهارهم عداوه أهل البيت عليهم السّلام،و قد بقى بينهم إلى الآن،و يعدّون يوم عاشوراء عيدا لهم،بل من أعظم أعيادهم (۱).

أقول:و هذه السنن التى يجازون بها نبيّ الرحمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا زالت منتشره فى بلدان الشام و يسمّونه:«عيد الظفر»،و كذلك فى بعض بلدان المغرب العربى.و من ثمّ كان النظام الدينى القائم فى البلاد الإسلاميه عند أئمّه أهل البيت عليهم السّلام وفقه الإماميه ليس يشكّل دار الإيمان و إنّما هو دار الإسلام صوره،و يفرّق فى الأحكام الاجتماعيه و السياسيه و الماليه و الحقوقيه و غيرها بين الدارين.

ففى روايه محمّد بن سابق بن طلحه الأنصارى قال:«كان ممّا قال هارون-العبّاسى -لأبى الحسن حين أدخل عليه:ما هذه الدار؟فقال:هذه دار الفاسقين،قال: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً (۲).

۱- ۱) .مرآه العقول ۲۱۹/۱۱.

۲- ۲) .الأعراف۱۴۶/.

فقال له هارون:فدار من هی؟قال:هی لشیعتنا فتره،و لغیرهم فتنه.قال:فما بال صاحب الدار لا یأخذها؟فقال:أخذت منه عامره و لا یأخذها إلّا معموره.قال:فأین شیعتک؟فقرأ أبو الحسن علیه السّلام: لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ وَ الْمُشْرِکِینَ مُنْفَکِّینَ حَتّی تَأْتِیَهُمُ الْبَیِّنَهُ (۱).قال:فقال له:فنحن الکفّار؟!قال:لا،و لکن کما قال اللّه: اَلَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ کُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ (۲).فغضب عند ذلک و غلط علیه» (۳).

و روی ابن أبی یعفور عن أبی عبد اللّه علیه السّلام-فی حدیث-قال:«أ ما تسمع لقول اللّه:

اَللّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ (۴)؟!یخرجهم من ظلمات الذنوب إلی نور التوبه و المغفره لولایتهم کلّ إمام عادل من اللّه.قال اللّه: وَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیاؤُهُمُ الطّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَی الظُّلُماتِ (۵).

قال:قلت:أ لیس اللّه عنی بها الکفّار حین قال: وَ الَّذِینَ کَفَرُوا ؟!قال:فقال:و أیّ نور للکافر و هو کافر فأخرج منه إلی الظلمات؟!إنّما عنی اللّه بهذا أنّهم کانوا علی نور الإسلام فلمّا أن تولّوا کلّ إمام جائر لیس من اللّه خرجوا بولایتهم إیّاهم من نور الإسلام إلی ظلمات الکفر،فأوجب لهم النار مع الکفّار فقال: أُولئِکَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۶)» (۷).

و روی فی طرقهم عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«إنّما أخاف علی أمّتی الأئمّه المضلّین،فاذا وضع السیف فی أمّتی لم یرفع عنها إلی یوم القیامه...و لا تزال طائفه من أمّتی علی الحقّ ظاهرین،لا یضرّهم من خالفهم حتّی یأتی أمر اللّه و هم علی ذلک» (۸).و روی أیضا فی

۱- ۱) .البینه۱/.

۲- ۲) .إبراهیم۲۸/.

۳- ۳) .الاختصاص-للشیخ المفید-۲۶۲،تفسیر العیّاشی:۲۹/۲،بحار الأنوار ۱۳۶/۷۲.

۴- ۴) .البقره۲۵۷/.

۵- ۵) .البقره۲۵۷/.

۶- ۶) .البقره۲۵۷/.

۷- ۷) .تفسیر العیّاشی ۱۳۸/۱،بحار الأنوار ۱۳۵/۷۲.

۸- ۸) .جامع الأصول ۱۶۲/۱۲ و ۴۱۰/۱۰.

مشکاه المصابیح (۱).

و قد أدرک المسلمون الحال المتردّی الذی وصلوا إلیه،و إنّ إقامه دین محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم و إبعاد الزیغ و الانحراف عنه فی داخل البلاد الإسلامیه أوّلا مقدّم علی فتح البلدان غیر الإسلامیه،و إنّ خلع الخلیفه الفاسد و نصب الخلیفه العادل هو قطب الرحی الذی یدور علیه نظام الدین و نظام المسلمین،کما قالت بنت المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«و طاعتنا نظاما للملّه».

هذه الحقیقه التی أدرکها المسلمون فی قتل عثمان هی التی أوجبت اشتعال حروب علیّ علیه السّلام الداخلیه-حرب الجمل و صفّین و النهروان-بدل من فتح البلدان، و کذلک سیره الحسنین علیهما السّلام؛فإنّ إصلاح أمّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مقدّم علی دعوه الکفّار إلی الإسلام.

و أی إسلام یدعی الکفّار إلیه؟!أ هو الإسلام الذی لبنی أمیّه فیه النصیب الأوفر؟!أم الإسلام الذی ینصّب معاویه بن أبی سفیان و یزید بن أبی سفیان ولاه علی الشام؟!أم الإسلام الذی یفرّق بین القرشی و غیر القرشی،و العربی و غیر العربی؟!أم الإسلام الطبقی البرجوازی،و إسلام الإقطاع و تکدّس الثروات؟!أم الإسلام الذی یحرّم الخروج علی الخلیفه الجائر؟!أم الإسلام الذی یری مشروعیه الخلیفه المتغلّب بالقوّه علی رقاب المسلمین؟!أم الإسلام الذی یسوّغ کلّ مخالفه للأحکام و الأصول تحت ذریعه:«اجتهد فأخطأ»،و:«تأوّل فیعذر»؟!أم الإسلام الذی یمنع تدوین و حفظ أحادیث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم لطمس معالم الدین؟!

فالحقیقه التی یصل إلیها الباحث فی التاریخ و العلوم الإسلامیه هی:إنّ قریش و جمله من قبائل العرب لمّا شاهدوا بزوغ الدین الجدید و أنّه ستکون له القدره و السلطه علی کلّ الجزیره العربیه و غیرها من البلدان،أخذوا بتنظیم عملیه اختراق لصفوف

۱- ۱) .مشکاه المصابیح:۴۶۵.

المسلمين منذ السنوات الأولى لبعثه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛ففى الوقت الذى كان رؤساء قريش و غيرها قد اعتمدوا المواجهه المعلنه و المصادمه الشديده لهذا الدين،لأنّ مصالحهم و مواقعهم القبليه مهدّده بالخطر،اعتمدوا-فى الوقت نفسه- سياسه الاختراق هذه،التى هى طريق طبيعى مألوف،فى كلّ عصور البشر،بين أىّ قوّتين متدافعتين.

فأبو سفيان-و غيره من الحزب القرشى فى مكّه-كان يقيم علاقه فى أوائل الهجره مع عبد اللّه بن أبى سلول فى المدينه،الذى أسلم فى الظاهر و كان من رءوس النفاق،و لم يقم مثل هذه العلاقه مع من أسلم فى مكّه فى الأيام الأولى؛لاختراق صفوف و نظام الإسلام و المسلمين،و اعتمادا على هذه السياسه،تحسّبا لنتائج المستقبل من أنّ القوّه و السلطه فى الجزيره قد تقع فى يد صاحب هذا الدين الجديد.

لقد كانت القبائل النائيه عن مكّه تتطلّع إلى ذلك،فكيف لا تتطلّع قريش إليه؛يقول الطبرى:«و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يعرض نفسه فى الموسم إذا كان على قبائل العرب يدعوهم إلى اللّه،و يخبرهم أنّه نبيّ مرسل،و يسألهم أن يصدّقوه و يمنعوه حتّى يبيّن عن اللّه ما بعثه به..

حدّثنا ابن حميد،قال:حدّثنا سلمه،قال:قال محمّد بن إسحاق:و حدّثنى محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرى:«أنّه أتى بنى عامر بن صعصعه و دعاهم إلى اللّه و عرض عليهم نفسه،فقال رجل منهم يقال له:بيحره بن فراس:و اللّه لو أنّى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب.

ثمّ قال له:أ رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثمّ أظهرك اللّه على من خالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك؟!قال:الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء.قال:فقال له:أ فنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟!لا حاجه لنا بأمرك.فأبوا عليه» (۱).

فإذا كانت القبائل المتوسّطه و الصغيره تتطلّع إلى تولّى الحكم بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،

۱- ۱) .تاريخ الطبرى ۸۳/۲-۸۴.

فکیف لا تعتمد قریش سیاسه و تدبیر من أوائل أیام البعثه کی تکون هی الظافره بملک محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم،لا سیّما و أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد کان ینبئ و یخبر بما سیکون علیه مستقبل دین الإسلام و أنّه سیسود البلدان؟!

فقد روی الطبری و غیره:«أنّ ناسا من قریش اجتمعوا،فیهم أبو جهل بن هشام، و العاص بن وائل،و الأسود بن المطّلب،و الأسود بن عبد یغوث،فی نفر من مشیخه قریش،فقال بعضهم لبعض:انطلقوا بنا إلی أبی طالب فنکلّمه فیه فلینصفنا منه،فیأمره فلیکفّ عن شتم آلهتنا...».

إلی أن قال:«قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:أی عمّ!أو لا أدعوهم إلی ما هو خیر لهم منها؟!

قال:و إلی ما تدعوهم؟قال:ادعوهم إلی أن یتکلّموا بکلمه تدین لهم بها العرب و یملکون بها العجم» (۱).

و المتتبّع فی کتب التاریخ و السیر یجد الکثیر من هذه النماذج التی تشیر إلی تحسّب القبائل و طمعها فی الدعوه الجدیده و مستقبلها،و السلطه الجدیده الآخذه فی الانتشار.و نظیره ما کانت تتنبّأ به الکهنه و المنجّمین،و کانت قریش تعتمد علیهم کثیرا،و قد ذکر إخبارهم بمستقبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی کتب السیر و التاریخ،بل کانت الیهود و النصاری کثیرا ما تتوعّد المشرکین بالظفر علیهم عند بعثه خاتم النبیّین من مکّه، و لذلک هاجروا من بلاد الشام و استوطنوا الحجاز انتظارا لبعثه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم..

و قد أشار القرآن الکریم إلی ذلک: وَ لَمّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ کانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَی الْکافِرِینَ (۲)،بل قد ذکرت کتب السیر و التاریخ أنّ الیهود-مع ذلک-کانت تترصّد اغتیال أجداد و آباء النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

فمن کلّ ذلک یتبیّن أنّ خبر المستقبل کان متفشّیا منتشرا فی أرجاء مکّه

۱- ۱) .تاریخ الطبری ۶۵/۲.

۲- ۲) .البقره۸۹/.

و الحجاز،فکیف لا تطمع قریش فی نصیب المستقبل لو قدّر وقوعه؟!فکانت سیاستها علی نمطین:المواجهه المعلنه،و الاختراق لصفوف المسلمین؛لکی یعضد کلّ نمط النمط الآخر.

و القرآن الکریم یشیر إلی حصول الاختراق فی صفوف المسلمین منذ أوائل البعثه النبویه،نجد ذلک فی رابع سوره نزلت علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و هی سوره المدّثر: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِکَهً وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلاّ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ یَزْدادَ الَّذِینَ آمَنُوا إِیماناً وَ لا یَرْتابَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِیَقُولَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْکافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلاً کَذلِکَ یُضِلُّ اللّهُ مَنْ یَشاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ (۱).

فهذا التقسیم القرآنی فاضح لوجود فئه: اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فی أوساط المسلمین المؤمنین،و هم لیسوا من الکفّار فی العلن بل فی باطنهم مرض،و قد لاحق القرآن الکریم هذه الفئه و میّزها عن فئه المنافقین؛إذ أنّ أهل النفاق لم یکونوا قد احترفوا الخفاء و السریه التامّه و الدهاء الذی کانت تعتمده فئه اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فی اختراق صفوف المسلمین و نظام الدین الجدید.

لاحق القرآن هذه الفئه إلی آخر حیاه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و أشار إلی شبکه اتّصالاتهم مع الأطراف الأخری من الحزب القرشی و القبائل الأخری و الیهود و النصاری: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْیَهُودَ وَ النَّصاری أَوْلِیاءَ... فَتَرَی الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ یُسارِعُونَ فِیهِمْ یَقُولُونَ نَخْشی أَنْ تُصِیبَنا دائِرَهٌ (۲).

و فی بدر: إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِینُهُمْ (۳).

و فی الخندق و الأحزاب: وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً (۴).

۱- ۱) .المدّثر۳۱/.

۲- ۲) .المائده۵۱/-۵۲.

۳- ۳) .الأنفال۴۹/.

۴- ۴) .الأحزاب۱۲/.

و أنّهم كانوا على خلطه قريبه من أزواج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم: يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ (۱).

و أنّهم كانوا أهل جبن فى الحروب: فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ (۲).

و قد فسّر القرآن المرض الذى فى قلوب هذه الفئه بأنّه:الضغينه و عداوه الحسد؛ ففى تتمّه الآيه السابقه: طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ* فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ* أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ* أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها* إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلى لَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ* فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَهُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ* ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغانَهُمْ* وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ (۳).

فهذه الآيات تفصح عن علاقه هذه الفئه بالكفّار،و أنّها سوف تتقلّد الأمور و تتسلّط على رءوس المسلمين،و أنّ سيرتها الإفساد فى الأرض،نظير ما تنبّأت به الآيات فى سوره البقره: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّهَ عَلى ما فِى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ* وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ * وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ (۴).

و تجد فى سوره البقره ۲:۱۰،و التوبه ۹:۱۲۵،و الحجّ ۲۲:۵۳،و النور ۲۴:۵۰ بقيه الأدوار التى قاموا بها،و فى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

۱- ۱) .الأحزاب۳۲/.

۲- ۲) .محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم۲۰/.

۳- ۳) .محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم۲۱/-۳۰.

۴- ۴) .البقره۲۰۴/-۲۰۶.

وَ الْمُرْجِفُونَ فِی الْمَدِینَهِ لَنُغْرِیَنَّکَ بِهِمْ (۱)دورهم فی إعاقه سیاسات الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و مسیرته.

و یشیر إلی ذلک ما روی فی شرح نهج البلاغه:«قال له قائل:یا أمیر المؤمنین! أ رأیت لو کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ترک ولدا ذکرا قد بلغ الحلم و آنس منه الرشد،أ کانت العرب تسلم إلیه أمرها؟

قال:لا،بل کانت تقتله إن لم یفعل ما فعلت.إنّ العرب کرهت أمر محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم، و حسدته علی ما آتاه اللّه من فضله،و استطالت أیّامه حتّی قذفت زوجته،و نفّرت به ناقته،مع عظیم إحسانه إلیها،و جسیم مننه عندها،و أجمعت مذ کان حیّا علی صرف الأمر عن أهل بیته بعد موته،و لو لا أنّ قریشا جعلت اسمه ذریعه إلی الرئاسه،و سلّما إلی العزّ و الإمره،لما عبدت اللّه بعد موته یوما واحدا،و لارتدّت فی حافرتها و عاد تارحها جذعا،و بازلها بکرا.

ثمّ فتح اللّه علیها الفتوح فأثرت بعد الفاقه،و تموّلت بعد الجهد و المخمصه،فحسن فی عیونها من الإسلام ما کان سمجا،و ثبت فی قلوب کثیر منها من الدین ما کان مضطربا،و قالت:لو لا أنّه حقّ لما کان کذا.

ثمّ نسبت تلک الفتوح إلی آراء ولاتها،و حسن تدبیر الأمراء القائمین بها،فتأکّد عند الناس نباهه قوم و خمول آخرین،فکنّا نحن ممّن خمل ذکره،و خبت ناره،و انقطع صوته وصیته حتّی أکل الدهر علینا و شرب،و مضت السنون و الأحقاب بما فیها،و مات کثیر ممّن یعرف و نشأ کثیر ممّن لا یعرف،و ما عسی أن یکون الولد لو کان؟!

إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لم یقرّبنی بما تعلمونه من القرب للنسب و اللحمه،بل للجهاد و النصیحه،أ فتراه لو کان له ولد هل کان یفعل ما فعلت؟!و کذلک لم یکن یقرب ما قربت، ثمّ لم یکن عند قریش و العرب سببا للحظوه و المنزله،بل للحرمان و الجفوه.

۱- ۱) .الأحزاب ۶۰/.

اللّهمّ إنّک تعلم أنّی لم أرد الإمره و لا علوّ الملک و الرئاسه،و إنّما أردت القیام بحدودک،و الأداء لشرعک،و وضع الأمور فی مواضعها،و توفیر الحقوق علی أهلها،و المضی علی منهاج نبیّک،و إرشاد الضالّ إلی أنوار هدایتک» (۱).

فهو علیه السّلام یشیر إلی أنّ ما دعا قریش إلی البقاء علی ظاهر الإسلام بعد موت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم هو:أنّها لم تکن لتسود العرب،فضلا عن العجم،إلاّ باسم نبوّه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و دینه المبعوث به،و إلاّ لأبت باقی القبائل علیها ذلک،کما هو حال توزّع القدره بین القبائل فی الجاهلیه،و إلاّ فقریش لم تکن تذعن بقلبها لبعثه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و ما فضّله به اللّه تعالی من کرامه له علیها،کالذی حصل لجمیع الأنبیاء من قبله مع قومهم،أو نظیر ما حصل لعیسی علیه السّلام مع قومه بنی إسرائیل؛قال تعالی: وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّناتِ (۲)،و: وَ رَسُولاً إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ... فَلَمّا أَحَسَّ عِیسی مِنْهُمُ الْکُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِی إِلَی اللّهِ (۳).

ثمّ إنّه علیه السّلام بیّن عاملا ثانیا لانشداد قریش لدین النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم هو:غنائم الفتوح و ما جلبته من ثراء،و هو یبیّن نوایا أصحاب فتوح البلدان،کما أنّه علیه السّلام یبیّن أنّ خطط فتوح البلدان کانت من تدبیر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أوامره و بشاراته فی عدّه مواطن،و تدبیره و رأیه هو علیه السّلام.

و أنّ أسباب الفتح ترجع إلی عوامل عدّه لا صله لها بالخلفاء الثلاثه،کیف و الثلاثه لا عهد لهم بالحروب و إدارتها و تدبیرها؟!إذ لم یسبق لهم خوض یذکر فی القتال إلاّ ما فی غزوه خیبر؛فقد ذکر المؤرّخون أنّ الأوّل و الثانی انتدبهما النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم لفتح الحصن،کلّ منهما مع سریه،فرجع کلّ منهما مع سریّته یجبّن الناس و الناس یجبّنونه (۴).

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه ۲۰/۲۹۸-۲۹۹ الحکم المنسوبه رقم ۴۱۴.

۲- ۲) .المائده ۱۱۰/.

۳- ۳) .آل عمران۴۹/-۵۲.

۴- ۴) .المستدرک علی الصحیحین ۳/۷۳؛و فی کنز العمّال ۱۳/۱۲۲ رقم ۳۶۳۸۸:عن ابن أبی لیلی،بعد سؤاله

و حظّهم من الفرار فی غزوه أحد و الخندق و حنین و غیرها هو الحظّ الأوفر فی مواطن عدیده (۱).

ص:۳۶۰

۱- ۱) .منها:یوم أحد،کما حکاه تعالی،قال: إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لا تَلْوُونَ عَلی أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ فِی أُخْراکُمْ فَأَثابَکُمْ غَمًّا بِغَمٍّ - آل عمران۱۵۳/. قال الطبری و ابن الأثیر:«و انتهت الهزیمه بجماعه المسلمین و فیهم عثمان بن عفّان و غیره إلی الأعوص، فأقاموا بها ثلاثا ثمّ أتوا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فقال لهم حین رآهم:لقد ذهبتم فیها عریضه». تاریخ الطبری ۲۰۳/۲،الکامل فی التاریخ ۱۱۰/۲،السیره الحلبیه ۲۲۷/۲،البدایه و النهایه ۲۸/۴، السیره النبویه-لابن کثیر-۵۵/۳. و ذکر الطبری و ابن الأـثیر:إنّ أنس بـن النضـر-و هـو عـمّ أنس بـن مالـک-انتهی إلی عمر و طلحه فی رجـال مـن المهـاجرین قـد ألقـوا بأیـدیهم،فقـال:ما یحبسـکم؟!قالوا:قتل النبیّ. قال:فما تصنعون بالحیاه بعده؟!موتوا علی ما مات علیه النبیّ.ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّی قتل. (قالوا:)و سمع أنس بن النضر نفرا من المسلمین-الّذین فیهم عمر و طلحه-یقولون لمّا سمعوا أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم قتل:لیت لنا من یأتی عبد اللّه بن أبی سـلول لیأخذ لنا أمانا من أبی سـفیان قبل أن یقتلونا. فقال لهم أنس:یا قوم!إن کان محمّد قد قتل فإنّ رب محمّد لم یقتل،فقاتلوا علی ما قاتل علیه محمّد،

و قد روی فرار عمر فی غزوه حنین البخاری فی صحیحه باب قول اللّه تعالی: وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکَمْ کَثْرَتُکَمْ... (۱)(۲).و ذکر الفخر الرازی أنّ من المنهزمین:عمر و عثمان ۳.و ذکر مصحّح کتاب المغازی أنّ صاحب شرح نهج البلاغه ذکر عنه:أنّ من الفارّین ممّن ولی:عمر و عثمان،و أبدلت النسخه ب:فلان ۴.و ذکر فرارهما الآلوسی ۵.

و فی الدرّ المنثور روی عن عمر بن الخطّاب قوله:فلقد رأیتنی أنزو کأنّنی أروی ۶.

و الطبری ۷.

و فی غزوه خیبر روی:«أنّه بعث رسول اللّه أبا بکر فرجع منهزما و من معه، فلمّا کان من الغد بعث عمر فرجع منهزما یجبّن أصحابه و یجبّنه أصحابه» ۸.و قد عیّر و أعاب سعید بن العاص-أخ خالد بن سعید بن العاص-عمر بن الخطّاب خوفه و جبنه عن قتال الروم.و کان عمر یقول-إذا ذکر الروم-:«و اللّه لوددت أنّ الدرب جمره بیننا و بینهم،لنا ما دونه و للروم ما وراءه»؛لما کان یکره قتالهم ۹.

و فی معرکه بدر کان موقف أبو بکر و عمر معروفا من تثبیط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم عن حرب قریش؛إذ قالا:«إنّها و اللّه قریش و عزّها،و اللّه ما ذلّت منذ عزّت،و اللّه ما آمنت

۱- ۱) .التوبه۲۵/.

۲- ۲) .صحیح البخاری ۶۷/۳.

منذ كفرت،و اللّه لا تسلّم عزّها أبدا و لتقتلنّك،فاتّهب لذلك أهبته،و أعدّ لذلك عدّته» (۱).

و روى مسلم:«إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبى سفيان فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه،ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه،فقام سعد بن عباده...» (۲).ثمّ قال المقداد بن عمرو:«يا رسول اللّه!امض لأمر اللّه فنحن معك،و اللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها...و لكن اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون...و قال سعد:لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك.و أخذ عمر فى الهجر أمام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم» (۳).

و سنبيّن عدّه عوامل أخرى لاحقا هى الدخيله فى تحقّق فتح البلدان،ك:مبادئ و شعارات الإسلام،من:العداله،و نفى الطبقيه،و الحريه للأفراد أمام السلطه الحاكمه.و سيره الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم خلقا و زهدا و هديا.و رزح شعوب البلدان المجاوره لبلاد المسلمين تحت نير الملوكيات المستبدّه الغاشمه طوال قرون،و تطلّعهم إلى متنفّس للحريه،و لتبديل نظامهم السياسى و الاجتماعى.

مضافا إلى تيقّن المسلمين من صدق بشارات الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلم،التى هى تدبير و برمجه منه لوظائف الدوله الآتيه بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلم،مضافا إلى تدبير علىّ عليه السّلام فى الموارد الحرجه التى وقع المسلمون فيها؛و إلاّ فممارسات الحزب الحاكم كانت تفتّ فى عضد الأمّه،و هى التى سبّبت وقوف انتشار الإسلام فى ما بعد.

و يشير إلى السياسه التى مارسها الحزب القرشى لاختراق صفوف المسلمين ما تعاقدت عليه:فئه الّذين فى قلوبهم مرض،و الطلقاء من قريش،و المنافقين من الأنصار، و من كان فى قلبه الارتداد من العرب فى المدينه و ما حولها؛من تنفير ناقه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم

۱- ۱) .المغازى-للواقدى-۴۸/۱.

۲- ۲) .صحيح مسلم ۱۴۰۴/۳،البدايه و النهايه-لابن كثير-۳۲۱/۳.

۳- ۳) .دلائل النبوّه-للبيهقى-۱۰۷/۳،المغازى-للواقدى-۴۸/۱.

لاغتياله،ثمّ لم يتمّ لهم ذلك،فكرّروا المحاوله مرّه أخرى،و لمّا لم يفلحوا تعاقدوا فى صحيفه كتبوها على إزواء الأمر بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن أهل بيته و عن أمير المؤمنين عليه السّلام،و استودعوها أحدهم،و جعلوه«الأمين»عليها،و شهدها جماعه آخرون،و كاتبها هو سعيد بن العاص الأموى.

و كان المتعاقدون:أصحاب العقبه(الجماعه الّذين أرادوا تنفير ناقه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و اغتياله)و هم أربعه عشر رجلا،و عشرون رجلا آخر،فكان مجموعهم أربعه و ثلاثين رجلا.و كانوا هؤلاء رؤساء القبائل و أشرافها،و ما من رجل من هؤلاء إلاّ و معه خلق عظيم من الناس يسمعون له و يطيعون،و قد اتّفق هواهم على عدم وصول الإماره لعليّ عليه السّلام،و لا تجتمع النبوّه و الخلافه فى بنى هاشم،فاتّفقت كلمتهم على تقاسم القدره بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و توليه أبو بكر الخلافه كواجهه،و توزيع المناصب الأخرى فى ما بينهم (۱).

---

۱ - ۱) .قد ذكرت مصادر عديده مقاطع متعدّده من هذه الأحداث،و أوردت أسماء الجماعه المتعاقده بالتفصيل،منها:إرشاد القلوب-للديلمى-۱۱۲/۲-۱۳۵،المسترشد-لابن جرير الإمامى-،كشف اليقين -للعلاّمه الحلّى-:۱۳۷؛نقلا عن حجّه التفضيل-لابن الأثير-بسنده عن ربيعه السعدى،عن حذيفه. و كتاب اليقين،و كتاب الإقبال-لابن طاوس-:۴۵۴-۴۵۹ عن كتاب النشر و الطى. و قد روى ابن أبى الحديد،عن أبىّ بن كعب:«ما زالت هذه الأمّه مكبوبه على وجهها منذ فقد نبيّهم». و فى المصدر نفسه عن أبىّ أيضا:«ألا هلك أهل العقده،و اللّه ما آسى عليهم،إنّما آسى على من يضلّون من الناس»؛و أهل العقده:أى أصحاب الصحيفه الّذين تعاقدوا.شرح نهج البلاغه ۴۵۴/۴ و ص ۴۵۹. و روى ذلك ابن سعد فى طبقاته ۶۱/۳ ق ۳،عن جندب بن عبد اللّه البجلى،و ذكر قصّه مقاله أبىّ بن كعب، و فى ذيلها قوله:«اللّهمّ إنّى أعاهدك لئن أبقيتنى إلى يوم الجمعه لأتكلّمنّ بما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، لا أخاف فيه لومه لائم». و فى موضع آخر-الطبقات ۶۱/۳ ق ۲-:«لأقولنّ قولا لا أبالى استحييتمونى عليه أو قتلتمونى»..

و هناک شواهد تاریخیه عدیده علی وجود العلاقه بین فئه الّذین فی قلوبهم مرض، و هم المجموعه التی اخترقت صفوف المسلمین فی الأیام الأولی من البعثه النبویه،و بین کفّار قریش،الّذین تحلّوا فی ما بعد إلی الطلقاء.

منها:ما رواه الواقدی،قال:«حدّثنی ابن أبی سبره،عن أبی بکر بن عبد اللّه بن أبی جهم،و اسم أبی جهم:عبید،قال:کان خالد بن الولید یحدّث و هو بالشام،یقول:الحمد للّه الذی هدانی للإسلام!لقد رأیتنی و رأیت عمر بن الخطّاب حین جالوا و انهزموا یوم أحد و ما معه أحد،و إنّی لفی کتیبه خشناء فما عرفه منهم أحد غیری،فنکبت عنه و خشیت إن أغریت به من معی أن یصمدوا له،فنظرت إلیه موجّها-أی فارّا-إلی الشعب» (۱)؛فیا تری لما ذا لا یرید خالد یوم أحد قتل عمر بن الخطّاب،و یخشی علی حیاته!!!مع أنّ خالد یرید قتل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و علیّا و حمزه؟!!!

۱- ۱) .المغازی ۲۳۷/۱.

و منها:ما رواه المفيد فی الإرشاد عن أبی بکر الهذلی،عن الزهری،عن صالح بن کیسان:«إنّ العاص بن سعید بن أمیه عرض له عمر یوم بدر و لم یقتله،و کان عمر ینفی عن نفسه قتل العاص و یقول:إنّ قاتله علیّ علیه السّلام» (۱).

و منها:ما رواه الواقدی و غیره فی غزوه الخندق،قال:«و حمل ضرار بن الخطّاب علی عمر بن الخطّاب بالرمح،حتّی إذا وجد عمر مسّ الرمح رفعه عنه و قال:نعمه مشکوره فاحفظها یا بن الخطّاب!» (۲).

و فی السیره الحلبیه:«ثمّ حمل ضرار بن الخطّاب و هبیره بن أبی وهب علی علیّ کرّم اللّه وجهه،فأقبل علیّ علیهما،فأمّا ضرار فولّی هاربا،و أمّا هبیره...فکرّ ضرار راجعا و حمل علی عمر بالرمح لیطعنه،ثمّ أمسک و قال:هذه نعمه مشکوره أثبتها علیک،و ید لی عندک-أی:نعمه أخری سابقه-غیر مجزی بها،فاحفظها.أی:و وقع له مع عمر مثل ذلک فی أحد؛فإنّه التقی معه،فضرب عمر بالقناه،ثمّ رفعها عنه و قال له:ما کنت لأقتلک یا بن الخطّاب» (۳)!!!!

و منها:رثاء عمر و أبی بکر قتلی کفّار قریش فی بدر:

و کأیّن بالقلیب قلیب بدر من الفتیان و العرب الکرام

أ یوعدنی ابن کبشه أن سنحیا و کیف حیاه أصداء و هام؟!

إلی آخر الأشعار التی قالاها بعد شربهما الخمر،لا سیّما و أنّ السکر یخرج خبایا النفس و الضمیر (۴).

و منها:الرسائل المتبادله بین أصحاب السقیفه و قریش فی مکّه،کالتی جرت بین

۱- ۱) .الإرشاد ۷۶/۱.

۲- ۲) .المغازی ۴۷۱/۱،البدایه و النهایه ۱۰۷/۳،طبقات الشعراء-لابن سلام-:۶۳.

۳- ۳) .السیره الحلبیه ۳۲۱/۲.

۴- ۴) .فلاحظ:جامع البیان-للطبری-۲۰۳/۲ و ص ۲۱۱،و المستطرف ۲۶۰/۲.

عبد الرحمن بن عوف و أميه بن خلف (۱).

و منها:ما تقدّم فی اشتراک قریش الطلقاء و أصحاب السقیفه لاغتیال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم.

سبب الردّه و حقیقتها

روی أبان بن تغلب (۲)قال:قلت لأبی عبد اللّه جعفر بن محمّد الصادق علیهما السّلام:

«جعلت فداک هل کان أحد فی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنکر علی أبی بکر و جلوسه مجلس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم؟!فقال:«نعم،کان الذی أنکر علی أبو بکر اثنی عشر رجلا،من المهاجرین:خالد بن سعید بن العاص،و کان من بنی أمیه،و سلمان الفارسی، و أبو ذرّ الغفاری،و المقداد بن الأسود،و عمّار بن یاسر،و بریده الأسلمی،و من الأنصار:

أبو الهیثم بن التیهان،و سهل و عثمان ابنا حنیف،و خزیمه بن ثابت ذو الشهادتین،و أبیّ بن کعب،و أبو أیّوب الأنصاری.

-إلی أن قال علیه السّلام:-إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قال لهم:فانطلقوا بأجمعکم إلی الرجل فعرّفوه ما سمعتم من قول رسولکم صلّی اللّه علیه و آله و سلم؛لیکون ذلک أوکد للحجّه و أبلغ للعذر،و أبعد لهم من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا وردوا علیه.فسار القوم حتّی أحدقوا بمنبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کان یوم الجمعه...

-إلی إن قال علیه السّلام:إنّ القوم المعترضین تکلّم واحد تلو الآخر منهم-فأوّل من تکلّم به خالد بن سعید بن العاص،و ذکّرهم بحدیث النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم:«ألا إنّ علیّ بن أبی طالب علیه السّلام أمیرکم بعدی و خلیفتی فیکم،بذلک أوصانی ربّی،ألا و إنّکم إن لم تحفظوا فیه

۱- ۱) .مختصر تاریخ دمشق-لابن عساکر-۷۶/۴،البدایه و النهایه-لابن کثیر-۳۵۰/۳ و ۷۷/۴.

۲- ۲) .الاحتجاج-للطبرسی-:۴۷-۵۰،و ذکر اعتراض هؤلاء علی بیعه أبی بکر فی عدّه مصادر أخری؛ فقد ذکر ذلک:ابن الأثیر فی أسد الغابه:ترجمه خالد بن سعید ابن العاص،و ابن أبی الحدید فی شرح نهج البلاغه ۱۷/۲،و أبی الفداء فی المختصر فی أخبار البشر،و الیعقوبی فی تاریخه ۱۱۴/۲.

وصیّتی و تؤازروه و تنصروه اختلفتم فی أحکامکم،و اضطرب علیکم أمر دینکم، و ولیکم شرارکم...

فقال له عمر بن الخطّاب:اسکت یا خالد!فلست من أهل المشوره (۱)و لا ممّن یقتدی برأیه.فقال خالد:اسکت یا ابن الخطّاب!فإنّک تنطق عن لسان غیرک و أیم اللّه لقد علمت قریش أنّک من ألأمها حسبا،و أدناها منصبا،و أخسّها قدرا،و أخملها ذکرا، و أقلّهم غناء عن اللّه و رسوله،و أنّک لجبان فی الحروب،بخیل بالمال،لئیم العنصر،ما لک فی قریش من فخر،و لا فی الحروب من ذکر...

و قال سلمان الفارسی:...یا أبا بکر!إلی من تسند أمرک إذا نزل بک ما لا تعرفه؟! و إلی من تفزع إذا سئلت عمّا لا تعلمه؟!و قام أبو ذرّ فقال:یا معشر قریش!أصبتم قباحه، و ترکتم قرابه،و اللّه لترتدّن جماعه من العرب،و لتشکّن فی هذا الدین،و لو جعلتم الأمر فی أهل بیت نبیّکم ما اختلف علیکم سیفان،و اللّه لقد صارت لمن غلب،و لتطمعنّ إلیها عین من لیس من أهلها،و لیسفکنّ فی طلبها دماء کثیره.فکان کما قال أبو ذرّ.

و قال المقداد بن الأسود:...و لا تغرک قریش و غیرها...و قال:أبیّ بن کعب:...و لا تکن أوّل من عصی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی وصیّه و صفیّه و صدف عن أمره،اردد الحقّ إلی أهله تسلم...و قام عثمان بن حنیف فقال:فلا تکن یا أبا بکر أَوَّلَ کافِرٍ بِهِ (۲)و لا تَخُونُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِکُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۳)...»

و ما تخوّف منه هؤلاء الاثنا عشر من المهاجرین و الأنصار من تمرّد القبائل العربیه مسلمه الوفود بسبب تمرّد قریش نفسها و أصحاب السقیفه علی وصیّه النبیّ و أمر اللّه و رسوله،قد تحقّق؛فإنّ عصیانهم فی الوصایه و ارتدادهم عن عهد اللّه و رسوله فی خلافه

۱- ۱) .ذکر ابن الأثیر فی أسد الغابه أنّ خالد بن سعید من السابقین إلی الإسلام ثالثا أو رابعا،أی أسلم قبل أبی بکر و عمر.

۲- ۲) .البقره۴۱/.

۳- ۳) .الأنفال۲۷/.

علیّ علیه السّلام فتح الباب لسائر القبائل للارتداد عن أداء الزکاه.

بل إنّ نصوص کتب التواریخ-کما سیأتی استعراضها-تنصّ علی أنّ تمرّد القبائل فی الجزیره العربیه کان بسبب إبائها خلافه أبی بکر،و استهجانها مکانته و لآمه حسبه و نسبه،و أنّهم قالوا:کما خانت قریش نبیّها فی وصیّه فلم نطیع قریش و أبا بکر فی بغیهم؟!

فالزلزله التی أصابت الإسلام بسبب خلافه أبی بکر هی أکبر شؤم علی الإسلام، و قد سبّبت هلاک الحرث و النسل،کما تنبّأ القرآن الکریم بذلک،و أشارت إلیه سوره المدّثر المکّیه،رابع سوره نزولا؛فقد قال تعالی فی فئه الّذین فی قلوبهم مرض،و هی الفئه التی اندسّت فی صفوف المسلمین فی أوائل البعثه،و التی کانت علی ارتباط مع قریش الطلقاء فی الخفاء: فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَکُمْ (۱)،فی سیاق آیات اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ .و کذلک قوله تعالی: وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ (۲)؛فقد خفرت کثیر من الذمم و العهود.

قال ابن أعثم-عند ذکر ارتداد أهل حضرموت من کنده-:«فلمّا فرغ أبو بکر من حرب أهل البحرین-و سیأتی أنّ عصیانهم هو لأبی بکر و خلافته-عزم علی محاربه أهل حضرموت من کنده،و ذلک أنّ عاملهم زیاد بن لبید الأنصاری کان ولّاه علیهم النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،کان مقیما بحضرموت یصلّی بهم و یأخذ منهم ما یجب علیهم من زکاه أموالهم،فلم یزل کذلک إلی أن مضی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لسبیله و صار الأمر إلی أبی بکر، فقال له الأشعث بن قیس:یا هذا!إنّا قد سمعنا کلامک و دعاءک إلی هذا الرجل فإذا اجتمع الناس إلیه اجتمعنا.قال له زیاد بن لبید:یا هذا!إنّه قد اجتمع المهاجرون و الأنصار.

فقال له الأشعث:إنّک لا تدری کیف یکون الأمر بعد ذلک.قال:فسکت زیاد بن

۱- ۱) .محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم۲۲/.

۲- ۲) .البقره۲۰۵/.

لبید و لم یقل شیئا،ثمّ قام إلی الأشعث بن قیس ابن عمّ له یقال له:امرؤ القیس بن عابس من کنده،فقال له:یا أشعث!انشدک باللّه و بإیمانک و بقدومک إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم إن نکصت أو رجعت عن دین الإسلام،فإنّک إن تقدّمت تقدّم الناس معک،و إنّ هذا الأمر لا بدّ له من قائم یقوم به فیقتل من خالف علیه،فاتّق اللّه فی نفسک؛فقد علمت ما نزل بمن خالف أبا بکر و منعه الزکاه» (۱).

و یظهر من هذا النصّ التاریخی أنّ أصحاب السقیفه قد حکموا بالکفر و الردّه علی مجرّد مخالفه تنصیب أبا بکر و عدم تمکینه من الزکاه،و هذا التکفیر و الحکم بالردّه هو بنفسه و بدوره سببا لتطوّر مخالفه خلافه أبی بکر إلی التشکیک فی الدین و الرجوع حقیقه عنه.

و من تناقضات أصحاب السقیفه و تلاعبهم فی الدین،أنّهم کفّروا مخالفی استخلاف أبی بکر و مانعیه من التسلّط علی رقاب المسلمین و علی الأموال العامّه-کالزکاه- و حکموا بإسلام عائشه و طلحه و الزبیر و أصحاب الجمل،الّذین نکثوا بیعه علیّ علیه السّلام و قاموا بمحاربته،و قالوا:بأنّهم تأوّلوا و اجتهدوا و أخطئوا.

و کذلک حکموا بإسلام معاویه و أهل الشام القاسطین فی محاربتهم أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام،و قالوا:بأنّهم اجتهدوا و تأوّلوا و أخطئوا.و کذلک حکموا بإسلام خالد بن الولید مع استحلاله لقتل مالک بن نویره و قومه-کما سیأتی بیانه-مع بقاء مالک و قومه علی إسلامهم و إیمانهم،و استباحه خالد التزویج بزوجه مالک.فلما ذا لا یحکم بکفر و ردّه أبی بکر و أصحاب السقیفه،الّذین أنکروا النصّ علی خلافه علیّ علیه السّلام،و خالفوا عهد اللّه و رسوله فی الوصیه؟!

حکی ابن أبی الحدید عن السیّد المرتضی فی الشافی قول الجاحظ:«و قد یبلغ من مکر الظالم و دهاء الماکر إذا کان أریبا و للخصومه معتادا أن یظهر کلام المظلوم و ذلّه

۱- ۱) .کتاب الفتوح ۴۵/۱.

المنتصف،و حدب الوامق و مقه المحقّ» (۱).

و قال ابن أعثم:«ثمّ تكلّم الأشعث بن قيس فقال:يا معشر كنده!إن كنتم على ما أرى فلتكن كلمتكم واحده،و الزموا بلادكم و حوّطوا حريمكم و امنعوا زكاه أموالكم؛ فإنّى أعلم أنّ العرب لا تقرّ بطاعه بنى تميم بن مرّه و تدع سادات البطحاء من بنى هاشم إلى غيره،فإنّها لنا أجود،و نحن لها أجرى و أصلح من غيرنا؛لأنّا ملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قريشى و لا أبطحى» (۲).

و يرى الباحث صدق ما أخبر به أبو ذرّ و بقيه المهاجرين و الأنصار الاثنى عشر من تسبّب خيانه أبى بكر و أصحاب السقيفه،و ضعه مكانه أبى بكر فى تمرّد القبائل و طمعها فى الخلافه،و استرابتها فى الدين.

ثمّ قال ابن أعثم:«جاء لزياد بن لبيد الأنصارى العامل على كنده رجل يقال له:

الحارث بن معاويه،فقال لزياد:إنّك لتدعو إلى طاعه رجل لم يعهد إلينا و لا إليكم فيه عهد.فقال له زياد بن لبيد:يا هذا!صدقت،فإنّه لم يعهد إلينا و لا إليكم فيه عهد،و لكنّا اخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث:أخبرنى لم نحّيتم عنها أهل بيته و هم أحقّ الناس بها؛لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللّهِ (۳)؟!

فقال له زياد بن لبيد:إنّ المهاجرين و الأنصار أنظر لأنفسهم منك.فقال له الحارث بن معاويه:لا و اللّه،ما أزلتموها عن أهلها إلاّ حسدا منكم لهم،و ما يستقرّ فى قلبى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم خرج من الدنيا و لم ينصب للناس علما يتّبعونه،فارحل عنّا أيّها الرجل؛فإنّك تدعو إلى غير الرضا.ثمّ أنشأ الحارث بن معاويه يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى صلّى عليه اللّه لم يستخلف

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه ۲۶۴/۱۶.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۴۷/۱.

۳- ۳) .الأنفال۷۵/.

قال:فوثب عرفجه بن عبد اللّه الذهلی فقال:صدق و اللّه الحارث بن معاویه، أخرجوا هذا الرجل عنکم فما صاحبه بأهل للخلافه و لا یستحقّها بوجه من الوجوه، و ما المهاجرون و الأنصار بأنظر لهذه الأمّه من نبیّها محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم.قال:ثمّ وثب رجل من کنده یقال له:عدی بن عوف،فقال:یا قوم!لا تسمعوا قول عرفجه بن عبد اللّه و لا تطیعوا أمره؛فإنّه یدعوکم إلی الکفر و یصدّکم عن الحقّ،اقبلوا من زیاد بن لبید ما یدعوکم إلیه و ارضوا بما رضی المهاجرون و الأنصار؛فإنّهم أنظر لأنفسکم منکم» (۱).

فیظهر من هذا النصّ التاریخی أنّ منطق أصحاب السقیفه هو:الحکم بالکفر و الردّه علی المعترضین علی أبی بکر و أصحابه بخیانه عهد اللّه و رسوله فی وصیّه،و إنّ حروب الردّه هی ضدّ تلک القبائل التی تمرّدت علی استخلاف أبی بکر عدا تلک التی ظهر فیها الکذّابین المدّعین للنبوّه،کمسیلمه الکذّاب و سجاح،و إنّ الردّه شعار رفعه أصحاب السقیفه ضدّ تلک القبائل لتبریر قتالهم،و إخمادا للمعارضه علی تنصیب أبی بکر،و ساعد هذا التمویه و الإغراء و الخداع تقارن هذه المعارضه مع دعاوی الکذّابین الدجّالین للنبوّه، کمسیلمه و سجاح و طلیحه بن خویلد،فحصل اختلاط فی الأوراق و هرج فی تصفیه الحسابات و معادله المواجهات.

و فی نصّ آخر ذکره ابن أعثم:«عند ما وصل کتاب أبی بکر للأشعث ابن قیس و فیه:

و أنهاکم أن لا تنقضوا عهده،و أن لا ترجعوا عن دینه إلی غیره فلا تتّبعوا الهوی فیضلّکم عن سبیل اللّه...فأقبل الأشعث علی الرسول فقال:إنّ صاحبک أبا بکر هذا یلزمنا الکفر بمخالفتنا له و لا یلزم صاحبه-أی:زیاد بن لبید-الکفر بقتله قومی و بنی عمّی!فقال له الرسول:نعم یا أشعث!یلزمک الکفر؛لأنّ اللّه تبارک و تعالی قد أوجب علیک الکفر بمخالفتک لجماعه المسلمین» (۲).

و هذا النصّ یوضّح أنّ مبنی أصحاب السقیفه أنّ الدین یتمثّل فی جماعتهم،و أنّهم

۱- ۱) .کتاب الفتوح ۴۷/۱.

۲- ۲) .کتاب الفتوح ۵۴/۱.

جماعه المسلمين و ما عداهم من المهاجرين و الأنصار و بنى هاشم و سعد بن عباده و سائر القبائل ليسوا بجماعه المسلمين،و أنّ خيانه اللّه و رسوله فى عهد الوصايه و الإمامه و إنكار ما جاء به الرسول فى ذلك ليس يوجب الكفر،فهم قد جعلوا جماعه السقيفه عدل القرآن و بديل النبوّه،و هذا ممّا يكشف أوراق حروب الردّه و يفضح دجليّه شعارها.

و قال ابن أعثم:إنّ أبا بكر لمّا وصله خبر كنده و عصيانها له و ضعف الجيش الذى أرسله عن مقاومه كنده استشار جماعته«ثمّ انصرف أبو بكر إلى منزله و أرسل إلى عمر بن الخطّاب فدعاه،و قال:إنّى عزمت على أن أوجّه إلى هؤلاء القوم علىّ بن أبى طالب؛ فإنّه عدل رضا عند أكثر الناس؛لفضله و شجاعته و قرابته و علمه و فهمه و رفقه بما يحاول من الأمور.

قال:فقال له عمر بن الخطّاب:صدقت يا خليفه رسول اللّه!إنّ عليّا كما ذكرت و فوق ما وصفت،و لكنّى أخاف عليك خصله منه واحده.قال له أبو بكر:و ما هذه الخصله التى تخاف علىّ منها منه؟فقال عمر:أخاف أن يأبى القتال فلا يقاتلهم،فإن أبى ذلك فلن تجد أحدا يسير إليهم إلاّ على المكروه منه،و لكن ذر عليّا يكون عندك بالمدينه؛فإنّك لا تستغنى عنه و عن مشورته،و اكتب إلى عكرمه بن أبى جهل» (۱).

و يظهر من هذا النصّ التاريخى أنّ عمر يتخوّف من إباء علىّ عليه السّلام قتال كنده،ممّا يدلّل على عدم تكفير علىّ عليه السّلام لكنده و عدم قوله عليه السّلام بردّتهم،و يظهر القول بإسلام كنده أيضا من أبى أيوب الأنصارى عند ما استشاره أبى بكر فى كنده؛قال:«لو صرفت عنهم الخيل فى عامك هذا و صفحت عن أموالهم لرجوت أن ينيبوا إلى الحقّ و أن يحملوا الزكاه إليك بعد هذا العام طائعين غير مكرهين،فذاك أحبّ إلىّ من محاربتك إيّاهم» (۲)،و لكنّ أبا بكر أبى ذلك،و لعلّه فطن إلى أنّ أبا أيوب الأنصارى من أنصار علىّ عليه السّلام.

بل إنّ عمر اعترف بإسلام أهل«دبا»،الّذين ناصروا كنده فى تمرّدهم؛إذ همّ أبو

۱- ۱) .كتاب الفتوح ۵۷/۱.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۵۶/۱.

بکر بقتل المقاتله و قسمه النساء و الذرّیه،فقال له عمر ابن الخطّاب:«یا خلیفه رسول اللّه!إنّ القوم علی دین الإسلام،و ذلک أنّی أراهم یحلفون باللّه مجتهدین:ما کنّا رجعنا عن الإسلام.و لکن شحّوا علی أموالهم» (۱)،و الحقیقه أنّهم أبوا إماره أبی بکر.

و تظهر هذه الحقیقه التاریخیه أیضا من بکر بن وائل فی البحرین؛إذ أنّ سبب تمرّدهم و ردّتهم فی قولهم لکسری:«إنّه قد مضی ذلک الرجل الذی کانت قریش و سائر مضر یعتزّون به-یعنون بذلک الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم-و قد قام من بعده خلیفه له،ضعیف البدن ضعیف الرأی» (۲).

و یظهر أنّ سبب تمرّد و ردّه بنی أسد و غطفان و فزاره،و مناصرتهم لطلیحه بن خویلد الکذّاب هو ضعه أبی بکر،و قولهم بعدم أهلیّته للخلافه؛إذ نادوا:«لا نبایع أبا الفصیل-یعنون أبا بکر-» (۳)،و هذه التکنیه تحقیرا لأبی بکر،و إشاره إلی عمله فی الجاهلیه،و هو الدلاله فی بیع و شراء الإبل.

هذه لمحه خاطفه تدلّل علی أنّ تدبیر الفتوحات و خططها لا تعزی إلی الثلاثه!! کیف و لا مراس لهم بالحروب و إدارتها و أمور الجیوش؟!و قد ولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم علیهم أسامه بن زید فی جیش المسلمین لمحاربه الروم فی آخر أیّام حیاته،و أنّ خطط الفتوح و تدبیرها راجعه إلی أسباب و عوامل أخری.

۱- ۱) .کتاب الفتوح ۵۹/۱.

۲- ۲) .کتاب الفتوح ۳۴/۱.

۳- ۳) .کتاب الفتوح ۱۴/۱.

تدبير الإمام علىّ عليه السّلام

فى ظفر المسلمين فى الفتوحات

هناك نصوص تاريخيه عديده تبيّن تدبير علىّ عليه السّلام فى المنعطفات الخطيره التى عصفت بالمسلمين و دولتهم و جيوشهم،و كاد نظام المسلمين أن يتقوّض لو لا حنكته و بصيرته فى تدبير الأمور العامّه،و إعزاز الإسلام،و نصر الدين،و رتقه،و لو لا ذلك أيضا لتشتّت أوضاع المسلمين؛بسبب استخلاف أبى بكر و نبذ أصحاب السقيفه عهد اللّه و رسوله فى الإمامه،ممّا دعا سائر القبائل للتمرّد و الريبه فى الدين،و اضطرار أبى بكر و عمر و عثمان و بقيه الصحابه لاستشارته عند اضطراب الأمر عليهم فى تدبير الأحوال الخطيره.

ثمّ إنّ عمده ما حصل من الفتوحات،و طرد الروم و القضاء على ملك كسرى كان ببركه إشرافه و تسديده و مشورته،بل فى بعض الموارد صدرت منه المعجزات لإنقاذ الموقف؛لحكمه إلهيه،و زياده فى الامتحان لهذه الأمّه،مع ما مر من ضعف الثلاثه فى مراس التدبير،لا سيّما و أنّ الدوله الإسلاميه تعيش حاله استنفار عسكرى،أى ما يصطلح عليه حاليا:«دوله حرب»،و هم أبعد ما يكونون وزنا عن التأثير فى معادله القوى فى الحروب،كما مرّ.

و من ثمّ قال عليه السّلام-فى ما مرّ من روايه ابن أبى الحديد-:«...ثمّ نسبت-أى قريش- تلك الفتوح إلى آراء ولاتها و حسن تدبير الأمراء القائمين بها،فتأكّد عند الناس نباهه قوم و خمول آخرين،فكنّا نحن ممّن خمل ذكره،و خبت ناره،و انقطع صوته وصيته حتّى أكل الدهر علينا و شرب،و مضت السنون و الأحقاب بما فيها،و مات كثير ممّن يعرف-أى فضائله و مناقبه و ركنيته بعد الرسول فى بنيان الدين و انتظام الإسلام-و نشأ

كثير ممّن لا يعرف...» (۱).

و قد جاءت عدّه نصوص تاريخيه فی ذلک:

منها:ما قاله أبو بكر لعمر عند ما فشل الجيش الذی بعثه أبو بكر لقتال كنده،و لم يفلح المدد أيضا،فاضطرب لذلک أبو بكر و قال:«إنّی عزمت علی أن أوجّه إلی هؤلاء علیّ بن أبی طالب؛فإنّه عدل رضا عند أكثر الناس لفضله و شجاعته و قرابته و علمه و فهمه،و رفقه بما يحاول من الأمور...».

فهذا النصّ سواء فی فقره كلام أبی بكر أو كلام عمر يكشف النقاب عن دور علیّ عليه السّلام و مكانته فی نفسيه المسلمين و سائر القبائل المتمرّده علی استخلاف أبی بكر كما فيه إقرار و اعتراف من أبی بكر بالإحكام فی تدبير علیّ عليه السّلام للأمور،لا سيّما هذا الأمر الذی استعصی حلّه علی أبی بكر،و جزع من شدّه الورطه فلم يجد بدّا من الكتابه إلی الأشعث بن قيس بالرضا (۲).

كما أنّ فی كلام عمر؛إذ قال:«أخاف أن يأبی القتال فلا يقاتلهم،فإن أبی ذلک فلن تجد أحدا يسير إليهم إلّا علی المكروه منه،و لكن ذر عليّا يكون عندك بالمدينه فإنّک لا تستغنی عنه و عن مشورته»إقرار بما ذكره صاحبه و زياده:إنّ عليّا عليه السّلام إذا أبدی قوله فی عدم قتال كنده فإنّ البقيه سيتأثّروا به و يمتنعوا عن مقاتله كنده إلّا بالإكراه،و إنّ دوله السقيفه لم تستطع إداره الأمور بدون مشوره علیّ عليه السّلام.و سيأتی فی بقيه النصوص الكثير ممّا يعضد ذلک.

و منها:«و أراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعه من الأصحاب،فقدّموا و أخّروا،فاستشار علیّ بن أبی طالب،فأشار أن يفعل،فقال:إن فعلت ظفرت.فقال:

بشّرت بخير!فقام أبو بكر فی الناس خطيبا،و أمرهم أن يتجهّزوا إلی الروم» (۳).

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه ۲۹۸/۲۰ رقم ۴۱۴.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۵۳/۱.

۳- ۳) .تاريخ اليعقوبی ۱۳۲/۲-۱۳۳.

و فی فتوح ابن أعثم:«فسأل أبو بکر:و من أین علمت ذلک؟!فقال علیه السّلام:سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم...» (۱)،و فی مکان آخر:«تسامع هرقل بأنّ نبیّ الإسلام أخبرهم بالنصر» (۲).و یظهر من هذا النصّ،و من الذی قبله،و ممّا یأتی من نصوص متعدّده طمع السلطه فی فراسه علیّ علیه السّلام الغیبیه،و إخباره بالملاحم و علم المنایا و البلایا،و هی من العلوم اللدنیه للأوصیاء،و ما عنده علیه السّلام من عهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بمصیر الأمور و أحوال البلدان،فإنّه نقل ذلک عنه بکثره فی کتب السیر و التواریخ،و استخبار أبی بکر و عمر علیّا علیه السّلام،و استخفاؤهما إیّاه أحوال الأوضاع،و فی الفتوح:تهدید وفد المسلمین جبله- حلیف هرقل بالشام-ببشاره النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بالنصر (۳)؛کلّ ذلک یصبّ فی النهایه فی رفعه اسمیهما عند عامّه الناس،و نسبه الفتوح إلیهما،کما قال علیه السّلام فی ما مرّ من الروایه.

اعتراض و إجابه

و قد یرد اعتراض فی ذهن بعض من لا بصیره له بأوصیاء الأنبیاء:لما ذا یسدّد علیّ علیه السّلام خلفاء الجور إلی أبواب الظفر و النصر،فیعلو کعبهم و اسمهم،و تزداد فتنه الناس بضلالتهم،و ببدعهم فی الدین،و بمتارکتهم لصراط الهدایه من أهل بیت النبوّه علیهم السّلام؟!،کما أنّ بعض آخر-ممّن لا یستمسک بالبیّنات و البراهین-یموّه إرشاد علی علیه السّلام لهما فی تدبیر الأمور علی أنّه رضی منه بحالهما!!

و هؤلاء إذ تارکوا عیش الیقین نکسوا قلوبهم فی الریب؛استحبابا منهم لذلک،بدلا من نور الحقیقه؛فإنّ الوصیّ علیه السّلام لیس غارقا فی بحر الهوی،کما قال علیه السّلام فی ذیل الروایه المزبوره:«اللّهمّ إنّک تعلم أنّی لم أرد الإمره،و لا علوّ الملک و الرئاسه،و إنّما أردت القیام بحدودک،و الأداء لشرعک،و وضع الأمور فی مواضعها،و توفیر الحقوق علی أهلها،و المضی

۱- ۱) .کتاب الفتوح ۸۰/۱.

۲- ۲) .کتاب الفتوح ۸۳/۱.

۳- ۳) .کتاب الفتوح ۱۰۳/۱.

على منهاج نبيّك،و إرشاد الضالّ إلى أنوار هدايتك» (۱).

فإنّه عليه السّلام ممّن طهّره اللّه من الرجس و الهوى،فلا يعيش إلاّ همّ إقامه الدين و نشره و انتشاره بقدر ما يتيسّر من ذلك،و إن مانع الطامعون فى الرئاسه و الملك،و الحريصون على الإماره و العلوّ فى الأرض،و الحزب القرشى و الطلقاء،عن إقامه الحقّ فى جليل من الأبواب؛فإنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه،و الميسور لا يسقط بالمعسور..

نظير ما قصّه اللّه تعالى من دور النبىّ يوسف عليه السّلام فى ملك عزيز مصر: وَ كَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ اللّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۲)؛فإنّ التدبير الحسن منه كان ليوسف و إن كان ينسب لملك مصر،و لو لا يوسف لتشتّت الأمر على ملك مصر عند ما عصفت السنين بهم.

و فى هذه الحقبه و الفتره تجلّى خلوص علىّ عليه السّلام فى تشييد الدين؛فأين تجد من غصب حقّه،و زحزح عن مقامه،و تقمّص مكانه من ليس بأهل له،و مع ذلك يقوم بحفظ الدين و نشره،مع علمه بأنّ هذا الدور أيضا هو الآخر سوف يبتزّه الغاصبون و ينسبونه لأنفسهم؟!

و ممّا يشير إلى تدبير النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى الفتوحات ما ذكره ابن أعثم (۳)فى الفتوح؛إذ أورد رساله عمر إلى معاويه،التى تضمّنت عهده صلّى اللّه عليه و آله و سلم للمسلمين بتفاصيل برامج فتوح البلدان،حتّى أسماء المدن،و المهمّ منها فى حصول الظفر و النصر.

دوره عليه السّلام فى وقعه الجسر

فى وقعه«الجسر»-و هى أوّل وقعه للمسلمين مع جيوش كسرى-اضطرب تدبير الحرب و المسلمين بشدّه حتّى كاد يفلت الأمر،فأغاث علىّ عليه السّلام عمر بالمشوره

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه ۲۹۹/۲۰ رقم ۴۱۴.

۲- ۲) .يوسف ۲۱/.

۳- ۳) .كتاب الفتوح ۲۶۲/۱.

المفضّل له،و أمره بأن لا يصير إلى العدو:«فإنّك إن صرت إلى العراق و كان مع القوم حرب و اختلط الناس لم تأمن أن يكون عدوّ من الأعداء يرفع صوته و يقول:قتل أمير المؤمنين! فيضطرب أمر الناس و يفشلوا...و لكن أقم بالمدينه و وجّه برجل يكفيك أمر العدوّ، و ليكن من المهاجرين و الأنصار البدريّين.فقال عمر:و من تشير عليّ أن أوجّه به يا أبا الحسن؟!فأشار عليه بسعد بن أبى وقّاص.و انتهت الواقعه بنصر المسلمين (۱).

و من ذلك يظهر أنّ التدبير فى المفاصل الخطيره من الفتوح كان منه عليه السّلام».

و فى هذه الواقعه ذكر ابن أعثم تهديد المسلمين يزدجرد ملك الفرس ببشاره النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بفتح فارس (۲).

و من تدابير عليّ عليه السّلام البالغه الأهمّيه أيضا بثّه الخلّص الأبدال من أصحابه فى جيوش الفتوح،و كان لهم الأثر البالغ فى الفتوح،كحذيفه بن اليمان و عمّار بن ياسر فى فتوح فارس،و مالك الأشتر فى فتوح الروم،و لا سيّما فى يوم اليرموك؛إذ بارز وزير هرقل هامان فهزمه (۳)،و هاشم بن عتبه بن أبى وقّاص فى فتوح الشام و فارس أيضا، و كذلك عباده بن الصامت الأنصارى،و حجر بن عدى الكندى،و الجميع كانوا أمراء سرايا و فصائل فى الكتائب،و خالد بن سعيد بن العاص و أخوه،و عدى بن حاتم الطائى،و عبد اللّه بن خليفه،و سلمان الفارسى،و غيرهم ممّا يجده المتتبّع لتواريخ الفتوح،ذكرنا جمله منهم لا على سبيل الاستقصاء و الحصر،هذا مع أنّ أقلام التاريخ غالبا سقيفيه أو أمويه أو عبّاسيه،لا ترصد و لا تحبّ أن تكتب لأصحاب عليّ عليه السّلام أدوارا خطيره فى الفتوح،بل و تركّز الضوء على غيرهم لترفع ذكرهم دون تيار عليّ عليه السّلام.

و ذكر ابن أعثم:أنّ أبا عبيده أرسل كتابا إلى عمر يخبره فيه أنّ أهل«إيليا»بعد ما حوصروا فى الشامات اشترطوا الصلح مع الخليفه كى يثقوا بالأمان،فاستشار عمر وجوه

۱- ۱) .كتاب الفتوح ۱۳۶/۱-۱۳۷.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۱۵۷/۱.

۳- ۳) .كتاب الفتوح ۲۰۸/۱.

المهاجرين و الأنصار فى الخروج إلى الشام،فأشار عليه عثمان بعدم الخروج.فقال عمر:

هل عند أحد منكم غير هذا الرأى؟!

فقال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:نعم،عندى من الرأى:إنّ القوم قد سألوك المنزله التى لهم فيها الذلّ و الصغار،و نزولهم على حكمك عزّ لك و فتح للمسلمين...فإذا قدمت عليهم كان الأمر و العافيه و الصلح و الفتح إن شاء اللّه.

و أخرى فإنّى لست آمن الروم إن هم آيسوا من قبولك الصلح و قدومك عليهم أن يتمسّكوا بحصنهم و يلتئم إليهم إخوانهم من أهل دينهم فتشتدّ شوكتهم و يدخل على المسلمين من ذلك البلاء،و يطول أمرهم و حربهم،و يصيبهم الجهد و الجوع،و لعلّ المسلمين إن اقتربوا من الحصن فيرشقونهم بالنشاب أو يقذفونهم بالحجاره،فإن أصيب بعض المسلمين تمنّيت أن تكون قد افتديت قتل رجل مسلم من المسلمين بكلّ مشرك إلى منقطع التراب.فهذا ما عندى،و السلام.

فقال عمر:أمّا أنت يا أبا عمرو-أى عثمان-فقد أحسنت النظر فى مكيده العدو، و أمّا أنت يا أبا الحسن!فقد أحسنت النظر لأهل الإسلام،و أنا سائر إلى الشام (۱).

و عند فتح المسلمين لمدينه السوس-بلده بخوزستان (۲)جنوب إيران-وجدوا جثمان النبىّ دانيال و لم يكونوا يعرفوه و رأوا أهل السوس يتبرّكون و يستسقون به، و جسده لم يبلى،فكتب أبو موسى إلى عمر بذلك،فسأل عمر أكابر الصحابه عن ذلك فلم يجد عندهم فيه خبرا،و أنّى لهم بالخبر؟!و هل يوجد الخبر إلّا عند من عنده ودائع النبوّه،و هو السبب المتّصل بين الأرض و السماء،و من عنده علم الكتاب؟!

فقال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:«بلى هذا دانيال الحكيم،و هو نبىّ غير مرسل،غير أنّه فى قديم الزمان مع بختنصر و من كان بعده من الملوك...قال:و جعل علىّ يحدّث عمر بقصّه دانيال من أوّلها إلى آخرها إلى وقت وفاته،ثمّ قال علىّ:اكتب إلى

۱- ۱) .كتاب الفتوح ۲۴۴/۱.

۲- ۲) .هى مدينه«الشوش»حاليا.

صاحبک أن یصلّی علیه و یدفنه فی موضع لا یقدر أهل السوس علی قبره،قال:فکتب عمر بن الخطّاب إلی أبی موسی الأشعری بذلک (۱)».

دوره علیه السّلام فی معرکه نهاوند

و ذکر أهل التواریخ-و النصّ لابن أعثم-:«إنّ المسلمین لمّا فتحوا خوزستان تحرّکت الفرس بأرض نهاوند،و کتب بعضهم إلی بعض أن یکون اجتماعهم بها،فاجتمعوا من مدن شتّی فکانوا خمسون ألفا و مائه ألفا مع نیف و سبعین فیلا تهویلا علی خیول المسلمین،و قالوا:إنّ ملک العرب الذی جاءهم بهذا الکتاب و أقام لهم هذا الدین قد هلک- یعنون بذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم-..فتعالوا بنا حتّی ننفی من بقربنا من جیوش العرب،ثمّ إنّا نسیر إلیهم فی دیارهم فنستأصلهم عن جدید الأرض...

فبلغ الخبر المسلمین فکتبوا بذلک إلی عمر،و أنّ الفرس قد قصدوهم ثمّ یأتون بعدها إلی المدینه،و هم جمع عتید،و بأس شدید،و دوابّ فره،و سلاح شاک،و قد هالهم ذلک و ما أتاهم من أمرهم و خبرهم.

قال-الراوی الذی یروی عنه ابن أعثم-:فلمّا ورد الکتاب علی عمر بن الخطّاب و قرأه و فهم ما فیه وقعت علیه الرعده و النفضه حتّی سمع المسلمون أطیط أضراسه،ثمّ قام عن موضعه حتّی دخل المسجد و جعل ینادی:أین المهاجرون و الأنصار؟ألا فاجتمعوا رحمکم اللّه،و أعینونی أعانکم اللّه.

قال:فأقبل إلیه الناس من کلّ جانب حتّی إذا علم أنّ الناس قد اجتمعوا و تکاملوا فی المسجد وثب إلی منبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فاستوی علیه قائما و إنّه لیرعد من شدّه غضبه علی الفرس،فحمد اللّه عزّ و جلّ و أثنی علیه،و صلّی علی نبیّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم،ثمّ قال:أیّها الناس!هذا یوم غمّ و حزن،فاستمعوا ما ورد إلیّ من العراق-ثمّ قرأ علیهم ما

۱- ۱) .کتاب الفتوح ۲۷۴/۲.

وصله من الكتاب-و قال:و ليست لهم-أى الفرس-همّه إلاّ المدائن و الكوفه،و لئن وصلوا إلى ذلك فإنّها بليّه على الإسلام و ثلمه لا تسدّ أبدا،و هذا يوم له ما بعده من الأيام،فاللّه اللّه يا معشر المسلمين!أشيروا علىّ رحمكم اللّه...

فقام طلحه و الزبير و أشاروا عليه أن يعمل برأيه و ما يراه،و قام عبد الرحمن بن عوف و أشار عليه بأن يخرج بنفسه و يخرجوا معه،و قام عثمان بن عفّان و أشار عليه بما أشار ابن عوف،و أن يأتيه أهل الشام من شامهم،و أهل اليمن من يمنهم،و أهل الحرمين،و أهل المصرين:البصره و الكوفه،فقال عمر:هذا أيضا رأى يأخذ بالقلب،أريد غير هذا الرأى.قال:فسكت الناس،و التفت عمر إلى علىّ عليه السّلام فقال:يا أبا الحسن!لم لا تشير بشىء كما أشار غيرك؟!

قال:فقال علىّ:يا أمير المؤمنين!إنّك قد علمت أنّ اللّه تبارك و تعالى بعث نبيّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ليس معه ثان،و لا له فى الأرض من ناصر،و لا له من عدوه مانع،ثمّ لطف تبارك و تعالى بحوله و قوّته و طوله فجعل له أعوانا أعزّ بهم دينه،و شدّ بهم أمره،و قصم بهم كلّ جبّار عنيد،و شيطان مريد،و أرى مؤازريه و ناصريه من الفتوح و الظهور على الأعداء ما دام به سرورهم،و قرّت به أعينهم،و قد تكفّل اللّه تبارك و تعالى لأهل هذا الدين بالنصر و الظفر و الإعزاز،و الذى نصرهم مع نبيّهم و هم قليلون هو الذى ينصرهم اليوم إذ هم كثيرون،و بعد..فأبشر بنصر اللّه عزّ و جلّ الذى وعدك،و كن على ثقه من ربّك؛فإنّه لا يخلف الميعاد،و بعد..فقد رأيت قوما أشاروا عليك بمشوره بعد مشوره فلم تقبل ذلك منهم،و لم يأخذ بقلبك شىء ممّا أشاروا به عليك،لأنّ كلّ مشير إنّما يشير بما يدركه عقله.

و أعلمك يا أمير المؤمنين إن كتبت إلى الشام أن يقبلوا إليك من شامهم لم تأمن من أن يأتى هرقل فى جميع النصرانيه فيغير على بلادهم،و يهدم مساجدهم،و يقتل رجالهم، و يأخذ أموالهم،و يسبى نساءهم و ذرّيّتهم.و إن كتبت إلى أهل اليمن أن يقبلوا من يمنهم أغارت الحبشه أيضا على ديارهم و نسائهم و أموالهم و أولادهم..

و إن سرت بنفسک مع أهل مکّه و المدینه إلی أهل البصره و الکوفه ثمّ قصدت بهم عدوّک انتقضت علیک الأرض من أقطارها و أطرافها،حتّی أنّک ترید بأن یکون من خلّفته وراءک أهمّ إلیک ممّا ترید أن تقصده و لا یکون للمسلمین کانفه تکنفهم،و لا کهف یلجئون إلیه،و لیس بعدک مرجع و لا موئل؛إذ کنت أنت الغایه و المفزع و الملجأ،فأقم بالمدینه و لا تبرحها؛فإنّه أهیب لک فی عدوّک و أرعب لقلوبهم،فإنّک متی غزوت الأعاجم یقول بعضهم لبعض:إن ملک العرب قد غزانا بنفسه لقلّه أتباعه و أنصاره.فیکون ذلک أشدّ لکلبهم علیک و علی المسلمین،فأقم بمکانک الذی أنت فیه و ابعث من یکفیک هذا الأمر،و السلام.

قال:فقال عمر:یا أبا الحسن!فما الحیله فی ذلک و قد اجتمعت الأعاجم عن بکره أبیها بنهاوند فی خمسین و مائه ألف،یریدون استئصال المسلمین؟!

قال:فقال له علیّ بن أبی طالب علیه السّلام:الحیله أن تبعث إلیهم رجلا مجرّبا،قد عرفته بالبأس و الشدّه؛فإنّک أبصر بجندک و أعرف برجالک،و استعن باللّه و توکّل علیه و استنصره للمسلمین،فإن استنصاره لهم خیر من فئه عظیمه تمدّهم بها،فإن أظفر اللّه المسلمین فذلک الذی تحبّ و ترید،و إن یکن الأخری و أعوذ باللّه من ذلک أن تکون ردءا للمسلمین،و کهفا لهم یلجئون إلیه،و فئه ینحازون إلیها.

قال:فقال له عمر:نعم ما قلت یا أبا الحسن!و لکنّی أحببت أن یکون أهل البصره و أهل الکوفه هم الّذین یتولّون هؤلاء الأعاجم؛فإنّهم ذاقوا حربهم و جرّبوهم و مارسوهم فی غیر موطن.

قال:فقال له علیّ علیه السّلام:إن أحببت ذلک فاکتب إلی أهل البصره أن یفترقوا علی ثلاث فرق:فرقه تقیم فی دیارهم یکونوا حرسا لهم یدفعون عن حریمهم،و الفرقه الثانیه فی المساجد یعمرونها بالأذان و الصلاه؛لکی لا تعطّل الصلاه،و یأخذون الجزیه من أهل العهد؛لکی لا ینتقضوا علیک،و الفرقه الثالثه یسیرون إلی إخوانهم من أهل الکوفه، و یصنع أهل الکوفه کصنع أهل البصره،ثمّ یجتمعون و یسیرون إلی عدوّهم فإنّ اللّه عزّ

و جلّ ناصرهم عليهم و مظفرهم بهم،فثق باللّه و لا تيأس من روح اللّه، إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ (۱).

قال:فلمّا سمع عمر مقاله عليّ كرّم اللّه وجهه و مشورته أقبل على الناس و قال:

ويحكم!أعجزتم كلّكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن،و اللّه!لقد كان رأيه رأيى الذى رأيته فى نفسى!!!ثمّ أقبل عليه عمر فقال:يا أبا الحسن!فأشر عليّ الآن برجل ترتضيه و يرتضيه المسلمون أجعله أمير و أستكفيه من هؤلاء الفرس.فقال عليّ عليه السّلام:قد أصبته.قال عمر:و من هو؟قال:النعمان بن مقرن المزنى.فقال عمر و جميع المسلمين:

أصبت يا أبا الحسن!و ما لها من سواه» (۲).

و معركه نهاوند تعدّ المعركه المصيريه فى مواجهه المسلمين مع دوله كسرى؛ففى فتوح البلدان للبلاذرى:«إنّ ذلك الفتح هو فتح الفتوح» (۳).و فى المصادر التاريخيه الأخرى:إنّ بعد نهاوند لم تقم لدوله الفرس قائمه بعدها،و تتالت الفتوح للمدن الأخرى بكلّ سهوله.

فالباحث يرى مدى خطوره هذه المواجهه على كلّ من دوله كسرى و دوله المسلمين؛إذ لو قدّر النصر فى هذه المعركه للأكاسره لربّما قضوا على المسلمين حتّى ألجئوهم إلى المدينه،كما ذكر ذلك كتاب أهل الكوفه إلى عمر.

و كذلك يرى الباحث مدى خوف و ذعر و اضطراب الخليفه عمر فى تدبير الأمر، حتّى أنّ أسنانه أخذت تصطكّ فسمع المسلمون أطيط أضراسه و أخذته الرعده و النفضه!! فباللّه عليك هل يصلح لقياده المسلمين رجل بهذه الأوصاف،معروف بالفرار إذا اشتدّ البأس فى الحروب،تختلط عليه الأمور إذا حمى الوطيس؟!

و هذه اللقطه التاريخيه العظيمه كافيه لوقوف الباحث على كون عليّ عليه السّلام قطب

۱- ۱) .يوسف۸۷/.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۲۹۵/۲.

۳- ۳) .فتوح البلدان ۳۷۴/۲.

الرحی فی تـدبیر أمور المسـلمین و الفتوح التی تتالت علیهم،و تاللّه لو لا رأیه الثاقب فی الأمور،المسـدّد بالعصـمه، لانتقض نظام المسلمین و لأکلتهم الدول المحیطه بهم.و نظیر هذه الحادثه حوادث أخری،استعرضنا فی ما سبق بعضها.

وقفه مع أصحاب کتب التاریخ

إنّ الباحث فی تاریـخ المسـلمین یلاحظ مـدی التعتیم و التضـلیل لحقائق الأحداث الذی مارسه کثیر من مؤرّخیهم،مثل ابن جریر الطـبری(ت ۳۱۰ ه)فی تـاریخه، و البلاـذری(ت ۲۷۹ ه)فی فتـوح البلـدان،و ابـن الأـثیر(ت ۶۳۰ ه)فی الکامـل فی التاریـخ، و أمثـالهم،عنـد مـا یقـارن ما أرّخوه بأقلامهم بما کتبه ابن أعثم الکوفی(ت ۳۱۴ ه)فی الفتوح،و إن کـانت هنـاک قصاصات کثیره متناثره تسرّبت فی ما کتبوه رغم ما مارسوه من حذف و تعتیم..

ففی وقعه نهاونـد-مثلا-تری الطبری یحـذف مقـدّمه أحداث المعرکه بجملتها، و اقتصـر علی خصوص إجمال المعرکه من دون تفصـیل هولها و شدّه العناء الذی لاقاه المسلمون،حتّی کادوا أن ینهزموا فی کلّ وقعات المعرکه حتّی جاء الظفر،و ما عرض علی الخلیفه عمر من أحوال و غیر ذلـک ممّـا مرّ،کمـا لم یـذکر اسم من أشار علیه بالمکث، کما هی عادته فی موارد عدیـده یتابعها الباحث،و مشوره علیّ علیه السّلام علی أبی بکر و عمر؛ فإنّه لا یأتی بالاسم و لا ینوّه بالقائل،بل قد لا یتعرّض لحصول المشوره و یسـند الرأی إلی أبی بکر و عمر،کما أنّه لم یذکر ما جری من مقالات بین أبی بکر و رؤساء القبائل المتمرّده علی استخلافه،کلّ ذلک لتغطیه الحقائق و حقیقه الأمور فی الأحداث.

و أمّـا البلاذری فقـد ذکر مسـلسل الأحـداث فی ما یخص معرکه نهاونـد موجزا (۱)، ناسـبا ذلـک کلّه إلی عمر دون أن یفصـح بالمشیر علی عمر و لا حال اضطراب عمر،مع أنّه

۱- ۱) .فتوح البلدان ۳۷۱/۲.

یصرّح بوجود الروایات المفصّله للأحداث (۱)،و لکنّه لم یأت بمتنها بل بشیء من ألفاظ صدرها و ذیلها باقتضاب شدید،مع أنّه روی أنّ الفتح فیها هو:فتح الفتوح،و رغم ذلک فهو یوجز الحدیث عنها و یعرض عن ذکر ما ورد من روایات بشأنها..

و لکن من بعض قصاصات فتوح البلدان للبلاذری،و أخری من کتاب أخبار أصبهان (۲)للحافظ الأصبهانی(ت ۴۳۰ ه)،و ثالثه من کتاب الکامل (۳)لابن الأثیر،و غیرها من المصادر،و من مجموع کلّ تلک القصاصات یقف الباحث علی صدق الحقیقه عند ابن أعثم الکوفی فی کتابه الفتوح،و أنّ کلّ ما ذکره له جذور فی ما کتبوه،و اعترفوا ببعض خیوط الحدث.

فعلی الأمّه الإسلامیه السلام إن کان باحثوها ینساقون وراء ظاهر ما کتبه هؤلاء المؤرّخون ممّن کانت له نزعات أمویه أو عبّاسیه أو سقیفیه؛إذ لا تجری علی لسانه و لا علی قلمه أی حقیقه تاریخیه تتّصل بعلیّ بن أبی طالب علیه السّلام،و لا یقرّ بحقیقه ما کان علیه الشیخان من تشتّت الأمر فی التدبیر،إلّا ما تدارکه علیّ علیه السّلام بالمشوره علیهما،و اشتداد الفتن بسبب استخلاف أبی بکر،و نشوب الظواهر المنتکسه عن هدی الدین الحنیف، التی زرعت فی المسلمین ثمّ تورّمت و انفجرت فی عهد عثمان،فجاء علیّ علیه السّلام إلی سدّه الحکم و القیح و القروح منتشره فی جسم الأمّه.

الملاحم التی أنبأ علیه السّلام بها و دورها فی الفتوح

و ذکر ابن أعثم فی الفتوح:إنّ أبا موسی أراد التقدّم إلی بلاد خراسان بعد فتح المسلمین بلدان فارس و کرمان،فنهاه عمر عن ذلک و قال:ما لنا و لخراسان و ما لخراسان و لنا،و لوددت أنّ بیننا و بین خراسان جبالا من حدید و بحارا و ألف سدّ،کلّ سدّ مثل

۱- ۱) .فتوح البلدان ۳۷۳/۲.

۲- ۲) .أخبار أصبهان ۱۹/۱-۲۰.

۳- ۳) .الکامل فی التاریخ-لابن الأثیر-۸/۳.

سدّ يأجوج و مأجوج.

قال:فقال له علىّ بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه:و لم ذلك يا أمير المؤمنين؟!فقال عمر:لأنّها أرض بعدت عنّا جدّا،و لا حاجه لنا بها (۱).قال:فقال علىّ كرّم اللّه وجهه:فإن كنت قد بعدك عنك خراسان فإنّ للّه عزّ و جلّ مدينه بخراسان يقال لها:مرو،أسّسها ذو القرنين،و صلّى بها عزير...ثمّ ذكر عليه السّلام أسماء عدّه مدن،و الملاحم التى تقع فى كلّ مدينه منها،فذكر مدن:خوارزم،بخارا،سمرقند،الشاش،فرغانه،أبيجاب،بلخ،طالقان-و ذكر أنّ للّه عزّ و جلّ فيها كنوز لا من ذهب و لا من فضّه،يكونون أنصارا للمهدى عليه السّلام فى آخر الزمان-الترمذ، واشجرده،سرخس،سجستان،ياسوج،نيسابور،جرجان،قومس، الدامغان،سمنان،الرى،و الديلم.ثمّ سكت عليه السّلام و لم ينطق بشىء.

فقال عمر:يا أبا الحسن!لقد رغّبتنى فى فتح خراسان.قال علىّ عليه السّلام:قد ذكرت لك ما علمت منها ممّا لا شكّ فيه،فاله عنها و عليك بغيرها؛فإنّ أوّل فتحها لبنى أميه و آخر أمرها لبنى هاشم،و ما لم أذكر منها لك هو أكثر ممّا ذكرته،و السلام (۲).و لم يقدم عمر على فتحها.

و هذا النصّ التاريخى و أمثاله ممّا تقدّم و ممّا هو منتشر فى كتب السير و التواريخ دالّ بوضوح على أنّ مخطّط الفتوح فى تفاصيله المهمّه المحوريه عهد معهود من النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى علىّ عليه السّلام،فضلا عن الخطوط العامّه الكلّيه التى أخبر عامّه أصحابه و المسلمين بها.

و قد وقعت و صدقت جمله ممّا أخبر به عليه السّلام من الملاحم بعده،بل و بعض منها بعد عصر مؤلّف كتاب الفتوح،أى ما بعد القرن الرابع،و بعضها يقارب ظهور المهدى من آل محمّد عليهم السّلام.و قد رصدت كثير من الكتب الملاحم التى أخبر بها علىّ عليه السّلام،ككتاب شرح

۱- ۱) .لاحظ:تاريخ الطبرى ۲۶۴/۴،الكامل فى التاريخ ۱۹۹/۲،البدايه و النهايه-لابن كثير-۱۴۳/۷.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۳۱۹/۲-۳۲۱.

نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی،و الفتوح لابن أعثم الکوفی،و غیرها من الکتب.

دوره علیه السّلام فی النظام الاقتصادی للفتوح

و قد شاور عمر أصحاب رسول اللّه فی سواد الکوفه فقال له بعضهم:تقسمها بیننا.

فشاور علیّا فقال:إنّ قسمتها الیوم لم یکن لمن یجیء بعدنا شیء،و لکن تقرّها فی أیدیهم یعملونها فتکون لنا و لمن بعدنا.فقال:وفّقک اللّه!هذا الرأی (۱).

و أنت تری هذه السنّه من علیّ علیه السّلام،لولاها لضاع نظام التوزیع و التقسیم فی الفیء و الأراضی.

أخلاقیات الفتوحات و انتشار الدین

اشاره

و مع کلّ ما تقدّم من کون الفتوح الإسلامیه عهد من الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم و وصیّه حملها المسلمون،و أنّ تفاصیلها الخطیره المؤثّره فی الظفر و النصر کان صلّی اللّه علیه و آله و سلم قد أودعها علیّا علیه السّلام بتوسّط العلوم اللدنیه التی ورّثها إیّاه:«علّمنی رسول اللّه ألف باب یفتح من کلّ باب ألف باب»..

و مع کون أصل الفتوح انتشارا لصوره الدین فی أرجاء المعموره إلی الحدود الجغرافیه التی انتهت إلیها الفتوح،إلاّ أنّ الممارسات التی اعتمدتها خلافه الشیخین -فضلا عن العیث و العبث و الخضم الذی مارسه الثالث،و فضلا عمّا فعله بنی أمیه و بنی العبّاس-فی کیفیه فتوح البلدان،و ما تلاها من کیفیه إقامه نظام الحکم فیها،حالت دون مواصله انتشار الإسلام إلی غیرها من البلدان،و إلی باقی أرجاء المعموره.

و کان هذان البعدان و هاتان السیاستان حائلا أمام وصول الإسلام لشعوب الأرض کافّه و تحقّق الوعد الإلهی: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ ،و سدّا کثیفا مانعا من نفوذ شعاع

۱- ۱) .تاریخ الیعقوبی ۱۵۱/۲-۱۵۲.

نوره إلى نفوس البشريه،فكانت الكيفيّتان سدودا اقترنت بالفتوحات.فهنا محطّات لا بدّ من الوقوف عندها؛كى يستوفى الإمعان و التدبّر فى تحليل هذه الحقبه و ما عليه المسلمون حاليا من أوضاع.

المحطّه الأولى

اشاره

أسباب و عوامل الظفر فى الفتوحات

فإنّ جمهره من محقّقى الأديان و التاريخ قد عزوها إلى أمور:

الأوّل:انجذاب أهل البلدان إلى مبادئ الدين الإسلامى العاليه

فالعدل و القسط الذى نادى به القرآن الكريم و النبىّ العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و المساواه بين البشر،و كرامه الإنسان،و الكمالات الروحيه و النفسيه من المعرفه و العلم،التى يسعى الدين لإيصال الإنسان إليها،و تأمين الحياه الأخرويه الخالده؛ممّا يستحسنه الإنسان و يميل إليه بفطرته.

لا سيّما و أنّ أهداف الجهاد قد حدّدها الخالق جلّ و علا،بقوله تعالى: وَ ما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَهِ الظّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً* اَلَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً (۱).

فأهداف الجهاد و القتال من أجلها هى رسالات اللّه تعالى و ما تسعى لتحقيقه،من إقامه العدل فى الأرض،و رفع الظلم عن الناس،و استتباب الأمن بإقامه حكم اللّه تعالى،لا القتال من أجل السيطره الاستعلائيه لتلبيه الغرائز الشهويه للحاكم من العلوّ

۱- ۱) .النساء۷۵/-۷۶.

و الاستكبار،أو الإفساد بالقوه الفاشيه من الحكّام بتوسّط القتال.

فالغايه من الجهاد هى إقامه حكم اللّه فى الأرض،و الحقّ و العدل،و هدم الباطل و الظلم،لا- أن يستبدل باطل بلون آخر من الباطل،و الظلم بنمط آخر من الظلم؛بأن يخرج المستضعفين فى العقيده أو المستضعفين فى الحقوق المدنيه و السياسيه من كفر إلى قسم آخر من الكفر،أو من الاضطهاد الحقوقى المدنى و السياسى إلى اضطهاد من شكل آخر؛إذ للكفر أبواب و أقسام،كما أنّ للظلم أنواع و ألوان،بل يتحرّر الضعيف فى المعرفه إلى قوى فى الإيمان و البصيره،و الضعيف فى المعيشه إلى قوى فى أسباب المعاش..

فالخطاب للمؤمنين بأن يقوموا بمسئوليه النصره و التولّى للضعفاء؛لتحلّيهم بالقوّه و الإيمان و العداله،فالقتال و الجهاد ليس هويته فى الدين هو العنف و البطش الغاشم،بل هو العنف الهادم للظلم و الاستبداد؛محبّه و رحمه بالضعفاء،لا- ما يعود إلى الوازع الشخصى للمقاتل،و النوازع الشهويه و الغضبيه و الطغيان لبناء طواغيت بشريه جديده،أو لإقامه شريعه محرّفه و سنن باطله و أهواء ضالّه،بل الخلوص من كلّ الدواعى الضيّقه إلى الداعى الوسيع،و هو سبيل اللّه،الذى يعمّ خيره الجميع؛فلا بدّ فى حال القتال و الجهاد فى سبيل اللّه من تحديد:ما هو المطلوب إقامته بعد هدم أركان الباطل؟!

ففى صحيحه يونس بن عبد الرحمن،قال:«سأل أبا الحسن عليه السّلام رجل-و أنا حاضر- فقال له:جعلت فداك!إنّ رجلا من مواليك بلغه أنّ رجلا يعطى سيفا و فرسا فى سبيل اللّه،فأتاه فأخذهما منه[و هو جاهل بوجه السبيل]،ثمّ لقيه أصحابه فأخبروه أنّ السبيل مع هؤلاء-أى بنى العبّاس-لا يجوز،و أمروه بردّهما؟!

قال:فليفعل.قال:قد طلب الرجل فلم يجده،و قيل له:قد قضى[مضى]الرجل.

قال:فليرابط و لا يقاتل.قلت:فى مثل قزوين و عسقلان و الديلم،و ما أشبه هذه الثغور؟!فقال:نعم.قال:فإن جاء العدوّ إلى الموضع الذى هو فيه مرابط،كيف يصنع؟قال:

يقاتل عن بيضه الإسلام[لا عن هؤلاء].قال:يجاهد؟قال:لا،إلّا أن يخاف على دار المسلمين.قلت:أ رأيتك لو أنّ الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ[يسع]لهم أن

يمنعوهم؟قال:يرابط و لا يقاتل،فإن خاف على بيضه الإسلام و المسلمين قاتل لنفسه لا للسلطان؛لأنّ فى دروس الإسلام دروس ذكر محمّد صلّى اللّه عليه و آله» (۱).

و فى روايه طلحه بن زيد،عن أبى عبد اللّه عليه السّلام،قال:«سألته عن رجل دخل أرض الحرب بأمان فغزا القوم الّذين دخل عليهم قوم آخرون؟قال:على المسلم أن يمنع نفسه و يقاتل عن حكم اللّه و حكم رسوله،و أمّا أن يقاتل الكفّار على الجور و سنّتهم فلا يحلّ له ذلك» (۲).

و فى روايه الحسن بن محبوب،عن بعض أصحابه،قال:«كتب أبو جعفر عليه السّلام فى رسالته إلى بعض خلفاء بنى أميّه:و من ذلك:ما ضيّع الجهاد الذى فضّله اللّه عزّ و جلّ على الأعمال...اشترط عليهم فيه حفظ الحدود،و أوّل ذلك:الدعاء إلى طاعه اللّه من طاعه العباد،و إلى عباده اللّه من عباده العباد،و إلى ولايه اللّه من ولايه العباد...و ليس الدعاء من طاعه عبد إلى طاعه عبد مثله»الحديث (۳).

و فى روايه الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السّلام فى كتابه إلى المأمون،قال:«و الجهاد واجب مع الإمام العادل[العدل]» (۴).

و فى صحيح على بن مهزيار،قال:«كتب رجل من بنى هاشم إلى أبى جعفر الثانى عليه السّلام:إنّى كنت نذرت نذرا منذ سنين أن أخرج إلى ساحل من سواحل البحر إلى ناحيتنا ممّا يرابط فيه المتطوّعه،نحو مرابطتهم بجدّه و غيرها من سواحل البحر؛أ فترى جعلت فداك!أنّه يلزمنى الوفاء به أو لا يلزمنى،أو أفتدى الخروج إلى ذلك بشىء من أبواب البرّ لأصير إليه إن شاء اللّه؟

۱- ۱) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۶ ح ۲،التهذيب ۱۲۵/۶ ح ۲۱۹.

۲- ۲) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۶ ح ۳.

۳- ۳) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۱ ح ۸.

۴- ۴) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۱ ح ۲۴.

فکتب إلیه بخطّه و قرأته:إن کان سمع منک نذرک أحد من المخالفین فالوفاء به إن کنت تخاف شنعته،و إلّا فاصرف ما نویت من ذلک فی أبواب البرّ،وفّقنا اللّه و إیّاک لما یحبّ و یرضی» (۱).

و فی روایه أبی عمرو الزبیری،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال:«قلت له:أخبرنی عن الدعاء إلی اللّه و الجهاد فی سبیله،أ هو لقوم لا یحلّ إلّا لهم،و لا یقوم به إلّا من کان منهم، أم هو مباح لکلّ من وحّد اللّه عزّ و جلّ و آمن برسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم؟و من کان کذا فله أن یدعو إلی اللّه عزّ و جلّ و إلی طاعته،و أن یجاهد فی سبیل اللّه؟

فقال:ذلک لقوم لا یحلّ إلّا لهم،و لا یقوم به إلّا من کان منهم.فقلت:من أولئک؟ فقال:من قام بشرائط اللّه عزّ و جلّ فی القتال و الجهاد علی المجاهدین فهو المأذون له فی الدعاء إلی اللّه عزّ و جلّ،و من لم یکن قائما بشرائط اللّه عزّ و جلّ فی الجهاد علی المجاهدین فلیس بمأذون له فی الجهاد و الدعاء إلی اللّه حتّی یحکم فی نفسه بما أخذ اللّه علیه من شرائط الجهاد.

قلت:بیّن لی یرحمک اللّه.فقال:إنّ اللّه عزّ و جلّ أخبر فی کتابه الدعاء إلیه،و وصف الدعاه إلیه،فجعل ذلک لهم درجات یعرّف بعضها بعضا،و یستدلّ ببعضها علی بعض؛ فأخبر أنّه تبارک و تعالی أوّل من دعا إلی نفسه و دعا إلی طاعته و اتّباع أمره،فبدأ بنفسه؛ فقال: وَ اللّهُ یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ وَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۲).

ثمّ ثنّی برسوله؛فقال: اُدْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ (۳)-یعنی:القرآن-و لم یکن داعیا إلی اللّه عزّ و جلّ من خالف أمر اللّه و یدعو إلیه بغیر ما أمر فی کتابه الذی أمر أن لا یدعی إلّا به،و قال فی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم: وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی

۱- ۱) .وسائل الشیعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۷ ح ۱.

۲- ۲) .یونس۲۵/.

۳- ۳) .النحل۱۲۵/.

إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱)-یقول:تدعو-

ثمّ ثلّث بالدعاء إلیه بکتابه أیضا؛فقال تبارک و تعالی: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ -أی:یدعو- وَ یُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِینَ (۲).

ثمّ ذکر من أذن له فی الدعاء إلیه بعده و بعد رسوله فی کتابه،فقال: وَ لْتَکُنْ مِنْکُمْ أُمَّهٌ یَدْعُونَ إِلَی الْخَیْرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۳).

ثمّ أخبر عن هذه الأمّه و ممّن هی،و أنّها من ذرّیّه إبراهیم علیه السّلام و ذرّیّه إسماعیل علیه السّلام من سکّان الحرم،ممّن لم یعبدوا غیر اللّه قطّ،الّذین وجبت لهم الدعوه-دعوه إبراهیم و إسماعیل-من أهل المسجد،الّذین أخبر عنهم فی کتابه أنّه أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهیرا،الّذین وصفناهم قبل هذه فی صفه أمّه إبراهیم،الّذین عناهم اللّه تبارک و تعالی فی قوله: أَدْعُوا إِلَی اللّهِ عَلی بَصِیرَهٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِی (۴).

یعنی:أوّل من اتّبعه علی الإیمان به و التصدیق له بما جاء من عند اللّه عزّ و جلّ من الأمّه التی بعث فیها و منها و إلیها قبل الخلق،ممّن لم یشرک باللّه قط و لم یلبس إیمانه بظلم،و هو الشرک.

ثمّ ذکر أتباع نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و أتباع هذه الأمّه التی وصفها فی کتابه بالأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و جعلها داعیه إلیه،و أذن له فی الدعاء إلیه،فقال: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۵).

ثمّ وصف أتباع نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من المؤمنین؛فقال عزّ و جلّ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِینَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَی الْکُفّارِ رُحَماءُ بَیْنَهُمْ تَراهُمْ رُکَّعاً سُجَّداً (۶).الآیه.و قال: یَوْمَ لا یُخْزِی اللّهُ

۱- ۱) .الشوری۵۲/.

۲- ۲) .الإسراء۹/.

۳- ۳) .آل عمران۱۰۴/.

۴- ۴) .یوسف۱۰۸/.

۵- ۵) .الأنفال۶۴/.

۶- ۶) .الفتح۲۹/.

اَلنَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ یَسْعی بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ بِأَیْمانِهِمْ (۱)-یعنی:أولئک المؤمنین- و قال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ،ثمّ حلّاهم و وصفهم کیلا یطمع فی اللحاق بهم إلاّ من کان منهم؛فقال-فی ما حلّاهم به و وصفهم- اَلَّذِینَ هُمْ فِی صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ* وَ الَّذِینَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*... أُولئِکَ هُمُ الْوارِثُونَ* اَلَّذِینَ یَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۲).

و قال فی صفتهم و حلیتهم أیضا: وَ الَّذِینَ لا یَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ (۳)-و ذکر الآیتین-،ثمّ أخبر أنّه اشتری من هؤلاء المؤمنین و من کان علی مثل صفتهم أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ ؛قام رجل إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فقال:أ رأیتک یا نبیّ اللّه!الرجل یأخذ سیفه فیقاتل حتّی یقتل إلاّ أنّه یقترف من هذه المحارم،أ شهید هو؟

فأنزل اللّه عزّ و جلّ علی رسوله: اَلتّائِبُونَ -من الذنوب- اَلْعابِدُونَ -الّذین لا یعبدون إلاّ اللّه و لا یشرکون به شیئا- اَلْحامِدُونَ -الّذین یحمدون اللّه علی کلّ حال فی الشدّه و الرخاء- اَلسّائِحُونَ -و هم الصائمون- اَلرّاکِعُونَ السّاجِدُونَ -و هم الّذین یواظبون علی الصلوات الخمس و الحافظون لها و المحافظون علیها فی رکوعها و سجودها و فی الخشوع فیها و فی أوقاتها- اَلْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ -بعد ذلک و العاملون به- وَ النّاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ -و المنتهون عنه- (۴).

قال:فبشّر من قتل و هو قائم بهذه الشروط بالشهاده و الجنّه.ثمّ أخبر تبارک و تعالی أنّه لم یأمر بالقتال إلاّ أصحاب هذه الشروط؛فقال عزّ و جلّ: أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ* اَلَّذِینَ... (۵)،و إنّما أذن للمؤمنین الّذین قاموا بشرائط الإیمان التی وصفناها،و ذلک أنّه لا یکون مأذونا فی القتال حتّی یکون مظلوما،و لا یکون مظلوما حتّی یکون مؤمنا،و لا یکون مؤمنا حتّی یکون قائما بشرائط الإیمان

۱- ۱) .التحریم۸/.

۲- ۲) .المؤمنون۱/-۱۱.

۳- ۳) .الفرقان۶۸/.

۴- ۴) .التوبه۱۱۲/.

۵- ۵) .الحجّ۳۹/.

التی اشترط اللّه عزّ و جلّ علی المؤمنین و المجاهدین.

فإذا تکاملت شرائط اللّه عزّ و جلّ کان مؤمنا،و إذا کان مؤمنا کان مظلوما،و إذا کان مظلوما کان مأذونا له فی الجهاد؛لقول اللّه عزّ و جلّ: أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ .و إن لم یکن مستکملا لشرائط الإیمان فهو ظالم ممّن ینبغی و یجب جهاده حتّی یتوب،و لیس مثله مأذونا له فی الجهاد و الدعاء إلی اللّه عزّ و جلّ؛ لأنّه لیس من المؤمنین المظلومین الّذین أذن لهم فی القرآن فی القتال...و من کان علی خلاف ذلک فهو ظالم...

و لا یکون مجاهدا من قد أمر المؤمنون بجهاده و حظر الجهاد علیه و منعه منه،و لا یکون داعیا إلی اللّه عزّ و جلّ من أمر بدعائه مثله إلی التوبه و الحقّ و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر،و لا یأمر بالمعروف من قد أمر أن یؤمر به،و لا ینهی عن المنکر من قد أمر أن ینهی عنه...

و لسنا نقول لمن أراد الجهاد و هو علی خلاف ما وصفنا من شرائط اللّه عزّ و جلّ علی المؤمنین و المجاهدین:لا تجاهدوا.و لکن نقول:قد علّمناکم ما شرط اللّه عزّ و جلّ علی أهل الجهاد...فلیصلح امرؤ ما علم من نفسه من تقصیر عن ذلک،و لیعرضها علی شرائط اللّه عزّ و جلّ...» (۱).

و فی صحیح عبد الکریم بن عتبه الهاشمی،عن الصادق علیه السّلام،عن أبیه علیه السّلام:«...أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قال:من ضرب الناس بسیفه و دعاهم إلی نفسه و فی المسلمین من هو أعلم منه فهو ضالّ متکلّف» (۲).

و فی موثّق سماعه،عن أبی عبد اللّه علیه السّلام،قال:«لقی عبّاد البصری علیّ بن الحسین علیه السّلام فی طریق مکّه فقال له:یا علیّ بن الحسین!ترکت الجهاد و صعوبته و أقبلت

۱- ۱) .انظر:وسائل الشیعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۹ ح ۱.

۲- ۲) .وسائل الشیعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۹ ح ۲.

على الحجّ و لينه،إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ (۱).الآيه.فقال علىّ بن الحسين صلوات اللّه عليه:أتمّ الآيه.فقال: اَلتّائِبُونَ الْعابِدُونَ... .الآيه.فقال علىّ بن الحسين عليه السّلام:إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ» (۲).

و فى روايه أخرى:إنّ السائل قرأ الآيه إلى: وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ .قال:فقال علىّ بن الحسين عليه السّلام:«إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئا» (۳).

و فى روايه أبى بصير،عن الصادق عليه السّلام،عن آبائه عليهم السّلام،قال:«قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

لا يخرج المسلم فى الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم و لا ينفّذ فى الفىء أمر اللّه عزّ و جلّ،فإنّه إن مات فى ذلك المكان كان معينا لعدوّنا فى حبس حقّنا،و الإشاطه بدمائنا،و ميتته ميته جاهليه» (۴).

و روى الطوسى و المفيد بسند إلى علىّ عليه السّلام،أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال له:«يا علىّ!إنّ اللّه تعالى قد كتب على المؤمنين الجهاد فى الفتنه من بعدى كما كتب عليهم جهاد المشركين معى.فقلت:يا رسول اللّه!و ما الفتنه التى كتب علينا فيها الجهاد؟

قال:فتنه قوم يشهدون أن لا إله إلاّ اللّه و أنّى رسول اللّه و هم مخالفون لسنّتى، و طاعنون فى دينى.فقلت:فعلام نقاتلهم يا رسول اللّه و هم يشهدون أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه؟فقال:على إحداثهم فى دينهم،و فراقهم لأمرى،و استحلالهم دماء عترتى».الحديث (۵).

و فى روايه الهيثم الرمّانى عن الرضا عليه السّلام:إنّ عليّا عليه السّلام ترك جهاد أعدائه خمسا

۱- ۱) .التوبه۱۱۱/.

۲- ۲) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۱۲ ح ۳.

۳- ۳) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۱۲ ح ۶.

۴- ۴) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۶ ح ۸.

۵- ۵) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۲۶ ح ۷.

و عشرين سنه لقلّه أعوانه عليهم،مقتديا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛إذ ترک صلّى اللّه عليه و آله و سلم جهاد المشركين ثلاث عشره سنه فى مكّه،و تسعه عشر شهرا فى المدينه لقلّه أعوانه عليهم (۱).

و من كلّ ذلك يتبيّن أنّ تحديد القياده التى تقود و تحكم أمر مصيرى فى البديل الذى يراد بناؤه،و بالتالى الأهداف المراد إقامتها،فليس الجهاد من أجل جمع الثروات و الأموال و توسيع السلطه،بل هو لإقامه العدل و الفضيله و الإيمان،و هذا يتوقّف على القائد و الولىّ المتّصف بذلك كى تتحقّق هذه الأهداف.

و من ثمّ أطلق على النظام البديل الذى حلّ فى البلدان المفتوحه:دار الإسلام،لا دار الإيمان،فى روايات وفقه أهل البيت عليهم السّلام،و قد مرّت بعض تلك الروايات،و بعضها يتضمّن تسميتها ب:دار الفاسقين؛إذ أنّ الإسلام يجتمع مع الفسق،و التسميه تتبع نظام الحكم و صفه الحاكم.و يطلق عليها أيضا:دار التقيه،كما فى روايه الفضل عن الرضا عليه السّلام (۲)،و دار الهدنه،كما فى صحيح محمّد بن مسلم،عن أبى جعفر عليه السّلام:«إنّ القائم-عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف-إذا قام يبطل ما كان فى الهدنه ممّا كان فى أيدى الناس، و يستقبل بهم العدل» (۳).

و الوجه فى ذلك كلّه أنّ دين الإسلام ليس شعارا أجوف خال و لقلقه لسان،بل هو نظام متكامل مجموعى موحّد.

الثانى-من أسباب الظفر-

انجذاب البلدان المجاوره إلى سيره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم المباركه

۱- ۱) .انظر:وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۳۰ ح ۱.

۲- ۲) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۲۶ ح ۹.

۳- ۳) .وسائل الشيعه-أبواب جهاد العدوّ ب ۲۵ ح ۲.

فإنّه تسامع بها الأطراف و النواحى المختلفه من البلدان،و طار صيتها كنموذج للحاكم المثالى هديا و زهدا و خلقا،و أخذت القلوب تخفق لمثل هذا الحلم الذى لم تعهده البشريه من قبل،و فى هذا المجال هناك ملف كبير جدّا من الموارد التى يقف عليها المتتبّع.

الثالث:معاناه الشعوب

مكابده الشعوب البشريه فى البلاد عبر التاريخ لأنواع الظلم و الاستعباد،و تطلّعها إلى النجاه و التحرّر من تسلّط الملوك الغاشمين،و لتبديل نظامهم الاجتماعى و السياسى المبنى على فرض الكثير من القيود و الأغلال.و قد أعانوا جيوش المسلمين فى اكتشاف مواقع الضعف و الاختراق فى جيوش كسرى و قيصر،و هناك مسلسل للشواهد على ذلك فى كتب الفتوح للبلدان.

الرابع:بشائر القرآن و النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالفتوحات

هذه البشائر كانت عهد عهد به النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم كوظيفه و مسئوليه على المسلمين،ممّا كان يبعث الأمل عند المسلمين،و يرفع من هممهم.

الخامس:تدبير النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علىّ عليه السّلام

و ذلك بعهده تفاصيل خطط الفتوح فى المواضع الشريانيه إلى علىّ عليه السّلام،مضافا إلى تدبير علىّ عليه السّلام بما يشير به على الثلاثه كلّما اضطرب عليهم الأمر و تشتّت لديهم الأمور و استعصت،كما مرّ استعراض مقتطفات من ذلك.

السادس:قوّه البناء الاجتماعى الدينى

الذى بناه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم على أنقاض المجتمع الجاهلى،و الذى حمل الكثير من عناصر

الإعجاز الحضارى،مثل:روح التضحيه و الفداء و الشهاده،و التشكيله الجديده للعلائق الاجتماعيه-و إن كان هذا البناء هو فى طوره الأوّل فى النمو،و قد اعتوره آثار و بقايا الجاهليه السابقه،المتمثّله بتدبير السقيفه و تغيير رأس نظام المسلمين-لا سيّما و أنّ المسلمين شاهدوا أيّام الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم تحقّق الوعد الإلهى بنصر الروم،بل العرب، على الفرس و كسرى؛فقد كانت قبائل العرب-و فيها الكثير ممّن أسلم-ترفع شعار:«يا محمّد يا محمّد»فى معركه ذى قار فهزموا عدوهم،و قال عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«أوّل معركه انتصف فيها العرب من العجم،و بى نصروا» (۱).

مضافا إلى ناموس العداله و المساواه و السويه بين آحاد المسلمين،الذى أصبح أصلا اجتماعيا عظيما يهدّد كلّ أمير أو خليفه يحاول أن يعتمد الإقطاع القبلى الجاهلى أساسا فى سياسته و حكمه للمسلمين،و إلى درجه يهابها و يحسب لها ألف حساب.

و هذه الظاهره هى التى حاكمت الخليفه الثالث و قضت عليه،و هى التى خنقت و حاصرت حزب السقيفه و الحزب القرشى عن التلاعب فى كلّ مقدرات المسلمين إلى حدّ ما نسبيا،لكن هذه الظاهره النيره سرعان ما تضاءلت عند وصول الأمويّين إلى سده الحكم،و ذلك لأنّ النور لا بدّ له من مدد،و قد ضيّع المسلمون المدد،و هو رأس السلطه الهادى إلى الحقّ،الإمام المعصوم.

المحطّه الثانيه

اشاره

الممارسات المرتكبه فى البلدان المفتوحه

نتعرّض-فى هذه المحطّه-إلى مقتطفات من ملف هذه الممارسات،و ما ارتكب منها فى أثناء الفتح و ما بعده،و التى عادت بانتكاس الخطّ البيانى لانتشار الإسلام.فنذكر

۱- ۱) .الأغانى ۱۳۲/۲۰-۱۳۸،الطبقات-لابن سعد-۷۷/۷،الطبقات-لخليفه-:۸۷،مسند أحمد:۱۲۹، تاريخ الخميس ۴۰۶/۱،معجم القبائل-لكحاله-۹۷/۱.

نتفا من ذلک:

الأوّل:إدخال الطلقاء من قريش فی سدّه الأمور

و هؤلاء حديثو عهد بالإسلام و أحكامه،لم يسلموا طوعا و رغبه،بل رهبه منهم على نوازع الجاهليه و أخلاقها،فصبغت سلوكياتهم الأحداث.فقد ذكر اليعقوبی:أنّ أبا بكر لمّا أراد غزو الروم أشار عليه الصحابه بأن لا يفعل،و أشار عليه علیّ عليه السّلام بأن يفعل و بوقوع الظفر،فأمر الناس بالتجهّز إلى الروم و الخروج،و جعل أميرهم خالد بن سعيد، و كان خالد من عمّال رسول اللّه باليمن،فقدم و قد توفّی رسول اللّه فامتنع عن البيعه و مال إلى بنی هاشم،فلمّا عهد أبو بكر لخالد قال له عمر:أتولّی خالدا و قد حبس عنك بيعته و قال لبنی هاشم ما قد بلغك؟فو اللّه ما أرى أن توجّهه.فحلّ لواءه،و دعا يزيد بن أبی سفيان و أبا عبيده بن الجرّاح و شرحبيل بن حسنه و عمرو بن العاص،فعقد لهم (۱).و هذه سياسه اتّبعتها سلطه السقيفه لإبعاد المهاجرين و الأنصار و تقريب الطلقاء.

و نظيره عند ما استعصى الأمر على أبی بكر فی مواجهه قبائل كنده و الأشعث بن قيس،فعزم على الاستعانه بعلیّ عليه السّلام فی المواجهه،فمنعه عمر من ذلك؛تخوّفا من موقف علیّ عليه السّلام بعدم حكمه بردّتهم،و أمره بتأمير عكرمه بن أبی جهل (۲).

و لمّا استتمّت فتوح فارس و كان لعمّار بن ياسر الدور الكبير فی تجهيز الجيوش فيها،كتب أهل الكوفه إلى عمر يشكونه من عمّار و يسألونه أن يعزله عنهم،فقال عمر:

أيّها الناس!ما تقولون فی رجل ضعيف غير أنّه مسلم تقی،و آخر فاجر قوىّ،أيّهما أصلح للإماره؟!فأشار عليه المغيره بن شعبه بأنّ:القوى الفاجر فجوره على نفسه و قوّته لك و للمسلمين.فقال عمر:صدقت يا مغيره!اذهب فقد ولّيتك الكوفه (۳).

۱- ۱) .لاحظ:تاريخ اليعقوبی ۱۳۳/۲.

۲- ۲) .كتاب الفتوح-لابن أعثم-۵۷/۱.

۳- ۳) .كتاب الفتوح ۳۲۱/۲.

و هذا النصّ يظهر لنا منطق سلطه السقيفه فى تنصيب أمراء الجيوش و الولاه بأنّ الفجور غير ضارّ،و هو مع قوّه بطش الأمير و الوالى أصلح من التقى و المتورّع عن المحارم، و إلّا فكيف يكون عمّار بن ياسر ضعيفا فى ولايته على الكوفه مع أنّه هو الذى عبّأ أهل الكوفه مرّات و كرّات لحرب دوله الأكاسره،و يكون المغيره بن شعبه أصلح لولايه الكوفه مع فجوره و اشتهاره بالزنا فى البصره؟!

و قد اعترض على عمر فى سياسته هذه؛و تعرّض للمساءله عن سبب استعماله سعيد بن العاص و معاويه و فلانا و فلانا من المؤلّفه قلوبهم و من الطلقاء،و تركه استعمال المهاجرين و الأنصار (۱).و اعترض حذيفه على عمر:إنّك تستعين بالرجل الفاجر.فقال عمر:إنّى لأستعمله لأستعين بقوّته،ثمّ أكون على قفائه (۲).

و قد دافع البيهقى عن فعل عمر بأنّ:«ذلك فى المنافقين الّذين لم يعرفوا بالتخذيل و الإرجاف.و اللّه أعلم» (۳).رغم أنّ عمر روى عن الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم قوله:«من استعمل فاجرا و هو يعلم أنّه فاجر فهو مثله» (۴)،و قال عمر:«نستعين بقوّه المنافق و إثمه عليه» (۵).

و المتتبّع لأمراء الجيوش و الولاه فى عهد الثلاثه يرى الكثير منهم من المؤلّفه قلوبهم و الطلقاء من قريش،أو مسلمه قبيل الفتح،كخالد بن الوليد و أمثاله،و السبب الحقيقى وراء ذلك هو أنّ جماعه السقيفه إنّما أتوا إلى السلطه بفضل قوّه الإرهاب القبلى الذى مارسه حزب قريش و بنو أميه على المسلمين فى المدينه أيام السقيفه -كما ترصده الأحداث آنذاك-و تعاقد الصحيفه التى مرّت الإشاره إليها،فمصدر قوّه

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه-لابن أبى الحديد-۲۸/۹-۳۰.

۲- ۲) .كنز العمّال ۷۷۱/۵،السنن الكبرى-للبيهقى-۳۶/۹.

۳- ۳) .السنن الكبرى-للبيهقى-۳۶/۹.

۴- ۴) .كنز العمّال ۷۶۱/۵.

۵- ۵) .كنز العمّال ۶۱۴/۴.

الخلفاء لم يكن من المهاجرين و الأنصار بل من الحمايه القبليه من قريش الطلقاء و حلفائها.

روى ابن أعثم رساله عمر إلى يزيد بن أبى سفيان:«اعلم أنّه بعد أن مات كلّ من الأمراء أبو عبيده بن الجرّاح و معاذ بن جبل و خالد بن الوليد فإنّ زمام أمور جيش المسلمين قد سلّمت لك،فنفّذ ما جاء فى هذه الرساله كما هو معهود بك من شهامه كامله و حصافه فى الرأى!!!!» (۱).

و حينما مات يزيد بن أبى سفيان والى عمر على الشام اغتمّ أبو سفيان فقال له عمر:

سأرسل ولدك الآخر معاويه.فسر أبو سفيان بذلك و قال:...لقد وصلت الرحم...و قالت هند:...و لتكن إماره الشام مباركه على معاويه» (۲).

و هذه نبذه ممّا يجده المتتبّع فى كتب السير و التواريخ.

الثانى:التكالب على الأموال و الثروات و الشهوات

و هذا الملف أيضا حافل،نقتصر منه على نتف؛فقد ذكر أنّه دخل عبد الرحمن بن عوف على أبى بكر فى مرضه الذى توفّى فيه فقال:«كيف أصبحت يا خليفه رسول اللّه؟! فقال:أصبحت مولّيا،و قد زدتمونى على ما بى أن رأيتمونى استعملت رجلا منكم فكلّكم قد أصبح و ارم أنفه،و كلّ يطلبها لنفسه» (۳).و ذيل كلامه و إن كان يبيّن التكالب على الخلافه نفسها فيما بين أصحاب السقيفه أنفسهم،إلّا أنّ صدره عامّ لمطلق إماره الجيش و السرايا و الولاه.

و روى إبراهيم بن عبد الرحمن-بن عوف-أنّ رجلا قال لأبيه:«قد جئت لأمر و قد رأيت أعجب منه؛هل جاءكم إلّا ما جاءنا؟!أم هل علمتم إلّا ما علمنا؟!قال عبد الرحمن:

۱- ۱) .كتاب الفتوح ۲۴۴/۱.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۲۶۲/۱.

۳- ۳) .تاريخ اليعقوبى ۱۳۷/۲.

لم يأتنا إلاّ ما قد جاءكم،و لم نعلم إلاّ ما علمتم.قال:فما لنا نزهد فى الدنيا و ترغبون فيها،و نخفّ فى الجهاد و تتشاغلون عنه،و أنتم سلفنا و خيارنا و أصحاب نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟! قال عبد الرحمن:لم يأتنا إلاّ ما جاءكم،و لم نعلم إلاّ ما قد علمتم،و لكنّا بلينا بالضرّاء فصبرنا و بلينا بالسرّاء فلم نصبر» (۱).

و هذا النصّ التاريخى يبيّن مدى إقبال و حرص أصحاب السقيفه على الدنيا،ممّا سبّب الريبه فى الدين لدى عامّه الناس؛إذ يرون جمله من الصحابه التى كانت تحيط بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم هم رءوس للأطماع الدنيويه،و من ثمّ كان أحد الأسباب الكبرى لتمرّد أو ردّه القبائل العربيه هو مشاهدتهم خيانه صحابه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعهد اللّه و رسوله فى الإماره لعلىّ عليه السّلام.

و كتب عمر إلى عياض بن غنم بأنّه:قد بلغه أنّ يزيد بن أبى سفيان أرسل إليه مددا بقياده بسر بن أرطاه إلاّ أنّه رفض المدد.فأجابه عياض:أنّ بسر بن أرطاه قد طالبه بجزء من غنائم مدينتى الرقّه و الرها،فقال له:لا حقّ لك بالغنائم؛لأنّهما فتحتا قبل وصوله، و وعده بالشركه فى غنائم الفتوح اللاحقه.فرفض بسر بن أرطاه و لم يرض،و خشى عياض أن يحصل شىء من التمرّد و اختلاف قلوب العساكر،فأمره بالعوده (۲).

و لمّا فتح المسلمون بعض مدن فارس،كالسوس و تستر،اختصم أهل البصره و أهل الكوفه حتّى كاد أن يقع بينهم شىء من المكروه (۳).

و قد نازع رجل من عنز،يقال له:ضبّه بن محصن العنزى،أبا موسى الأشعرى فى الغنائم،فأرسله إلى عمر بن الخطّاب،و عنّفه عمر قبل أن يسأله عن سبب المنازعه، فغضب العنزى و أراد الانصراف،ثمّ سأله عن السبب؟فقال:لأنّه-أى أبو موسى الأشعرى -اختار ستّين غلاما من أبناء الدهاقين فاتّخذهم لنفسه،و له جاريه يقال لها:عقيله،

۱- ۱) .البدايه و النهايه-لابن كثير-۷۷/۴.

۲- ۲) .كتاب الفتوح ۲۵۵/۱.

۳- ۳) .كتاب الفتوح ۲۸۶/۱.

يغذّيها بجفنه ملآنه عراقا-المفطام من الغنم إذا كان عليه شيء من اللحم-و يعشّيها بمثل ذلك،و ليس منّا من يقدر على ذلك،و له خاتمان يختم بهما،و له قفيزان يكتال بأحدهما لنفسه و يكيل بالآخر لغيره،و أنّه يمنع من غنيمه رامهرمز خصوص أهل الكوفه-بدعوى إعطائهم الأمان مدّه-دون أهل البصره.

و قد تكرّرت هذه الدعوى ضدّ أبى موسى الأشعرى فى عدّه مدن،فأحضر عمر أبا موسى و ساءله عن ذلك،إلّا أنّه لم يتعدّ المشادّه فقط،و مع ذلك أبقاه عمر فى عمله،و أخذ عقيله منه بثمنها،و كانت عند عمر إلى أن قتل عنها،كما جاء نصّ ذلك باللفظ عند ابن أعثم (۱)،و الظريف تخصيص عمر الجاريه لنفسه كمعالجه للحيف و الجور الحاصل.

و عن عبد الرحمن بن أبى بكره:أنّ أبا بكره و زيادا و نافعا و شبل بن معبد كانوا فى غرفه و المغيره فى أسفل الدار،فهبّت ريح فرأوا المغيره بين رجلى امرأه-أمّ جميل- يزنى بها،فقال له أبو بكره:إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا.قال:و ذهب ليصلّى بالناس الظهر فمنعه أبو بكره،و قال له:و اللّه لا تصلّى بنا و قد فعلت ما فعلت.فقال الناس:دعوه فليصلّ فإنّه الأمير،و اكتبوا إلى عمر.فلمّا شهدوا عليه عنده و بقى زياد قال عمر:ما يثنى زياد عن الشهاده.مع أنّ ما قاله زياد يلازم تحقّق الزنا (۲).

و ذكرت عدّه من المصادر عن المأمون العبّاسى إفصاحه عن هذه الظاهره فى المناظره التى جرت بينه و بين فقهاء العامّه؛فقد روى صاحب كتاب البرهان بسنده المتّصل عن أبى إسماعيل (۳)،و ابن عبد ربّه فى العقد الفريد،و الصدوق فى عيون أخبار الرضا عليه السّلام (۴)،عن أبى إسماعيل بن إسحاق بن حمّاد،و اللفظ له،قال:بعث إلىّ و إلى عدّه من المشايخ يحيى

۱- ۱) .كتاب الفتوح ۲۸۸/۲-۲۸۹.

۲- ۲) .الأغانى-لأبى الفرج-۱۴۶/۴-۱۴۷،شرح نهج البلاغه ۱۶۲/۳،سنن البيهقى ۲۳۵/۸، تاريخ الطبرى ۲۰۷/۴.

۳- ۳) .بحار الأنوار ۱۴۷/۷۲.

۴- ۴) .عيون أخبار الرضا ۸۴/۲.

ابن أكثم القاضى،فأحضرنا و قال:...

ثمّ قال المأمون:يا إسحاق!أو ما علمت أنّ جماعه من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمّا أشاد بذكر علىّ و بفضله،و طوّق أعناقهم ولايته و إمامته،و بيّن لهم أنّه خيرهم من بعده،و أنّه لا يتمّ لهم طاعه اللّه إلّا بطاعته،و كان فى جميع ما فضّله به نصّ على أنّه ولىّ الأمر بعده،قالوا:إنّما ينطق النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن هواه،و قد أضلّه حبّه ابن عمّه و أغواه.و أطنبوا فى القول سرّا؛فأنزل اللّه المطّلع على السرائر: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى* ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى* وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى، إِنْ هُوَ إِلّا وَحْىٌ يُوحى (۱)؟!

ثمّ قال:يا إسحاق!إنّ الناس لا يريدون الدين إنّما أرادوا الرئاسه،و طلب ذلك أقوام فلم يقدروا عليه بالدنيا فطلبوا ذلك بالدين،و لا حرص لهم عليه،و لا رغبه لهم فيه؛أ ما تروى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال:يذاد قوم من أصحابى عن الحوض فأقول:يا ربّ أصحابى أصحابى.فيقال لى:إنّك لا تدرى ما أحدثوا بعدك و رجعوا القهقرى؟!

الحديث الذى ذكره المأمون العبّاسى قد رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما فى كتاب الفتن،إضافه إلى العديد من الروايات الأخرى عن إحداث الصحابه فى الدين و تبديلهم،و الحيلوله بينهم و بين الحوض.

و روى البخارى أيضا حول الفتوح حديثا بسنده عن هند بنت الحارث الرواسيه، قالت:«إنّ أمّ سلمه زوج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم قالت:استيقظ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ليله فزعا يقول:

سبحان اللّه!ما ذا أنزل اللّه من الخزائن؟!و ما ذا أنزل من الفتن؟!من يوقظ صواحب الحجرات-يريد أزواجه-لكى يصلّين؟ربّ كاسيه فى الدنيا عاريه فى الآخره» (۲).

و قال ابن حجر:«قال ابن بطال:فى هذا الحديث:فى الخزائن تنشأ عنه فتنه المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه،أو أن يبخل به فيمنع الحقّ،أو يبطر صاحبه

۱- ۱) .النجم ۱/-۴.

۲- ۲) .صحيح البخارى:كتاب الفتن-ب ۵:باب ظهور الفتن.

فیسرف،فأراد صلّی اللّه علیه و آله و سلم تحذیر أزواجه من ذلک کلّه،و کذا غیرهنّ ممّن بلغه ذلک» (۱).و لا یخفی أنّ ذیل الحدیث دالّ علی سوء عاقبه بعض الأزواج؛فإنّ التعبیر ب:«کاسیه فی الدنیا»للدلاله علی الشرف بالزواج منه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و:«العاریه فی الآخره»کنایه عن سوء المنقلب فی الآخره.

و أمّا نزو خالد بن الولید علی الدماء و النساء فقد ذکرت کتب التواریخ أنّ فی حروب الردّه مع کنده أو هم مجاعه الحنفی ابن الولید فی حرب الیمامه-التی تزعّمها مسیلمه الکذّاب،و قتل فیها أعداد کبیره من المسلمین و قرّاء القرآن و حفّاظه-علی الصلح لصالح قومه،ثمّ خطب خالد ابنه مجاعه فزوّجه إیّاها مباشره بعد الحرب و لمّا تجفّ دماء المسلمین و من دون مراعاه للروح المعنویه و النفسیه للمسلمین،و قال حسّان فی ذلک:

أ ترضی بأنّا لا تجفّ دماؤنا و هذا عروس بالیمامه خالد (۲)

إلّا أنّ أبا بکر لم یعزله و أبقاه (۳).

و قصّه خالد بن الولید مع مالک بن نویره مشهوره معروفه،و أنّه عرف إسلامه و صحبته لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،إلّا أنّ خالدا رأی امرأته فأعجبه جمالها فقتل مالک و جماعه من قومه و تزوّج امرأته،فاستنکر أبو قتاده علی أبی بکر ذلک و حلف ألّا یسیر تحت لواء خالد؛لأنّه قتل مالکا مسلما و غدر به و فجر بامرأته (۴).و کذلک شأن خالد لمّا قتل ضرار بن الأزور فتزوّج امرأته و هی فی عدّتها (۵).

۱- ۱) .فتح الباری ۲۳/۱۳.

۲- ۲) .لاحظ بقیه الأبیات فی:مجموعه الوثائق السیاسیه:۳۵۱،نقلا عن کتاب الردّه-للواقدی-:۹۸-۱۰۰.

۳- ۳) .الفتوح ۳۶/۱،تاریخ الیعقوبی ۱۳۱/۱.

۴- ۴) .تاریخ الیعقوبی ۱۳۲/۱،الغدیر-للأمینی-۱۶۳/۷ و ج ۳۴۱/۱۰.

۵- ۵) .حیاه الصحابه ۴۱۳/۲،کتاب عمر بن الخطّاب-لعبد الکریم الخطیب-۱۷۷-۱۷۸.

و قد عقد الشيخ الأمينى قدّس سرّه فى الغدير فصلا عن الكنوز المكتنزه لدى أكابر الصحابه،ك:طلحه بن عبيد اللّه التيمى،عبد الرحمن بن عوف الزهرى،زيد بن ثابت، سعد بن أبى وقّاص قائد جيوش الفتوح،و الزبير ابن العوّام،و غيرهم ك:يعلى بن أميه،أبى سفيان،مروان،و من شاكلهم من بقيه الطلقاء (۱).

فقد كان طلحه يغلّ بالعراق ما بين أربعمائه ألف إلى خمسمائه ألف،و يغلّ بالسراه عشره آلاف دينار،و كان غلّته كلّ يوم ألف واف،و الوافى وزن الدينار،و أنّه ترك ألفى ألف درهم-أى ميليونى درهم-و مائتى ألف درهم و مائتى ألف دينار،و ذكرت أرقام كبيره جدّا لكلّ واحد منهم؛فلاحظ ما نقله الأمينى عن مصادر السير و التواريخ العديده من هذه الأرقام الدالّه على ثراء فاحش جدّا (۲).

و قد تقدّم الاعتراض على عمر فى استعماله سعيد بن العاص و معاويه و غيرهم من الطلقاء،مع أنّ سعيد هذا يقول بأنّ:هذا السواد-العراق-بستان لأغيلمه من قريش.و اعترض شبل بن خالد عليهم:ما لكم يا معشر قريش؟!أما فيكم صغير تريدون أن ينبل، أو فقير تريدون غناه،أو خامل تريدون التنويه باسمه؟!علام أقطعتم هذا الأشعرى- يعنى أبا موسى-العراق يأكلها هضما.

و هذه النصوص تدلّ على مدى تحكّم الحزب القرشى الطليق فى مقاليد الحكم أيام حكومه الشيخين فضلا عن الثالث،و أنّ الثلاثه ما كانوا إلّا واجهه لتحكّم الحزب فى مقاليد الأمور،و أنّ هذا الحزب هو الذى جاء بالثلاثه ضمن مخطّط أعدّ بإتقان منذ أوائل البعثه النبويه.

إنّ نظره سريعه إلى الثروات المتكدّسه من الفتوحات توضّح معالم الأغراض وراءها،و الأسلوب الممارس فيها،المباين للنهج المرسوم فى الكتاب و السنّه النبويّه، سيره و أقوالا.

۱- ۱) .الغدير ۲۸۲/۸.

۲- ۲) .لاحظ:الغدير ۲۴۲/۸-۲۹۱.

قال العلّامه الأمینی (۱)فی جرده لثروات عدّه من الأسماء:

منهم:سعد بن أبی وقّاص؛قال ابن سعد:ترک سعد یوم مات مائتی ألف و خمسین ألف درهم،و مات فی قصره بالعقیق؛و قال المسعودی:بنی داره بالعقیق فرفع سمکها و وسع فضائها،و جعل أعلاها شرفات (۲).

و منهم:زید بن ثابت.قال المسعودی:خلف من الذهب و الفضّه ما کان یکسر بالفئوس غیر ما خلّف من الأموال و الضیاع بقیمه مائه ألف دینار (۳).

و منهم:عبد الرحمن بن عوف الزهری؛قال ابن سعد:ترک عبد الرحمن ألف بعیر و ثلاثه آلاف شاه و مائه فرس ترعی بالبقیع،و کان یزرع بالجرف علی عشرین ناضحا، و قال:و کان فی ما خلّفه ذهب قطّع بالفئوس حتّی مجلت أیدی الرجال منه،و ترک أربع نسوه فأصاب کلّ امرأه ثمانون ألفا.و قال المسعودی:ابتنی داره و وسّعها،و کان علی مربطه مائه فرس،و له ألف بعیر،و عشره آلاف من الغنم،و بلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعه و ثمانین ألفا (۴).

و منهم:یعلی بن أمیّه؛خلّف خمسمائه ألف دینار و دیونا علی الناس و عقارات و غیر ذلک من الترکه ما قیمته مائه ألف دینار (۵).

و منهم:طلحه بن عبید اللّه التیمی؛ابتنی دارا بالکوفه تعرف بالکناس بدار الطلحتین،و کانت غلّته من العراق کلّ یوم ألف دینار،و قیل أکثر من ذلک،و له

۱- ۱) .الغدیر ۲۸۲/۸-۲۸۸.

۲- ۲) .الطبقات الکبری-لابن سعد-۱۰۵/۳،مروج الذهب ۴۳۴/۱.

۳- ۳) .مروج الذهب ۴۳۴/۱.

۴ - ۴) .الطبقات الکبری-لابن سعد-۹۶/۳،مروج الذهب ۴۳۴/۱،تاریخ الیعقوبی ۱۴۶/۲،صفه الصفوه -لابن الجوزی-۱۳۸/۱،الریاض النضره-لمحبّ الدین الطبری-۲۹۱/۲.

۵- ۵) .مروج الذهب ۴۳۴/۱.

بناحیه سراه أکثر ممّا ذکر،و شیّد دارا بالمدینه و بناها بالآجر و الجصّ و الساج،و عن محمّد بن إبراهیم،قال:کان طلحه یغلّ بالعراق ما بین أربعمائه ألف إلی خمسمائه ألف ،و یغلّ بالسراه عشره آلاف دینار أو أکثر أو أقلّ.و قال سفیان بن عیینه:کان غلّته کلّ یوم ألف وافیا.و الوافی وزنه وزن الدینار.و عن موسی بن طلحه:إنّه ترک ألفی ألف درهم و مائتی ألف درهم و مائتی ألف دینار،و کان ماله قد اغتیل.و عن إبراهیم بن محمّد بن طلحه:کان قیمه ما ترک طلحه من العقار و الأموال و ما ترک من النافی ثلاثین ألف ألف درهم،ترک من العین ألفی ألف و مائتی ألف درهم و مائتی ألف دینار و الباقی عروض.و عن عمرو بن العاص:إنّ طلحه ترک مائه بهار فی کلّ بهار ثلاثه قناطیر ذهب،و سمعت أنّ البهار:جلد ثور،و فی لفظ ابن عبد ربّه من حدیث الخشنی:وجدوا فی ترکته ثلاثمائه بهار من ذهب و فضّه.و قال ابن الجوزی:خلّف طلحه ثلاثمائه جمل ذهبا.و أخرج البلاذری من طریق موسی بن طلحه،قال:أعطی عثمان طلحه فی خلافته مائتی ألف دینار،و قال عثمان:و یلی علی ابن الحضرمیه(یعنی طلحه)أعطیته کذا و کذا بهارا ذهبا و هو یروم دمی یحرّض علی نفسی (۱).

و منهم:الزبیر بن العوّام؛خلّف-کما فی صحیح البخاری-إحدی عشره دارا بالمدینه،و دارین بالبصره،و دارا بالکوفه،و دارا بمصر،و کان له أربع نسوه فأصاب کلّ امرأه بعد رفع الثلث ألف ألف و مائتا ألف،قال البخاری:فجمیع ماله خمسون ألف ألف و مائتا ألف،و قال ابن الهائم:بل الصواب أنّ جمیع ماله حسبما فرض:تسعه و خمسون ألف ألف و ثمانمائه ألف (۲).

---

۱ - ۱) .الطبقات الکبری-لابن سعد-۱۵۸/۳،أنساب الأشراف ۷/۵،مروج الذهب ۴۳۴/۱،العقد الفرید ۲۷۹/۲،الریاض النضره ۳۵۸/۲،دول الإسلام-للذهبی-۱۸/۱،الخلاصه-للخزرجی-۱۵۲.

۲- ۲) .صحیح البخاری-کتاب الجهاد/باب برکه الغازی فی ماله ۲۱/۵،ذکره شرّاح الصحیح:فتح الباری،

و منهم:عثمان بن عفّان؛قال محمّد بن ربیعه:رأیت علی عثمان مطرف خزّ ثمنه مائه دینار،فقال:هذا لنائله کسوتها إیّاه،فأنا ألبسه أسرّها به،و قال أبو عامر سلیم:

رأیت علی عثمان بردا ثمنه مائه دینار.قال البلاذری:کان فی بیت المال بالمدینه سفط فیه حلیّ و جواهر فأخذ منه عثمان ما حلّی به بعض أهله،فأظهر الناس الطعن علیه فی ذلک و کلّموه فیه بکلام شدید..و جاء إلیه أبو موسی بکیله ذهب و فضّه فقسّمها بین نسائه و بناته،و أنفق أکثر بیت المال فی عماره ضیاعه و دوره.

و قال ابن سعد:کان لعثمان عند خازنه یوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم و خمسمائه ألف درهم،و خمسون و مائه ألف دینار،فانتهبت و ذهبت..و ترک ألف بعیر بالربذه و صدقات ببرادیس و خیبر و وادی القری قیمه مائتی ألف دینار.و قال المسعودی:بنی فی المدینه دارا و شیّدها بالجعر و الکلس و جعل أبوابها من الساج و العرعر،و اقتنی أموالا و جنانا و عیونا بالمدینه.و ذکر عبد اللّه بن عتبه:إنّ عثمان یوم قتل کان عند خازنه من المال خمسون و مائه ألف دینار و ألف ألف درهم،و قیمه ضیاعه بوادی القری و حنین و غیرهما مائه ألف دینار،و خلّف خیلا کثیرا و إبلا.و قال الذهبی:کان قد صار له أموال عظیمه،و له ألف مملوک (۱).

و أمّا أعطیات عثمان إبّان حکمه فقد جردها العلّامه الأمینی فی غدیره عن المصادر المزبوره،فقد أعطی:

۱. مروان،خمسمائه ألف دینار.

۲. ابن أبی سرح،مائه ألف دینار.

---

۱ - ۱) .الطبقات الکبری-لابن سعد-۴۰/۳ و ص ۵۳،أنساب الأشراف ۴/۳،الاستیعاب-فی ترجمه عثمان- ۴۷۶/۲،الصواعق المحرقه:۶۸،السیره الحلبیه ۸۷/۲،مروج الذهب ۴۳۳/۱،دول الإسلام ۱۲/۱.

۳. طلحه،مائتا ألف دینار.

۴. عبد الرحمن بن عوف،ألفا ألف و خمسمائه و ستّین ألف دینار.

۵. یعلی بن أمیّه،خمسمائه ألف دینار.

۶. زید بن ثابت،مائه ألف دینار.

۷. ما اقتصّه لنفسه فی بعض الموارد،مائه و خمسون ألف دینار.

۸. ما اقتصّه لنفسه فی بعض آخر من الموارد،مائتا ألف دینار.

و یبلغ المجموع أربعه ملایین و ثلاثمائه و عشره آلاف دینار.

و فی مجموعه أخری من الأعطیات:

۹. الحکم،ثلاثمائه درهم.

۱۰. آل الحکم،ألفا ألف و عشرون درهم.

۱۱. الحارث،ثلاثمائه درهم.

۱۲. سعید،مائه ألف درهم.

۱۳. عبد اللّه،ثلاثمائه ألف درهم.

۱۴. الولید بن عقبه،مائه ألف درهم.

۱۵. عبد اللّه،مرّه أخری،ستّمائه ألف درهم.

۱۶. أبو سفیان،مائتا ألف درهم.

۱۷. مروان،مرّه أخری،مائه ألف درهم.

۱۸. طلحه،مرّه أخری،ألفا ألف و مائتا ألف درهم.

۱۹. طلحه،مرّه ثالثه،ثلاثون ألف ألف درهم.

۲۰. الزبیر،خمسه و تسعون ألف ألف و ثمانمائه ألف درهم.

۲۱. سعد بن أبی وقّاص،مائتان و خمسون ألف درهم.

۲۲. ما اقتصّه لنفسه مرّه ثالثه،ثلاثون ألف ألف و خمسمائه ألف درهم.

و یبلغ مجموع المجموعه الثانیه مائه و ستّه و عشرون ملیونا و سبعمائه و سبعون

ألف درهم.انتهى ملخّصا.

فلاحظ تلك المصادر و المراجع و غيرها لاستقصاء الأعطيات و القطائع!

و قال الوليد بن عقبه يخاطب بنى هاشم فى أبيات له:

قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فأجابه عبد اللّه بن أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلّب بأبيات طويله منها:

و شبّهته كسرى و قد كان مثله شبيها بكسرى هديه و ضرائبه

و كان المنصور إذا أنشد هذا البيت يقول:لعن اللّه الوليد،هو الذى فرّق بين بنى عبد مناف بهذا الشعر (۱).

و روى البلاذرى:لمّا أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه،و أعطى الحارث بن الحكم بن أبى العاص ثلاثمائه ألف درهم،و أعطى زيد ابن ثابت الأنصارى مائه ألف درهم ،جعل أبو ذرّ يقول:بشّر الكانزين بعذاب أليم،و يتلو قول اللّه عزّ و جلّ: وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۲).فرفع ذلك مروان ابن الحكم إلى عثمان،فأرسل إلى أبى ذرّ ناتلا مولاه:أن انته عمّا يبلغنى عنك، فقال:أ ينهانى عثمان عن قراءه كتاب اللّه،و عيب من ترك أمر اللّه؟!فو اللّه لأن أرضى اللّه بسخط عثمان أحبّ إلىّ و خير لى من أن أسخط اللّه برضاه.

و كان أبو ذرّ ينكر على معاويه أشياء يفعلها..بعث إليه معاويه حبيب ابن مسلمه الفهرى بمائتى دينار،فقال:أ ما وجدت أهون عليك منّى حين تبعث إلىّ بمال؟!و ردّها،و بنى معاويه«الخضراء»بدمشق،فقال:يا معاويه!إن كانت هذه الدار من مال اللّه،فهى الخيانه،و إن كانت من مالك،فهذا الإسراف.و كان أبو ذرّ يقول:و اللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها،و اللّه ما هى فى كتاب اللّه و لا سنّه نبيّه،و اللّه إنّى لأرى حقّا يطفأ و باطلا يحيا

۱- ۱) .شرح نهج البلاغه-لابن أبى الحديد-۹۰/۱.

۲- ۲) .التوبه۳۴/.

،و صادقا يكذب،و أثره بغير تقى،و صالحا مستأثرا عليه،فقال حبيب بن مسلمه لمعاويه:إنّ أبا ذرّ مفسد عليك الشام فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجه.فكتب معاويه إلى عثمان فيه،فكتب عثمان إلى معاويه:أمّا بعد،فاحمل جندبا إليّ على أغلظ مركب و أوعره!فوجّه معاويه من سار به الليل و النهار،فلمّا قدم أبو ذرّ المدينه جعل يقول:تستعمل الصبيان،و تحمى الحمى،و تقرّب أولاد الطلقاء،ثمّ إنّ عثمان نفاه إلى «الربذه»،فلم يزل بها حتّى مات.و المقام يطول بذكر كلّ ما جرى من إنكار أبى ذرّ على عثمان و معاويه؛فلاحظ المصادر.

و أخرج البخارى فى صحيحه من حديث زيد بن وهب،قال:مررت بالربذه فقلت لأبى ذرّ:ما أنزلك هذا؟!قال:كنت بالشام فاختلفت أنا و معاويه فى هذه الآيه: وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ فقال:أنزلت فى أهل الكتاب،فقلت:فينا و فيهم.فكتب يشكونى إلى عثمان،فكتب عثمان:أقدم المدينه.فقدمت فكثر الناس علىّ كأنّهم لم يرونى قبل ذلك،فذكر ذلك لعثمان فقال:إن شئت تنحّيت فكنت قريبا؛فذلك الذى أنزلنى هذا المنزل،قال ابن حجر فى فتح البارى فى شرح الحديث:و فى روايه الطبرى أنّهم كثروا عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام،فخشى عثمان على أهل المدينه ما خشيه معاويه على أهل الشام.و هكذا الحال فى ما جرى من إنكار عمّار و بعض أخلّائه على عثمان؛فلاحظ المصادر.

و فى تاريخ الطبرى:

إنّ أبا بكر لمّا استخلف قال أبو سفيان:ما لنا و لأبى فصيل،إنّما هى بنو عبد مناف.فقيل له:إنّه قد ولى ابنك.قال:وصلته رحم (۱).

و منهم:خالد بن الوليد.قال فى الإصابه:و كان سبب عزل عمر خالدا ما ذكره الزبير بن بكّار،قال:كان خالد إذا صار إليه المال قسمه فى أهل الغنائم،و لم يرفع إلى أبى بكر

۱- ۱) .تاريخ الطبرى ۲۰۲/۳.

حسابا؛أقدم على قتل مالك بن نويره و نكح امرأته،فكره ذلك أبو بكر و عرض الديه على متمّم بن نويره،و أمر خالد بطلاق امرأه مالك،و لم ير أن يعزله،و فى تاريخ أبى الفداء:فقال عمر لأبى بكر:إنّ سيف خالد فيه رهق،و أكثر عليه فى ذلك،فقال:يا عمر! تأوّل فأخطأ،فارفع لسانك عن خالد.

و فى لفظ الطبرى:فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب-أى قتل مالك ابن نويره و قومه- تكلّم فيه عند أبى بكر فأكثر،و قال:عدوّ اللّه،عدا على امرئ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته.و أقبل خالد بن الوليد قافلا حتّى دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدأ الحديد، معتجرا بعمامه له،قد غرز فى عمامته أسهما،فلمّا أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها،ثمّ قال:أ رئاء؟!قتلت امرأ مسلما ثمّ نزوت على امرأته...ثمّ ذكر أنّ أبا بكر عذره،و روى ثابت فى الدلائل:إنّ خالدا رأى امرأه مالك و كانت فائقه فى الجمال،فقال مالك بعد ذلك لامرأته:قتلتينى.

و قال الزمخشرى و ابن الأثير و أبو الفداء و الزبيدى:إنّ مالك بن نويره رضى اللّه عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد:أ قتلتنى؟!و كانت جميله حسناء تزوّجها خالد بعد قتله ،فأنكر ذلك عبد اللّه بن عمر،و قيل فيه:

أ فى الحقّ أنّا لم تجفّ دماؤنا و هذا عروسا باليمامه خالد؟! (۱)

و فى تاريخ ابن شحنه (۲):أمر خالد ضرارا بضرب عنق مالك،فالتفت مالك إلى زوجته و قال لخالد:هذه التى قتلتنى.و كانت فى غايه الجمال؛فقال خالد:بل قتلك رجوعك عن الإسلام؛فقال مالك:أنا مسلم؛فقال خالد:يا ضرار!اضرب عنقه!فضرب

---

۱ - ۱) .و لاحظ لمزيد من التفاصيل:تاريخ الطبرى ۲۴۱/۳،الكامل فى التاريخ ۱۴۹/۳،أسد الغابه ۲۹۵/۴، تاريخ دمشق ۱۰۵/۵،خزانه الأدب ۲۳۷/۱،تاريخ ابن كثير ۳۲۱/۶،تاريخ الخميس ۲۳۳/۲،الإصابه ۴۱۴/۱ و ۳۵۷/۳،الفائق ۱۵۴/۲،النهايه ۲۵۷/۳،تاريخ أبى الفداء ۱۵۸/۱،و تاج العروس ۷۵/۸

۲- ۲) .فى هامش الكامل-لابن الأثير-۱۶۵/۷.

عنقه،و فی ذلک یقول أبو نمیر السعدی:

ألا قل لحیّ أوطئوا بالسنابک تطاول هذا اللیل من بعد مالک

قضی خالد بغیا علیه بعرسه و کان له فیها هوی قبل ذلک

فأمضی هواه خالد غیر عاطف عنان الهوی عنها و لا متمالک

و أصبح ذا أهل و أصبح مالک إلی غیر أهل هالکا فی الهوالک

فلمّا بلغ ذلک أبا بکر و عمر قال عمر لأبی بکر:إنّ خالدا قد زنی فاجلده.قال أبو بکر:لا؛لأنّه تأوّل فأخطأ.قال:فإنّه قتل مسلما فاقتله.قال:لا،إنّه تأوّل فأخطأ.ثمّ قال:

یا عمر!ما کنت لأغمد سیفا سلّه اللّه علیهم.و رثی مالکا أخوه متمّم بقصائد عدیده (۱).

و فی تاریخ الخمیس:اشتدّ فی ذلک عمر و قال لأبی بکر:ارجم خالدا،فإنّه قد استحلّ ذلک؛فقال أبو بکر:و اللّه لا أفعل،إن کان خالد تأوّل أمرا فأخطأ (۲).و فی شرح المواقف:فأشار عمر علی أبی بکر بقتل خالد قصاصا.فقال أبو بکر:لا أغمد سیفا شهره اللّه علی الکفّار.و قال عمر لخالد:لئن ولیت الأمر لأقیدنّک به (۳)؛و فی تاریخ دمشق:

قال عمر:إنّی ما عتبت علی خالد إلّا فی تقدّمه و ما کان یصنع فی المال،و کان خالدا إذا صار إلیه شیئا قسمه فی أهل الغنی و لم یرفع إلی أبی بکر حسابه،و کان فیه تقدّم علی أبی بکر،یفعل الأشیاء التی لا یراها أبو بکر،و أقدم علی قتل مالک بن نویره و نکح امرأته،و صالح أهل الیمامه،و نکح ابنه مجاعه بن مراره،فکره ذلک أبو بکر و لم یر أن یعزله (۴).

هذا،و قد کان مالک من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و استعمله صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی صدقات قومه، و هو من أشراف الجاهلیه و الإسلام.ثمّ إنّ ضرار بن الأزور زمیل خالد بن الولید فی قتل

۱- ۱) .لاحظ:تاریخ أبو الفداء ۱۵۸/۱.

۲- ۲) .تاریخ الخمیس ۲۳۳/۲.

۳- ۳) .المواقف:۴۰۳،شرح المواقف ۳۰۷/۸-۳۰۸.

۴- ۴) .تاریخ دمشق ۱۱۲/۵.

مالـک قـد شنّ الغـاره علی حیّ من بنی أسـد فأخـذ امرأه جمیله فوطئهـا بهبه من أصـحابه، ثمّ ذکر ذلک لخالـد،فقال:قـد طیّبتها لک؛فکتب إلی عمر فأجاب برضخه بالحجاره (۱).

و بعد فتح الشام أخرج ابن أبی شـیبه و ابن المنذر،عن محارب بن دثار:إنّ أناسا من أصـحاب النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم شربوا الخمر بالشام و قالوا:شربنا لقول اللّه: لَیْسَ عَلَی الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِیما طَعِمُوا (۲)..الآیه (۳).و فی کتاب من أبی بکر له:لعمری یا بن أمّ خالـد!إنّک لفارغ تنکح النساء و بفناء بیتک دم ألف و مائتی رجل من المسـلمین لم یجفف بعد کتبه إلیه لمّـا قـال خالـد لمجـاعه:زوّجنی ابنتک.فقـال له مجـاعه:مهلاـإنّک قاطع ظهری و ظهرک معی عنـد صاحبک.قال:أیّها الرجـل!زوّجنی.فزوّجه،فبلغ ذلک أبا بکر فکتب إلیه الکتاب،فلمّا نظر خالـد فی الکتاب جعل یقول:هـذا عمل الأعیسـر.یعنی عمر بن الخطّاب (۴).هذا،و قد کان خالد بن الولید من نجوم قیادات الفتوح.و فی الإصابه- فی ترجمه خالد بن الولید-:قال عمر لأبی بکر:اکتب إلی خالد لا یعطی شـیئا إلّا بأمرک فکتب إلیه بذلک،فأجابه خالد:إمّا أن تدعنی و عملی و إلّا فشأنک بعملک.فأشار علیـه عمر بعزلـه،فقـال أبـو بکر:فمـن یجزی عنّی جزاء خالــد.قال عمر:أنـا.فتجهّز عمر...إلی أن قـال-بعـد ثنی أبی بکر لعمر عن الخروج-:فلمّـا قبـل عمر کتب إلی خالـد:أن لاـ تعطی شاه و لا بعیرا إلّا بأمری.فکتب إلیه خالـد بمثل ما کتب إلی أبی بکر،فقال عمر:ما صـدقت اللّه إن کنت أشـرت علی أبی بکر بأمر فلم أنفّـذه.فعزله،ثمّ کان یدعوه إلی أن یعمل فیأبی إلّا أن یخلّیه یفعل ما شاء فیأبی عمر،قال مالک:و کان عمر یشبه خالدا (۵).

و عن عبد الرحمن بن عوف،قال:إنّه دخل علی أبی بکر فی مرضه الذی توفّی فیه

۱- ۱) .لاحظ:تاریخ دمشق ۳۱/۷،خزانه الأدب ۸/۲،الإصابه ۲۰۹/۲.

۲- ۲) .المائده۹۳/.

۳- ۳) .لاحظ:الدرّ المنثور ۳۲۱/۲.

۴- ۴) .لاحظ:تاریخ الخمیس ۳۴۳/۳،و تاریخ الطبری ۲۵۴/۳.

۵- ۵) .الإصابه ۴۱۵/۱.

فأصابه مهتمّا...فقال أبو بكر:إنّی ولّیت أمركم خيركم فی نفسی،فكلّكم ورم أنفه من ذلك،يريد أن يكون الأمر له دونه،و رأيتم الدنيا قد أقبلت و لمّا تقبل و هی مقبله حتّی تتّخذوا ستور الحرير،و نضائد الديباج،و تألموا الاضطجاع علی الصوف الأذری كما يألم أحدكم أن ينام علی حسك السعدان،و اللّه لأن يقدّم أحدكم فتضرب عنقه فی غير حدّ خير له من أن يخوض فی غمره الدنيا،و أنتم أوّل ضالّ بالناس غدا فتصدّونهم عن الطريق يمينا و شمالا،يا هادی الطريق!إنّما هو الفجر أو البحر (۱).

و روی البخاری فی صحيحه،عن هند بنت الحارث:إنّ أمّ سلمه زوج النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم قالت:

استيقظ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم ليله فزعا يقول:سبحان اللّه!ما ذا أنزل اللّه من الخزائن؟!و ما ذا أنزل من الفتن؟!من يوقظ صواحب الحجرات-يريد أزواجه-لكی يصلّين؟!ربّ كاسيه فی الدنيا عاريه فی الآخره (۲)

قال ابن حجر فی فتح الباری فی شرح الحديث:و فی روايه سفيان:ما ذا أنزل الليله من الفتن؟!و ما ذا فتح من الخزائن؟!قال ابن بطال فی هذا الحديث:إنّ الفتوح فی الخزائن تنشأ عنه فتنه المال بأن يتنافس فيه القتال بسببه،و أن يبخل به فيمنع الحقّ أو يبطر صاحبه فيسرف،فأراد صلّی اللّه عليه و آله و سلم تحذير أزواجه من ذلك كلّه،و كذا غيرهنّ ممّن بلغه ذلك.

و قال ابن حجر فی شرح«ربّ كاسيه...»:و اللفظه و إن وردت فی أزواج النبیّ صلّی اللّه عليه و آله و سلم لكنّ العبره بعموم اللفظ؛كاسيه للشرف فی الدنيا لكونها أهل التشريف و عاريه يوم القيامه؛ كما قد أشير فی أحاديث نبويّه اخری إلی هذه الأوضاع،نظير ما رواه البخاری و مسلم فی كتاب الفتن عنه صلّی اللّه عليه و آله و سلم:

۱- ۱) .لاحظ:الأموال:۱۳۱،تاريخ الطبری ۵۲/۴،الإمامه و السياسه ۱۸/۱،مروج الذهب ۴۱۴/۱، العقد الفريد ۲۵۴/۲.

۲- ۲) .صحيح البخاری ۸۸/۹ ح ۱۸ كتاب الفتن ب ۶.

إنّكم سترون بعدى أثره و أمورا تنكرونها. (۱)

إنّ الأجواء السائده لدى المسلمين فى عهود الفتوحات الأولى،و ما كان لديهم من حماس دينى ملتهب،و من قوّه نظر و إشراف فى مراقبه الحكم و الحاكم،بجانب عوامل أخرى-نتعرّض لها كلّها-من إعداد و صنع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،كانت سبب النصر و الظفر و الفتوحات.

و بعباره أخرى:الخطّه المرسومه من القرآن الكريم و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم للمسلمين و لوظيفه الحكم من بعده،سواء على صعيد التقنين،أو على صعيد البناء الروحى للمسلمين،أو على صعيد البناء العسكرى و القوّه الضاربه،أو على صعيد الوحده الاجتماعيه المترابطه،أو على صعيد بناء الدوله و أجهزه الحكم؛كانت تملى القيام بالجهاد و فتح البلدان.هذا كلّه بالإضافه إلى البريق النيّر الذى أوجده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن الدين الإسلامى فى أسماع الملل و الأقوام المختلفه،من العداله و كرائم الخلق فى القانون و التنفيذ،و نشده الحقّ و النصفه..

فإنّ نظره تحليليه فى الأصول الاجتماعيه و السياسيه و القانونيه التى كانت العرب تعيشها قبل البعثه النبويّه الشريفه مقارنه بالنظام الاجتماعى و السياسى و الروحى و القانونى الذى بناه و أسّسه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،هذه النظره و المقارنه كفيله لفهم أنّ القياده فى الفتوحات بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لم تكن تلعب ذلك الدور الخطير المؤثّر فى الوصول إلى نتائج الفتوحات،سواء القياده السياسيه،أو القياده العسكريه.

و يستطيع القارئ أن يلمس ذلك من بعض النصوص التاريخيه أو الروائيه التى ذكرناها آنفا،فضلا عمّا لو تتبّع و استقصى ذلك بنفسه من خلال كتب السير و التاريخ و الحديث؛فإنّ سرّ الفوز بتلك النتائج يكمن فى عظمه النظام الذى بنى صرحه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم على الأصعده المختلفه.و قد أشار إلى ذلك عدّه من الباحثين فى حقل العلوم

۱- ۱) .صحيح البخارى ۸۴/۹ ح ۴ كتاب الفتن ب ۲.

الإسلاميّه أو العلوم الإنسانيه،و لنضرب الأمثله لنماذج تلك العوامل المزبوره:

*فأمّا رقابه المسلمين الشديده على الحكم و الحاكم،التى ربّاهم عليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و محاسبتهم لكلّ صغيره و كبيره،و أنّ الظروف المحيطه بالحاكم و الحكم ما كانت تسمح له بتغيير كلّ معالم النظام السياسى و الاجتماعى و المعنوى الذى شيّده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم؛فمن أمثله ذلك:

قول عمر بن الخطّاب لابن عبّاس:لو وليها عثمان لحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس،و لو فعلها لقتلوه (۱).و فى نقل آخر عنه:لو ولّيتها عثمان لحمل آل أبى معيط على رقاب الناس،و اللّه لو فعلت لفعل،و لو فعل لأوشكوا أن يسيروا إليه حتّى يجزّوا رأسه (۲)و هذا ما حدث؛إذ ثار المسلمون على عثمان و قتلوه،بسبب الإثره فى السلطه و فى المال و فى مقدّرات المسلمين التى خصّصها بذويه و عشيرته و بنى أميّه.

و هذه القوّه لرقابه الناس التى يصوّرها عمر فى العقد الثالث الهجرى فكيف هى فى العقد الثانى،و فى أوائل العهد الذى تلا العهد النبوى؟!

و قول علىّ عليه السّلام لعثمان؛و قد كان فى بيت المال بالمدينه سفط فيه حلى و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله،فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك،و كلّموه فيه بكلام شديد حتّى أغضبوه فقال:هذا مال اللّه،أعطيه من شئت و أمنعه من شئت،فأرغم اللّه أنف من رغم و فى لفظ آخر:لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء و إن رغمت أنوف أقوام؛ فقال له علىّ عليه السّلام:إذا تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه (۳).و قد صعد عمر المنبر يوما و قال:لو صرفناكم عمّا تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم؟فأجابه علىّ عليه السّلام:إذا كنّا نستتيبك ،فإن تبت قبلناك.فقال:و إن لم؟قال:نضرب عنقك الذى فيه عيناك.فقال عمر:الحمد للّه

۱- ۱) .أنساب الأشراف ۱۶/۵.

۲- ۲) .ذكره القاضى أبو يوسف فى الآثار:۲۱۷.

۳- ۳) .أنساب الأشراف ۱۶۱/۶.

الذی جعل فی هذه الأمّه من إذا اعوججنا أقام أودنا (۱).

و الحاصل:إنّ أمثله هذا العامل کثیره جدّا یجدها الباحث بمجرّد رجوعه إلی ذاکرته فی أحداث العقود الهجریه الأولی التی تلت العهد النبوی الأوّل.نعم،لیس المراد من وجود هذا العامل أنّه لم تکن للتکتّلات السیاسیه فی صفوف الصحابه-من المهاجرین و الأنصار،و ائتلاف السقیفه،و البیت الهاشمی و أنصاره-أیّ دور،إمّا فی تغییر و تبدیل الخطّه المرسومه من قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،و إمّا فی المحافظه علی بقائها؛ إذ الأمور نسبیه،و إنّما الغرض بیان الجانب الغالب.

*و أمّا تعیین وظیفه المسلمین و الدوله من قبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بشأن الفتوحات؛فقد کان إخبار النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم بفتح المسلمین لفارس و الروم و سقوط ملک کسری و قیصر علی أیدیهم،إخبارا ملأ آذان المسلمین فی مواقع عدیده أنبأ فیها بذلک،کما فی حفر الخندق فی غزوه الأحزاب (۲)و غیره،و قد کان وعدا قطعیا منه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بذلک للمسلمین، و هذا الوعد الصادق استیقن به المسلمون،کما رأوا صدق الوعود منه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من قبل، و کان هذا باعثا للأمل و لقوّه الروح فیهم التی لا تستجیب للیأس أو الخوف.

کما إنّ تعیین القرآن الکریم و النبیّ الأمین صلّی اللّه علیه و آله و سلم هذه الوظیفه للمسلمین کان بیانا لمشروعیه الجهاد فی نفسه لدی العدید ممّن لم یر مشروعیه لما نتج عن بیعه السقیفه.و لقد کان فی أمره صلّی اللّه علیه و آله و سلم-فی أیّامه الأخیره-بتجهیز جیش أسامه،و حثّه علی إنفاذه، و لعنه من تخلّف عنه،دلاله علی مدی العنایه الشدیده التی کان یولیها صلّی اللّه علیه و آله و سلم لأمر الجهاد.

*و أمّا روح الفداء و طلب الشهاده و التضحیه،و التعطّش لدرجات الآخره و الرضوان؛فقد کانت ما تزال ملتهبه بفضل أنوار النبوّه و قرب العهد من الوحی، و مشاهد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم الحیّه فی أذهانهم،و وقائع الغزوات الکبری فی الإسلام،التی

۱- ۱) .مناقب الإمام علیّ علیه السّلام-للخوارزمی-:۹۸ ح ۱۰۰.

۲- ۲) .انظر:تاریخ الطبری ۹۲/۲.

خلّدت أسماء نجوم الشهاده،فلم تكن هناك تعبئه من القياده السياسيه أو العسكريه للجهاد بقدر ما كانت محاوله تدبير للحاله الاندفاعيه الموجوده و الحماس الملتهب.

سبب إخفاق الفتوح عن الوصول إلى الوعود الإلهيّه

إنّ المحاوله فى التدبير هى التى أضفت لونا على الجهاد و الفتوح،و غيّرت من خلق و غايات هذا الباب،و ساهمت فى تقليل حيويه عوامله و معدّاته،على نحو تدريجى، بسبب الممارسات التى ارتكبت،سواء بالإضافه إلى البلدان المفتوحه و أهاليها،أو بالإضافه إلى الرموز الخاصّه من القيادات العسكريه و غيرها،ممّن كانت تربطه بالسلطه علائق معينه،و سواء على صعيد المال أو الأعراض أو النفوس..

مضافا إلى إنّ الانفتاح على الأقوام الأخرى كان يتطلّب كفاله شرعيه من مختلف الجوانب الروحيه و العلميه و التربويه و القانونيه و السياسيه،و غيرها من الجوانب التى لم تكن القياده المركزيه مؤهّله لتلك المهمّه فى ظلّ التحديد و الحصار لدور الإمام علىّ عليه السّلام،حامل علم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و القيّم الثانى المبيّن للدين،و الوزير لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى تأسيس الدعوه و تشييدها حتّى آخر لحظات حياه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم..

بسبب كلّ هذا لم يكتب للوعد الإلهى فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (۱)،الذى تكرّر فى ثلاث سور-و غيره من الوعود الإلهيّه،كقوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ (۲)،و وعده تعالى فى قوله: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ (۳)،و قوله سبحانه: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ (۴)-التحقّق فى العاجل.

۱- ۱) .التوبه۳۲/،و الفتح۲۸/،و الصفّ۹/.

۲- ۲) .الأنبياء۱۰۵/.

۳- ۳) .القصص۵/.

۴- ۴) .النمل۶۲/.

ثمّ انّ الاهتداء الداخلی الذی بدأ عدّه العکسی و أخذ یدبّ فی جسد الأمّه و وحده المسلمین؛و قد حذّر منه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی طوائف من الحدیث،نظیر قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند ما أشرف علی أطم من آطام المدینه:

هل ترون ما أری؟!».قالوا:لا.قال:«فإنّی لأری الفتن تقع خلال بیوتکم کوقع القطر (۱).

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم عند ما استیقظ من النوم محمرّا وجهه:

لا إله إلاّ اللّه،ویل للعرب من شرّ قد اقترب (۲).

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

هلکه أمّتی علی یدی غلمه من قریش.

فقال مروان:لعنه اللّه علیهم غلمه؛رواه البخاری،عن ابن سعید،عن جدّه،و قال:

فکنت أخرج مع جدّی إلی بنی مروان حین ملکوا بالشام فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا:عسی أن یکونوا منهم (۳).

و قال ابن حجر فی فتح الباری-بعد نقل الحدیث؛إذ ذکر البخاری تتمّه له من لعن مروان لأولئک الغلمه-:

تنبیه:یتعجّب من لعن مروان الغلمه المذکورین مع إنّ الظاهر أنّهم من ولده، فکأنّ اللّه تعالی أجری ذلک علی لسانه لیکون أشدّ فی الحجّه علیهم لعلّهم یتّعظون،و قد وردت أحادیث فی لعن الحکم والد مروان و ما ولد،أخرجها الطبرانی (۴)

۱- ۱) .صحیح البخاری ۸۶/۹ ح ۱۱ کتاب الفتن ب ۴،و رواه مسلم أیضا فی صحیحه ۱۶۸/۸.

۲- ۲) .صحیح البخاری ۸۶/۹ ح ۱۰ کتاب الفتن ب ۴.

۳- ۳) .صحیح البخاری ۸۵/۹ ح ۹ کتاب الفتن ب ۳.

۴- ۴) .فتح الباری ۱۳/۱۳ ذ ح ۷۰۵۸.

و قد رواه مسلم فی صحیحه،عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم،قال:

یهلک أمّتی هذا الحیّ من قریش.قالوا:فما ذا تأمرنا؟قال:لو أنّ الناس اعتزلوهم (۱).

قال النووی-فی شرحه بعد مطابقته بین الروایتین-:

إنّ المراد بروایه مسلم طائفه من قریش،و هذا الحدیث من المعجزات، و قد وقع ما أخبره صلّی اللّه علیه و آله و سلم (۲).

و قد تقدّم أنّ أبا بکر ابتدأ بتولیه ابن أبی سفیان،و قد أمن بذلک من مواجهه أبی سفیان لتنصیبه فی السقیفه.

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

أنا فرطکم علی الحوض،لیرفعنّ إلیّ رجال منکم حتّی إذا أهویت لأناولهم اختلجوا دونی،فأقول:أیّ ربّ أصحابی،فیقول:لا تدری ما أحدثوا بعدک (۳).

و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:

أنا فرطکم علی الحوض،من ورده شرب منه،و من شرب منه لم یظمأ بعده أبدا،لیردنّ علیّ أقوام أعرفهم و یعرفونی،ثمّ یحال بینی و بینهم،أقول:

إنّهم منّی،فیقال:إنّک لا تدری ما بدّلوا بعدک،فأقول:سحقا سحقا لمن بدّل بعدی (۴).

قال ابن حجر فی فتح الباری:

إن کانوا ممّن لم یرتدّ لکن أحدث معصیه کبیره من أعمال البدن أو بدعه من

۱- ۱) .صحیح مسلم ۱۸۶/۸ کتاب الفتن.

۲- ۲) .صحیح مسلم بشرح النووی ۳۵/۱۸ ح ۲۹۱۷.

۳- ۳) .صحیح البخاری ۸۳/۹ ح ۲ کتاب الفتن ب ۱.

۴- ۴) .صحیح البخاری ۸۳/۹ ح ۳ کتاب الفتن ب ۱.

اعتقاد القلب؛فقد أجاب بعضهم بأنّه يحتمل أن يكون أعرض عنهم و لم يشفع لهم اتّباعا لأمر اللّه فيهم حتّى يعاقبهم على جنايتهم،و لا مانع من دخولهم فى عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمّته فيخرجون عند إخراج الموحّدين من النار،و اللّه أعلم (۱).

و قد تواصل هذا الاهتداء فى نظام الحكم إلى أن وصل إلى الحاله التى أشرنا إليها فى عهد عثمان،فقد أعطى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح-أخاه من الرضاعه-الخمس من غنائم إفريقيه فى غزوها الأوّل (۲).

قال البلاذرى فى الأنساب:

لمّا قدم الوليد-ابن عقبه بن أبى معيط ابن أبى عمر و بن أميّه،الذى نزلت فيه آيه: إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ (۳)-الكوفه ألفى ابن مسعود على بيت المال ،فاستقرضه مالا،و قد كانت الولاه تفعل ذلك ثمّ تردّ ما تأخذ،فأقرضه عبد اللّه ما سأله،ثمّ إنّه اقتضاه إيّاه،فكتب الوليد فى ذلك إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد اللّه بن مسعود:إنّما أنت خازن لنا،فلا تعرض للوليد فى ما أخذ من المال،فطرح ابن مسعود المفاتيح و قال:كنت أظنّ أنّى خازن للمسلمين،فأمّا إذ كنت خازنا لكم فلا حاجه لى فى ذلك.و أقام بالكوفه بعد إلقائه مفاتيح بيت المال (۴).

حتّى آل الأمر إلى ليالى بنى أميّه و بنى العبّاس و نظام حكمهم،و عن

۱- ۱) .فتح البارى ۵/۱۳ ذ ح ۷۰۵۰ و ۷۰۵۱.

۲- ۲) .تاريخ ابن كثير ۱۵۲/۷،أنساب الأشراف ۲۶/۵،شرح نهج البلاغه-لابن أبى الحديد-۶۷/۱.

۳- ۳) .الحجرات۶/.

۴- ۴) .أنساب الأشراف ۳۰/۵،و لاحظ:العقد الفريد ۲۷۲/۲؛و غيرها من الأرقام التى سطّرتها الكتب و السير من هذا القبيل.

عائشه:

إنّ الخلافه سلطان اللّه يؤتيه البرّ و الفاجر (۱).

و روى البخارى،عن أيّوب،عن نافع،قال:

لمّا خلع أهل المدينه يزيد بن معاويه جمع ابن عمر حشمه و ولده فقال:إنّى سمعت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول:ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامه، و إنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع اللّه و رسوله،و إنّى لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع اللّه و رسوله ثمّ ينصب له القتال،و إنّى لا أعلم أحدا منكم خلعه و لا بايع فى هذا الأمر إلّا كانت الفيصل بينى و بينه (۲).

و قد قتل يزيد فى العام الأوّل من خلافته سبط الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و فى العام الثانى استباح المدينه المنوّره و أهلها و نساءها و فى العام الثالث رجم الكعبه،بل إنّه أمر بأخذ البيعه من أهل المدينه على أنّهم خول له يحكم فى دمائهم و أموالهم و أهلهم بما شاء؛مع إنّ البخارى روى فى صحيحه،عن ابن عمر،عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم،قال:

السمع و الطاعه على المرء المسلم فى ما أحبّ أو كره ما لم يؤمر بمعصيه، فإذا أمر بمعصيه فلا سمع و لا طاعه... (۳).

من كلّ ما سبق يتّضح جليّا سرّ تركيز علىّ عليه السّلام فى عهده الذى تسلّم فيه مقاليد الأمور على إصلاح الداخل و البناء الذاتى؛إذ كيف يدعو الآخرين من الملل الأخرى إلى الدين،و أبناء الدين الإسلامى أنفسهم لا يعملون به؟!و عطّلوه و محوا رسومه التى كانت على عهد النبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و منطق القرآن: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ*

۱- ۱) .الدرّ المنثور ۱۹/۶.

۲- ۲) .صحيح البخارى ۱۰۳/۹ ح ۵۵ كتاب الفتن ب ۲۱.

۳- ۳) .صحيح البخارى ۱۱۳/۹ ح ۸ كتاب الأحكام/باب السمع و الطاعه للإمام ما لم تكن معصيه/باب ۴.

كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (۱)و أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۲)و قال تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ* وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ* وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۳).

و ذكر ابن حجر فى فتح البارى فى شرح كتاب الفتن،الذى صدّره البخارى بالآيه، قال:أخرج الطبرى من طريق الحسن البصرى،قال:قال الزبير:لقد خوّفنا بهذه الآيه و نحن مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ما ظننّا أنّا خصصنا بها،و قال:عند الطبرى من طريق على بن أبى طلحه،عن ابن عبّاس،قال:أمر اللّه المؤمنين أن لا يقرّوا المنكر بين أظهرهم؛ فيعمّهم العذاب.

و لهذا الأثر شاهد من حديث عدىّ بن عميره:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول:

إنّ اللّه عزّ و جلّ لا يعذّب العامّه بعمل الخاصّه حتّى يروا المنكر بين ظهرانيهم و هم قادرون على أن ينكروه،فإذا فعلوا ذلك عذّب اللّه الخاصّه و العامّه (۴).

فإذا لم يحكم العدل فى ما بين المسلمين فكيف يطالب غيرهم به؟!و قد روى -ما مضمونه-:

إنّ قائلا قال للإمام السجّاد علىّ بن الحسين زين العابدين عليه السّلام:أ تركت الجهاد فى الثغور و خشونته و أقبلت على الحجّ و نعومته؟!و قد قال تعالى: إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ

۱- ۱) .الصفّ۲/ و ۳.

۲- ۲) .البقره۴۴/.

۳- ۳) .الأنفال۲۵/-۲۸.

۴- ۴) .فتح البارى ۴/۱۳ ح ۷۰۴۸.

فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِی التَّوْراهِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۱)الآیه.

فقال له زین العابدین علیه السّلام:أکمل الآیه.فقال: اَلتّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاکِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النّاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ (۲)فقال له زین العابدین علیه السّلام:إذا وجدت من هم بهذا الوصف فنحن نجاهد معهم (۳)

و یا له من شرط صعب!الحفظ لحدود اللّه!

و لقد خطب الإمام علیّ علیه السّلام فی الیوم الثانی من بیعته بالمدینه،فقال:

ألا- إنّ کلّ قطیعه أقطعها عثمان،و کلّ مال أعطاه من مال اللّه،فهو مردود فی بیت المال؛فإنّ الحقّ القدیم لا یبطله شیء،و لو وجدته قد تزوّج به النساء، و فرّق فی البلدان،لرددته إلی حاله،فإنّ فی العدل سعه،و من ضاق عنه الحقّ فالجور عنه أضیق (۴).

فسیف علیّ علیه السّلام الذی أقیم به صرح الإسلام،و شیّد به دعائم الدوله الإسلامیّه،عاد مرّه أخری لإزاله الأود و العوج الذی حصل فی نظام المسلمین السیاسی و الاجتماعی، و بناء النموذج الداخلی المثالی للدعوه إلی الإسلام؛بل إنّ علیّا علیه السّلام أقام-قبل تسلّمه مقالید الأمور-مرابطا فی الخندق العلمی لوجه الدین الإسلامی،أمام تحدّیات المسائل الحرجه التی ابتلیت بها الأمّه و لم یکن لها من یطّلع علی حکم الشریعه فیها،و قد ذکرت المصادر التاریخیه الکثیر من الموارد لذلک،و کذا أمام تحدّی الملل و النحل الأخری (۵).

۱- ۱) .التوبه۱۱۱/.

۲- ۲) .التوبه۱۱۲/.

۳- ۳) .وسائل الشیعه کتاب الجهاد أبواب جهاد العدو ب ۱۲/ح ۶.

۴- ۴) .شرح نهج البلاغه-لابن أبی الحدید-۹۰/۱،السیره الحلبیه ۸۷/۲.

۵- ۵) .لاحظ:ما أخرجه الحافظ العاصمی فی کتابه:زین الفتی فی شرح سوره هَلْ أَتی ،فی وفد النصاری

و ننتهی فی الفتوحات إلی هذه النقطه:و هی أنّ عقده الملل الأخری-لا سیّما الغربیّین-النفسیه و الذهنیه تجاه الدین الإسلامی،و عدم إقبالهم علیه،و عدم البحث عن حلّ لمشاکلهم من منظار دیننا-و إن کان له أسباب متعدّده صاغها أعداء الإسلام و المسلمین-مضافا إلی النفسیه العدوانیه،و العقلیه الاستعلائیه التی تصعّر بخدّهم؛إلاّ إنّ شطرا مهمّا من تلک الأسباب هی ممارسات المسلمین أنفسهم،و بالخصوص و التحدید هی رواسب الممارسات التی وقعت فی فتوحات البلدان..

فإنّ سلبیّات کیفیه الأداء فی هذه الفتوحات و ما رافقها من تجاوز للموازین الدینیه المقرّره،التی تحافظ علی روح خلق الشریعه،فإنّ الحفظ لحدود اللّه تعالی فی باب الجهاد و غیره هو الکفیل الأمثل لدخول الناس أفواجا فی دین اللّه تعالی،و الموجب لتحقّق الوعد الإلهی-الذی تأخّر إلی هذا الیوم-بإظهار الإسلام فی کافّه أرجاء المعموره.

سیاسات الخلفاء فی بلدان الفتوح

أمّا الثالث فلا نجد حاجه للإشاره إلی عبثه و لعبه (۱).و أمّا الثانی فقد کان جمله من ولاته من هم من الطلقاء،کما تقدّم،و من ولاته أیضا:عتبه بن أبی سفیان علی الطائف، و أبو هریره علی البحرین،و عمرو بن العاص علی مصر،و معاویه بن أبی سفیان علی الشام.و کان من جمله ولاته أیضا من هم من أصحاب السقیفه،کسعد بن أبی وقّاص علی الکوفه،و أبو موسی الأشعری علی البصره،و أبو عبیده بن الجرّاح علی موضع من الشام، و خالد بن الولید علی موضع آخر لفتره.

و لمّا رأی عمر استثراء ولاته قام بمشاطره أموالهم،فأخذ منهم النصف و أبقی لهم النصف،فاعترض علیه أبو بکره-و کان أحد ولاته-قال له:و اللّه لإن کان هذا المال للّه

۱- ۱) .لاحظ:الغدیر ۹۷/۸-۳۰۰.

فما يحلّ لك أن تأخذ بعضا و تترك بعضا،و إن كان لنا فما لك أخذه.فقال له عمر:إمّا أن تكون مؤمنا لا تغلّ،أو منافقا أفكك.فقال له:بل مؤمن لا أغلّ (۱).و قد تقدّم دفع عمر الحدّ عن المغيره بن شعبه لمّا زنى بأمّ جميل.

و قام الشيخان بمنع تدوين الأحاديث النبويه و إحراق الكتب التى جمعت فيها، و المعاقبه على ذلك بشدّه،و المنع من نشر و انتشار أحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم من الصحابه إلى سائر الأمصار و التابعين (۲)؛كما أحرق عمرو بن العاص أكبر مكتبه فى الاسكندريه بأمر عمر؛ذكر ذلك جرجى زيدان،و استشهد بقول عبد اللطيف البغدادى و المقريزى و الحاج خليفه (۳).

و لقد صدق قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لكعب بن عجزه:«أعاذك اللّه يا كعب من إماره السفهاء.قال:و ما إماره السفهاء يا رسول اللّه؟قال:أمراء يكونون بعدى لا يهدون بهديى، و لا يستنّون بسنّتى،فمن صدقهم بكذبهم و أعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منّى و لست منهم».الحديث (۴).

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:«إنّه سيكون بعدى أمراء،فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم و أعانهم على ظلمهم فليس منّى و لست منه و ليس بوارد حوضى» (۵).

و قد روى الشافعى من طريق وهب بن كيسان،عن ابن الزبير،قوله:«كلّ سنن

۱- ۱) .شيخ المضيره:۸۶،تاريخ اليعقوبى ۱۵۷/۲،سير أعلام النبلاء ۲۱۸/۲،الطبقات ۲۲۱/۳، تاريخ الخلفاء:۲۴۱.

۲ - ۲) .تاريخ المدينه المنوّره ۸۰۰/۳،كنز العمّال ۲۸۵/۲،تذكره الحفّاظ ۷/۱،سنن ابن ماجه ۱۲/۱، شرح نهج البلاغه ۱۲۰/۳،المستدرك على الصحيحين ۱۰۲/۱،الطبقات ۲/۶ و ج ۱۸۱/۵.

۳- ۳) .تاريخ التمدّن الإسلامى:۴۶،نقلا عن كتاب مختصر الدول-لأبى الفرج الملطى-:۱۸-ط بوك أكسفورد.

۴- ۴) .المستدرك على الصحيحين-للحاكم-۴۲۲/۴.

۵- ۵) .تاريخ بغداد ۱۰۷/۲ و ج ۳۶۲/۵،مسند أحمد ۲۶۷/۴.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد غيّرت،حتّى الصلاه» (۱).

و قد اعترض الصحابه على عمر فعله و سنّته بتقديم بعض الناس على بعض فى الأموال بمزيه،كتقديم:زوجات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم أمّهات المؤمنين على غيرهنّ،و البدرى على من سواه،و المهاجرين على الأنصار،و العرب على الموالى (۲).و قد كانت سياسه و سنّه عمر بن الخطّاب فى الحكم مبنيه على التفريق بين العرب و العجم فى عدّه أحكام،

منها:ما تقدّم فى العطاء من بيت المال.

و منها:ما رواه مالك بسنده:أبى عمر بن الخطّاب أن يورّث أحدا من الأعاجم إلّا أحدا ولد فى العرب (۳).و هذه العصبيه تجلّت فى غير هذين الموردين أيضا.و قد ذكر فى تقسيم غنائم الفتوح أنّه كان يعطى للهجين سهما و للعربى سهمين،مع أنّهم أبلوا بلاء حسنا كالعرب (۴).

و منها:منعه الموالى من دخول المدينه،و لم يكن دخول أبى لؤلؤه مولى المغيره بن شعبه إلّا بالتماس من المغيره،و كذا آحاد من الموالى.

أخلاقيات السقيفه فى الفتوح و الحكم

علامات أوقفت انتشار الإسلام

الأولى: ما تقدّم مفصّلا من ريبه القبائل العربيه فى الجزيره فى الدين بسبب استخلاف أبى بكر و إزواء الخلافه عن أهل بيت النبوه عليهم السّلام،و تمرّدهم على أبى بكر،و وصول الأمر إلى ردّه بعضهم.

۱- ۱) .كتاب الأمّ ۲۰۸/۱.

۲- ۲) .الأموال-لأبى عبيده-:۲۲۴-۲۲۷،سنن البيهقى ۳۴۹/۶-۳۵۰،تاريخ عمر بن الخطّاب-لابن الجوزى-:۷۹-۸۳.

۳- ۳) .الموطّأ ۱۲/۲.

۴- ۴) .كتاب الفتوح-لابن أعثم-۲۱۰/۱-غنائم اليرموك.

الثانيه: عصيان أهل البلاد المفتوحه؛و تجلّى ذلك فى قيام الموالى بقتل الخليفه الثانى بعد أن رأوا أنّهم قد خدعوا بأمل المساواه و العداله فى ظلّ دين الإسلام؛إذ وجدوا أنّ نظام السقيفه يستحقرهم و يعدّهم مواطنون فى الدين من الدرجات الدانيه،و من ثمّ بدأت تظهر الحركات و المسارات الشعوبيه مناديه بإحياء النزعه القوميه و العرف العرقى مقابل العرق العربى،فكأنّهم انطبع لديهم أنّ الدين الإسلامى وسيله اتّخذها العرب للسياده على الشعوب و القوميات الأخرى،و هذا الملف الشعوبى طويل الذيل لا يكاد يخلو منه كتاب تاريخ أو كتاب تراجم رجال.

و هكذا الحال بالنسبه لأهل مصر و العراق؛إذ ثاروا على الخليفه الثالث فقتلوه عند ما شاهدوا استئثار عشيرته بالمال،و عيثهم بمقدّسات الدين.بينما نرى أنّ من اغتال علىّ عليه السّلام ليس من أهل البلاد المفتوحه،بل هو من أصحاب الانحراف الفكرى الشذوذى من المسلمين،و هم الخوارج،أى أصحاب نظريه فكريه ممسوخه عن ثوابت الدين الحنيف.أمّا الأوّل فذكر أنّه سمّ،و قيل:لعلّه لتقاطع المصالح بين جماعه السقيفه بين بعضهم البعض،و لا مجال لذكر مؤشّرات ذلك فى المقام.

الثالثه: دخول الروم و أوربا عموما فى الدين المسيحى بعد أن كانوا وثنيّين فى القرن الثانى الهجرى،كما تذكر المصادر التاريخيه و هذه حادثه مرّه على كلّ مسلم و مؤمن.

فأين ذهب نور الدين القويم،و أين ذهبت جاذبيه مباديه العاليه؟!و أين هو نور جاذبيه سيره الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلم؟!و أين هى ظاهره: وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللّهِ أَفْواجاً (۱)؟!و أين هو الوعد الإلهى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (۲)؟!

و الغريب أنّ الجانب و العامل المؤثّر لدخول البلدان الأوروبيه فى الديانه

۱- ۱) .النصر۲/.

۲- ۲) .الصفّ۹/.

المسيحيه هو شعار الرحمه و العطف و اللين و السماحه،الذى رفعه القساوسه و الأساقفه من رجال المسيحيه،بينما تسامع أهل الروم و من والاهم من جيوش الفتوح سواء داخل الجزيره أو فى بلاد العراق و فارس و مصر و الشام عن سياسات نظام السقيفه فى تلك البلدان،إلى أن بلغت ذروتها فى عهد الأمويّين،التى مرّ علينا بعضا منها فى كيفيه الممارسات فى كلا البعدين فى خصوص عهد الشيخين.

و الغريب ممّن يبصر الفساد و الانحراف فى النظام السياسى و الدينى فى عصر الأمويّين و العبّاسيّين و يتعامى عن جذوره فى نظام السقيفه!!

الرابعه: بقاء الصوره المظلمه فى أذهان كثير من شعوب دول العالم عن دين الإسلام نتيجه الممارسات القديمه على الصعيدين الداخلى و الخارجى،و كذلك الممارسات الحديثه الداخليه فى البلدان الإسلاميه؛فإنّ الملاحظ أنّ عوامل ضعف المسلمين و تضعضعهم و استشراء الفساد فى النظام الاجتماعى ترجع بالأساس إلى نوعيه الطبقه السياسيه الحاكمه،و هى وليده عوامل عدّه تتناهى إلى عامل أخير،هو:المذاهب الدينيه المبرّره لمشروعيه الحاكم مهما كانت أوصافه و أحواله ما لم يظهر منه كفرا بواحا؛كما روى ذلك البخارى فى صحيحه فى كتاب الفتن:«و الخارج على جماعه المسلمين و نظامهم مهما بلغ فى الفساد مهدور الدم»،إلى غير ذلك من ثوابت مذاهب السقيفه.

الفهرس التفصیلی

فهرس العناوین الأصلیّه ۷

المقدمه ۹

تبیین محور البحث۲۱/-۴۰ تحلیل مفاد عداله الصحابه ۲۵

فی أدلّه المسأله عند العامّه ۳۳

الأحادیث النافیه لعداله الصحابه ۳۶

الوجه العقلی لعداله الصحابه۴۱/-۴۶ الوجه النقلی لعداله الصحابه۴۷/-۱۱۴ نقاط عامّه فی الجواب ۵۱

تحقیق فی عنوان المهاجر و الأنصاری ۵۶

مفاد الآیات القرآنیه ۶۲

الموالاه و البراءه ۸۱

عدم إیمان بعض البدریّین ۹۰

حال المسلمین فی أحد ۹۳

الوجه التاریخی۱۱۵/-۱۳۰ أغراض تشریع الجهاد الابتدائی ۱۲۲

موقف الصدیقه فاطمه ۳ تجاه الصحبه و الصحابه۱۳۱/-۱۴۴ موقف أمیر المؤمنین ۷ تجاه الصحبه الصحابه۱۴۵/-۱۷۶ موازین التعدیل و الجرح فی الصحابی۱۷۵/-۲۱۲ المقام الأوّل-فریضه المودّه ۱۷۸

مفاد آیه المودّه ۱۸۷

المقام الثانی-ترک فریضه المودّه ۱۹۲

العداوه مرض فی قلوب الناصبه ۲۰۵

العقبه و المظاهره۲۱۳/-۲۷۲ العقبه ۲۱۵

معرفه امیر المؤمنین ۷ حذیفه بالمنافقین ۲۲۰

المظاهره بالمکیده ۲۴۶

صالح المؤمنین ۲۶۶

الملحمه القرآنیه ۲۶۹

آفاق الوحده۲۷۳/-۳۴۲ هارون علیه السّلام نموذج الوحده ۲۹۰

الوحده و عناوین مختلطه ۲۹۳

الوحده و التولی.التبری ۲۹۴

معنی الوحده ۳۰۴

الوحده و شعائر المذهب ۳۱۰

الوحده و طوائف الشیعه ۳۱۱

حدیث الفرقه الناجیه ۳۱۳

محطّه الفتوحات الإسلامیه۳۴۳/-۴۳۴ سبب الرده و حقیقتها ۳۶۸

تدبیر امیر المؤمنین علیه السّلام فی ظفر المسلمین ۳۷۶

اخلاقیات الفتوحات ۳۸۹

المحطه الاولی:عوامل الظفر فی الفتوحات ۳۹۰

المحطه الثانیه:الممارسات المرتکبه فی البلدان المفتوحه ۴۰۰

سبب اخفاق الفتوح عن الوصول الی الوعود الالهیه ۴۲۲

اخلاقیات السقیفه فی الفتوح و الحکم ۴۳۱

الفهرست التفصیلی ۴۳۵

ص:۴۳۷

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹